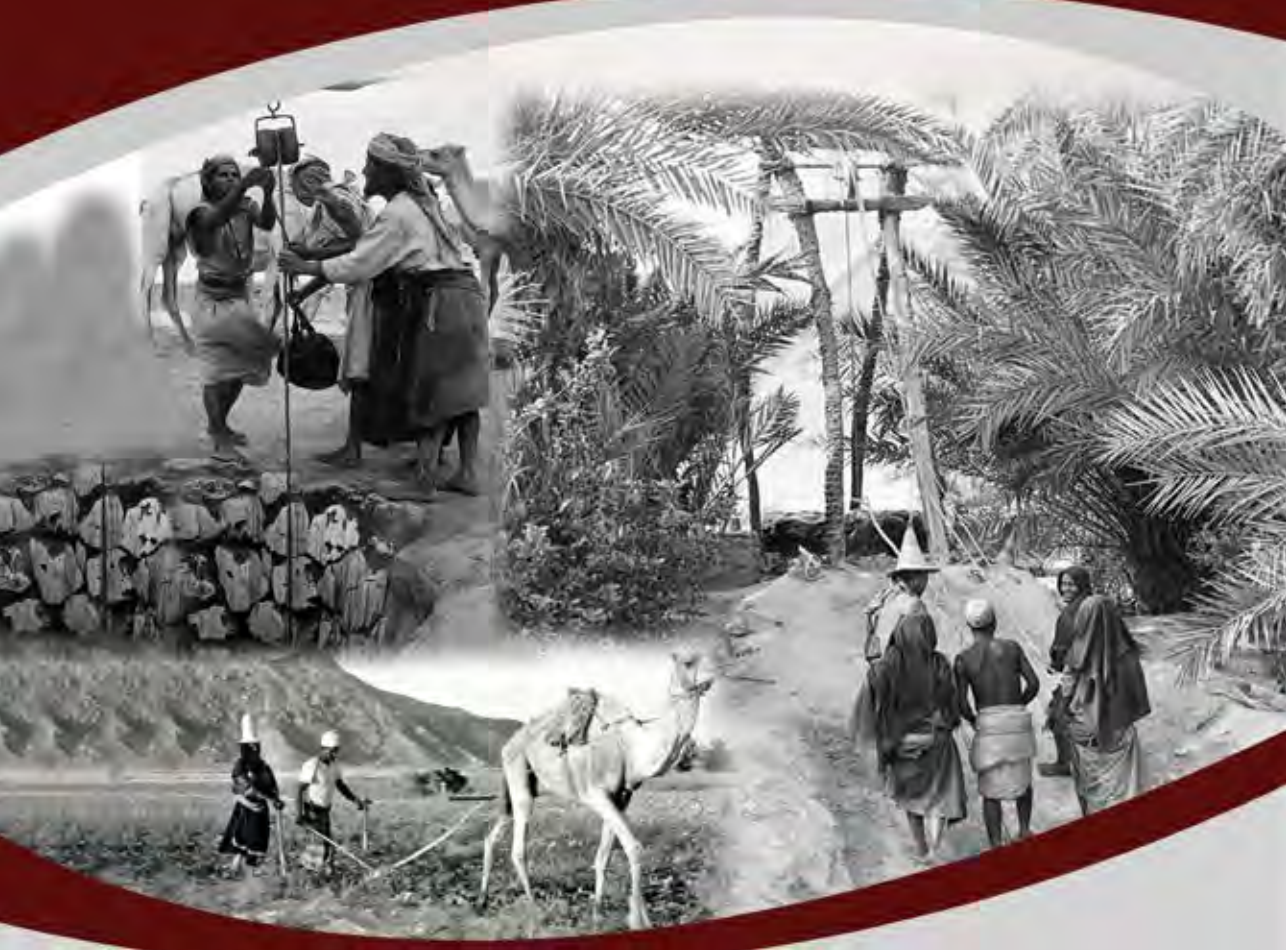
عادات وتقاليد حضرموت الغربية

العام والمحلّي في الثقافة السلاليّة



تأليف: م.أ.رودينوف

ترجمة: د. علي صالح الخلاقي

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عادات وتقاليد حضرموت الغربية

العام والمحلّي في الثقافة السلاليّة

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٤٩) ٢٠١٧م

عنوان الكتاب: عادات وتقاليد حضرموت الغربية - العام والمحلّي في الثقافة السلالية

تأليف: م.أ.رودينوف

ترجمة: د. علي صالح الخلاقي

حجم الكتاب: ١٧ × ٢٥ سم

الإخراج الفني: حسن أحمد بلجعد.

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عادات وتقاليد حضرموت الغربية

العام والمحلّي في الثقافة السلاليّة

تأليف: م.أ.رودينوف

ترجمة: د. علي صلاح الخلاقي

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تمهيد المؤلف

القارئ العربي العزيز:

سعدت كثيرًا أن أتيحت لي فرصة تقديم كتابي هذا إليك، الذي كُرّس لدراسة إثنوغرافيا حضرموت الغربية في الجمهورية اليمنية.

لقد جمعت المعلومات لهذا الكتاب في أثناء العمل الميداني في البعثة الروسية-اليمنية المشتركة للأبحاث التاريخية والتنقيب عن الآثار خلال الأعوام ١٩٨٣-١٩٩١م.

اجتهدت في رسم الصورة التفصيلية للثقافة التي تضرب بجذورها في الماضي البعيد، وما زالت حية حتى وقتنا الحاضر.

إن هذه الثقافة تتغير الآن أمام أنظارنا ويجب أن نحافظ عليها من الضياع.

أقدِّم شكري العميق لكل الأصدقاء في الجمهورية اليمنية، وقبل كلِّ أحدٍ للزميل د.علي صالح الخلاقي الذي ترجم كتابي هذا من اللغة الروسية إلى اللغة العربية، ولكل الذين ساهموا في تحريره وإعداده للطبع.

بقلم / ميخائيل رودينوف

سانت بطرسبورج

نوفمبر ٢٠٠٢م

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مقدمة الطبعة الثانية

صدر هذا الكتاب، لمؤلفه الباحث الروسي ميخائيل رودينوف، بترجمته العربية عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام ٢٠٠٢م، وهو الكتاب الثاني الذي أقوم بتعريبه عن اللغة الروسية، بعد كتاب "سقطرى.. هناك حيث بُعثت العنقاء" لفيتالي ناؤمكين، والذي صدر أيضا عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام ١٩٩٩م.

وقد حرصت عند ترجمة فصوله على أن يكون خالياً من الأخطاء ، قدر الإمكان ، خاصة في أسماء الأماكن والبلدات والقبائل والأشخاص من خلال التحقق من صحتها بطرق شتى، منها العودة إلى المصادر والمراجع التي أخذ عنها المؤلف، وكذا الجلوس إلى شخصيات حضرمية عديدة في عدن، حتى ظننت حينها إنني قد استوفيت مهمتي دون الحاجة للسفر إلى مناطق الدراسة التي شملها الكتاب في حضرموت الغربية، والتي لم اتحمس لها لعدم معرفتي بالمنطقة أو وجود أصدقاء هناك يمكن التواصل معهم لمساعدتي في مهمتي.

وبمرور الأيام اكتشفت، مما بلغني من ملاحظات المهتمين ممن اطلعوا على الكتاب، أن هناك أخطاء عديدة وردت في طبعته الأولى، منها أخطاء مطبعية أو لغوية، والأهم من ذلك الأخطاء أو اللبس أو التحوير في أسماء مناطق وقبائل ونحو ذلك .

ونظرا لنفاد الطبعة الأولى، وكثرة الطلب على الكتاب، فقد بادر الزملاء في مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مشكورين إلى تبني طبعته الجديدة، التي بين أيديكم، وهي طبعة أعتبرها منقحة، لأنها استدركت الأخطاء الطباعية

وتصويب بعض المسميات التي وردت غير صحيحة عند ترجمتها من الروسية، وهو ما فاتني وفات من أعتمدت عليهم في تصويبها من حضارم عدن.

ولعل ما يجعل لهذه التصويبات قيمتها أن من قام بها هم باحثون أكاديميون ينتمون إلى حضرموت الغربية ذاتها، وهم لذلك أدرى من غيرهم بشعابها وقبائلها وأوديتها وعاداتها وتقاليدها، ولهم خصيصاً أزجي جزيل الشكر وآيات التقدير على هذه التصويبات التي تداركوها حتى غابت عن هذه الطبعة الجديدة، وأخص بالشكر الدكتور حسن صالح الغلام العمودي، والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر، والدكتور عبدالقادر علي باعيسى، وكل من أسهم معهم في وضع اللمسات التصويبية والتدقيق اللغوي الدكتور جمال رمضان حديجان.

والشكر موصول لصديقي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي على وضع هذا الكتاب ضمن قائمة إصدارات المركز ، والاعتناء بإصداره بهذه الحلة القشيبة والطبعة الأنيقة.

ومع كل ذلك، أقول أن ديدني عند ترجمته مع غيره من الأعمال هو الانتفاع به ومعرفة ما يكتبه الآخرون عن بلادنا، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، مع قناعتي أن أكون عرضة لبعض الأخطاء فلست بمُدّعٍ للكمال. والله الموفق .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مقدمة المترجم (الطبعة الأولى)

صدر هذا الكتاب باللغة الروسية في موسكو عام١٩٩٢م بعنوان "إثنوغرافيا حضرموت الغربية – العام والمحلي في الثقافة السُّلالية"، وهو الكتاب الثاني الذي أقوم بتعريبه عن اللغة الروسية، بعد كتاب "سقطرى..هناك حيث بُعثت العنقاء" لفيتالي ناؤمكين، الذي صدر أيضًا عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام ١٩٩٩م.

وأودُّ لَفْتَ انتباهِ القارئ إلى أنني تردَّدْتُ كثيرًا في كتابة هذا التقديم؛ لأنّني أشعر أن الكتاب ينبغي أن يقدم ذاته إلى القارئ مباشرة. بيد أنّ ما دفعني إلى هذا التقديم هو الشعور بعدم الرضى عن بقاء مصطلح "إثنوغرافيا" متصدِّرًا الكتاب بعد تعريبه، ومبعث عدم الرضى هو أنّ هذا المصطلح الذي قد يفهمه القارئ الروسي ببساطة لأن مدلوله معروف في لغته، فإنه بوصفه مصطلحًا أجنبيًا بالنسبة للقارئ العربي، جافُّ المعنى ويشوبه الغموض؛ لاشتقاقه من الكلمتين اليونانيتين "إثنوس"، ومعناها: شعب، و"غرافيا"، ومعناها: وصف، فضلاً عن ذلك فإن هذا المصطلح الشائع في روسيا بصيغته ومعناه يقابله في بعض البلدان الأوروبية مصطلح "أثنولوجيا"، كما أن عدم وجود معايير دقيقة لمثل هذه المصطلحات أوحدود فاصلة بينها وبين المواد المتاخمة، أمرٌ يجعل القارئَ المهتمَّ أسيرَ عدم الفهم، ناهيك عن غموض المعنى بالنسبة لقطاع عريض من القُرَّاء، بفعل الأمِّيَّة الهجائية والثقافية، ممَّنْ لا يعرفون ما تعنيه كلمة "إثنوغرافيا".

وهكذا رأيت أنْ أستبدل هذا المصطلح بصيغة عربية، تجعل عنوان الكتاب أقرب إلى فهم القارئ العربي، ووسمْتُه بـ"عادات وتقاليد حضرموت الغربية"، وأظنُّني لم

أذهب بعيدًا عن معناه؛ لأنَّ الرُّوسَ يُطْلِقُونَ مصطلح "إثنوغرافيا" على دراسة الثقافة الشعبية المادِّيَّة، التي أراها تتجسَّد هنا بصورة جليّة في العادات والتقاليد الشعبية، المادية والروحية، وهي الموضوعات التي يتناولها المؤلِّف في فصول هذا الكتاب، والتي أعفي نفسي من الحديث عنها، حتى لا أفسد على القارئ مُتْعَةَ القراءة والفائدة، من خلال الإبحار بين دفتيه، وهي المتعة ذاتها التي حفَّزتني للإقدام على ترجمته فور الانتهاء من قراءتي لطبعته الروسية.

تنبع أهمية الكتاب - حسب تقديري - من كونه الأوّلَ من نوعه الذي يتعرّض لدراسة منطقة نائية أغفلتْها الدراسات والأبحاث، إلاّ فيما ندر، وهذه المنطقة هي حضرموت الغربية، التي تشتمل على أودية دَوْعَن وعَمْد والعين والكَسْر، بتجمُّعاتها السكانيـَّـة، وبثقافتها المادية والروحية، وعاداتها وتقاليدها، التي لم تنل حظَّها من الدراسة، مقارنة بكثرة ما كُتِبَ عن وادي حضرموت الرئيس بمُدُنِهِ الشهيرة: شبام، سيئون، تريم، ولذلك فإنّ هذا الكتاب يُـعَـدُّ بحقٍّ رائدًا في هذا المجال، ليس فقط في موضوعه ومضامينه، بل وبمنهجيته وأسلوبه العلمي، فقد بذل مؤلفه المستشرق الروسي ميخائيل رودينوف جهدًا علميًا كبيرًا، اعتمد أساسًا على الأبحاث الميدانية والمشاهدات الحيَّة التي كانت ثمرة ثماني سنوات، أمضاها في البحث الميداني في تلك المناطق ضمن نشاط البعثة الروسية اليمنية المشتركة، منذ عام ١٩٨٣م وحتى عام ١٩٩١م، فضلًا عن استناده على قائمة طويلة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، التي أحاطت بموضوع الكتاب، فزادته ثراءً وقيمةً علمية وأكاديمية.

ويلزمني القول: إنني التزمْتُ الأمانة عند ترجمة فصول الكتاب، وبذلت جهدًا مضنيًا؛ لأقدمه بهذه الصورة، كما حرصْتُ على الحصول على المصادر والمراجع التي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

اقتبس منها المؤلف، وتتبّـعْـتُها؛ لأرُدَّ تلك الاقتباسات كما جاءت إلى مظانِّها، إلاّ ما تعذّر الحصول عليه منها وهو قليل، كما لجأتُ في التثبُّـتِ والتحقُّق من أسماء الأماكن والأشخاص والقبائل والأسماء المحلية وكثير من الأشياء التي ذكرَها المؤلِّف في كتابه لمطابقتها مع الواقعالصحيح إلى بعض سُكَّان تلك المناطق ممَّن يعيشون أو يعملون في عدن، منهم الأستاذ الجامعي، وصاحب البقالة، وبائع العسل، فإليهم جميعًا أزجي جزيل الشكر والتقدير لتجاوبهم ومساعدتهم التي أسدوها لي.

وبالمناسبة أعبِّرُ عن شديد الامتنان لرئيس جامعة عدن أ.د. صالح علي باصُرَّة، الذي وجَّه بطبع هذا الكتاب ليستفيد منه دارسو علم التاريخ وعلم الاجتماع، وأعترف أن التشجيع الذي أبداه من قبل لطباعة أول كتاب أقوم بترجمته "سقطرى..هناك حيث بُعثت العنقاء" قد كان عاملًا محفِّزًا لي لمواصلة تجربة الترجمة، التي أسفر عنها هذا الجهد الذي أقدِّمه للقارئ، على أمل أن يثري المكتبة اليمنية والعربية، ويثير اهتمام المعنيِّين للقيام بدراسات مماثلة لمختلف مناطق بلادنا، ذات الإرث الحضاري الضارب بأطنابِهِ في القِدَم؛ حتى لا يتعرّض للضياع أو النسيان، بفعل عوامل التطوُّر، التي تهدِّدُ ما بقي في ذاكرتنا من عادات وتقاليد، نحن أحوج ما نكون لتدوينها ودراستها؛ لأهميتها في وصل الأجيال الجديدة بتاريخ الأجداد وتراثهم.

وَلْيَعْذُرْني القارئ العزيز إذا ما كانت هناك هفوات أو نواقص، فلسْتُ بمُدّعٍ للكمال. والله الموفق.

د. علي صالح الخلاقي

أستاذ التاريخ الإسلامي- جامعة عدن

عدن ٢٠٠٢م

تمهيد

في هذا البحث تُدرس المكوِّنات العامّة والمحليّة للثقافة السلالية المحدَّدة في ضوء معطيات حضرموت الغربية (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية)، ومنذ عام ١٩٩٠م (الجمهورية اليمنية) كمنطقة تاريخية-إثنوغرافية.

إنّ الحلقة الأخيرة في سلسلة "الطبيعة-المجتمع-الثقافة" تُفهَم كإنجاز للوسائل المنظمة للنشاط الإنساني [١٣٣ ص٤٠؛ ١١٠ ص٣١]، والثقافة السُّلاليّة هي تزاوج عناصر الثقافة الملموسة للخاصيّة الإثنوغرافية للإثنوس (الشعب)، خلافًا عن ثقافة الإثنوس، المجسِّدة للحصيلة الكلية لتنظيم الكائن السُّلالي [١٥٢ ص٥٣]، وهذان الصنفان لا يمكن تحديدهما؛ إن خاصية الأول علاوة على غيره "عناصر محايدة" سلاليًا [١١٠ ص٣٢].

إن الخفيَّ سلاليًا في الظروف المحدَّدة مُؤهَّلٌ لأن يصبح جزءًا حيويًا من الثقافة السلالية. ولذلك أضيف إليهما تمامًا مقترح ي.إ.مكرتومان [١٥٤ ص٤٢]. وتنقسم ثقافة الإثنوس (الشعب) إلى أربعة مجالات:

١- الإنتاج الأولي (الأشغال التقليدية، طرائقها وأدواتها).

٢- تأمين الحياة (مجموع الإسكان، مجمع الغذاء، مجموع الملابس).

٣- مجال المعايير الاجتماعية (أو التنظيمية، المتوجّهة إلى الجماعة).

٤- الإنسانية (المجموعات الأيديولوجية، المتوجّهة إلى الشخصية).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومن الجليِّ أنّ لدى كلٍّ من هذه المجالات مستوىً سُلاليًا مختلفًا، وهي تنقسم إلى مجموعتين: المجالان الأول والثاني تنتمي إلى التقنية المادية، والمجالان الثالث والرابع إلى المجموعة الاجتماعية [١٥٢ ص٥٩].

إن المنظومة بخصوصيتها الثقافية [١٢١ ص٣٥-٣٦]، تفترض فطريًا، ليس مجرّد إحصاء ووصف وتصنيف العناصر الرئيسة للنظام فحسب، وإنما إبراز الصلات، سواءً داخل المجالات المنفصلة (تحت المنظومة) أو فيما بينها. وقد أخضعت هذه المسائل تركيب البحث ومنطق عرض المواد.

إنَّ مسألة المكوّنات العامّة والمحليّة للثقافة السُّلالية، واحدة من أصعب المسائل، التي يصطدم بها العالم النظري أو العالم الميداني في علم الإثنوغرافيا [انظر البحث الثقافي المنطقي، على سبيل المثال ١٥٣ ص٧-٣٠]. وفي هذه الدراسة يُنظر بغير عمقٍ في ترابط الخاص والعام، وإنما في سياق الحديث عن الثقافة العربية، وبشكل دقيق في حدود منطقتها الجنوبية العربية [انظر لاحقا، فقرة٢]، ويسير البحث في مستويات عدّة، من الحقيقة الإثنوغرافية المحدّدة، إلى الاعتيادية بالنسبة لحضرموت الغربية بشكل عام، وهلمَّ جرًّا إلى الحضرمي العام، الداخل في الفضاء التاريخي الإثنوغرافي الأكثر اتساعًا، اليمني، الجزيرة العربية، الوطن العربي.

إن البعثة الروسية في اليمن (حتى عام ١٩٩٢م – البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة)، التي شارك فيها المؤلف منذ موسم البحث الميداني الأول (عام ١٩٨٣م)، ضمت مختلف الاختصاصيين: علماء الآثار، المؤرّخين، علماء اللغة، المهندسين المعماريين، علماء الأنثروبولوجيا، الجغرافيين، علماء النبات، الجيولوجيين. وقد صدرت أبحاثهم، أو هي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في طريقها للنشر- [١٦٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٠٨، ١٤٤، ١٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٢٦-أ، ١٤٤-أ، ١٧٤-أ، ١٨٨-أ]. وهذا يعفي المتخصص في علم الإثنوغرافيا من التجوال الواسع في تاريخ حضرموت وجغرافيّتها، ويسمح بالاقتصار على المعلومات الأكثر أهمية.

وأودّ الإقرار بالجميل لأولئك الذين بغيرهم ما كتبت هذا الكتاب، وهم: أستاذي المرحوم ن.بيغولوفسكي، د.أ.أولدروغ، ب.ب.بيتروفسكي، أ.ب.بيتروشيفسكي، إ.ن.فينيكوف، أ.م.غولدوبين، ر.سرجنت، والمعلمون والزملاء الكبار: أ.أ.دولينين، أ.ب.خالدوف، إ.ا.بيرشيتس، س.ا.أرتيونوف، ف.ف.ماتفييف، ف.دوستال (فينّا)، شتاين (ليبتزغ)، والزملاء والرفقاء: م.ب.بيوتروفسكي، ف.ف.ناؤمكين، جنجريخ (فينا)، ف.ف.بولوسين، ا.د.كنيش، س.ا.سيربروف، ب.ا.غوريلسكي، ي.ف.كوجين، وكذلك جميع المشاركين في البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، وبشكل خاص مؤسسها ب.أ.غريازنيفيتش، الذي وضع الأبحاث الإثنوغرافية في برنامج البعثة كواحدة من أهمّ الاتجاهات.

وامتنان خاص للأدباء اليمنيين عبدالقادر الصبان (سيئون)، علي بكير (تريم)، جعفر السقاف (سيئون)، عبدالعزيز بن عقيل (المكلا)، إلهام عبدالوهاب ورشيد حسين (عدن)، عبدالرحمن السقاف (سيئون). وحفظة التقاليد الشعبية: الشاعر بو بشر (غنيمة بن عقيل)، ومنصب آل العطاس- علي بن أحمد العطاس (حريضة)، وطالب الحامد (نعير)، وحسن باتيس (حريضة)، وحسين بن الشيخ أبوبكر (خريخر)، وبدر بن عفيف (الهجرين)، وكثيرين غيرهم ممّن أسدَوْا لي معارفهم بسخاء.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مقامات المناطق:

إن موضوع البحث – حضرموت الغربية كمنطقة تاريخية إثنوغرافية، يبرز للمرة الأولى في هذه الدراسة العلمية. ومفهوم حضرموت يتطلب التدقيق؛ لأن لها على الأقل ثلاثة معانٍ:

أولًا: أنها دولة قديمة جنوب الجزيرة العربية وعاصمتها شبوة، ظهرت في تخوم القرنين الثاني والأول الميلادي، وظلت باقية حتى القرن الرابع الميلادي، حينما دخلت في قوام الدولة الحميرية. وهي بلد البخور وتجارة القوافل، وقد تمّ ذكرها في الكتب المقدسة، وفي النقوش السبئية، ومن قبل المؤلِّفين الكلاسيكيين [١٢٣؛٢١٢]، كما حافظت على خصوصيتها أيضًا في العهد الإسلامي [١٦٤ ص٥٩-٦٥].

وثانيًا: أن حضرموت هي إحدى المحافظات الست لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (من ١٩٦٧-١٩٧٠ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية)[١]. وقد أعطيت تسميتها التاريخية في إبريل ١٩٨٠م، أمّا قبل ذلك فشأنها شأن المحافظات الأخرى في اليمن الجنوبي؛ إذ سُمِّيَتْ بالعدد الترتيبي (المحافظة الخامسة) منذ ديسمبر ١٩٦٧م، وهذا الإجراء الحكومي كان يهدف إلى إضعاف المناطقية.

وحضرموت هي أكبر محافظات البلاد في المساحة وفي عدد السكان، وهي تشغل أكثر من ثلث مساحة البلاد (لم تُرسّم الحدود في الشمال والشمال الغربي، ولذلك فإن

١) التقسيم الإداري- الإقليمي لليمن حسبما كان عليه الحال في يناير ١٩٨٩م.

تقدير مساحة حضرموت تتأرجح في حدود ١٢٩، ٤٠٠ كم٢ -١٤٧، ٧٠٠ كم٢ - ١٥٥، ٣٧٦كم٢ [٢ ص٢١٦؛ ١٢٧٤، ١٣]. ووفقًا لإحصاءات ١٩٨٨م فإنّ عدد سكان المحافظة ٦٢٦، ٣٠٠ نسمة [٤٢ ص٢].

جغرافيًا تنقسم محافظة حضرموت على:

الساحل (حوالي ٣٥٪ من مجموع السكان. وأهمّ مدنه: المكلا (المركز الإداري للمحافظة) ، الشحر، وإلى الشمال من الساحل مدينة غيل باوزير).

حضرموت الداخل (٥٣٪ من السكان)، أي الوادي الرئيس، وأهم مدنه: القطن، شبام، سيئون، تريم. والأودية الجانبية وأهم مدنها: (حريضة في وادي عمد، الخريبة، صيف والهجرين في وادي دوعن)، والمديريات الصحراوية قليلة السكان إلى الشمال من الوادي الرئيس: العبر وثمود.

والمفهوم الثالث عن حضرموت كمنطقة تاريخية إثنوغرافية، يعني تحديد مكانتها بما يتفق مع درجات المقامات للمناطق. ويتميز التوزيع الإقليمي الإثنوغرافي للمناطق التاريخية – الإثنوغرافية بخمسة مستويات. أكبرها - المنطقة التاريخية الإثنوغرافية التي تضمُّ عددًا من المحافظات (الأقاليم) التاريخية الإثنوغرافية أو أكبر من المحافظات، تنقسم إلى مقاطعات، نواحٍ ومناطق. وفي بعض الأحيان فإن مرادف مفهوم المنطقة يكون "الإقليم الكبير" [١٠٩ص١٩، ٢٢، ٢٤].

ومن بين الأقاليم الكبرى (المناطق) الستَّ عشرة، حسب تقسيم ن.ن. تشيبوكساروف وب.ف. أندريانوف للعالم المعاصر والمهمّ بالنسبة لموضوعنا منطقتان: العربية – الشمال

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أفريقية والغرب آسيوية. أن الخصائص الأثنو – ثقافية المميزة لها تسمح بتوحيدهما في المنطقة التاريخية – الإثنوغرافية الكبيرة الشمال أفريقية – الغرب آسيوية. وهذه المنطقة أطلق عليها عالم الإثنوغرافيا رفائيل باتاي "القارة الثقافية" المستقلة [٢٤٤ص١٥؛ ٢٤٦ص٧ -٩؛ ١٠ -٣٦]. في البحث تتجلى خصائص المساحة السطحية لهذه المنطقة، أو المكوّنات العامة للثقافة السلالية المميزة لغالب سكانها، وهاكم بإيجاز الرئيسة منها:

١-وجود الوحدة البدوية - الحضرية الخاصة للسكان مع التبعية المتبادلة والنزاعات فيما بين أقسامها، وكذا مع مستوى كبير من وحدة أنماط الحياة المعيشية في كل أشكالها الاقتصادية - الثقافية (البدو- الحضر- شبه الحضر- شبه البدو).

٢-وظيفة الوساطة للمدن بين قطبي الوحدة الحضرية - البدوية، المؤسسات الاجتماعية المدنية - السوق، الصناعات الحرفية المتخصصة (نظام الورش، الأعمال الوراثية)، تحديد مجالات النشاط الاجتماعي الأكثر صرامة، الاحتكار الثقافي والأيديولوجي، والانفتاح الكبير في التكوينات الجديدة.

٣-القاعدة القبلية كأساس للتنظيم الاجتماعي للبدو وقسم من الحضر: التعبير عن العلاقات الاجتماعية في صورة روابط قرابة الدم المعلنة، الزواج الداخلي مع مثالية الزواج من ابنة العم.

٤-وجود المجموعات الأسرية العشائرية التي تُسمّى باسم الجد الحقيقي المباشر في الجيل الرابع – السابع (الحد الأدنى اسم الجد [١٧٣]. والأسرة الموحدة أو المنفصلة من الجهة الأبوية، وكثرة تعدُّد الزوجات.

٥- الحفاظ على التقاليد الشفوية المتطورة، التي تولِّد الشعر والبلاغة، بالاستناد على العُرْف، الذي يؤكِّد التكافلَ الأسريَّ (التعاون المتبادل، الثأر، صيانة الشرف)، وإكرام الضيف، والكرم والثبات أمام نوائب الدهر، والمعيار المزدوج للأخلاق الجنسية.

٦- وحدة المبادئ الأخلاقية، بغضّ النظر عن الاختلافات في الاعتقادات الدينية؛ إذْ إنَّ وجود القيم الإسلامية العامة، تؤثر كذلك على سكان المنطقة غير المسلمين.

إن الخصائص الإثنوثقافية المسرودة، التي توصف أحيانًا كخاصية لأثنوسات منفصلة فقط، تحدِّد طابع منطقة الشمال الأفريقية – الغرب آسيوية التاريخية الإثنوغرافية. وبعض منها توجد في مناطق تاريخية إثنوغرافية أخرى، لكنها هناك تنتمي إلى منظومة سلالية – ثقافية أخرى [١٧٣ص٨٢؛١٧٢ص٦١-٦٤].

تنقسم منطقة الشمال الأفريقية - الغرب آسيوية التاريخية الإثنوغرافية إلى عدد من الأقاليم (النواحي)، بما في ذلك الجزيرة العربية، التي تتألف من أقاليم تاريخية إثنوغرافية عدَّة: الصحراء العربية (العربية السعودية، الكويت، المناطق الصحراوية في إيران، سوريا، الأردن، إسرائيل [فلسطين- المترجم]، والقسم الآسيوي من مصر)، جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) وشرق الجزيرة العربية (عمان، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين).

يمتلك الإقليم التاريخي الإثنوغرافي لجنوب غرب الجزيرة العربية، بما في ذلك، تلك النواحي كالمهرة وسقطرى وحضرموت، صِلاتٍ وثيقة إلى درجة كبيرة مع إقليم شرق الجزيرة العربية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إن أقسام الإقليم وحدوده الشرقية، تدقق وتوضح تركيب المناطق التاريخية – الإثنوغرافية الداخلة في الإقليم. هكذا ففي حضرموت الداخل (مرادف وادي الأحقاف) يمكن تحديد مناطق تاريخية – إثنوغرافية شرقية ووسطى وغربية. وقد غدت الأخيرة منطقة أصلية لإظهار المكونات المحلية للثقافة السلالية، ارتباطًا بخصائصها الأكثر عمومية.

في البحث يُفهم من اسم حضرموت الغربية المنطقة التاريخية، الإثنوغرافية لحضرموت الداخل، وهذا العنوان ليس افتراضًا من أجل الاختصار فقط، وإنما لأن سكان "الغرب" المحلي يتقبلون ذلك بمعنى واحد – كمديرية غربية (منذ عام ١٩٨٠م مديرية دوعن)، أو الروافد الجنوبية الغربية للوادي الرئيس: وادي عمد، دوعن، العين والأنجاد فيما بينها. وهذا قد تم الأخذ به في وضع حدود حضرموت الغربية كمنطقة تاريخية – إثنوغرافية (علاوة على موضع سير الأودية الثلاثة – وادي الكسر، الذي يدخل في إطار مركز حورة، مديرية القطن). التسميات المحلية الأخرى لتلك المنطقة تقريبًا – علوى (من حيث سير السيول) أو القبلة "الموجهة إلى مكة".

في عام ١٩٤٣م نشرت ف.أ. كراتشكوفسكايا استعراضًا للمنجزات التي تراكمت لدى العلم الأوربي خلال مائة عام من دراسة حضرموت [١٤٦ص٣١-٤٥]. فما هي إذن النتائج الرئيسة للدراسات الإثنوغرافية في الوقت الراهن لاسيما مع اقتراب يوبيل القرن والنصف من زمن الأبحاث؟.

إن الحساب الزمني يتم عادة من أول رحلة علمية في حضرموت الداخل، التي قام بها كما هو معروف في يونيو- سبتمبر ١٨٤٣م المولود في ويستفاليا أ. فون فريدة [١٤٦ص٣١-٣٦؛ ٤ص١٨٥، ١٧٤ص١٠٢-١٠٩؛١٦٧؛١٦٨]. أما قبل ذلك فقد استمدت المعلومات من المصادرالمكتوبة (الكتب المقدسة، ومصنفات المؤلفين الكلاسيكيين ومؤلفي القرون الوسطى) [٤ص٥١، ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٦٨-٦٩]، ومن روايات سكان مناطق معينة أو المهاجرين [٤ص١٠٢، ١٠٥، ١١٨، ١٧٤]. ومن معلومات شحيحة لشهود عيان (على سبيل المثال، اليسوعيان البرتغاليان اللذان انطلقا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من ظفار إلى صنعاء عبر حضرموت) [٢٥٠ص١٩٤-٢٠٧]، ولم تستخدم علميًا أو تتداول في الأعمال العلمية، كما هو الحال مع البعثة البريطانية لرسم الخرائط الجغرافية على متن سفينة "بالينور" التي جمع المشاركون فيها في ثلاثينات القرن التاسع عشر الميلادي معلومات جغرافية واقتصادية عن حضرموت، وقاموا في أبريل ١٨٣٦م برحلة استغرقت عشر ساعات في سواحلها [١٠٣ص٢٠-٣٤؛١٠٤].

العالم اللغوي والرحالة الألماني غ. فون فسمان، الذي أصدر عام ١٨٧٠م "مذكرات فريدة" [١٠٦] أشار إلى أن مصداقيتها أثارت لدى بعض العلماء شكوكًا جديدة [٨٥ص٢٠، ٢٣؛١٠٦ص٢؛١٤٦ص٣٨] ومع ذلك فإن المعلومات الواردة في الكتاب أساسًا قد أكّدت من قبل باحثين آخرين.

وهكذا فإن الإنجليز س.ب. ميلز في عام ١٨٧٠م فقد حقق وأكمل هذه المذكرات عن المسكن التقليدي لجنوب غرب حضرموت [٨٩-٩١]، وفي عام ١٩٣١م قرر الهولندي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

د. فان در مولين مع الألماني فان فيسمان دقة معظم الرسوم الجغرافية (ما عدا القسم الكرس لوادي عمد حيث توجد أخطاء واضحة) [٨٨ص٤-٥؛٥٥ص١٠٧-١٢٤].

لقد حدث في زمن إصدار "مذكرات فريدة" التشكيل النشط للإثنوغرافيا (الإثنولوجيا) كعلم أدبي مستقل، ولذلك أبرز الناشر وبروح العصر المعلومات الإثنوغرافية في العناوين الفرعية، وفي تقديمة للكتاب استخدم نفس التعريف "الإثنوغرافي" (فاضحًا ديو كوري الذي يزعم أنه زار حضرموت الداخل عام ١٨٤٤م) [١٠٤ص٧].في الكتاب وصف للمظهر الخارجي وأوضاع المسكن التقليدي [١٠٦ص١٠٢-١٠٤، ١٩٣]. ومعلومات متناثرة عن أنشطة السكان – زراعة النخيل [ص٥٢، ١٨٤-١٨٦]، تقنية المزروعات: التبغ [ص٦٠، ٢٢٨]، السمسم [ص٦١، ١٨٤، ١٧٠، ٢١٣، ٢٣٢]النيلة [ص٦٣، ١٢، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٦٨]. كما يتحدث عن منظومة الري، وأنواع الآبار وخزانات المياه، وعن الري بمياه السيول [ص٨٨، ٩٠، ٩٥، ١٠٥-١٠٦، ١٣٧، ١٤٢-١٤٣، ١٧٢، ٢٦٧، ٢٦٨]، كما يتحدث عن بعض جوانب التنظيم الاجتماعي للبدو، على سبيل المثال عن مجلس القبائل [ص١٩٦] وعن المراسيم ذات الصلة ببدء نشوب النزاعات بين القبائل، وعن عادات المصالحة(١٩٨– ١٩٩)، والثأر [ص٢٢٦ – ٢٢٨] وعن طقوس الزواج – عند الحضر [ص٢١٧ – ٢٢٠]، وعند البدو [٢٦٢ – ٢٦٣]، وعن مراسيم الجنازة عند الحضر [ص٢٣٤ – ٢٣٥]، وعند البدو [ص٢٣٩ – ٢٤٠]، وعن العادات اليومية، كتناول الأطعمة لدى لبدو [ص٩٣ – ٩٤]. كما لم يغفل الاهتمام باللباس التقليدي: ثوب البدوية [ص٩٠–٩١، ١٧٠-١٧١]، فستان النساء

الحضريات في وادي دوعن [ص١١٠-١١٢]، والفلكلور الموسيقي [ص٤٩، ١١٩، ١٣٢، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٧، ٢١٩]، والأحوال السيكولوجية [ص٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٤]. وتحتل مكانة خاصة المسميات الاصطلاحية القبيلة وتعداد السكان [ص١٠٢، ١٦٩-١٨٥-١٨٦، ٢٥٣-٢٥٦]. وقدخصص ناشر الكتاب فون فسمان جزءًا من هذه المعلومات في ملحق خاص [ص٣١٣-٣٢٣].

وفي ملاحظات الناشر تعليق تأصيلي معظمه متعلق بحقيقة أسماء العلم [ص٢٧٥-٢٩٣]. وكانت خارطة حضرموت الداخل، التي وضعها فون فسمان، بصرف النظر عن عدم اكتمالها، نقطة الانطلاق لظهور رسوم الخرائط الجغرافية اللاحقة.وفي هذا تتلخص القيمة الرئيسة لـ"مذكرات فريدة" ذاتها كمصدر إثنوغرافي: معها تتم المقارنة ومنها ينطلق الباحثون اللاحقون.

في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي اهتمت الإدارة الاستعمارية للهند الهولندية بالمهاجرين من الجنوب العربي الذين جاء معظمهم من حضرموت. وقام ل. فان دين بيرغ بسلسلة استفتاءات في أوساطهم، وقد ألف كتابًا استرجع فيه، من أحاديث المتعلمين المنتمين في أصولهم إلى حضرموت، هيئة مواطنهم الأصلية [٢٠٣]. وفي أعوام التسعينات بدأ المستعرب الهولندي البارز س. سنوك هورجرنج في نشر مقالات عن الإبداع الشعري في حضرموت (حسب المخطوطات) وعن العادات القبيلة [٢٧٢-٢٧٥]. ومع ذلك فإن المعطيات الموضوعية عن الثقافة التقليدية لم يكن من الممكن الحصول عليها تمامًا إلا على الواقع ذاته.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كان البروفيسور البرليني ل. هيرش، الأول من العلماء الأوربيين الذي وصل إلى الوادي الرئيس لحضرموت (حيث لم يصل بطل "مذكرات فريدة") إذ وصل عام ١٨٩٣م إلى الشرق حتى تريم [٦٧ص٦٦، ١٩٦-٢٠٥؛٤ص٢٤٠-٢٥٨] وقد استخدم خارطة فان دين برغ، مدققًا إياها في أثناءرحلته. ومن بين المشاهدات الغريبة المتعددة التي يتضمنها كتاب هيرش، يمكن ذكر مثل هذه المعلومات الإثنوغرافية، على سبيل المثال، التنظيم الاجتماعي لقبيلة العوامر [٦٧ص٢٢٢]، والزي النسائي التقليدي [ص٢٦، ١٢٨]، والوشم وتزيين الجسم بصبغة النيلة [ص٤٤].

بعد هيرش مباشرة اتجهت إلى حضرموت الداخل في شتاء ١٨٩٣-١٨٩٤م بعثة ت. بينت الإنجليزية، وكان في قوامها زوجته (أول مصورة نسائية في وادي حضرموت)، واختصاصي في علم النباتات وآخرين [٥١، ٥٢؛١٧٤ص١٠٤-١٠٥؛٤ص٣٤٣-٢٨٢]. وقد توقف بينت وزوجته في شبام، ولم يستطيعا التوغل أبعد إلى الشرق. ويتطابق وصف الزي النسائي (جنوب وادي دوعن) عند بينت [٥٢ص٩٤] مع الوصف الذي جاء في كتاب فريدة. وقد اهتم بينت وزوجته بعناية فائقة بالزي النسائي المحلي: ثوب الفلاّحة في حضرموت الغربية - البرقع والقبعة العريضة المصنوعة من سعف النخيل [ص٩٤-٩٥، ١٦٧]، وأدوات الزينة – الأعداد الفردية للأقراط على كل أذن [ص١١٩]، صبغة الوجه، وأدوات الزينة الأخرى [ص٩٣، ١١٠، ١١٩]. وتوجد كذلك معلومات عن فن العمارة (ص١٠٦، ١٤٨] والري بمياه السيول [ص١٢٨]، والفلكلور الشفاهي والموسيقي للبدو [ص١٢٨-١٢٩]، ومعلومات عن قبائل منفردة: نهد [ص١٠١، ١٠٦]، الكثيري [ص١٢٧]،

الجابري [ص١٥١، ٦٥، ١٦٨-١٦٩، ١٧٣]. ومع ذلك فإن كتاب بينت وزوجته لا يخرج عن إطار يوميات السفر الاعتيادية لذلك الزمن، التي لا تبرز الناحية الإثنوغرافية بشكل خاص.

وبطريقة أخرى تمامًا تعامل الباحث السويدي ك. لاندبرغ مع مهمته. ويمكن تسميته وبحق أول إثنوغرافي لغوي درس الجنوب العربي، وعلى وجه الخصوص حضرموت، وتواجد لاندبرغ فقط على ساحل حضرموت. ومن أجل تكوين صورة دقيقة جدًا للمناطق الداخلية فإنة قد اختار منهج الاستفتاء، الذي لم يبخل من أجله بالنقود (كثير من المخبرين والمعاونين مدفوعي الأجر ونشر المواد على نفقته) ولا بالوقت (أمضى خمس سنوات في سبيل جمع النصوص الخاصة بحضرموت وإعدادها).

في مؤلفه المكرس لحضرموت [٢٣٦] يورد لاندبرغ منذ البداية نماذج الفلكلور الشعري المحلي حسب الأنواع [ص١-٢٣٨]، ومن ثم يقدم النصوص النثرية بلغة دارجة تصف الأعمال التقليدية: البائع [ص٢٤١-٢٤٧]، الشرّاح [ص٢٤٧-٢٨٤]، المزارع [ص٢٨٤-٣٢٨]، المتخصص بالسقي [ص٣٢٩-٣٣٢]، السمسار التجاري – الدلاّل [ص٣٣٢-٣٣٧]، النجار [ص٣٣٧-٣٥١]، الحدَّاد [ص٣٥١-٣٦٧]، الجمّال[ص٣٦٧-٣٧٧]، القصَّاب [٣٧٨-٣٩٣]، الكاتب-الكرّاني [ص٣٩٣-٣٩٤]، البَنَّاء [٣٩٤-٤٠٨]، الصَّبَّاغ [ص٤٠٨-٤٣١]، الحلاّق [ص٣٩٣-٥٠١]. كما نُشرت هنا حكاية نثرية عن ضريح النبي هود [ص٤٨٤-٤٩٣] وبئر برهوت [ص٤٣٥-٤٨٤] وأتيح للعلماء الأوربيين التعرف عليها فقط بعد أكثر من ثلاثة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عقود، وكذلك يورد حكاية عن عادة الختان [ص٤٨٤-٤٩٣] بما في ذلك ختان البنات خارج حضرموت.

نقلت جميع النصوص بالخط العربي، وزودت بتعابير للرموز الصوتية الدقيقة للغاية وترجمة فرنسية حرفية مع تعليقات ضافية ومعجم لشرح الكلمات العويصة، وتشمل التعليقات مواد أثنغرافية متنوعة: الملابس وأدوات الزينة [ص٦١، ٧٠-٨٠]، ولوازم البيت (على سبيل المثال، وصف المرتاج الخشبي، المستخدم في حضرموت، [انظر صورته بين ص٨٤و٨٥]، وأصناف البارود [ص١٦٤]، وفصائل الجمال [ص٧٨]، والأسماء المحلية للأصابع [ص٨٢]، والمصطلحات ذات الصلة بالتوجه إلى المناطق [ص٣١، ملاحظة١٠]، ومواقيت التنقلات اليومية [ص٢٠٩].

التفت لاندبرغ إلى هكذا نظام لعلاقات القرابة الأسرية، كعلاقة الخؤولة واعتبارها ذات صلة تأثيرية [٩٨] وهو أمر تقليدي تمامًا لإثنوغرافيا ذلك الوقت، وعلى الرغم أن الاستنتاجات النظرية التي فات أوانها تشغل مكانة قليلة في أعماله، فإن المواد الأثنو-لغوية التي جمعها وعلق عليها ما زالت تحتفظ حتى الوقت الراهن بقيمة عظيمة للبحوث الإثنوغرافية: أنّ كل واحدة من ملاحظاته تقريبًا يمكن أن تصبح أساسًا لأبحاث لاحقة، كما أن التباين بالمعلومات الأثنو لغوية التي أوردها لاندبرغ بالتتابع بالنسبة لقبائل (دثينة، العوالق) ومناطق حضرموت، وجزئيًا المهرة واليمن (الشمالي) [٢٣٧ مجلد١]، تعطي إمكانية رائعة لتصنيفها في أثناء العمل لأعداد أطالس تاريخية – إثنوغرافية ولغوية للجنوب العربي.

قام ف. هاين مع عقيلته برحلة إلى الجنوب العربي (١٩٠١-١٩٠٢م) بتكليف من أكاديمية فينا للعلوم، ومثل لاندبرغ أيضًا لم يستطيعا التغلغل في المناطق الداخلية لحضرموت، وتواجد فقط على الساحل (بما في ذلك المهرة). ومع ذلك تظل رحلتهما في تاريخ الإثنوغرافيا العربية، أنهما كانا، من حيث الجوهر، الأوائل من الاختصاصين في المتاحف في تلك الأماكن، ، وقد جمعا ونقلا إلى متحف الإثنوغرافيا في فينا مجموعة غاية في الروعة من مواد الحياة التقليدية [٢١٥ص١٨٩-١٩٠؛٨٨ص٧-٨]. وتحتوي البيانات الإستبيانية التي دوناها بعض المعلومات الإثنوغرافية عن حضرموت [٦٠ص٢٣-٥٨].

في عام ١٩١٨م وصف الإنجليزي و.لي ورنير، الذي زار شبام وأماكن أخرى في حضرموت الداخل، وصف باختصار العلاقة بين الطبقات الاجتماعية التقليدية، وعمليات الهجرة والاقتصاد [٨٣ص٢١٧-٢٢].

بيد أن النتائج الأكثر أهمية مقارنة مع الرحالة الأوربيين الآخرين، كان قد توصل إليها د. فان ديرميولين وغ. فون فسمان اللذان سبق ذكرهما، وقد عَبَرا حضرموت عام ١٩٣١م من الجنوب الغربي إلى الشرق، حتى ضريح النبي هود وبئر برهوت، وكانا أوائل الباحثين الأوربيين الذين وصلوا إلى هناك. وفي الكتاب الذي يتحدث عن هذه الرحلة [٨٨] يعود إلى فان ديرميولين النص، أما إلى فون فسمان فتعود الخارطة. وفي الكتاب تروى معلومات شيقة عن هندسة البناء [ص٥٢، ٦٢، ٦٨، ٩٢، ١١٠، ١٣٧] ومن بينها طلاء البيوت من الخارج والداخل [ص٦٨، ١٣١، ١٨٨] وكذا عن منشآت الأنفاق الفريدة التي صادفها المؤلفان في طريق عودتهما إلى الساحل [ص٢٣٠]، ويجري

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الحديث كثيرًا عن الأزياء التقليدية وأدوات الزينة: لدى البدويات في الهضاب بالقرب من الشاطئ (٢٤-٢٥)، ولدى المزارعات بالقرب من الهجرين [ص٧٩]، وعن الحلي والثوب النسائي في ريدة الدّين [ص٢١٧] وعن الزي الرجالي لقبيلة المناهيل [ص١٧١]، وعن النعال ذات القطع الجلدية غير المثبتة، التي تطقطق عند المشي لإفزاع الثعابين [٢٢٨].

وذكرت خصائص النشاط الاقتصادي: إنشاء الخزانات لحفظ المياه [ص٥٢، ٧٤]، والاستخدام المتعدد الأشكال لشجرة السدر "العلب"]ص٤٩]، وإنتاج التمور [ص٧٤]، وأعمال الحياكة من سعف النخيل [ص٦٨]. ويحكى عن نظام التغذية لدى البدو [ص٤٩، ٥٥، ٥٨]، وزيادة على ذلك يذكر المشروب المسكر المستخرج من عصارة النخيل المختمر الذي يتم تحضيره في ضفة الهضبة [ص٢٢٦]. ويتعرض المؤلفان بسلاسة للفلكلور الغنائي: ارتجال الدان [٥٤]، والألحان البدوية [ص٢٢٨]، ويكتبان أنهما لم يصادفا في هينن ولا حتى أثرًا "للشعراء الصعاليك" الذين ذكرهم سنوك هورغرونج [ص١٠٦] ويقفان بتفصيل أمام اتجاهات الهجرة من حضرموت [ص٦٦، ١٠٥ وما يليها]، وكذا مترتبات هذه العملية الديموغرافية في التأثير الأندنوسي في المناطق الداخلية للبلاد [ص٢٠٤، ٢١٢ وما يليها]. أما المعلومات المهمة فتورد عن التنظيم الاجتماعي للقبائل، على سبيل المثال: عن آل بيت النبيﷺ السادة الذين يديرون حياة عدد من أعضاء قبيلة الحموم [ص٩٦]، وعن النزاعات الداخلية بين قبائل نهد [ص١٠٢-١٠٣].

في عام ١٩٣٩م قام الباحثان معًا برحلتهما الثانية المشتركة إلى حضرموت، وفي هذه المرة بطريق أكثر صعوبة، تبدأ من المناطق الداخلية لمستعمرة عدن [٨٦، ٨٧]. وأهم نتائج الرحلة كانت الخارطة الجغرافية التي وضعها فون فسمان للجنوب العربي من مدينة شقرة في الغرب إلى الحدود الشرقية لحضرموت. إضافة إلى العلامات الاعتيادية على الخارطة التي تشير إلى تفرق مواطن القبائل وفروعها. إن خارطة فون فسمان التي نشرت في عام ١٩٥٨م، بصرف النظر عن الفراغات وبعض الأخطاء أو عدم الدقة، قد احتفظت بأهميتها حتى الآن، ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند إعداد أية خارطة مماثلة للأطالس التاريخية- الإثنوغرافية واللغوية وغيرها [٢٤٣، ١٠٥، ص٦-١٢].

إن القسط الهام في الذخائر التي لم تكتمل بعد من المواد المختارة عن حضرموت قد أسهم به الصحفي والمصور الألماني هـ.هيلفريتز (١٠٣٢م و١٩٣٤) [٦١-٦٥]، الذي تعرضت تحقيقات سفره للنقد المدعم بالحجج، وكذا الرحالة الإنجليزية ف.ستراك (ثاني امرأة- مصورة في حضرموت الداخل في عامي ١٩٣٥-١٩٣٨م [٩٨]، وفي أبحاثها ومقالاتها توجد مشاهدات سُلالية سيكولوجية حية وبشكل خاص ما يتعلق بحياة المرأة [٩٦- أص٤٦-٤٧، ٥٨، ١٠٩، ١٠٥، ٢٠٩، ١٠٠؛٩٧ص١١٣-١٢٦؛٩٩ص١-١٧].

إن "العهد البطولي" في دراسة حضرموت، حينما كان على الرحالة أن يلم في الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية، وفقًا للضرورة، قد أتمه في الأساس الإنجليزي و.هـ. انجرامس. ففي أعوام الثلاثينات، وباسم الممثل البريطاني عقد انجرامس اتفاقيات لوقف الحروب والنزاعات الداخلية مع العديد من مشايخ القبائل وحكام المدن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والحوط (مفردها: حوطة) والقرى المحصنة. وقد أعطاه هذا تجربة رائعة للتوغل في الآلية الاجتماعية المعقدة للبلد [٧٥]. وفي كتابه [٨٠] (انظر كذلك [٤ص٣١٣-٣٢٣])وصف بوضوح الطبقات والمؤسسات الاجتماعية (انظر مثلًا [٨٠ ص١٣٦، ٢٩٣]. كما يورد تفاصيل كثيرة عن العلاقة بين القبائل [انظر مثلا: ٨٠ ص١٣٦، ٢٩٣، ٢٥٠-٢٧٩].

كان انجرامس وقرينة د. انجرامس أوائل الباحثين الأوربيين، اللذَيْنِ فتحا الطرق من ضريح النبي هود (انظر الوصف المفصل للضريح وطقوس زيارته [٧١ص١٩٩-٢٠١]) إلى الساحل عبر المهرة [٧١ ص٢٠٥] وما يليها، أما د.انجرامس فكانت الأولى التي اجتازت أراضي قبيلة الصيعر مؤكدة بشكل خاص أن الأطلال الحميرية في لِبْنه الوارد ذكرها في " مذكرات فريدة" توجد حقيقة في الواقع [ص٣٣٢]. وفي مقارنتها لوضع المرأة الحضرية والبدوية، تشير د.انجرامس إلى الدور الأكثر نشاطًا لنساء البدو الرحل، على سبيل المثال، في وادي رخية [ص٣٧٢]، ومزايا الأمومة في التنظيم التقليدي للمناهيل والمهرة، وجزء من الكثيري [ص٣٠١]، وبدرجة أقل لدى الصيعر- على سبيل المثال، الأسماء المؤنثة للآبار [ص٣٧١]. وفي الكتاب الكثير من التفاصيل الإثنوغرافية المهمة: الحظر القبلي لدى الحموم، المناهيل، المهرة [ص١٩٣-١٩٤]، الثياب النسائية التنكرية لدى قبائل باحسن [ص٢٣٦]، العادة التي تسمح لعابر السبيل في رملة السبعتين أن يحلب النوق التابعة لغيرة [ص٣٤٥]، القمصان الطويلة التي تميز البدو من آل علي كثيري [ص٢٧٧]، الشعر الأشقر لأفراد آل بريك من قبيلة الصيعر [ص٣١٦]، التأثير الزنجباري على آل باحسن من قبيلة الحموم

[ص٢٣٥، ٣٣٧]، وآثار ما قبل الإسلام في تقديس المطر المجسدة في شخص مولى المطر [ص١٥٧].

إن جذور العادات، التي تعود إلى ما قبل الإسلام، قد جذبت بشكل خاص هـــ.انجرامس، على سبيل المثال، مقالته عن قنص الوعول [٧٧ص١٢-١٣] (انظر كذلك [٢٢ص١٨٣-١٩٦])، ومن أعماله الأخرى في الموضوعات الإثنوغرافية التي ينبغي أن نذكرها: "بناء العمارة في حضرموت"، و"تربية النحل في وادي دوعن"، وغير ذلك [٧٢، ٧٦، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٧٩].

وبالتزامن مع انجرامس، أو بعده بقليل، تواجد في حضرموت الرحالة الانجليزي ي. ج (عبدالله) فيلبي، ر.أ هميلتون، و.تيسيجر، وآخرون [٩٣، ٩٥، ٥٧، ٥٩، ١٠١، ١٠٢]. ومع ذلك فإن " العهد البطولي" قد اقترب من نهايته، وبدأ زمن الدراسات التفاضلية المتعمقة.

كان المستشرق الإنجليزي ر. سرجنت هو العالم الذي جمع الاهتمامات الواسعة لأسلافه، وكذا الاتجاهات المحددة لأبحاثه الخاصة، وقد وضع مهمته هكذا: البدء بدراسة الحضارة الحضرمية من خلال "اللغة" [٢٥٢، ص×١].

وفي عامي ١٩٤٧-١٩٤٨م باشر سرجنت بعثات علمية طويلة في حضرموت الداخل، (على سبيل المثال أمضى في تريم، سبعة أشهر)؛ حيث جمع مواد فلكلورية وإثنوغرافية، وكذلك مجموعة عينات من أدوات المعيشة لمتحف الآثار والإثنوغرافيا في جامعة كمبردج. وقد واصل أبحاث لندبرغ الإثنوغرافية، لكن ليس غيابيًا وإنما مباشرة في الواقع.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لقد شكلت نماذج النصوص الشعرية والنثرية لسكان حضرموت الحضر (بجداول عربية ومن غير تعبيرات رمزية صوتية باللاتينية)، وكذا التعليقات الواسعة عليها، المجلد الأول للعمل الذي ألفه سرجنت [٢٥٢]. أما المجلد الثاني الذي وعد العالم أن يضع فيه نُبَذًا عن "كل جوانب الحياة اليومية لحضرموت" [٢٥٢ص×١] فحتى الآن لم ير النور. وفي الكتاب يورد عناوين فصول الأشعار من النمط الحميني، أي المعقد باللغة الدراجة. ويلاحظ القيمة المتشعبة بالخبر لـ "قصائد السفر" بتسميتها اللازمة لكل مراحل المسافات البعيدة بما في ذلك "أسماء" مراكز تجمعات، هي غالبًا خاوية من السكان [ص٩-١٠]، وغيرها من "قصائد الفهرسة"؛ حيث يتم تبعًا لموضوع تعداد أصناف التمور، أنواع الأسماك الساحلية، والمساجد المحلية، والنجوم والرياح [ص١٠].

لقد أعطى اهتمامًا خاصًا لأغنية الفلكلور ولآلات الطرب والرقص [ص١٧-٥٠]، إضافة إلى ذلك أشار مثلًا إلى أن الاختلاف في الرقصات بين الطبقات الاجتماعية أشد من اختلاف الأغاني. وفي الكتاب يجري الحديث كذلك عن نوع خاص، غير مفهوم للرجل- الباحث، يسمى (خيبعان)، أي عن الشعر ذي الترانيم والأنغام المستخدمة في الأعراس من قبل النساء في دوائرهن الخاصة [ص٤٣-٤٤]. واعتبر سرجنت أن الأغاني التي تُرَدَّدُ في أثناء جفاف المياه من الآبار أو في مواسم دريس الحصاد قد كانت مهملة في زمنه. وتأسف كذلك لأن أغاني القنص لم تُدَوَّنْ حتى الوقت الراهن [ص٨]. ومع كل ذلك فإن التقاليد الشفهية بشكل عام ما زالت باقية في حضرموت. وتعد قبيلة "نهد" أفضل من يحفظ فن الزامل (أشعار قصيرة بمناسبة المسير،

القنص الناجح، الزواج أو الأعياد الأخرى) [ص٣٢]، أما في هينن (هناك حيث لم يجد فان مولين "الشعراء الصعاليك" المتخصصين) فقد وجد هناك أناسًا يحفظون عن ظهر قلب ثلاثين إلى أربعين قصيدة من سلسلة القصائد عن أبي زيد الهلالي [ص١٢].

استند سرجنت أيضًا إلى التقاليد الكتابية لحضرموت، وعرف جيدًا علم تدوين التاريخ المحلي [٢٤٩، ٢٥٩]. وقد لامس في مقالاته دائرة واسعة من القضايا الإثنوغرافية، على سبيل المثال: المقابر في تريم، هندسة البناء والمهندسين المعماريين في حضرموت، "الهتافات أو الأدعية" الخاصة بأحياء تريم، التقويم بالنجوم، قصة النبي هود، وكذا أنبياء حضرموت الآخرين ما قبل الإسلام، الطبقات الاجتماعية، عادات الزواج، ومصطلحات صلة القرابة، والمنظومة المحلية للري، وغير ذلك [٢٤٨، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٣، ١٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨] (قائمة الأعمال المنشورة لسرجنت انظر [٩٢]). ويكرس العالم أبحاثًا خاصة لقنص الوعل في الجنوب العربي وجذوره الطقوسية [٢٦٥].

إن المادة الإثنوغرافية تحتويها أيضًا مقالات أ. ليبد لمير الاقتصادية – الجغرافية [٢٣٨ص١-٤٧، ٢٣٩ [للمقارنة: ٢٣١].

إن أول الاستكشافات الإثنوغرافية في علم الاجتماع في حضرموت الداخل (يوليو ١٩٦٢م – يونيو ١٩٦٣م) قام بها عبدالله البجرة [٢٠٧ – ٢٠٩]، تلميذ المستعرب و"الانثروبولوجي السياسي" إ. غلينر، الذي يعمل في بريطانيا العظمى، وقد استخدم البجرة في أثناء الإعداد للعمل الميداني، بشكل خاص، أطروحة ج. هارتلي " المنظومة السياسية للقبيلة العربية في حضرموت"، والتي دافع عنها في جامعة لندن [٢٣٣].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

درس البجرة مجتمع حريضة (وادي عمد) "كمدينة ثانوية تستحق الاعتبار" [٢٠٩ص١٢]، وفي الغالب طبقة السادة في حريضة، الذين بقيت في أوساطهم حتى الآن علاقة انتقادية تجاه شخصيته وتقديراته، وفي نظرته إلى النواحي الفراغية لنظام الطبقات الاجتماعية، فإنه يعرض الفرق بين الاستيطان القبلي "المتكافئ" والبلدات "ذات الانقسام الطبقي" والمدينة [ص٨-٩، ٣٦-٣٧] وغيرها. ويقوم بتقسيم طبقي في الأحياء المنقسمة للمدن وقطع المقابر [ص١٧]، وكذلك في مراسيم النظام التقليدي [ص١٨].

يلاحظ الباحث ثنائية القيادة العادية في العالم العربي لدى الطبقات التقليدية – زعيمَان اثنان، عند السادة (منصب)، ولدى القبائل(مقدم). [ص٢٠ملاحظة١].

ظلت النزعة لدى الأسر المنقسمة وغير المنقسمة باقية نحو الزواج الداخلي، وإزاء الزواج وفقًا لقاعدة الكفاءة أو الكفؤ (التساوي بالأصل)، زد على ذلك أن الرجل كان يمكنه أن يتزوج من الطبقات الدنيا، أما المرأة فلا تتزوج إلاّ ممَّنْ يساويها، أو يعلو عليها شأنًا في الوضع الاجتماعي [ص٩٣-٩٥].

في البحث العلمي تورد معلومات إحصائية مختلفة، وتتبع روابط التقسيم الطبقي الاجتماعي مع التنظيم الاقتصادي وتوزيع الموارد المادية. وبشكل عام يرسم البجرة لوحة معبرة للمجتمع التقليدي في حريضة القديمة، الذي لم يعد له وجود على تلك الصورة.

خلال عام ونصف قبل أن يبدأ البجرة البحث الميداني في حريضة، زار حضرموت للمرة الأولى و.دوستال، الاختصاصي النمساوي في علم الإثنوغرافيا، الذي كان عليه أن يشرع هنا ببحث منظم في اتجاهين لهما ارتباط متبادل: الخصوصية الإثنوغرافية للبدو الرحل، الجمَّالة، والآلية التقليدية للصناعة الحرفية لدى الحضر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في موسم البحث الميداني عام ١٩٦٠م (أكتوبر- ديسمبر) أجرى دوستال استفتاءً في شبام وتريم، وجمع مجموعة قطع لمتحف فْـيَـنَّا الإثنوغرافي. وفي عام ١٩٦٣م أضاف إلى هذه المواد معلومات كان قد حصل عليها في أثناء بعثته إلى الكويت (١٩٥٦م)، كانت أساسًا لأطروحته العلمية "البحث الأثنولوجي لتطور أهل البداوة في الجزيرة العربية". وقد تم تدقيق بعض استنتاجات أطروحته وأوضاعها بعد رحلته الجديدة إلى حضرموت عام ١٩٦٤م وعام ١٩٦٦م. وكانت النتيجة البحثَ العلميَّ "البدو في الجنوب العربي" [٢١٥] مع إهداء للمستعرب الألماني ف. كسكيل، الذي اعتمد دوستال على أفكاره كثيرًا [٢١٥ص٩- ٢٠ وما يليها].

يقسم دوستال أوساط البدو في الجزيرة العربية إلى سلالتين ثقافيتين، هما: الشداد، والحولاني، وسُمّيتا هكذا حسب الترتيب الشائع لديهما في سرج الجمال [ص١٣، ١٩- ٢٠، ١٣٩، ١٤٦ وما يليها]. إن التصميم الأول – متأخر نسبيًا (تقريبًا من القرن الثالث الميلادي)، وهو يثبت على سنام البعير وله انحناءان، الأمر الذي يمكن القيام بالسفر الطويل، والقيام بالعمليات القتالية. أما التصميم الثاني فيثبت إلى ردف الجمل، ويكون المقعد أو أكياس الحمل خلف السنام. وهذا التقليد الأكثر محافظة على القديم في جنوب الجزيرة العربية شائعًا لدى الكثير من القبائل. ومن بين تلك القبائل التي قام بدراستها دوستال: الصيعر [ص٢٦، ٧٢-٧٤، ٧٩-٨١، ١١٢-١١٧]، الكرب [ص٢٦، ٧٤، ٨١، ١١١]، العوامر [ص٢٨، ٧٤، ٧٥، ٨١-٨٢، ١١٧-١١٩]، آل راشد [ص٢٨-٣٠، ٧٥-٧٦، ٨٢، ١١٩-١٢٠]، المهرة [ص٣٤، ٧٨، ٨٤-٨٥، ١٢٣-١٣٥].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أوضح الباحث الارتباط الواضح لنوع السرج مع عناصر أخرى ليس فقط للثقافة المادية، وإنّما أيضًا للتنظيم الاجتماعي، وهذه الفكرة تصاحب الكتاب كله، وعند إجماله لحصيلة جميع المؤلفات الأدبية تقريبًا عن الجنوب العربي، التي راكمها العلم حتى زمن بحثه، يعطي دوستال نبذة موجزة للثقافة المادية للقبائل المذكورة، ويتصفح الأدوات واللوازم المنزلية [ص٤٠-٤٥]، المسكن [ص٤٥-٤٧]، الأسلحة [ص٥٠-٥١]، الملابس [ص٥٠-٥٥]، الحلي وأدوات الزينة [ص٥٥-٦١]، تسريحة الشعر [ص٦٢]، أنواع أدهنة الجسم والوشم [ص٦٢-٦٣].

وفي كل هذه المجالات تبرز الخصوصية السلالية لمجموعة الحولاني، وهكذا فالعوامر والمناهيل والمهرة يستخدمون للمبيت - عادةً - ملاجئ طبيعية أو سقائف مرتجلة لاتقاء الشمس والرياح. وتحت تأثير ثقافة الشَّداد فإن قبائل الصيعر والكرب، وجزء كبير من آل راشد يستخدمون الخيام، موحَّدةَ التصميم، والمادة (صوف الماعز والضأن الأسود)، لكنها تختلف من حيث الحجم والتخطيط. بيد أنه يمكن تمييز الأساس الثقافي للحولاني: على سبيل المثال، في خيام الصيعر لا يوجد تقسيم إلى جزئين رجالي ونسائي [ص٤٥].

وفي الكتاب توصف الأشغال التقليدية لدى القبائل [ص٦٣-٦٩] والتنظيم الاجتماعي، بما في ذلك مراحل دورة الحياة [ص٦٩-٨٥]، والتاريخ القبلي، وتاريخ حضرموت والمهرة [ص٨٥-١٣٧]. وفي خلاصة البحث [ص١٣٨-١٦٥] يشير المؤلف إلى العناصر المكوّنة لـ" مجموعة الحولاني" الإثنوغرافية " الصرف [ص١٤٦-١٤٧]، وهي:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- الأواني الخاصة (المجدولة بخطوط سعف النخيل أو المحاطة بجلد مزخرف).
- شريط جلدي، يمسك الشعر.
- الحياكة أو النسيج البدائي.
- عدم وجود الخيام.
- الموديلات الخاصة بالسروج (البرادع) (رجالية، نسائية وللحمل).
- الأساليب الخاصّة، المرتبطة بحلب الناقة (غسل الأيدي، ببول الناقة قبل الحلب، واستخدام أواني خاصة بمثابة محالب، تنظف مقدَّمًا بالرمل).
- وفي التنظيم الاجتماعي- الحفاظ على بعض خصائص خط الأم.

قام دوستال بدراسة التقنية التقليدية في أوساط السكان الحضر في حضرموت الداخل (تريم) في أغسطس – سبتمبر ١٩٦٤م، وفي فبراير- أبريل ١٩٦٦م قام بصورة متوازية باستفتاء الحرفيين في تريم، وشارك عالم الإثنوغرافيا سوية مع مدراء التصوير من معهد الأفلام العلمية (جيتنجن - ألمانيا) في إعداد ٢٦ فيلمًا قصيرًا، حفظت للعلم الخبرة التقنية للبنَّائين، الفخَّاريين، النجَّارين، الحدَّادين..الخ. وأساليب الطبّ الشعبي، وتفاصيل بعض الطقوس، وزوّدت الصور بالنصوص التي صدرت على شكل كتيبات منفردة ضمن سلسلة "الموسوعة السينمائية" [٢١٨؛٢١٧ص١٢١-١٢٢؛٥٤ رقم١١٨٠-١٢٠١، ١٣١٥، ١٣٤٦، ٤٢٨-٤٢٩]. وفي عام ١٩٧٢م جمع دوستال جميع هذه المواد في كتاب "الحرفيون وتقنية الصناعة اليدوية في تريم" [٢١٧] (للمقارنة [٢٠١ص٤٨٩-٥٠٣]). وفيه أعطى اهتمامًا خاصًا بالمصطلحات المهنية وأدوات الحرفيين المهرة في حضرموت.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إن الاهتمام المستمر بالمعطيات الأثرية للجنوب العربي أتاحت للعالم أن يشرحها من وجهة نظر الإثنوغرافيا [٢١٤-٢١٦، ٢١٩، ٢٢١-٢٢٣]، ويشمل هذا: معيشة البدو، مراسيم دفن الموتى، تقديس الثور ما قبل الإسلام، والمساكن الاعتيادية. وفي حصيلة مؤلفه "المساواة والمجتمع الطبقي في الجنوب العربي" [٢٢٥] نظر الباحث إلى الأشكال العديدة للتطور الاجتماعي، وقد شملتْ أبحاثه الميدانية قبائل إمارة رأس الخيمة (الإمارات العربية المتحدة)، اليمن الشمالي، المملكة العربية السعودية، وكذا سكان مدن صنعاء (اليمن الشمالي) وتريم (حضرموت، ج. ي. د. ش). وكان دوستال أول من دعا إلى توحيد جهود علماء الإثنوغرافيا لإعداد أطلس إثنوغرافي مشترك للجنوب العربي.

وتساعد على الاستنتاج العام وفهم المعطيات المتراكمة المجموعة الثقافية – المنطقية ذات المجلدات العديدة "الجنوب العربي"، التي تصدر في باريس، ويرأس تحريرها ج. شلهود؛ حيث استخدمت كذلك بعض المواد الإثنوغرافية الميدانية [٢١١مجلد٣ [ببليوغرافيا حضرموت، انظر ص٣٧٦-٣٧٧]. وفي الإصدار المصور البديع "اليمن: ٣٠٠٠ عام من فنون وحضارة العربية السعيدة" [٢٣٤]، الذي تزامن مع معرض الحضارة اليمنية في ميونخ (١٩٨٧-١٩٨٨م)، وأسهم في تقديمه الاختصاصيون الرئيسون من المشتغلين بدراسة الجنوب العربي.

* * *

بدأ الباحثون المحليون الأبحاث الميدانية الإثنوغرافية في حضرموت فقط منذ مطلع الثمانينات. بيد أن الكثير من المعلومات الإثنوغرافية تحتويها المدونات التاريخية المحلية،

والسير الذاتية، والأشعار، والرسائل، [٢٤٩، ٢٥٩]. وفي مكتبة "الأحقاف" للمخطوطات التي يديرها علي بكير، تحفظ عينات كثيرة العدد لآداب حضرموت وعلومها، بما في ذلك آثار تقاليدها التاريخية الغنية [٤٣، ١٢٩]. وجُمعت وثائق السلطنة الكثيرية في أرشيف فرع سيئون للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف [٢٠]. أما مخطوطات السلطنة القعيطية ووثائقها ففي أرشيف المكلا للحزب الاشتراكي. وتعد المجموعة الإثنوغرافية لمتحف العادات والتقاليد الشعبية في سيئون في غاية الأهمية [٣٨].

إن الموضوعات الإثنوغرافية قد حظيت بعناية المؤرِّخين المحليين في القرن العشرين، منهم: مؤلف أول تاريخ مكتوب للمنطقة صلاح البكري، الذي ينتمي إلى قبيلة يافع، والذي نشر عامي ١٩٣٥-١٩٣٦م في القاهرة "التاريخ السياسي لحضرموت"، في مجلّدين، بنزعة مضادَّة للسادة بشدة [١٢٢]، والمؤرخ السيد محمد بن هاشم [١٤٢]، والسيد علوي الحداد [١٩٠]، والشيخ سعيد باوزير [١١٤، ١١٣]. والسيدان محمد الشاطري وصالح الحامد [١٩٧، ١٩٣]، ومحمد باحنان، الذي ينسب نفسه إلى قبيلة كندة القديمة [١٥].

وكان محمد عبدالقادر بامطرف الذي توفي مؤخرًا في المكلا، حلقة الوصل بين علماء حضرموت القديمة والأدباء اليمنيين في عهد الاستقلال (انظر عنه [١٣]). وتعد مؤلفاته التي لم تصدر جميعًا بعد، عونًا لا يعوَّض لعلماء الإثنوغرافيا والمهتمين بالفلكلور [١٢، ١١٥-١١٩]. كما جمع العلامة السيئوني (نسبة إلى سيئون) عبدالقادر الصبان معلومات عن الزراعة والسكان البدو [١٧٩، ١٧٦، ٤٠]، وعن فلكلورهم، وعمَّمها في كتابه "العادات والتقاليد في وادي الأحقاف" [١٨٠]. ومن موقعه في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رئاسته لفرع سيئون للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف عمل الصبان الكثير من أجل تطوير دراسة المنطقة وأحوالها.

أما الجوانب المختلفة للثقافة السلالية فتناولـــتْها منشورات جعفر السقاف من سيئون [١٨٢، ١٨٣]. والعلماء عبدالرحمن الملاحي، وعبدالله حدّاد من الشحر [٣٠، ١٠٧، ١٨٩]، ومن المكلا عبدالله باوزير، وعبدالعزيز بن عقيل، وسعيد بايمين وغيرهم [١٣٤-١٢٦، ١١]. كما تظهر الدراسات الإثنوغرافية المهمة على صفحات المجلة العدنية "الحكمة"، ومجلة "آفاق" في المكلا، وفي المنشورات القليلة للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف.

قدَّم العلماء، من ألمانيا الشرقية المساعدة لوزارة الثقافة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، في العمل للحفاظ على العادات والتقاليد الشعبية. كما شارك المهندس المعماري ك.هـــ. بوخو في وضع قائمة الآثار لفن العمارة التقليدية [٢٠٤، ٢٠٥]. وقام الاختصاصي في إثنوغرافيا البدو.ل. شتاين برحلات في مناطق سكن البدو في حضرموت وسقطرى في الأعوام ١٩٨٢م، ١٩٨٥م، ١٩٨٩م [٢٧٧، ١٧٤ص٨٣-٩٠]. وقد ظهرت نتائج تعاون هذين الباحثين في الإصدار الإيضاحي التصويري الغني "حضرموت" [١٥٣]. وفي وقت واحد ظهر معه تقريبًا ألبوم مجري مصوّر [٨٢]. وأصبحت أهم خطوة في الدراسة الإثنوغرافية المتتالية، برنامج التسجيل والإحصاء لقرى ومدن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الذي أقرَّه المركز ليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف عام ١٩٨٣م، وينفذ هذا البرنامج، إلى جانب الحصيلة المنظمة والمستمرة للمعلومات اللإثنوغرافية، بمشاركة الاختصاصيين الروس في علم الإثنوغرافيا.

* * *

إن التقاليد السوفيتية للدراسة الإثنوغرافية لحضرموت حديثة نسبيًا. وكانت رائدتها ف.أ كراتشكوفسكايا، التي جمعت المعلومات من المصادر المكتوبة والمؤلفات العلمية عن مساكن حضرموت وملابسها [١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٤٨، ١٥١]. أما الانطباعات المباشرة عن الحياة المعيشية المحلية والأخلاق فقد سجلها في السبعينات أ.غ بيرسبكين (غيراسيموف) [٢١ص٣٧٩-٤١٧؛٢٢ص١١٤-١١٩]. وعلى الرغم من أن الجمعية الجغرافية الروسية قد خططت للأبحاث والدراسات الميدانية في هذا المنطقة في القرن التاسع عشر، فإن الأبحاث الإثنوغرافية لم تبدأ إلا في عام ١٩٨٣م، مع بداية عمل البعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة.

في موسم البحث الميداني الأول (فبراير- أبريل ١٩٨٣م) كشف مؤلف هذا الكتاب المناطق القبلية، وجغرافية إسكان الطبقات الاجتماعية التقليدية في الجنوب الغربي لرافد وادي حضرموت – وادي دوعن – وادي الكسر، وجمع نماذج من الفلكلور الشعري والموسيقي، وبدأ في وصف أعمال وحياة السكان الحضر، ودرس المجموعات الإثنوغرافية لمتاحف جمهورية اليمن اليمقراطية الشعبية في كل من سيئون، والمكلا، وتريم، وعدن [٣٢؛٣٦؛٣٥؛٣٤؛١٧١ص٣٣-٣٤].

وفي عام ١٩٨٤م قام المؤلف بمعالجة معطيات الموسم السابق، وحدد اتجاهات الأبحاث اللاحقة ومنهجها، وتشاور مع الإثنوغرافيين المستعربين في النمسا وألمانيا الشرقية، وتعرَّف على مجموعات من حضرموت في متحف الإثنوغرافيا في ليبتزج. وفي وقت متزامن مع ذلك سجل ب.إ. بوغلوريلسكي، عضو الفريق الإثنوغرافي في البعثة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السوفيتية- اليمنية المشتركة، النشاط الاعتيادي للسكان في وادي دوعن وقواعد آداب سلوكهم [١٦٥ص١٠١-١١٣].

في موسم البحث الميداني الثالث (فبراير- أبريل ١٩٨٥م) راجع المؤلف وأكمل المادة حسب الاتجاهات التي حددها في عامي ١٩٨٣م-١٩٨٤م. وأعطى اهتمامًا خاصًا لتصوير الزيِّ التقليدي، والمسكن، ولوازم البيت، وأشغال الحضر وشبه البدو الرحل في وادي دوعن وروافده [١٦٩، ١٧٠].

في موسم البحث الميداني الرابع (أبريل- يونيو١٩٨٦م) انتشرت الأبحاث في المناطق الوسطى والشرقية لحضرموت الداخل، أي أن المؤلف حصل على إمكانية مقارنة الخصوصية الإثنوغرافية للغرب مع الخاصية العامة. وعند دراسة الحِرَف اليدوية قدَّم تحليلًا لآلية إعادة الإنتاج وتغيير التقنية. ودرس العادات المرتبطة بالاعتقادات الاعتيادية.

في الموسم الخامس (فبراير- مايو ١٩٨٧م) أتاحت الظروف المناخية جوهريًا زيادة المعلومات عن منظومة الري بمياه السيول في غرب حضرموت. وجمع المؤلف معطيات جديدة عن الصناعة اليدوية، وتربية النحل، وطقوس قنص الوعل، ودرس علاقات الزواج الأسرية ودَوَّن الفلكلور [١٧٠، ٣٦].

في عام ١٩٨٨م استكملت معالجة المادة المجمَّعة. وتعرف المؤلف على مجموعة إثنوغرافية خاصة بحضرموت، محفوظة في متحف فْـيَـنَّـا الإثنوغرافي، وعلى المخطوطات اليمنية من مجموعة جلازر في المكتبة الوطنية بالنمسا، وقسم الجنوب العربي في معهد الإثنوغرافيا التابع لجامعة فـيَـنَّا.

في موسمي البحث الميداني السابع والثامن للبعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة (فبراير- أبريل ١٩٨٩- ١٩٩٠م) ترأس المؤلف مجموعة القضايا الإثنوغرافية، التي قامت بدراسة (إثنوغرافية، اجتماعية، لغوية) متكاملة لزراعة حضرموت (في عام ١٩٨٩م وادي عمد في غرب حضرموت، وفي عام ١٩٩٠م الهضبة الجنوبية الغربية والجزء الشرقي للوادي الرئيس والشاطئ).

وعلى امتداد سنوات عمل البعثة السوفيتية - اليمنية المشتركة، جُمعت قطعٌ إثنوغرافية لمتحف بطرسبورج للأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، الذي يحمل اسم بطرس الأول (٦٨٧٨، ٦٩٢٠، ٦٩٢٧، ٦٩٨٦- تجميع م.أ. رود يونف، و٦٩٠١- تجميع ب.أ. بوغوريلسكي).

واستنادًا إلى التجربة المتراكمة وضعت المجموعة برنامجًا منظورًا للأبحاث والدراسات المقبلة، بدأ تنفيذه في موسم ١٩٩٠م، ومهمته الرئيسة - دراسة الخصائص الإثنوغرافية، والروابط بين أهم المناطق الطبيعية - الاقتصادية في حضرموت (الهضبة- الوادي- الساحل)؛ لغرض وصف مناطقه التاريخية الإثنوغرافية من الداخل: الوسطى، الشرقية، الساحلية. وهناك عمل مماثل يجري تنفيذه في سقطرى من قبل زملاء البعثة الروسية - اليمنية المشتركة [١٦٠]. ويبدأ أيضًا الاستيعاب الإثنوغرافي للمهرة، المنطقة التاريخية - الإثنوغرافية الثالثة بعد حضرموت وسقطرى.

إنَّ الجهود المشتركة للباحثين الوطنيين والأجانب تضع أسس إثنوغرافيا الجنوب العربي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الأول

التنظيم الاجتماعي

صاحب الانقسام السياسي لجنوب اليمن قبل الثورة، تشتت اجتماعي؛ إذ انقسم المجتمع إلى عدد من الفئات المرتبة حسب التدرج الاجتماعي في درجة مقامات الطبقات الاجتماعيّة التقليدية.

إن المكانة الأكثر تميزًا في حضرموت، كما في عموم اليمن، يشغلها السادة (المفرد: سيّد)، ويُطلق على النساء (شريفة). وهذه الفئة تدَّعي الانتماء إلى النبي محمد ﷺ من جهة ابنته فاطمة، التي كان لها من علي بن أبي طالب اثنان من الأبناء، هما الحسن والحسين. ويعتقد سادة حضرموت أن سلفهم أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر، من أحفاد الإمام السادس جعفر الصادق من نسل الحسين [٤٧ ص٦٧].

ووفقًا لرواية النسب فإن أحمد بن عيسى ومعه ابنه عبيدالله وعدد كبير من أنصاره، انتقل من المدينة العراقية (البصرة) إلى حضرموت في النصف الأول من القرن العاشر، واستحق بذلك لقب المهاجر، أي إنه قام بالهجرة (الانتقال). وقد أصبح حفيده علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى هو الشخصية التي يتسمى بها السادة المحليُّون، الذين يطلق عليهم اسم باعلوي.

خلافًا للمبدأ الصارم لخطوط الانتماء الأبوي للعشائر العربية، فإنَّ السادة يطلقون على أنفسهم "أبناء الرسول" مستندين في ذلك إلى حديث للنبي محمد ﷺ يقول فيه: "لكُلّ بَني أُمٍّ عَصَبةٌ إلاّ أَبناء فاطمة فأنا وليّهم وعَصَبَـتُهُم" [١٢٢ مجلد٢ ص٢٤٥].

إن أصل السادة كما هو جلي يثير الشكوك: تذكر التقاليد أن علي بن أحمد بن جديد بن عبيدالله (ابن الابن لحفيد المهاجر) قد اتجه إلى قاضي البصرة لإثبات نسبهم، فأجابهم إلى ذلك، وبفضل شهادته "تعزَّز نسبهم" [٤٧ ص٦٦-٧٢].

وسادة حضرموت هم آل: العيدروس، السقاف، الكاف، الحداد، العطاس، الحبشي، بن الشيخ أبوبكر، بلفقية، المحضار، مشهور، شهاب، السري، الجنيد، بافطيم، مولى الدويلة، الصافي، باعقيل، البيتي، باروم، مديحج، الخضر، مقيبل، بن هادون، مطهر، طه، البار، الهادي، الهندوان، الصليبية، طاهر وغيرهم [٧٥ ص٣٦-٤٠، ١٩٠ ص٣-٥]. وقد انقطعت بعض الأسر التي اشتهرت جيدًا في الماضي (المساوى، الشلي، مولى خيلة).

في أيدي السادة، حسب التعبير المشترك في اليمن، تركزت "السلطةالروحية" [١٢٢ج١ ص٧٧]، التي تقف فوق منظومة التقاليد القبلية للمجتمع المحلي، وقاموا بدور الوسطاء والـمُحَكِّمِين في المنازعات والمخاصمات. ويعتقدون أنه قد انتقل إليهم الفضل والحكمة من بيت النبي ﷺ بالوراثة. واعترف السادة بحق الحماية والشفاعة. وكان الحكام القبليون أحيانًا ضعفاء أمام صيغة "وحق جدي" [٢٥٧ ص١٩].

هناك تأثير خاص مارسه المناصب – رؤساء عشائر السادة. إن كلمة المنصب لوحدها، وإبراز راية القبلية أو صوت الطبل القبلي، أو التلويح بسعف النخيل أو الرداء، كان

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يوقف النزاعات والحروب الداخلية. ومن جانب آخر كان المنصب ذو التأثير يستطيع أن يستنهض الهمم، ويؤجّج المزاج القتالي، وتأليب القبائل ضد أعدائها. والسادة أنفسهم لا يحملون السلاح، بل يعتمدون على القوة القتالية للقبائل: فآل الشيخ أبي بكر يعتمدون على يافع، والحبشي على الكثيري، وآل العيدروس على تميم، والعطاس على الجعدة، وآل الخضر على الدَّيْن، وآل الحامد على ابن ماضي [١٢٢ ج٢ ص١١٨، ١٥٩ ص١٤١-١٥٦].

كانت الوظيفة الرئيسة للمنصب الحفاظ على النظام في الأراضي الـمَحْمِيَّة (حوطة، هجر)؛ حيث لا تسري قوانين ثأر الدم وغيرها من مظاهر القوانين القبلية الاعتيادية (طاغوت). وهذه الأماكن المقدسة، التي ترتفع في وسطها الأضرحة الطينية (القُبَب) لأتقياء المسلمين، خُصّصتْ منذ القدم للصلاة والتجارة وحل الخلافات. ومن غير مثل هذه "الجزر الآمنة"، في ظروف عدم الاستقرار الدائم، وغياب السلطة المركزية النافذة، فإن البدو والحضر - ببساطة - لا يستطيعون العيش [٢٦٦ ص٤١-٥٨].

اقترنت "السلطة الروحية" للسادة بثقلهم الاقتصادي، فعند "استقبال الضيوف" كان المناصب يستلمون العُشُر من قبائلهم" الخاصة"، وكذا الهِبَات والنذور، التي يقدِّمها زُوَّار تلك الأماكن المقدسة، وفي دولتي الكثيري والقعيطي استفاد السادة من الامتيازات الضريبية، وكان الكثيرون منهم معفيِّين كُـلِّـيَّـةً من الضرائب. وحسب شهادة ر. سرجنت فحتى السادة أنفسهم كانوا يطلقون على المعفيِّين من الضرائب وبسخرية "آل باثلاث كُعَل"، أي "جنس بخصية ثالثة"؛ بسبب "حظوتهم" الزائدة [٢٥٧ ص١٧].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السادة، كبار مُلَّاك الأراضي والتجَّار، أثَّروا بهمَّة وحيوية خارج حدود حضرموت، منذ القرن السادس عشر الميلادي، أمَّا في القرن التاسع عشر ومستهلِّ القرن العشرين فقد وصلوا إلى أهمِّ المواقع في الحياه العملية للهند (حيدر آباد، بومبي، وغيرها)، وجنوب شرق آسيا (سنغافورة، جزيرة جاوة)، وشرق أفريقيا (جزيرة زنجبار، الصومال، كينينا، أوغندا) [١٢٢ج٢ ص٢٣٦-٢٤٥؛ ٢٢٤ ص٢٢٨-٢٣٢]. ولأن المهاجرين السادة، يقضون الجزء الأكبر من الحياة في الخارج، فإنهم مثل غيرهم من ممثِّلي فئات اليمن الجنوبي الآخرين، يتزوجون هناك نساء محليَّات، وهكذا ظهرت في جاوة المجموعة السلالية، المولَّدين – الحضارم المهجَّنين.

نشط الانفصال المادي للسادة في العشرينيَّات – الأربعينيَّات من القرن العشرين، خاصة أعوام الحرب العالمية الثانية، عندما انقطعت الروابط الاقتصادية مع المهجر. فقد تخلَّى جزء من السادة الصغار، الذين تعرَّضوا للفقر عن القيم الأخلاقية التقليدية لطبقتهم، وانتقلوا إلى الراديكالية السياسية.

تميز السادة بزيِّهم الخاص؛ إذ كانوا يلبسون قميصًا طويلًا أبيض اللون، وعمامة بيضاء (طاقية)، وشالًا أخضر اللون. فيما اتبعتْ نساؤهم بصرامة "قاعدة التواضع"، وكن يظهرْنَ أمام الناس بثوب ومنديل أسودَيْنِ، ويغطِّيْنَ الوجه بقناع أسود (برقع). أمّا أولئك الذين ينتمون إلى"آل البيت" ويلبسون السلاح كالبدو فيدينهم السادة الآخرون، على الرغم منْ أنّ أمثال هؤلاء "المتبدويين" كانوا غير قليلين، منهم آل مولى الدويلة، الذين يعيشون بين قبيلة آل تميم في وادي المسيلة، وقسم من آل الشيخ أبي بكر في وادي عمد، ووادي بن علي، ووادي ساه، وكذا سادة بيت حمودة في قبيلة الحموم،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقسم من آل العطاس في وادي حجر، وآل السقاف في غيل بن يمين وغيرهم [١٩٧ ج٢ ص١٧٤-١٧٥].

وفي اللغة (النطق، نظام النبرات، التلحين) تميز السادة أيضًا عن غيرهم من الطبقات. والنساء من "آل البيت" ملتزمات بالزواج الداخلي، بصرامة، وهذا نتاج شيوع مبدأ زواج المطابقة (الكفاءة)، في العالم العربي، الذي سبقت الإشارة إليه، والذي ينصُّ على: أن الرجل يُـمْكِنُـهُ أنْ يتزوَّجَ فقط من نفس مستواه، أو مِـمَّنْ هي أدنى منه حيث العمر، بينما المرأة مرغمة أن تتزوج فقط ممن هو في مستواها أو أعلى منها. وسنتحدث لاحقًا عن ما يتعلق بتلك الحالة [انظر الجزء الأول من الفصل الثاني [الفقرة٣].

"السلطة الروحية" ولكن بدرجة أقلَّ ممَّا لدى السادة، امتلكتْها الفئة التقليدية الثانية من حيث الشهرة – المشايخ (مفردها شيخ). وفي اللغة العربية المألوفة فإن كلمة شيخ تعني زعيم قبيلة (وفي حضرموت – مقدم)، أو رجل كبير السن يحظى بالاحترام، أو رئيس جماعة صوفية. وفي حضرموت يطلقون هذا الاسم على مجموعة وراثية، يرجع أصلها إلى (وليٍّ) أو إلى شخص تقيٍّ، ورع، متعلم. وأضرحة أمثال هؤلاء الأتقياء تشكل مراكز حوطات المشايخ، المماثلة من حيث وضعها ونظامها لحوطات السادة [انظر بالتفصيل: ١٧٨-أ ص٣٧-٥١].

يوجد أيضًا لدى عشائر الشيوخ المؤثرين نظام المناصب: على سبيل المثال، لدى آل باعباد (المرتبطين بضريح هود "نبي حضرموت" الأكثر اعتبارًا من بين المقدَّسات المحلية)، وآل العمودي، وآل باوزير وغيرهم. وفي التقاليد المحلية يطلقون على أسلاف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المشايخ أنصار النبي محمد ﷺ، وهكذا أيضًا لدى آل باجابر، شقيق علي بن أبي طالب – عقيل، ولدى بافضل – سعد العشيرة، ولدى عبد المانع – شعيب بن عمر، ولدى آل الخطيب – عباد الله بن بشر، قائد المفارز الإسلامية الأولى، التي جاءت إلى حضرموت، ولدى آل العمودي – الخليفة أبوبكر [١٩٠ ص٤٠؛ ٢٥٧ ص١١؛ ١٢٤ ص٢٩]. أما الادعاءات الأكثر التي تستحق الاعتبار – فلدى شيوخ آل باوزير، الذين ينسبون أنفسهم إلى الجد محمد عباس من خلال علي بن طراد- وزير الخليفتين (المسترشد الذي حكم عام ٥١٢ هـ/ ١١٣٥م والمقتفي ٥٣٠ هـ/ ١١٣٦م)، الذي تزوّج من العباسة بنت محمد – أخت الخليفة الرشيد (٥٢٩هـ / ١١٣٥م). وقد انتقل حفيدهما يعقوب بن يوسف باوزير إلى حضرموت في القرن الثاني عشر الميلادي [١٠-أ ص٢٠-٢١، ٤٠-٤١، ٦٧، ٧٤].

أورد مؤلف "البدر المنير في رفع الحجاب عن نسب آل باوزير" مزاحم باوزير، ستة عشر برهانًا في صالح الأصل العباسي لأسرته [١٠-أ ص٧٥-٧٨]، ووضع هؤلاء الشيوخ، تقريبًا، في مستوى واحد مع السادة. غير أن كثيرين في حضرموت يجادلون في هذا النسب، معتبرين أن البرامكة الفرس هم أسلاف باوزير [١٢٤ ص٢٨-٢٩]. إن التحكم بشجرة النسب لتعزيز الوضع الاجتماعي الأكثر سموًا وتثبيته يصطفُّ – عادةً – في مخطط مماثل.

وفي "حياة" السيد أحمد المهاجر والشيخ يعقوب باوزير أشياء عامة كثيرة:

١- الانتماء إلى عرب "الشمال" (العدنانيين)، عبر عشيرة النبي محمد ﷺ مع انتقال صلة القرابة بالخط النَّسَوي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢- بواعث الانتقال إلى حضرموت بسبب الحج غير الموفق إلى مكة.

٣- النشاط الديني والإصلاحي بين السكان المحليين، الذي صاحبتْه الشهرة والأعاجيب [١٩١ ص٣-٥؛ ٤٧ ص٥٥-٥٩؛ ١٠-أ ص٤٧-٤٩، ٧٤].

في الدراسات الأدبية تُورد افتراضات عن أصل انتماء طبقة المشايخ (بعض الأسر تدّعي نسبها إلى" ملوك كنده"). وعن ارتباطهم بالمعتقدات الشعبية الإسلامية، وبالطقوس "الوثنية" (على سبيل المثال، بالقنص الجماعي للوعل)، وعلى الأرجح، مع فئة الكهنة في حضرموت قبل الإسلام [١٩٧ ج٢ ص١٧٢؛ ٢٢٤ ص٢٣٢]. أما السادة، فعلى خلاف ذلك، يقترنون بالإسلام السُّنِّي الرسمي للمدرسة الشافعية، مع نزعات صوفية أحيانًا، ويعتقد أن كثيرًا من الشيوخ قد امتلكوا هناك الأراضي الواسعة، قبل ظهور زمن السادة في حضرموت، وأنهم تنازلوا طواعية عن جزء منها للسادة بصورة معادلة كما هي تقريبًا صلاحياتهم الدينية – القانونية. وقد تميزت العلاقة بين هاتين الطبقتين في الوقت نفسه بالتعاون والمنافسة.

فضلًا عما ذكر أعلاه فالأُسَر المشيخية المعروفة هي: آل إسحاق، بن عفيف، باحميد، بامخرمة، بارأس، باسهل، آل بريك، باجمال، باسوادن، باعامر، باعشن وغيرهم. وقد حظي المؤثرون من المشايخ بالاحترام والتوقير أيضًا، كمثل تقبيل يد السادة (وأحيانًا الرجل)، أو المناداة الخاصة حبيب، أي "حبيب الله". وارتدى المشايخ الملابس كذلك مثل السادة، باستثناء حملهم خنجرًا مستقيمًا. وقد سمح مبدأ زواج المطابقة لتزويج ممثِّلات طبقة المشايخ على وجهاء القبائل وأعيانها. وحافظت الكثير من أسر المشايخ على الصِّلات التقليدية مع القبائل: باعباد مع الحموم، بارأس مع نوّح وسيبان، باسهل

مع الجعدة، آل إسحاق مع الصيعر، باوزير مع العوابثة وغير ذلك. وهناك جزء من أسر المشايخ حملوا السلاح، ومارسوا أسلوب حياة شبه مترحلة.

وتُلاحظ أيضًا العمليةُ العكسية: جماعة من أفراد القبيلة التي فقدت قوتها القتالية، تُسَلِّم أبناءها لدراسة العلوم الدينية، وبانتقالهم إلى مرتبة "مشايخ العلم"، فإنه يمكن أن يتحوّلوا مع مرور الوقت إلى مرتبة "المشايخ الأصل". وفي وادي دوعن؛ حيث تأثير السادة كان ضعيفًا، ومشايخ العمودي مشهورون بدرجة كافية، لم يُنسَ حتى الآن المثل الشعبي القائل "من قلّة رجاله صلى"، الذي يصوِّر عملية مُماثلة [١٢٤ ص٣٧]. ومثل آخر سجّله ر. سرجنت [٢٥٧ ص١٤]، ما زال شائعًا حتى الوقت الراهن في تلك النواحي، يقول: "الشيخ شيخ والسيد أيش من طاهشة ؟".

الطبقة التقليدية الثالثة من حيث الشهرة: القَبِيْلِي (جمعها قبائل، أعضاء القبيلة). والصفة المميزة للقبيلي – البدوي مربي الماشية أو المزارع الحَضَري – تتمثل في حق حمل السلاح، أي الجنبية العريضة المعقوفة والبندقية (أكثر شيء بندقية المسكيت ذات بارودة الشفط)، ومنذ مطلع القرن العشرين فإن السيف والرمح والترس الجلدي (درقة) أخذت تخرج عن نطاق الاستخدام. وكان القبيلي يرتدي الحزام المصنوع من القماش، ونعالًا من الجلد الخام، وفي الغالب كان حافي القدمين. وتميزت تسريحة القبيلي الراشد بوضوح عن تسريحة غير الراشد، فالأخير لا يقع تحت طائلة القوانين القبلية، وعلامة ذلك الإبقاء على جزء من الشعر (قمزوز) من غير حلاقة في مقدمة رأسه.

وفي طبقة القبائل كانت الأنساب ذات دلالة، ليس أقل مما لدى السادة والمشايخ. فقسم من أفراد قبيلة الدَّيِّن يُسَمُّون أنفسهم حِمْيَرِيِّين، وسيبان وبنو ضنة – سكان

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حضرموت الأصليّون، والكرب – خولانيين، والصيعر، وبنو محفوظ، وبن دغار، وباكثير من تريس، وقسم من الدّين يعدُّون أنفسهم أخلاف الكنديين، وآل جابر- خزرجيين، وبنو هلال يرجعون نسبهم إلى عدنانيِّي نجد وهكذا دواليك. وقد أدى ظهور الائتلافات السياسية على أساس صلة قرابة الدم، عادة، إلى تغيير رابطة النسب، التي تتطلب قوانين أنساب جديدة، ولهذا فإن الصنف في المجتمع المنقسم إلى طبقات كان، في آداب اللغة العربية، مهمًّا وغزيرًا.

خضع رجال القبائل لأحكام قادتهم (نظريًا منتخبون، أما في الواقع فبالوراثة)، الذين اتجهوا في الظروف الصعبة إلى الوسطاء السادة أو المشايخ. وسادت أيضًا القوانين القبلية الاعتيادية في أوساط القبائل البدوية، كما في أوساط قبائل الحضر. والأساس في التقاليد القبلية هي عادة التبعية المتبادلة، والمسؤولية المشتركة لجميع أفراد القبيلة، ذوي الأهلية والحقوق الكاملة. وقد وحَّد الالتزام الصارم بالثأر جميع أفراد القبيلة في مواجهة الآخرين (كان يُنْتَقَمُ من جميع الرجال البالغين من قبيلة الجائر).

وفي ظروف النزاعات والحروب الداخلية فإن بعض العادات القبلية قد سمحت، إلى درجة معلومة، للإبقاء على الصلة بين مختلف أجزاء جنوب اليمن. ومن بين تلك العادات قانون " المرافقة والحماية" (السَّيَّارة والخفارة)، عندما كانت القبيلة تتحمّل مسؤولية أمن القوافل، التي تمرُّ على أراضيها وبالقرب من حدودها؛ حيث تخصِّص لها مرافقين من بين أفرادها، وكان الهجوم على القافلة التي يقودها مثل ذلك المرافق – القبيلي، يعني خوض الحرب من قبل كل أفراد قبيلته ضد المعتدي. وكان عدم القدرة على حماية المرافقين يُعَدُّ عارًا. وكان لدى القبائل حلفاء عُقدت معهم اتفاقيات الحماية،

إمّا شفويًا (صيغة الضمان "في وجهي"، وتعني "شرفي هو الكفالة")، أو كتابيًا (عهد مزبور، وثر). وضيف القبيلة، الذي يتعرَّض للهجوم، كان ملزمًا حسب التقاليد بالوقوف إلى جانب المضيف، على الأقل في اليوم الأول للقتال [١٧٦ ص٢٨-٢٩]. وكان يخفف من قانون "الدم بالدم" فدية الدم (الأَرْش – الدِّية). وكانت مخالفة القانون التقليدي تجلب للقبيلة بكاملها (اللَّوم والشُّؤْم) "سواد الوجه". ومن يخرق العادة كان يعاقب بغـرامة، أو عقوبة الموت، أو الإبعاد المؤقت أو الدائم. وكان إيقاع العقاب الأخير (النبذ) أقسى من الموت [١٧٦ ص٣٥].

في ثلاثينيات القرن العشرين، كان يوجد في حضرموت الداخل أكثر من ألف فرع من القبائل المستقلة [٨٠ ص٢٥٣]، الأبرز منها: المناهيل (على أراضٍ واسعة من ثمود في الشمال وحتى الساحل في الشرق)، الحَمُوم (من وادي المسيلة وحتى مدينة الشحر)، سيبان (من الساحل عند مدينة المكلا حتى وادي دوعن)، الصَّيعر (في المناطق الصحراوية إلى الغرب وإلى الشرق من الوادي الرئيس)، نَهد (غالبًا في وادي الكسر وفي مجرى أسفل وادي عمد)، تحالف قبائل الشنافر (الكثيري، العوامر، الجابري، ممن تقع أراضيهم بين مدينتي تريم وشبام)، والدَّيّن (إلى الشمال وفي الهضبة بين وادي عمد ووادي دوعن) [١٧٦ ص٢٠-٢٢؛ ١٩٧ ج٢ ص٨٩-١١٠].

قبيل الحرب العالمية الثانية تسارعت عملية انتقال الملكية القبلية المشتركة إلى أيدي زعماء القبائل، وكثيرًا ما مارسوا الرِّبـا أيضًا. وتنافس المهاجرون من القبائل في الخارج، وبنجاح، مع ممثلي الطبقتين الأرفع. وتراكمت التحولات الاجتماعيّة الاقتصادية بالتدرُّج، وكانت مهيأة لنسف البنيان الراكد لمجتمع الجنوب العربي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالمقارنة مع الطبقات الثلاث الأكثر تميزًا (سادة، مشايخ، قبائل) فإن دراسة الفئات الاجتماعيّة التقليدية الأخرى أصعب، وهي تتميز بوضوح أقل. ويُطلَق عليها غالبًا (باستثناء العبيد وبعض المجموعات المنعزلة) المفهوم العام "الضعفاء والمساكين"، "الفقراء"، وهؤلاء لم يملكوا الحق في حمل السلاح، وكانوا في تبعية للطبقات العليا، ولقد تكوَّنت التصوُّرات عن هذه الطبقات الاجتماعيّة وغيرها لدى أعضاء البعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة منذ الوهلة الأولى للبحوث الميدانية ونشرها س. ن. سريبرُوف.

في عام ١٩٩٠م تبدو الخارطة خلافًا لذلك بعض الشيء. فالفئات المسماة متميزة، لحقت طبقة القرويين، أو (القروان)، التي تعرّضت على وجه الخصوص لتغيير قوي خلال الربع الأخير من هذا القرن، وهكذا ففي إطارها دخل كبار التجّار، البنّاؤون المحترفون، صاغة المجوهرات والنجّارون، ممن يعيشون في المدن والمراكز المهنية- التجارية. وعلى الرغم من الاشتقاق الشعبي، الذي يُرجِع اسم هذه الفئة إلى"قرية" فإنها تأتي من الفعل (قرّ) "استوطن الحضر" [للمقارنة انظر: ٢١١ مجلد٣ ص٣٠]، وهذا يتطابق مع التعبير الشائع في مدن حضرموت الشرقية، الذي يُطلق على العاملين بهذه الأشغال "مساكين حضر". وكان لأفراد هذه الفئة وضعٌ شخصيٌّ رفيعٌ، مثلهم أيضًا مثل مجموعة الحرثان (مفردها حَرَّاث" فلاح")، وينتمي ممثلوها في الغالب إلى سكان حضرموت القدماء (أهل البلاد). قسم من الحرثان في حضرموت الشرقية، باقعرة على الأرجح، من أقدم مجموعات السكان، وآخرون متمحورون في أراضي القبائل، ويتبعون قبائل أخرى. وكان للحرثان الحق في امتلاك قطع الأراضي الزراعية،

وهو ما كان محظورًا على الآخرين "الضعفاء"، وهناك حادثة مشهورة، فعندما حاول الحرثان أن يكونوا قبائل أو شيوخًا، بمعنى حماية أملاكهم بقوَّة السلاح من الابتزاز، قوبل هذا باستنكار السادة، وبعقوبات عسكرية من القبائل [٢٠٩ ص١٠٧-١٠٨].

تأتي بعد ذلك فئة المدينة، التي أشار إليها ف. دوستال وهو يصف مجتمع تريم بمصطلح "مساكين- ضعفاء" [٢٢٤ ص٢٣٢؛ ٢١٧ ص١٣-١٥]، أما القرويُّون المحليُّون- فببساطة مساكين أو "حويك"(المفرد: حائك) [١٨٠ ص٤٢]. وإليهم ينتمي النسّاجون، صابغو النيلة، صانعو الفخار، النجّارون، البنّاؤون، القصّابون، دبّاغو الجلود، الجزّارون، السمكرية، الحدّادون، السماسرة الصغار "الدلّالون" [انظر الجزء ٣ الفصل ١ الفقرة١]، السائقون، الأخدام. ولم تخلصهم الرفاهية المادية من الألقاب الوراثية، التي قال عنها الشاعر الحضرمي محمد السقاف بانقيل: ها هو الحائك، أو المسكين، من يخدم عمله المجتمع [اقتباس من ١٨٠ ص٤٣]. والمساكين- الحضر، والمساكين- الضعفاء، هم الفئات الرئيسة لأبناء البلد، الذين تضمُّهم الأحياء العامة لتلك المدن، مثل تريم وسيئون.

وفي حضيض العلاقات الاجتماعيّة يقع الأُجَرَاءُ والعُمَّالُ السُّوْد، الذين ينضوُون في حضرموت في المجموعة الخاصة نفسها "الضعفاء"، وأحيانًا يطلقون عليهم "أخدام"، وفي بعض الأحيان يضعونهم أدنى من العبيد في نظام الملائمة الزوجية. وفي قاع درجات المقامات الاجتماعيّة يقع كذلك الصبيان (مفردها صبي"خادم"). وهم يخدمون في الأعراس، الجنازات، وفي عدد من مراسيم الاحتفالات الرسمية والأسرية، وأدنى مجموعة صبيان في حضرموت هم (الحُجُور)، الأرجح، نسبة إلى وادي حجر؛

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حيث استوطنوا بصورة متراصة. والضعفاء (الأخدام) جزء من الصبيان والعبيد، ولهم ميزاتهم الجسدية، التي تدلُّ على أصلهم الأفريقي.

أولى القوانين، التي منعت تجارة العبيد، ظهرت في حضرموت فقط عام١٩٣٨م (كانت محدودة، واتُبعت في السلطنة القعيطية ولدى بعض القبائل)، وحينها كان في حضرموت حوالي ٤ – ٥ آلاف عبد. الكثير منهم خدموا السلطان، وحملوا السلاح، وشغلوا مناصب رفيعة. ولم تسري عليهم القوانين القبلية الاعتيادية، ولذلك استخدمهم السلاطين، وبالأكثر القادة القبليون الصغار في الأغراض العسكرية. وقد جُلِبَ العبيد غالبًا من أفريقيا، وهناك حوادث معروفة، عندما يأتي المهاجرون من رجال القبائل بزوجات من الهند، وبعد الطلاق يتمُّ بَيْعُهُنَّ كرقيق. ويؤكد هـ انجرامس أن:"بعض القبائل البدوية، كالصيعر كانوا عادة يختطفون العرب الآخرين من الأماكن القصية وبيعهم في حضرموت. وقد أنذر السيد أبوبكر الكاف واحدًا منهم. فأعاد هذا سؤاله: أأبيعهم؟ بالطبع، أنا أبيعهم، لو أنني أستولي على المحترم مفتي تريم، لكنت بعته" [٨٠ ص٢٩٣].

هذه هي أهم الطبقات المجتمع التقليدي في حضرموت. وبقيت فقط خارج إطار الوصف مجموعات متخصصة ذات قرابة بالدم (الموسيقيون الجوالون أتباع ابن علوان، وشعراء باعطوة وآخرون) [٢٧٤ ص١٨]. وقد انعكس الانقسام الطبقي في الأشغال والاستيطان، والملبس والكلام الحي، وأنظمة الزواج والمهام في الطقوس الجماعية المشتركة. ومع أنها رسميًا قد ألغيت، فإن كثيرًا من مظاهرها باقية حتى الآن.

وهكذا، فإن درجات مقامات النفوذ (من الأعلى إلى الأسفل) يمكن تصورها في المجموعات الآتية:

١- السادة.

٢- المشايخ.

٣- القبائل.

٤- القرويون، الحراثون، المساكين- الحضر.

٥- المساكين الضعفاء.

٦- الضعفاء (الأخدام).

٧- الصبيان.

٨- العبيد.

بَيْد أن هذا النظام يثير الجدل أوساط الحضارمة حتمًا: فليست دقيقة جدًا المصطلحات، التي تُعَرِّف المجموعات (٦، ٥، ٤)، والوضع الخاص لأفراد المجموعة (٨)، أي (عبيد السلاطين وعبيد القبائل القوية) كان في بعض الأحيان أعلى من وضع ممثلي المجموعتين (٧، ٦)، بل وأحيانًا أعلى من المجموعة (٥).

إن درجة مقامات النفوذ ليست واحدة المقاييس لترتيب الطبقات الاجتماعيّة التقليدية. فالانتقاء وفق مبدأ زواج المطابقة، الذي أورده عبدالقادر الصبان [١٨٠ ص ٣٣-٣٤]، يعطي ترتيبًا آخر:

١- السادة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢- السلاطين (هكذا حتى عام ١٩٤٠م سُمّي أعضاء الأسرة الحاكمة في سيئون وتريم من آل الكثيري، وفيما بعد وحتى الثورة سمُّوا أمراء).

٣- القبائل.

٤- المشايخ.

٥- القرويون (حرثان، مساكين – حضر).

٦- مساكين (حويك).

٧- عبيد.

٨- ضعفاء.

وبالنسبة لغرب حضرموت، فعلى الأرجح أن الجدول الأمثل هو الآتي:

١- السادة.

٢- المشايخ.

٣- القبائل.

٤- القرويون أو الحرثان (بما في ذلك تجار الريف، والمتعلمون الذين لم يدخلوا في المجموعة الثانية، وعلماء القرآن والكتبة والمعلمون).

٥- المساكين.

٦- الضعفاء (المستأجرون والأجراء ومختلف العمال...الخ).

٧- الصبيان.

٨- العبيد.

ويمكن تسمية أفراد المجموعة (٧) وأحيانًا المجموعة (٦) أخدامًا.

إن التجوال في أودية حضرموت الغربية (وادي عمد، وادي دوعن، وادي العين، والجزء الجنوبي الغربي لوادي الكسر)، الذي قامت به المجموعة التاريخية-الثقافية في البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة خلال الأعوام ١٩٨٩-١٩٨٣م، قد أظهر خارطة المنظومة الإثنو- قبلية للسكان. في وادي عمد كلف بدراسة الاستيطان والأنساب عضو المجموعة التاريخية- الثقافية أ. د. كنيش.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

(الغرب الأقصى من أودية منطقة الدراسة، المسافة من الأعلى إلى المصب – أكثر من ٧٠ كم)

في هضاب الوادي تقع مدينة حريضة، التي أضحت في مطلع القرن السابع عشر الميلادي حصنًا للسادة آل العطاس. ومن هنا انتشر تأثيرهم، فأنشأوا البلدات-الحوطات (على سبيل المثال المشهد، في وادي دوعن)، أو تحصنوا في المراكز السكانية القديمة. وفي القسم الأوسط من وادي عمد وضعوا تحت إشرافهم نفحون؛ حيث أنشأوا الزيارة السنوية الوحيدة في الوادي مترافقة مع سوق دوري (انظر الجزء الثاني، الفصل الثاني، الفقرة الأولى). وإلى الجنوب، في مدينة عمد، اقتسموا السلطة مع السادة آل الحامد، المستندين على قبائل آل ماضي. ويعيش السادة كذلك في عنق، وخنفر (آل الحبشي)، وفي بعض البلدات الأخرى. وإلى الشمال – الغربي من حريضة تقع عندل، مركز المشايخ آل باجابر، التي ذُكرت ما قبل الإسلام في شعر الشاعر امرئ القيس. وهنا تمر الحدود الجنوبية للمنطقة القبلية نهد (فروع آل بشر وآل فارس)، الذين يدَّعون الانتماء إلى الحِمْيَريين القدماء- القضاعيين.

من بلدة عنيبات بعيدًا إلى الجنوب، تقريبًا حيث تتموضع أعلى مدينة عمد، حصون الدبة، تمتد أراضي قبائل الجعدة، التي تنسب نفسها إلى بني مرة- العدنانيين. وينتمي الجعدة، الذين أقاموا في الوادي، إلى واحد من الفروع الثلاثة لهذه القبيلة- آل سلمة بن حمد.

وحسب كلمات محدثنا من حبب - ناصر عبدالله بن شملان (حوالي ٦٥ عامًا)، المعروف بالمقدّم، فإن صيغة سليمة- سليمو، تعني "أعقاب ابنة سليمان"- ظاهرة جلية لحساب خط الأم في النسب (عند البكري- سلمة بن سليمان، وعند الشاطري- آل سالمة) [١٢٢ مجلد٢ ص٩٤؛ ١٩٧ ج٢ ص١٦٢].

ومن الفروع كثيرة العدد للجعدة نذكر الصّقرة (عنيبات، المغتبقة، شرج الحموس، مثوّر، آل حمود)، آل علي بن عامر (المغدف، وغيرهم)، آل سليمان بن علي (علط)، كريشان (دارالكريشان، الجرشة)، آل بن نوبان (الشّروج)، آل سرحان (ثوبة)، مسلم (شامخ)، آل حميد (الرحم وغيره)، آل هلابي (زاهر، نفحون، سيلة آل هلابي، وغير ذلك)، المراضيح (جدفرة المراضيح سريواة)، بلخشر، (الرحب)، آل عامر بن علي (منخوب)، بن الشيبة (عنق وغيرها)، آل لجذم (النعير)، بن شملان (شظية، حبب، عمد وغيرها)، جاحز – حصن مشايخ آل العمودي.

في جنوب مدينة عمد تبتدئ أراضي قبيلة آل ماضي، التي تنتسب إلى بني هلال- العدنانيين. ويشغل فرع باسويدان، بندف وبن عقيل (طمحان)، وآل مسلم- بامهشم- بن يسلم- الدباه ، السمح، وآل المبارك، وآل لميق من آل مرعي يسكنون في حبرة والوجر، آل سويدان، الذين يسكنون كذلك في (ترّمل) والوجر، يعترفون بمشايخهم آل العمودي (الشعبة)، ويعدّون أنفسهم، كبني عقيل، حِمْيَريين في الأصل، دخلوا في قبيلة آل ماضي. وحسب الرواية، فإن الشخص الذي سُمّي باسمه السادة آل حامد جاء بالاسم آل ماضي إلى أعلى وادي عمد في البويرقات (وادي العين).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في أقصى جنوب الوادي يقطن آل باصليب (حالة باصليب) من قبيلة المشاجرة، التي تسيطر على قسم من الهضبة بين وادي عمد ووادي دوعن.

وتتشتت في أنحاء الوادي قبائل متفرقة، يسمون أنفسهم أحفاد مقاتلي السلطان الكثيري بدر أبي طويرق، الذي تمكن في القرن السادس عشر الميلادي من توحيد جميع حضرموت تقريبًا إلى حين. ومن بينها: آل كثير (المناطق الشمالية لحريضة، جاحز)، يافع (خربة باكرمان، قرن بامسعود، رحب)، ويؤكد الحرثان آل جبير أنهم فرع من قبائل نهد، شرَّدهم السلطان بدر، ويربطون باسمه أطلال الحصون (على سبيل المثال، في عنق).

وفي المطاول تسكن قبائل آل تميم- النازحون من أقصى شرق حضرموت، من قَسَم إلى شرج آل باسالم – فرع قبيلة سيبان. وفي زاهر يسكن الكنديون- المشايخ آل باقيس، وإلى خميلة بايزيد، البلدة الأقصى جنوب الوادي، نزح المشايخ آل بايزيد، الذين يعتقدون أن جدهم محمد بايزيد السبتاني قد جاء إلى هنا قبل ستة قرون خلت، من تركيا (وحسب رواية أخرى أنهم كنديون). وفي قرى مَخْيَة، شرقي باتيس، استوطنت قبيلة باتيس، التي ارتحلت في زمن ما من وادي جردان إلى الهضبة شرقي وادي عمد (مشايخهم – آل العمودي). وفي قرية الرحب، وعلى الرغم من وجود السادة آل الحامد، فإن السلطة الروحية على القبائل كانت في أيدي مشايخ آل باوزير.

عدا أُسر المشيخة المذكورة، كان النفوذ الروحي في الوادي لكبار مُلَّاك الأراضي من مدينة عمد: المشايخ آل باعشن، الذين كان أسلافهم يؤمُّون الصلاة، التي تقام حتى الوقت الراهن في أثناء شعائر طلب المطر (الاستسقاء)، ومشايخ بشهر وغيرهم. بيد أن معظم المشايخ الذين ينتمون بشكل خاص إلى فئة "شيوخ العلم"، كانوا على الدوام

يؤكِّدون وضعهم "يعززون النسب"، وهذا يخص قبل كل شيء المشايخ – الحرثان (المشايخ – الفلاحين): آل بن خليفة من نفحون؛ حيث كانوا قضاة ومسئولين عن شبكة قنوات الري، وباكرمان من خربة باكرمان، وباحسين من النعير وغيرهم. وكان آل باكوبن من رباط باكوبن يدّعون لقب الشيخ، الذي حصل عليه سلفهم بالوراثة من السيد علي بن حسن العطاس، وتصاهر مع آل باسهل مشايخ حريضة.

ومن بين أسر الحرثان يتميز آل باسليمان (شرج باسليمان) [انظر ج٢، الفصل١، الفقرة١]، آل بارميم، آل باهادي (مدينة عندل)، آل باسالم (جاحز) وغيرهم. والأسر الحِرْفِيّة المعروفة: الفخاريون آل بابريجة، النجّارون آل باطرفي، الصاغة آل باحشوان، وغيرهم [انظر الجزء ٢، الفصل ١، فقرة٣]. ويوجد أعقاب العبيد والصبيان – ممثّلو الطبقات الدنيا.

(بين وادي عمد ووادي العين، المسافة من المنابع إلى الملتقى مع وادي عمد أكثر من ٨٠ كم)

اقتصر ظهور السادة آل العطاس من حريضة في وادي دوعن على أسفل الوادي؛ حيث تم خلال الأعوام ١٧٤٧ – ١٧٥٤م [٩ ص٢٧، ١٨٥] تأسيس حوطة المشهد وبنائها [انظر الجزء٢ الفصل٢ الفقرة١، الجزء٣ الفصل٢ الفقرة٣]، والتي نظّمت فيها زيارة سنوية مع سوق دورية. وقد أتيح لهم أن يتثبتوا ويتعززوا هنا بمؤازرة مشايخ آل بن عفيف، الذين يُنسبون إلى ملك كندة شرحبيل [٧ ص١٣١، الهامش ١].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يدَّعي الكثير من المشايخ المحليِّين الانتساب إلى كندة. من بينهم – قبيلة بن محفوظ التي تقطن أسفل الوادي (خرير، نحولة، صيلع)، والتي تحسب في الغالب مع قبيلة الصيعر [١٩٧، ج٢ ص١٥٠]. وفي وادي غبر، في الرافد الغربي للوادي، يمتلك آل البطاطي اليافعيون قرية القزّة. كما توجد أراضي قبيلة أخرى يحيط بها كل من:

اليافعيون – آل يزيد في الهجرين والخريبة، الذيباني في الخريبة والشرقي، العسكري في جبيل، الحميقاني في حصن باسعد، عوابثة – كراديس في غار السودان، الحِمْيَريون – بلعُبَيْد في قيدون، بني هلال– باعوم في باشعيب... الخ.

ومع ذلك فإن الجزء الأكبر من الوادي، بما في ذلك الروافد الجانبية الكثيرة أعلى الوادي إلى "اليمين" (الغربية) "واليسار" (الشرقية)– وادي ليمن ووادي ليسر، عبارة عن أراضي قبلية لسيبان ونوّح، وكذلك الكثير من مشايخ آل العمودي.

وتتألف قبيلة سيبان من عدد من الفروع المستقلة: الحالكة– بقشان (ميخ، خيلة القبلية، وخيلة الشرقية)، باجعيفر (حصن لبيضي، حصن الجعافرة)، بابلغوم (مصنعة البلاغيم)، بانخر (صيف)، بابلغيث (كوكة، الريضة)، بلحمر (حوفة)، الخنابشة (الجحي، الجديدة)، الخامعة– باسلوم، باصرة، باقديم، القثم (قارة بن سلوم، مصنعة باصرة، الخليف، القبلي، مطروح، الرشيد، الشق الشرقي، شويطة)، المراشدة (شويطة، الخالف)، سُمح (رحوب، الخريبة، الخالف)، باعارمة (نسرة ،مصنعة بابلغوم، لبه، خليفه، حبر)، آل بو حسن (حصن آل بو حسن، عرض باهصيم)، باحشوان (هدون)، الصدف (الرباط). وبشكل عام فإن سيبان تنسب نفسها إلى الحِمْيَريين– سكان حضرموت الأصليين، القحطانيون في الأصل [١٩٠ ص٨٤–٨٥].

ويسمّي قبائل نوّح أنفسهم قحطانيين من "أصل حِمْيَري" [٧ ص١٣٥]. وتسكن في الوادي فروعهم: بامعس (أرض باسويد، قرن ماجد، الجديدة)، باحكيم (قرن باحكيم)، باحميش (قرحة باحميش)، باصم (حصن باصم)، بصفر (المحصن)، بابطين (الزاهر)، باجندوح (جبيل).

وكان لمشايخ آل العمودي نفوذٌ كبيرٌ على سكان الوادي (وكذلك جزئيًا في وادي عمد المجاور). وفي حصنهم قيدون تلتقي طرق التجارة مع الساحل، والوادي الرئيس لحضرموت الداخل مع وادي عمد، وشيّدت قبة الشيخ سعيد العمودي، التي تنظم إليها زيارة سنوية، يصاحبها سوق كبرى. وكان آل العمودي يشرفون على صيف المجاورة، فَـيْل، خديش، بلاد الماء، قرن ماجد، بضة (حيث يقع مقام منصبهم)، حصن عبد الصمد، لجرات، الخريبة (التي أصبحت المركز الإداري للقعيطي بعد ضم الوادي إلى السلطنة)، وفي وادي ليسر سيطروا على صبيخ، ضري، حوفة، حيد الجزيل، خليف باعبود. [حول صراع آل العمودي مع القعيطي،انظر لاحقًا الفصل٢، الفقرة٢].

باستثناء السادة آل العطاس، الذين كانت زيارتهم في المشهد الثاني من حيث الصيت بعد زيارة قيدون، فإن تأثير آل البيت هنا أقل بكثير ممَّا هو لمشايخ العمودي. وكان يسكن هنا أيضًا آل العطاس بين سكان قرن باحكيم، الرباط، صبيخ، حوفة. وفي نصف القرن الأخير من عمر الدولة القعيطية ازداد نفوذ السادة آل المحضار (فرع آل الشيخ أبي بكر) من الخريبة والقويرة (حيث يقع مسكن منصبهم، ومن حيث تنظيم الزيارة السنوية إلى ضريح النبي هادون بن نوح، الذي سمي الوادي ليمن على شرفه باسم وادي النبي). والسادة المعروفون باروم مع آل خرد (القرى السكنية: خديش، بلاد الماء، بضة،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

حصن عبدالصمد)، آل البار (منصب في القرين، وكذلك يسكنون في الخريبة، قرن باحكيم)، آل مقيبل (الدوفة)، باصُرَّة- سادة وليس فرع من سيبان!- (صبيخ، حوفة)، بن شيخان (ضري)، الجفري (الخريبة، الرباط، رحاب، حوفة)، الصافي، والعيدروس (الخريبة، الرباط)، الحبشي (الغبرة، رحاب، الرشيد، باشعيب)، باعقيل (حصن باسعد)، الكاف (الهجرين)، والسقاف (حوفة).

ومن المشايخ نذكر بارأس (الخريبة)، باعشن (الخريبة، الرباط)، باسندوة (الرباط)، باجنيد (عرض باهيصم، العرسمة)، باناجي (الرشيد)، باعشر (بضة، القرين)، باجابر (الجدفرة، العادية)، آل إسحاق (خريخر)، باوزير (حِبر، خيلة القبلية، العرسمة). وإلى "شيوخ العلم" ينتمي بلخير (غيل بلخير)، بازرعة (الرشيد)، والمنحدرون من الحرثان بايونس، ومن الضعفاء باكيلي.

وفي أكبر المراكز السكانية في الوادي (من ١٠٠٠ – ٣٠٠٠ نسمة) يعيش المزارعون بالوراثة، الحِرَفِيّون والتجار- الحرثان: بلفخر، باشندوف، بادحمان، وباخديش (الهجرين والقرى المجاورة لها)، بازهير وبالسود (قيدون)، باسعد وباحُميد (بلد الماء)، باحسن (العرسمة)، باوهاب (بضة)، بانبيلة (لجرات والخريبة)، باعبيد وباخريبة (رحاب)، الخريبي (القويرة)، باطاهر وباحويرث (الخريبة)، زايد وبايونس (تولبة)، بالبيض وبايُسر (ضري)، باسبيل (حوفة).

ينحدر كبار التجار من طبقة القرويين (باسمبل في الجبيل، وخسوفر، باعبود في الرشيد)، ومن طبقة المشايخ (بامشموس في القرين، وبازرعة في الرشيد).

ويعمل الصاغة آل باحشوان في الهجرين، آل العماري في العرسمة، باعلي في الخريبة، والنجارون آل كثيري في الهجرين، باطرفي في الجبيل، القرين، القويرة وصبيخ، وباطويحنة في القرين، وصانعو الفخار آل بخضر في صيف وعرض باهصيم، وبابريجة في العرسمة والجبيل، ودابغو الجلود آل بخضر في الدوفة، والحدادون آل حداد في العرسمة ورحاب.

ومن أخلاف الصبيان الذين قطنوا في أنحاء الوادي (نذكر فقط العشيرة الكبيرة آل بوفلح من لجرات، الزاهرة، حرف مراة)، ومثلهم أعقاب العبيد (الجدفرة، بلاد الماء، قرحة باحميش، عرض باسويد، حرف مراة ... الخ).

(المسافة من المنطقة المأهولة في الجنوب
إلى التقاء وادي الكسر في الشمال بحدود ٤٠ كم)

إن الوادي عبارة عن أراضي قَبَلِيّة للعوابثة ومشايخهم آل باوزير، ويقطن هنا أيضًا الحرثان وغيرهم من ممثّلي الطبقات الدنيا السالفة الذكر.

وحسب المعطيات الاستبيانية فإن العوابثة عبارة عن اتحاد قبلي، تدخل فيه قبائل، لا توحِّدها رابطة النسب المشترك [١٢٤ ص٣٥]، وتنسب بعض الفروع نفسها إلى العوالق ونهد وغيرهما. استوطن العوابثة آل بازار على امتداد الوادي كله: بن كردوس في حصن الكراديس، بن فاجع في منهب وحصن بن فاجع، آل بن بكر في حصن آل بن بكر ...الخ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ويسكن الصبّارون في منهب، حرية، القاهر، المرافي، وباعنس في تييس وقربة. وكان المقر العام لمقدَّم العشر من فرع الصبارين في قرية الجربيات، أما مقدَّم جميع العوابثة (الذي كان يُختار من آل بن فاجع فرع آل بازار)، فكان يقع في البدء في قرية الخشم، ومن ثم في حصن الكراديس.

كان لمشايخ آل باوزير في الوادي منصبان: أحدهما منصب أسفل الوادي من أسرة المؤسس أحمد بن أبي بكر (قرية السفيل)، والآخر منصب على كل الوادي من آل محمد بن علي (قرية الباطنة). ويعيش آل بن عبود في بامكاين، وآل بن عبداللطيف في المرافي، وآل باعبود في صيق باعبود ... الخ. وهناك مشايخ موجودون في عذب، مراوح، لقلات، تبقُّل، شعران، جعيبور، البويرقات، جريبات، منهب، منيزاح، الجبيبة، الهشم، حارخ، القاهرة، شرج الشريف.

وليس هناك من يدعي السلطة الروحية، غير مشايخ آل باوزير. وهنا فقط عائلتان من السادة: بن حبزن من عشيرة آل الشيخ أبي بكر، في قرية منيزاح. وكذلك آل العطاس في عذب، الذين انتقلوا منذ زمن من حريضة.

تركزت معظم الأراضي في أيدي مشايخ آل باوزير ورؤساء قبائل العوابثة. وكان يعمل في فلاحتها بعض ممثلي هاتين الطبقتين، ولكن في الأساس كان يزاول ذلك الأُجَرَاء، العبيد والصبيان. وقد اسْتُخْدِمَ العبيد في الزراعة (زراعة النخيل، إنتاج الحبوب)، وكان يملك آل باوزير (النقاط المأهولة: لقلات، البويرقات، بامكاين، المرافي، قوبر)، والعوابثة (حصن الكراديس جريبات، منهب). ومن العجيب أن

الحرثان آل بنّوب من قرية المنيزاح كانوا يملكون أيضًا عبيدًا، وهذا يبيّن إنحدارهم من الجوهيين (قبيلة سيبان)، الذين خضعوا للعوابثة، وتمحوروا في الوادي قبل خمسة قرون خلتْ [١٢٤ ص٣٥، ٣٧].

أسافل الوادي: عذب، مروح، لقلات والسفيل، تُسمى شروج وادي العين؛ بسبب أراضيها الزراعية الواسعة نسبيًا. وهنا يعيش الحرثان باعسكر (عذب)، باسلسلة من لقلات والسافلة، باجواد من تبقُّل. واستوطن آل بن سلم من السافلة إلى جريبات جارخ شمالًا، وحصون آل بكر جنوبًا، ونذكر أيضًا بارفاع من شعران ومنهب، وباميدع من الباطنة، وباسودان من الخشم، والمزارعين باعطية من المرافي وقربة، وباخلة من زيمخ وصيق باعبود. وفي غيضة العليا وغيضة السفلى يشتغل في الزراعة المستأجرون السابقون- الصبيان ذوو الأصول الأفريقية: الحجور، النازحون من وادي حجر.

ومن بين الحِرَفِيّين بالوراثة: الحدادون السابقون، صانعو الأسلحة، والصاغة الحاليون آل باقطيان، والصاغة آل باعلي من شرج الشريف، والنجّارون آل الكثيري من البويرقات، الخشم، خريخ، والنساجون آل باقلاقل، والحدادون آل حداد من المركز الحِرَفِيّ البويرقات، أكبر التجمعات المأهولة في الوادي.

هذه هي خارطة السكان والتسميات الاصطلاحية للطبقات الاجتماعيّة الرئيسة في الأودية الرئيسة الثلاثة في حضرموت الغربية. ونضيف إلى ذلك وصفًا للجزء الغربي لوادي الكسر، الذي يدخل في امتداد منطقة الدراسة كملتقى للأودية الثلاثة المذكورة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

(جنوب قرية المنبعث والعجلانية)

إن القبيلة الأكثر نفوذًا في هذه المنطقة هي نهد، القحطانية بالنَّسَب. وتسكن فروعها في النقاط المأهولة التالية: آل منيف في لخماس والقفل، المقارم في فضح، بن ثابت في بحران وشريوف، والمتفرعون عن بن ثابت البقري في ديار البقري، وآل عجاج في قعوضة؛ حيث يقع مقرُّ الحَكَم القَبَلي، الذي لا يتَّجه إليه النهديون فقط، وإنما جميع قبائل وادي عمد.

وتدَّعي الانتماء إلى كندة قبائل بن ربَّاع الذين ينقسمون إلى باصيعري (قرية كرعن)، وبن فارس (سدبة). وإلى قبيلة الحموم تنتمي قبيلة آل مخاشن: آل محمد بن علي (قرية القارة)، وآل عمر بن سعيد (الظاهرة)، وآل باخنجرة وآل سعيد (عرض آل بن مخاشن)، وآل عمر بن محمد (باسويد).

وفي حورة يقع أحد مراكز مشايخ آل باوزير (الذين يقطنون أيضًا في النقعة). ويوجد في سدبة مشايخ آل إسحاق، وفي عرض آل مخاشن آل باجنيد، وفي حورة آل موفس وباسلامة (ويُسمى الآخيرون "تقريبًا مثل المشايخ"). وكان يسكن السادة آل العطاس في الروضة المهجورة حاليًا وفي كرعن.

ومن القرويين وأخلاف الطبقات الدنيا نذكر العشيرة كثيرة العدد: آل بايعشوت من كرعن، حورة وعرض آل بن مخاشن، منقوش في النقعة، باسبولة من حوطة الحويمل، باسرور من قعوضة ... الخ. ومن بين الحِرَفِيّين: الصاغة آل باحشوان،

النجارون آل بن دهري،والحدادون آل حداد (جميعهم في حورة)، والنجارون آل كثيري في أرض بو زايد، والنساجون السابقون آل بازرقان في سدبة.

ما هو تعداد سكان حضرموت الغربية وديناميكيته خلال المائة عام الأخيرة؟

في عام ١٨٨٦م كما ذكر ل. فان دينبرغ كان يعيش في الأودية الثلاثة ٢٥ ألف نسمة. وفي عام ١٩٣١م أعطى د. فان در ميلين ولتلك المناطق نفسها أيضًا الرقم ٢٩٥٠٠ نسمة. وحسب معطيات هـ. انجرامس لعام ١٩٣٧م، فإن تعداد سكان أودية عمد، دوعن، العين، وغرب وادي الكسر بلغ نحو ٦٣٠٠٠ نسمة [٢٠٣ ص٩١؛ ٨٨ ص٦٥، ٨٢، ٩٠، ؛ ٧٥ ص١١-١٢]. وفي ذلك الوقت كان سكان حضرموت بكاملها قد تضاعف من ثمانينيات القرن الثامن عشر الميلادي إلى ثلاثينيات القرن العشرين من ١٥٠٠٠٠ نسمة إلى ٢٦٠٠٠٠ نسمة [٧٥ ص١١].

وفي ثمانينيات القرن العشرين كان يسكن في وادي عمد تقريبًا ٣٤٠٠٠ نسمة، وفي وادي دوعن حوالي ٣٨٠٠٠ نسمة، وفي وادي العين أكثر من ١٥٠٠٠ نسمة، وفي غرب وادي الكسر بحدود ١٤٠٠٠ نسمة، أي أكثر من ١٠١٠٠٠ نسمة بشكل عام، من غير احتساب الهضبة؛ حيث يوجد أيضًا عدة آلاف من السكان (جرى الإحصاء على أساس معلومات تم الحصول عليها من أقسام الإحصاء في مديرتي دوعن والقطن، ومعلومات من الصحافة [انظر:١٢٧ ص١٩-٢٥؛ ٢٤ ص١٦]. نشير إلى أن تعداد السكان في جميع حضرموت عام ١٩٨٨م قد بلغ ٦٢٦٠٠٠ نسمة.

من الجلي، أنه خلال الخمسين عامًا الأولى تضاعف سكان منطقة دراستنا وجميع حضرموت تناسبيًا مرتين تقريبًا. وفي الخمسين عامًا الثانية انخفضت هذه الوتيرة كثيرًا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في حضرموت الغربية، وارتفعت بشكل عام في حضرموت بصورة حادة. وهذا يرتبط قبل كل شيء بنمو المدن خارج حضرموت الغربية (المكلا، سيئون، القطن وغيرها)، وربما بسبب الهجرة الكثيرة من تلك المنطقة. ومن المهمّ أن التجمعات السكانية الكبرى في الغرب لم يتغير تعداد سكانها خلال نصف القرن الأخير، حريضة (٢٠٠٠ نسمة)، والهجرين (٢٥٠٠ نسمة).

ومن الصعوبة تحديد العلاقة التناسبية للطبقات الاجتماعيّة التقليدية. ففي حريضة في ستينيات القرن العشرين كانت حسب إحصاءات أ. عبدالله البجرة على النحو التالي: السادة ٣٠٪، المشايخ ٤٪، القبائل ٢٨٪، الحرثان ١٠٪، الأخدام (الضعفاء) ٢١٪، الصبيان ٧٪ [٢٠٩ ص١٢-١٣]. وفي الوقت الحاضر ازداد الثقل النوعي للسادة عدة نسب مئوية، لكن التناسب المشار إليه ما زال باقيًا بشكل عام. ومع ذلك فإن هذه النسبة ميزة خاصة لحوطات السادة الكبيرة، التي تحيط بها أراضي القبائل (زيادة على ذلك فإن القبائل في عدد من المدن الأخرى، على سبيل المثال، في تريم، تنزح خارج حدود المدينة). لقد تنوع التركيب الاجتماعي للسكان في التجمعات المأهولة المحددة وفقًا وطبيعة الاستيطان [انظر الجزء٢، الفصل٢، الفقرة١]. ففي وادي عمد كانت الغلبة للقبائل، من جانب واحد، وممثلي طبقات الحرثان والمساكين والضعفاء – من جانب آخر، أما السادة فكان لهم نصيب مؤثر فقط في قرى قليلة. وفي وادي دوعن كانت الغالبية تتألف من الحرثان، المساكين، الضعفاء، وكذا مختلف القبائل ومشايخ آل العمودي وغيرهم. وفي وادي العين انقسم السكان إلى ثلاثة أقسام متكافئة: القبائل (العوابثة)، المشايخ (آل باوزير) وممثلو الطبقات الدنيا (المساكين، الضعفاء، العبيد، الصبيان).

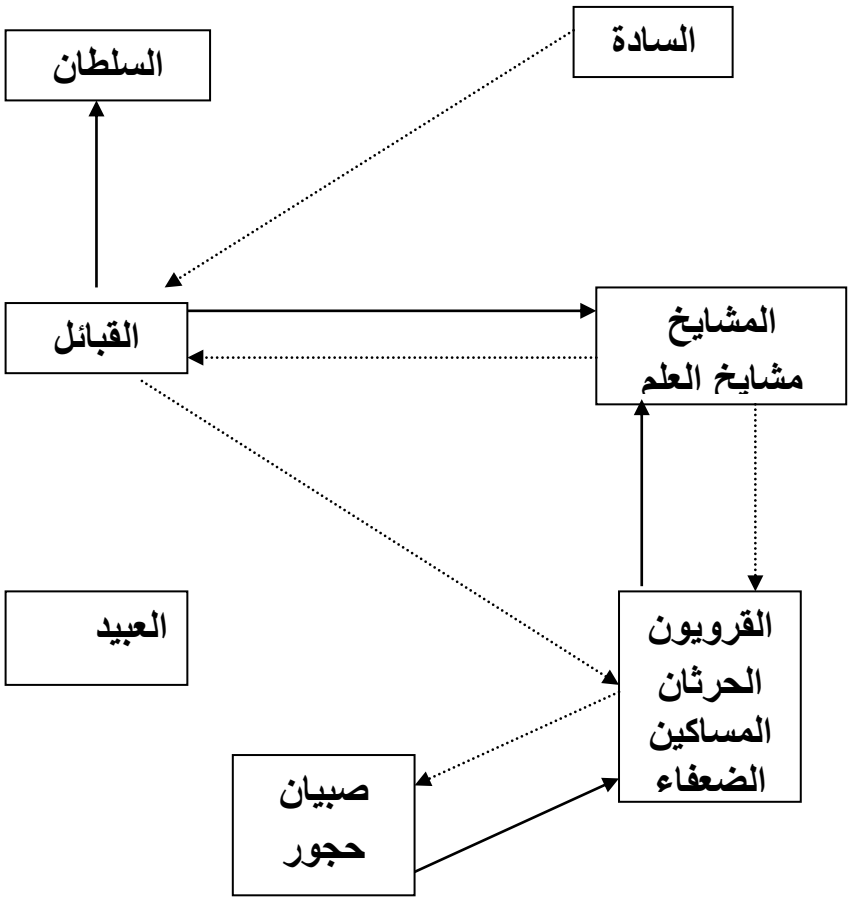
وتلفت الانتباه الحركة النسبية للسكان، فعلى ضوء المعطيات الاستبيانية التالية فإن التركيب السلالي- القبلي الحالي قد تكون على مدى ٤ – ١١ جيلًا مضت. وفي كل أسرة تقريبًا يوجد من واحد إلى ثلاثة رجال يعملون في الخارج، وفي بعض الأماكن، هنا وهناك، وعلى وجه الخصوص في وادي دوعن، فإن هذا العدد أكثر بكثير، ففي بضَة مقابل ٢، ٦٠٠ من الساكنين ٥٠٠٠ مهاجر، وعمليًا فإن الرجال الكبار في شرق يعملون في الخارج. ويعزز نجاح المهاجرين من الوضع الاقتصادي للجماعة الأسرية – العشائرية، أما الهجرة الصغرى (الانتقال إلى مكان الإقامة الجديد داخل حضرموت) فتغير الوضع الاجتماعي. وتستطيع الأسرة القديرة لمشايخ العلم والقبائل أو القرويين (المساكين) الحرثان/ الضعفاء، أن يرفعوا وضعهم بتغييرهم لمكان سكنهم، أما أولئك غير القادرين، (أي الذين نزلوا من المنظومة المحلية السابقة، ولم يسجلوا في الجديدة) من أسر المشايخ أو القبائل فيمكن أن يتحولوا إلى الحرثان أو المساكين أو الضعفاء. وهكذا فإن آل باراس، الذين انفصلوا عن قبيلة العوالق، وآل بامخرمة، المنفصلين من قبيلة سيبان، قد أصبحوا مشايخ. أما الكِنْديون آل بن محفوظ، الذين نزحوا من وادي دوعن إلى وادي عمد (مصينعة بن محفوظ) فقد "نزلوا" إلى مرتبة الحرثان، واعترفوا بالتبعية لقبائل آل ماضي.

بالنسبة للعبيد فإن انتقالهم إلى وضع آخر كان استثنائيًا. ومع ذلك فإن وضعهم الاجتماعي كان يتبدل وفقًا لتبعيتهم للقرويين، أو للقبائل، أو للمشايخ، أو للسادة أو للسلطان. وكان عبيد السلطان في بعض الأحيان يعيِّنون عمالًا، وقادة حاميات، وذات مرة كان ممثل السلطنة القعيطية في الهجرين عبدًا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إن انعدام الحدود الكأداء بين الطبقات الاجتماعيّة التقليدية في حضرموت (باستثناء طبقتي السادة المنغلقة والعبيد) يتبين في المخطط الآتي:



مخطط. الحراك الاجتماعي في المجتمع المنقسم طبقيًا:

إمكانية الانتقال إلى الطبقة الأكثر علوًا.

إمكانية قبول أسلوب حياة الطبقة المتدنية مع الحفاظ على النسب السابق.

إمكانية الانتقال إلى الطبقة الأدنى.

يعد مفهوم المؤسسات الاجتماعيّة، واحدًا من أهم المقولات الإثنو-اجتماعية، التي تدرس التنظيم الاجتماعي للأثنوس (الشعوب)، ويمكن تحديدها كمجموعة المعايير والأدوار، التي تنتج وتنظم العلاقات الاجتماعيّة.

فماهي المؤسسات الاجتماعيّة لحضرموت، التي تنتسب إلى التقليدية؟.

إن ما يربك الإجابة عن هذا السؤال هو عدم وجود مدلول واحد في تعاريف التقاليد. ففيها يرون إما:

أ- أسلوب انتقال، وصحة التجربة.

ب- شيء ما محافظ، ضئيل التغير.

ج- شيء ما تاريخي موروث، يعارض المعاصرة.

ففي الحالة الأولى يمكن تسمية أي تنظيم اجتماعي تقليديًا. المعنى الثاني مرتبط ليس فقط بالممارسة، وإنما بأفكار المجتمع التقليدي، التي ترسخ الاستقرار، والتكرار والانتاج المباشر للنظام المحتمل، على الرغم من التغيرات الواقعية. المعنى الثالث للتقاليد كذلك ينبغي أن لا يخدم غرضًا واحدًا؛ ذلك لأن التفاعلات الاجتماعيّة – الاقتصادية العالمية تجري بغير استواء، ونتيجة لذلك فإن ما هو تقليدي لدى بعض المجتمعات، كثيرًا ما يكون جديدًا لدى آخرين. ومن الملائم النظر إلى جميع وجهات النظر الثلاث للتقليدي معًا؛ انطلاقًا من أنه ينبغي اعتبار تلك التنظيمات الاجتماعيّة التقليدية في حضرموت الداخل منها، التي وجدت قبل الثلث الأول من القرن العشرين، أي قبل بداية التدخل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المباشر لبريطانيا العظمى. إن الزمن المذكور ما زال باقيًا في ذاكرة جيل الكبار- مثل نادر في الوطن العربي، عندما تجد المرحلة التقليدية مكانًا لها في إطار الترتيب الزمني للراهن الإثنوغرافي [انظر: ١٩٩ ص٧-١٥].

في جنوب الجزيرة العربية، كما هو بشكل عام في المنطقة التاريخية- الإثنوغرافية لشمال أفريقية- غرب آسيا، فإن مبادئ التنظيمات الاجتماعيّة التقليدية عادة يعبر عنها في مصطلحات قبلية، ولها مظهر قبلي. ومع ذلك فإن مفهوم "القبيلة" و"العشيرة" حتى الوقت الحاضر، يعد من المسائل الأكثر جدلًا في العلوم الاجتماعيّة. وسنقوم بجولة سريعة في تاريخ المصطلحات وعملية استخدامها في المصادر الوطنية والعربية.

في ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي عاجلت أفكار علماء الإثنوغرافيا الارتقائيين إ.ي. باخوفين، ج. ماكلينان، ي. تايلور، ل. غ. مورغان، القبيلة كأهم حلقات المؤسسات الاجتماعيّة البدائية [١٩٨ ص٢٠٧-٢٥٢]، وكانت تطبق أيضًا على موضوعات الشرق الأوسط.

الإنجليزي المتخصص بالسامية و. رسميث حاول إعادة إنشاء صنف التزاوج الداخلي العربي مع العائلة الأمومية (أي باحتساب النسب من جهة خط الأم)، على أساس المصادر الكتابية التفسيرية والمعطيات اللغوية، من غير تقييد، ونظريًا كان ينبغي أن يتقدم مرحليًا "صنف" التزاوج الداخلي الأبوي العربي الموجود، وكذلك أيضًا، التركي، الإيراني ... الخ. (نوع الزواج الداخلي للارتقائية الكلاسيكية- مناقض من حيث التعريف). وقد وافق سميث الهولندي غ. ويلكين. ورأى الباحثان كلاهما في أسماء القبائل العربية وفروعها انعكاسًا للطوطمية، وفي الزواج المؤقت "المتعة" وزواج

الأخ من زوجة شقيقه المتوفَّى- رواسب التعددية الزوجية، وفي عدد من الأمثال العربية- براهين على الوشائج القوية مع الخال من جهة الأم [٢٧١ ص٥-٧، ٣٢-٣٧؛ ٢٧٠ ص٧٥-١٠٠، ٢٧٩؛ ٢٧٦ ص٤٩٢-٤٩٣].

المستشرقون الكبار- ي. غولدتسير، ر. نيكولسون، ت. نيدلكة، ج. ريدهوس، م.هرتمان [٢٧٦ ص٤٩٤-٤٩٦] انتقدوا بصورة مقنعة بعض تراكيب الخطوط المباشرة جدًا للارتقائيين، ولكن بالنسبة للإثنوغرافيا العامة فإن فرضيات سميث- ويلكون- تايلور قد تحولت مع مرور الوقت إلى بديهيات.

وبشكل عام فهم الارتقائيون تحت اسم القبيلة ائتلافًا صارمًا لوحدات اجتماعية، يقوم على النسب الحقيقي أو الوهمي، وله لغة أو لهجة مشتركة، وأراضٍ مشتركة، وتسمية موحدة، وعقيدة وثقافة مشتركة، ومنظومة واحدة للإدارة [١٥٥ ص١١٣-١١٨]. بيد أن دراسات محددة للأثنوس (الشعوب) بـيّـنتْ أنَّ أيًّا من العلامات المذكورة لا تعد مطلقة، ولا يمكن أن يكون بينها تلازم أو حدود صارمة [١٩٨ ص٢١٦-٢٢٦]. وأصبح التعريف محاطًا بإضافات، واشتراطات، وظهرت له أشباه مماثلة للغاية ("مجموعة إثنية"، وغيرها.)، ومشتركات لفظية (ب. مالينوفسكي: "القبيلة- الأمة" كحامل للثقافة، و"القبيلة- الدولة" كشكل للتنظيم الاجتماعي) [٢٤٢ ص٢٥٢-٢٦٠].

في عام ١٩٦٧م كُـرِّسَتْ ندوة لمسائل القبيلة، نظمتها الجمعية الإثنولوجية الأمريكية. وقد وحّد المشاركون اليقين على عدم الرضى عن النظرية الطبقية. أما زيادة تأويل الكلمة، كما يحدث هذا غالبًا، فلم يأت بوضوح أكثر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وخلال ربع القرن الأخير تغير وضع المسألة قليلًا، وأحجم الكثير من العلماء الأجانب عن استخدام مصطلحات" قبيلة" و"عشيرة " مستبدلين ذلك بعبارات ملطَّفة مختلفة. وفي الممارسة الوطنية فإن التشويش يعقد المفاهيم المتعددة لكلمة قبيلة، التي تعني:

١- الجيل، السلالة.

٢- الشعب، إجمالي المولودين المحليين.

٣- النوع، الجنس، العرق.

في الاستخدام الاعتيادي لِـلَـفْظَيْ: " قبيلة" و" عشيرة"، يـبدوان كمترادفتين، أو ينتكس تطويعها (حسب ف. دال: السلالة القبلية، كأن تكثر القبائل أو الأجيال") [٢٣ ص١٢٤].

في المؤلفات العربية في القرون الوسطى وضعت منظومة مفصَّلة للمصطلح القبلي [١٢٠ ص٩٢-٩٣]، ومع ذلك فلا توجد قبيلة واحدة في الوطن العربي، يتطابق نظامها مع تلك التراكيب الكتابية، وجزء من المصطلحات غير معروف للبدو بمنتهى البساطة، وجزء يشمل دائرة عريضة أكثر لمدلول المعنى. وهكذا فكلمة قبيلة، بالارتباط مع سياق الحديث، تعني اتحادًا قبليًّا، قبيلة كبيرة، قبيلة صغيرة، مجموعة عشائر أو أسر، وزيادة على ذلك، فإنها لا تستخدم خصيصًا للقبائل فقط، فممثِّل السادة أو العبيد يُـمْكِـنُـهُ القول: "قبيلتنا".

في حضرموت تستخدم مجموعة كبيرة من المصطلحات القبلية، وهي:

١- زيّ أو طائلة: أكبر رابطة قبلية، وتماثل اتحاد القبائل (إذا حافظت الفروع الداخلة فيها على أنسابها المستقلة، على سبيل المثال طائلة الشنافر)، أو القبيلة (إذا تعرضت الأنساب للتوحيد، على سبيل المثال زي سيبان). [عن مفهوم "القبيلة" انظر ١١١ ص٨-٣٠؛ ١٦٣ ص١٧٦]، مع أنه في حضرموت الغربية، يتقبّلون هذه المفاهيم كمميّزاتٍ للجزء الشرقي من المنطقة، أما في الغرب فيستحسنون مصطلح "حلف" (أحلاف) أي اتحاد قبلي.

٢- القبيلة أو من يدخل فيها من القبائل.

٣- آل، فصيلة، بن - فروع قبيلة، مجموعة أسرية- عشائرية، عشيرة.

٤- بيت، دار- عشيرة. ومن جملة مدلولات "قبلية" مصطلح "مكتب" الذي يعني العشيرة، التي تمحورتْ على الأرض للإشراف على المساحة (حامية).

٥- عائلة- أسرة غير منفصلة، أو منفصلة [انظر الجزء٣ الفصل١ الفقرة١].

يمكن إرجاع مفهوم "فخيذة" إلى المستويات ٣- ٥. أما مصطلحات الفروع القبلية-"عشيرة"، "بطن" وغيرها- فلا وجود لها عمليًا في حضرموت [للمقارنة:١٨٨ ص١٨-١٩].

تبرز القبيلة كمؤسسة اجتماعية تقليدية رفيعة، واتحاد وطيد، أرفع نسبيًا، للجماعات الاجتماعيّة، القائمة على أساس القرابة المصرَّحة، والروابط الاقتصادية المناطقية.

إن القبيلة العربية الحضرمية، هي كائن سلالي اجتماعي، أو (أثنيوس)، يتألف غالبًا، من عدد من المجموعات القائمة على القرابة والتزاوج الداخلي، المنفصلة في بنائها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وعلى مستوى القبيلة تقام الحدود العليا للتضامن القبلي، وفي الغالب، يتم الإخلال بها؛ لأن النزاع – أحد المبادئ الرئيسة للانفصال إلى فروع. إذا بدأت أعداد الفرع القبلي تتضاعف بدرجة قصوى، فالإخلال بالمساواة الاقتصادية كافٍ إلى درجة ما لأيِّ عذر شكلي للانقسام. وفي النتيجة فإن الأقلية من الائتلاف تطرد خارج الحدود السابقة. ومثل هذا الصدام كان يحدث في إطار الأسرة الواحدة (آل). وهكذا ففي نهاية القرن التاسع عشر، انفصلت من العشيرة النهدية آل ثابت (وادي الكسر، قرية شريوف)، عائلة جديدة هي آل البقري، والتي شيّدت القرية المحصنة ديار البقري، وقد استمر النزاع حتى نهاية ثلاثينيّات القرن العشرين.

أدّتْ عملية الانتقال إلى الحياة الحضرية إلى زيادة أعداد الجماعة القبلية، لكنها أضعفت الوحدة القبلية. وقد حدثت أكثر الاشتباكات والحروب الداخلية بين القبائل في حضرموت الغربية بين الحضر أو شبه الحضر النهديين، وسيبان والعوالق، بينما كان الصيعر، الذين تنطبق عليهم صفة البدو الرُّحَّل، يعضدون التضامنَ القبليَّ الداخلي، محوِّلين النزاعَ إلى خارج حدود القبيلة.

رافق انقسام القبيلة إلى فروع عملية قبولٌ في عضويتها، ودمجُ مجموعات من خارجها مع الاحتفاظ بتركيبتها، وهو ما يتجلَّى، على الأرجح، في العناصر الثنائية للتنظيم الاجتماعي لدى كثير من شعوب المنطقة التاريخية الإثنوغرافية شمال أفريقيا–غرب آسيا. والنموذج العربي التقليدي لتلك الثنائية، التنافس القديم جدًا (منذ القرن السابع الميلادي) بين "العدنانيِّين" (الذين ينقسمون بدورهم إلى جماعتين قَـبَـلِـيَّـتَيْنِ متنافستَيْنِ، ربيعة ومضر)، و"القحطانيين" (الذين ينقسمون إلى حِمْيَر وكهلان).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وفي حضرموت الغربية تتجلّى الثنائية في التنظيم الاجتماعي لغالبية الطبقات التقليدية: محكّمتان قبيلتان عند النهديّيْن، ومنصبان (مفردها منصب) عند سادة حريضة آل العطاس ... الخ.

كانت علاقات النهي والأمر في القبيلة ومكوناتها تتم عبر قبول الأدوار الاجتماعيّة [انظر الجزء٣ الفصل١ الفقرة١-٢].

وزعيم القبيلة المقدَّم (وليس الشيخ كما لدى اليمنيين الشماليين) وهو يتقاسم السلطة مع الحَكَم القَبَلِي- الضليع بالقوانين الاعتيادية (عُرْف، طاغوت). ويشرف الحَكَم على الأعمال التي تخصُّ الشرف القبلي، وكان باستطاعته تحديد العقوبات المختلفة بما في ذلك النفي من القبيلة. وذاع صِيْتُ بعض هؤلاء الـمُحَكِّمين خارج حدود قبيلتهم (على سبيل المثال، النهديين)، وكان المقدَّم الأكبر، أو النقيب يقفُ على رأس عددٍ من المقدَّمين (المقادمة). وفي جهاز القبيلة كان يوجد جهاز مناقض لسلطة الدولة: ففيما إذا تمكَّنت القبائل أن تضع تحت سيطرتها الأراضي الثابتة مع سكان الحضر، فإن الأكبر من بين المقدَّمين يلقب بالسلطان.

تحدَّثْنا سلفًا عن التنظيم الاجتماعي للسادة والمشايخ، وعن دورهم كمجلس تحكيمي، ونضيف فقط، أنَّ السادة قد أنشأوا لغرض تنظيم العلاقات القانونية وعلاقات الملكية نقابةً (سجلت في حضرموت من القرن الخامس عشر الميلادي [١٩٧، ج٢، ص٧٦-٨١])، حدَّدَتْ بشكل خاص الرواتبَ، ونظامَ العملِ للأجراء، والحِرْفِيِّين، والبنَّائين.

وفي أربعينيات القرن العشرين، وعلى أساس النقابة، وتحت الاسم ذاته تـمَّ إنشاءُ أوَّلِ الاتحادات النقابية العمَّاليَّة المستقلَّة للضعفاء والحرثان [١٧٧-١٧٨]. وكان لدى

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

طبقة القرويِّين والحرثان كبار الأعيان (عاقل، أو أبو)، وهم في الغالب رؤساء الأحياء السكنيَّة (حافة- جور"حي"). وكان المسؤول عن الأنشطة العمومية في إصلاح العقد الرئيسة لمنظومة الري هو"الخيّل". أما الحوادث ذات الصلة بقضايا الأرض، فكان يقوم بحلِّها عادةً (خبير بالعادات). وكان القاضي يُـعْـنَـى بقضايا الوراثة، والأوقاف، وتوزيع الصدقات (صندوق عام للمحتاجين وعابري السبيل والطقوس العامة). وكان يعقد ويفسخ الزواج (الوظيفة الأخيرة كان يقوم بها كذلك شخص آخر متخصص – عقاد). وفي حكومتَي القعيطي والكثيري كانت تدخل ضمن اختصاصات القاضي المسائل المتعلقة بـ"الحياة، والموت". أما مساعد القاضي فكان يدير مكتب الأحوال – تسجيل المواليد والوفيات.

وهكذا، فإن التنظيمات الاجتماعيّة لحضرموت - بصرف النظر عن مظهرها القبلي - قد استندتْ إلى عادات ما قبل الإسلام للسكَّان الحَضْر، وعلى التطبيق الإسلامي. وكانت جملة خصائص الأدوار والصفات الطبقية بمثابة رموز للسلطة: الرايات، الدفوف، وكذلك مجموعة الأنصاب التذكاريَّة ذاتها – القبب لدى المناصب، وكذلك الآثار العشائرية الأخرى (العصا عند آل العمودي، والخنجر عند آل باوزير، وجنبية الأسلاف عند بعض زعماء القبائل، والسيوف الموروثة عند السلاطين).

إن انقسام المجتمع، أو بمعنى آخر وجود درجات المقامات القاسية إلى حد ما للفئات الاجتماعيّة التقليدية (الطبقات)، صفة مميزة لكل العربية الجنوبية. وتنشأ درجات المقامات هذه على قاعدة زواج الكفاءة، ونظام الأنساب المعلنة (الخاضع للتصحيح تبعًا لصلة الارتباط)، وعلى تركيبة تقسيم الوظائف الاجتماعيّة. إن التشابه مع الطبقات الهندية جَلِيٌّ، ومع ذلك فإن عدم وجود القداسة الدينية للطبقات في اليمن وحضور قابلية الحراك الاجتماعي للطبقات لا تجيز لنا مطابقة الطبقات هنا مع طبقات المجتمع الهندي (الكاستا).

ولمنظومة الطبقات العربية الجنوبية في حضرموت خصوصيتها. ولا تتمثل هنا بعض حلقاتها، على سبيل المثال، طبقة القضاة اليمنية الشمالية أو الأخدام، التي تتطابق في الواقع المحلِّي مع الصبيان والجماعة الأدنى الضعفاء. ولا تتبنَّى عدة رموز وضعية، ففي اليمن الشمالي يكونُ وضع الجنبية في الخصر إلى اليمين هي علامة الانتماء إلى طبقة رفيعة، وفي الوسط إلى الطبقة الوسطى، وإلى اليسار إلى الطبقات الدنيا. أمَّا في حضرموت فإنَّ الجنبية – غالبًا – صفة خاصة بالقبائل. ويشار إلى جماعة الصبيان المحلية ذات الأصل الأفريقي– حجور.

إن التركيب الإثنو– قبلي لحضرموت الغربية غير متجانس، كما بـيّـنـت الأبحاث الميدانية. فكل واحد من الأودية الثلاثة الرئيسة ومناطق روافدها تمثل مجموعة متعدِّدة من القبائل والطبقات الاجتماعيّة، ويُعَدُّ وادي العين قليل السُّكَّانِ هو الأكثر تجانسًا، أمّا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وادي دوعن فالأكثر تنوُّعًا. وعلى الخلفية القبلية القحطانية فإنَّ السمعة الأكبر يتمتع بها الكِنْدِيُّون. أما القسم المهمُّ في التركيبة السلالية- القبلية لحضرموت الغربية فتمثِّلُه القبائل وممثِّلو الطبقات الدنيا السابقة. لقد تشكّلت الخارطة السلالية- القبلية المسجلة منذ ١٠٠- ٢٠٠ سنة مضت، زد على ذلك أن النزوح (الهجرة الصغيرة) - كقاعدة - قد غيَّرَ الوضع الاجتماعيَّ للنازحين، وفي بعض الأحيان غيّر انتماءهم الطبقي.

وتؤثر عملية النزوح الشديدة على الأوضاع الديموغرافية في حضرموت الغربية، بشكل خاص في وادي دوعن، من حيث تجيء ميازيب السكان. أما الحضارة المدنية النشطة فعلى الضفاف، وفي المناطق الوسطى، ولامست الغربَ بضعف.

كان للتنظيم الاجتماعي لمجتمع حضرموت التقليدي شكلٌ قبليٌّ، وكانت القبيلة تحقِّق المستوى الأرفع (والأشد ضعفًا) للتضامن، واستطاعت آليتها الغالبة أن تتوسع على حساب الدولة. وتتميز المصطلحات المحلية، المرتبطة بعلاقات الأمر والنهي عن تلك السائدة في وسط الجزيرة العربية وشمالها، ولكنها قريبة من العربية الكلاسيكية. إن قواعد الانقسام والضمِّ، كخاصية للكيانات القبلية السلالية – الاجتماعيّة، قد أثارت النزاعات، وتتقوَّى بقدر انتقال القبائل إلى الحياة الحضرية.

وكانت الأهميَّة القصوى أيضًا للتنظيمات الاجتماعيّة التقليدية للسكان الحضر، في الأحياء السكانية والإنتاجية ... الخ، التي جاء بعضها من الحضارة اليمنية القديمة. وقد رسخت المؤسسات الإسلامية، وحافظت على قوانين الشريعة. وعلى هذه الأسس الثلاثة وفي ظروف غياب السلطة المركزية جرى إنشاء الآلية المحلية للضوابط الاجتماعيّة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الثاني

من تاريخ حضرموت

كيف يقدم أنفسهم حَمَلَةُ الثقافةِ السلاليَّةِ المحدّدةِ وماضيها؟ وبأيّة معالم تاريخية يتميّزون؟ وأيّ الأبطال يتذكرون؟

من الأحاديث مع سكان حضرموت الغربية، فإن أقدم مراحل الحضارة المحلية ترتبط لديهم بقوم عاد. وقد ورد كثيرًا ذكرُ عاد في القرآن الكريم، الذين أهلكهم اللهّ بعد أن كذّبوا نبوَّة هود [القرآن الكريم: ١١: ٥٢ -٦٣؛ ٤٦: ٢٠-٢٨..الخ].

ويعد الثموديون الذين كذّبوا النبيَّ صالـحًا [القرآن الكريم ١١: ٦٤-٧١] السكان القدماء لحضرموت، وكذا أصحاب الرَّسِّ الذين لم يصغَــوا للنصح. وفي تسمية إحدى مناطق حضرموت بـ (ثمود) ترسيخ لذكرى الثموديين، وحسب أحد التأويلات فإن الرَّسَّ مدينة في حضرموت، نزح إليها بقايا الثموديين [٢٣٦ ص٥٣٨، الهامش ١١]. وقد انتظر جميع الذين كذبوا الحقيقة العقاب المحتوم. فالثموديون "الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ" [٨٩: ٨]، أي أنَّهم شيَّدوا منشآت الري "فَأُهْلِكُوْا بِالطَّاغِيَة" [٦٩: ٥]، وربَّما، بفيضانات المياه. أما قوم عاد "فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية"، أصبحوا من جرَّائها " كأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة" [٦٩: ٧]. إنَّ صُوَرَ الكوارثِ الطبيعيَّةِ مألوفةٌ في حضرموت الداخل.

ويوجد في حضرموت الشرقية ضريح (مشهد)، يقال إنه للنبي هود. وفي وادي سر (إلى الشمال الغربي من سيئون)- ضريح للنبي صالح. وفي حضرموت الغربية (وادي ليمن)- ضريح لـ " هادون"، ابن هود. ومع ذلك فإنَّ الخرائبَ القديمةَ (الأسوار، المعابد، الآبار، المقابر) تُنْسَبُ فقط لقومِ عاد. إنَّ أسماءَ أمكنةِ العاديات تَدُلُّ - عن كثب - على وجود مساكن مهما كانت متقادمة.

في وادي دوعن (خريخر، الهجرين، القزة)، وفي وادي عمد (حريضة، نعير، عمد) سمع المؤلف عن كنوز قوم عاد- صناديق من الذهب، اختفتْ في الخرائب، وهذه الحكايات لا تختلف كثيرًا عما دَوَّنَـه ك. لندبرغ تقريبًا قبل مائة عام مضتْ [٢٣٦ ص٢٧٨، ٢٩٠].

الوصف الجليُّ للسُّكَّانِ الأسطوريين لريبون (أطلال مدينة قديمة في مجرى أسفل وادي دوعن، حيث قامت البعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة ومنذ عام ١٩٨٣م بالتنقيب الأثري) أورده منصب حريضة علي أحمد العطاس (توفي عام ١٩٨٨م عن عمر ناهز الثمانين عامًا). ففي مؤلِّفه "نفحة المسك المفتوت من أخبار وادي حضرموت" ورد قوله: " من مآثر الحضارمة - ريبون. وبقايا الأبراج المشيَّدة من الحجارة الصخرية، يُقال: إن ملكها، أي هذه البلاد، فضَّ بكارة ألف فتاة، وأخضع ألف مدينة، واللهّ أعلم. وتقع (ريبون) إلى غرب المشهد. ويروون عن نسائهم أنهُنَّ كُنَّ يسرحْنَ صباحًا لرعي أغنامهنَّ في مرتفعات وادي حجر ويرجعن في نفس اليوم، وهذه الرواية تستند إلى مقالة أبي حمزة اليماني؛ إذ قال: إن طول كل واحد من رجالهم سبعون ذراعًا، أما ابن عباس فقال: ثمانون ذراعًا، وقال الكلبيُّ: إن طولهم كان مائة ذراعٍ، والأقصر منهم ستون ذراعًا. وقال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّـه: إنَّ رأس كل واحد منهم كان يشبه القبة الكبيرة" [٦ ل ١٣].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لقد ترسَّخ التصوُّرُ التقليديُّ عن قوم عاد، وأعيد إنتاجه لدى الحضارمة في المدارس القرآنية. وبعض سور القرآن، وبشكل خاص سورة "هود"(١١)، "الأنبياء" (٢١)، "الأحقاف" (٤٦)، فهمت وتفهم حتى الآن كخاصية حضرمية، ويُفهم الأحقاف كمرادف لوادي حضرموت، بلد الأراضي المتصدِّعة ("الخلاء"، "الكهوف" عند ك. لاندبرغ، أو"الرمال" عند إ.ي. كراتشكوفسكي [٢٣٦ ص١٥٠-١٦٠؛ ٢٩ ص٤١١]). ويسود أيضًا رأيٌ أورده الرحَّالة ابن المجاور، وفحواه أن بعض قوم عاد، الذين نجَوْا من الهلاك قد سكنوا في جبال ظفار وفي جزيرة سقطرى ومصيرة، وامتازوا بطول قامتهم ولغتهم الخاصة بهم، وإليهم ينتمي المهريُّـون [للمقارنة: ٢٣٦ ص١٦٠].

بالنسبة لسكان حضرموت الغربية فإن المرحلة اللاحقة للماضي الحضاري بعد عهد عاد، كان ظهور الكنديين في مجرى وادي دوعن والقضاعيين في وادي عمد، الذي سُـمِّـي في غابر الزمن وادي قضاعة. وتعرف هنا جيدًا الرواية التاريخية العربية العامة عن أصل انحدار الكنديين المحليين، الذين انتقلوا في الزمن القديم إلى أراضي قبيلة مَعْد وسط الجزيرة العربية؛ حيث ظهرت فيما بعد مملكة كندة لحجر آكل المرار [٨١ ج٢ ص٢٤٦].

ذكر الهمداني، في القرن العاشر الميلادي، أن غرب حضرموت هي بلاد كندة [٤٥ ص٨٥]. وبعض الباحثين في تاريخ المنطقة اعتبروا أنه كان إلى الغرب (في الهجرين) مركز كندة الرئيس دمون، التي أضحتْ في العصر الإسلامي مقرًا للوالي الأموي، الذي أقصاه فيما بعد الأباضيُّون [١٩٧ ج١ ص١٢٩]. وفي الوقت الحاضر فإن دمُّون تنحصر في موضع إلى الشرق قُرْبَ تريم [٣٩ ص٣١؛ ١٦٤ ص٦٢]، ومع أن سكان دمون

التريمية - حسب كلام الهمداني - كانوا حِمْيَرِيِّين، فإن أخلاف حجر آكل المرار قد استوطنوا بين قبيلة الصدف في دمون الهجرين [٤٦ م١ ص٨٧].

وفي وادي عمد توجد رواية أخرى: أن دمون لم تكن في الهجرين، وإنما في القَـزَة- البلدة الواقعة في وادي الغبر، في الرافد الغربي لدوعن. ويذكر اسم هذه البلدة بشكل AL-QUDAT في واحدة من نقوش ريبون [٨٩ رقم٢٢١]. إن المصدر الدائم للمياه العذبة، عين شرحبيل، قد جعل من ذلك المكان عاملَ جذبٍ للسكان منذ العصور الحجرية القديمة [١٥٧ ص١٦]. وعن النشاط الحيوي للإنسان في العصر الحجري تتحدث الحجر التي عثر عليها أعضاء البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة على إفريز الجانب الشرقي في فجِّ القزة (الاسم القديم فج آل عامر)، في مقاطع منحوتة عليها لكتابات بقيتْ بصورة رديئة. وقد استَخْدَمَتْ واحدة من المغارات بالقرب من الحجر، ربما لدفن الموتى. وإلى أعلى البلدة في وادي غبر (غبر"عين")، في صيق وارم، توجد نقوش على الصخور وأشكال لكهوف ورسوم حيوانات. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار هذه الحقائق، وأن ترعة مياه الهجرين القريبة من القزة، تُسمَّى إلى الآن دمون، فيمكن التأكيد أن الاستيطان في وادي الغبر، قد أسهم، بغير ريب، إسهامًا محددًا في تاريخ حضرموت الغربية، وفي استيعابه للكنديين.

ويأخذ مؤلف "تاريخ الشعراء الحضرميين" عبدالله بن محمد السقاف بالرواية التي تطابق دمون مع القزة، فقد ذكر أنَّ خَلَفَ ملوك كندة الشاعر معد يكرب بن الحارث (القرن ٥-٦ م) ولدٌ في القزة (التي كانت تسمى عندئذ دمون)؛ حيث نظم قصيدة يرثي فيها أخاه شرحبيل [١٨١ م١ ص١١]. ووفقًا للسقاف فإن الأمير امرئ القيس (ولد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

حوالي ٥٣٢ م) قد ذكر فيما كتبه من القصائد المشهورة دمون[1] – القزة؛ حيث أمضى فيها نصف قرن [١٨١ م١ ص١١]. كما أن العائلات المشيخية المعاصرة في حضرموت الغربية: باقيس، بن عفيف وآخرين، يرجعون نسبهم إلى تلك السلالة الملكية لكندة [١٦١ ص٤٠-٤٥].

إن قبول الإسلام من قبل الحضارمة والانفصال القصير عنه في أعوام الردة بعد وفاة النبي محمد ﷺ لا يربط في تصورات سكان حضرموت الغربية مع الواقع المحلي خلافًا، على سبيل المثال، عن تريم وأماكن أخرى في شرق الوادي الرئيس. وابتداء من العصر الإسلامي، فإن الماضي الحضاري ينقسم، بدرجة لا يستهان بها، وفقًا لطبقات المجتمع. فرجال القبائل يحفظون في الذاكرة مشاركة قبائلهم في الفتوحات العربية الإسلامية، وفي الحملات والاشتباكات الأخرى. وبالنسبة للسادة وبعض من المشايخ (ذوي النسب العربي الشمالي) فإن التاريخ الأسري يبدأ من أحمد بن عيسى المهاجر، الذي ما زال بيته في الهجرين حتى الوقت الراهن مكانًا يؤمُّه الزوَّار (أما قبل ذلك – حسب الروايات – فإن المهاجر عاش في القرية الدوعنية الجبيل).

الكِنديون، الذين ضعفوا بعد القضاء على الردَّة، أخْلَوا هيبتَـهم في غرب ووسط حضرموت للتجوب– القسم الأكبر من ائتلاف السكون القبلي. وفي القرن الثامن الميلادي حاول الكنديون الأخذ بالثأر، فتزعَّموا انتفاضة ضد الوالي الأموي، وشارك فيها أيضًا السكون، الهمدانيون، النهديون. وقد استلهمت الانتفاضة شعارات الأباضية، إحدى فرق الحركة السياسية الدينية للخوارج.

١)المقصود قول امرئ القيس الكندي: تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانون وإنا لأهلنا محبون "المترجم"

وفي إطار صراعهم مع الجيوش الأموية، ثم الجيوش العباسية احتفظ الأباضيون بحضرموت بين أيديهم. ففي وادي دوعن اعتمدوا على كندة والصدف، وفي وادي الكسر على تُجيب ، وفي وادي عمد على الصدف. واعتبر المؤرخ الهمداني المدينة الرئيسة لدوعن (الخريبة) مقرّ الإمام الأباضي لحضرموت [٥٦ م١ ص٨٧]. ونازل الأباضيون بنجاح القرامطة، الذين هجموا من اليمن في القرن الحادي عشر الميلادي. وتنازع سلاطين شبام الأباضيون مع أسرة آل نعمان، قبيلة بن دغار، مع حكام تريم السنيِّين من آل راشد. وفي بداية القرن الثاني عشر الميلادي احتل آل راشد شبام، ووضعوا بذلك نهاية سلالة آل نعمان. بعد ذلك لا توجد معلومات أكثر عن أباضيي حضرموت [١١٤ ص٥٦-٥٧].

يُروى في حضرموت الغربية (محدثنا عمر علي باهريش، حوالي ٧٠ عامًا، من الهجرين) أن الضربة القاضية التي لحقت بالأباضيين كانت على يد السيد أحمد بن عيسى المهاجر في المعركة عند بحران في وادي الكسر. ويوجد قول مأثور، كأنه نداء إلى الأباضيين الناجين هربًا: "لا وين تبغي ياشارد بحران؟") [انظر الملحق: الأمثال -٣]. وفي رواية أخرى إن المهاجر تصارع مع خصومه بالإنذارات وليس بالسلاح "باللسان لا بالسنان" [١١٤ ص٥٦-٥٧]، أما الأحداث في بَحرَان فتعود إلى أوقات أخرى.

مع ظهور أوائل الحكام الإقطاعيين في حضرموت (آل نعمان، آل راشد) تقوَّى نفوذ القبائل: فقد اشتهرت في تلك الأماكن نهد ومذحج والواصلون الجدد – الكنديون، آل يماني بنو ظنَّة والحِمْيَريون (الهمدانيون) آل كثير بنو حرام [١٤٢ ص١١]. وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي حاول أول سلطان من سلالة آل كثير علي بن جعفر بن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بدر الكثيري توحيد حضرموت، بيد أن ذلك لم يتسنَّ إلاّ لحفيده بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي، الذي عرف ببدر أبي طويرق (١٤٩٦- بداية ١٥٧٠م). واسمه ما زال حيًا في ذاكرة الحضرميين، وفي الوقت ذاته فإن الحكام الوافدين الذين سعوا للسيطرة على البلد: الزيديين (القرن ٩ -١١، ١٧ م)، والصليحيين (القرن ١١- ١٢ م)، الأيوبين (القرن ١٢- ١٣ م)، والرسوليين (القرن ١٣ - ١٥م)، والطاهريين (القرن ١٥ ١٦ م) – لم يبق لهم ذكر في التقاليد المحلية الشفهية.

إن معنى: "الشفهية" في هذه الحالة نسبيًا جدًا، طالما أن هذه التقاليد تقتات المعلومات الكتابية، المتضمنة في مجاميع الأنساب والمدوَّنات التاريخية الأسرية والمحلية والأبحاث والقصائد والأشعار، التي أضيف إليها في قرننا العشرين المؤلفات المنشورة للمؤرِّخين المحليين. وفي أثناء الاستبيانات الميدانية اصطدمنا بظاهرة "ثنائية الفلكلور" عندما تتحول التقاليد الشفهية، التي أثرت في حين من الأحيان البعيدة في التقاليد المكتوبة، فتصبح من جديد من المصادر المكتوبة [انظر ج٣ فصل١ فقرة١].

إنَّ الشخصية المتميِّزة لدى الحضرميين في الماضي الثقافي قد تجسَّدتْ بصورة أكثر جلاءً في شخص بدر أبي طويرق. ويتضح من كنيته الفخرية أن السلطان بدرًا قد "طرق أراضي حضرموت"، فأخضعها، "من ذمار إلى ظفار"، أو من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي [١١٤ ص١١٣؛ ١٩٧ ج٢ ص٢٧].

وعن حياة بدر أبي طويرق وكفاحه كتب الكثير [١٤٢ ص٣٨-٥٤؛ ١١٤ ص١١٢-١٢٦؛ ١٩٧ ج٢ ص٢٤-٣٣، ١٢٢ م١ ص٩٦-١٠٠؛ ٢٦٢ ص٢٢-٣٢، ١٥٥-١٥٦]. وفي اللغة الروسية فإن التاريخ الموجز لِحُكْمِهِ قد ورد في سياق

التاريخ السياسيِّ لليمن، والعلاقات اليمنية – العثمانية، للمؤلفين ن. أ. إيفانوف، غ.م. أودالوفا [١٤٣ ص٨٤-٨٧، ٩٢-٩٧، ١٠١؛ ١٨٨ ص٤٧-٤٩، ٧٦-٧٧، ٨٥، ٩٠-٩١، ٩٤]،(مع زلات حقيقية في الحالة الثانية). وتهمُّنا هنا علاقة السلطان بدر مع قبائل حضرموت، وقبل كل شيء – الغربية.

منذ الوهلة الأولى لِـحُكْمِهِ تخلَّى بدرٌ عن القاعدة الغالبة للوحدات المحلية شبه العسكرية، واتجه إلى إنشاء جيش مأجور، قوامه في الأساس الأتراك، الذين وصلوا إلى الشحر في الربيع من عام ١٥٢٠م، وعدة آلاف من المقاتلين اليافعيين والقبائل الزيدية من شمال اليمن والموالي الأفريقيين [١٢٢ م١ ص٩٧؛ ١١٤ ص١١٣]. وعرفت حضرموت من الأتراك الأسلحة النارية- بنادق المسكيت ذات الفتيلة (بنادق العلوق- بندقية الاشتعال، أو بنادق الروم- الرومية أي التركية). في البدء أدت هذه الأسلحة بالحضارمة إلى الرُّعْب، لكنهم سرعانَ ما أجادوا استخدامها، وحتى مطلع القرن العشرين تقريبًا أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عتاد القبائل. وفي حضرموت الغربية كانت بنادق المسكيت ذات الفتيلة الوسيلة النارية الرئيسة حتى مطلع القرن العشرين. واستخدم السلطان بدر في العمليات العسكرية فِرَقَ الخيَّالة الكبيرة، بالمقاييس المحلية، حوالي ١٦٠ فارسًا [١١٤ ص١٢١][1]. وكانت السفن الحربية تؤمِّن حماية الطرق البحرية [١٩٧ ج٢ ص٢٨-٢٩].

١ – التبست هنا المعلومات على المؤلف، لأن ١٦٠ فارسًا، حسب المصدر الذي استند عليه المؤلف، لم يكونوا مع السلطان بدر، وإنما هم الذين اعترضوه عند مروره ببلاد نهد غضبًا لصاحبهم ابن فارس، الذي أسره بدر أبو طويرق، وقد وافق على إطلاقه بعد توسط المصلحين (انظر: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٢١)- "المترجم".

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وكما يُقال في حضرموت، من يملك الشِّحر كقابض الحنجور [١٤٢ ص٢٠٩]. وبسيطرته على مدن الساحل والأسواق في حضرموت الداخل، سعى بدر أبو طويرق أيضًا إلى السيطرة على طرق القوافل بينها. وهو الذي فرض الرسوم الجمركية على التجارة، وأخذ الرسوم على المحاصيل والمنتوجات الحِرَفِيّة، وحاول ضبط النظام النقدي. وفي عام٩٣٧هـ/ ٣٠- ١٥٣١م ظهرت العملة، التي تحمل اسم السلطان بدر: ريالات فضية، أنصاف الريال وأرباع الريال، وفي عام ٩٤٢هـ/ ٣٥ – ١٥٣٦م، بدأ صك العملة المعدنية البُقْشَة التي ظلَّتْ تتداول إلى بضع عشرات سنين مضت [١٤٢ ص٣٨].

أثارت السياسة الاقتصادية للسلطان بدر مقاومة القبائل، التي مارست تقليديًا تجارة القوافل، وكانت تقوم بالإشراف على الحركة عبر أراضيها: المهرة والحموم في الشرق، العوامر والشنافر في الوسط، النهديون والعوالق والعمودي وسيبان في الغرب والجنوب الغرب لحضرموت الداخل [١٤٢ ص٤٦-٤٩؛ ١١٤ ص١٢١-١٢٤].

في عام ١٥٣٠م سيطر بدر على غيل بن يمين، فتصالح مع الحموم، ثم سيطر على طريق الشحر- تريم. وخلال عامي ١٥٣١-١٥٣٢م وجه الجيش إلى وادي الكسر، لوقف توسع النهديين، الذين يتزعمهم محمد بن علي بن فارس وشقيقه ثابت. وأفلح بدر في مناورة الفرسان النهديين، الذين حاصروا القرين ذات الكثافة السكانية في وادي ليمن (جنوب – غرب وادي دوعن)، وأطلقوا عليها حجر العرادة، آلة حربية أشبه بالمنجنيق وأصغر منه [١٤ ص١٢٢].

في نهاية المطاف حاقت الهزيمة بالنهديين، كما تم أيضًا إخضاع تمرُّداتِ القبائل في وادي عمد. وفي قرية قرن بن عدوان في وادي عمد يتحدثون عن نزاع مألوف بالنسبة لذلك الزمن. كتب أ. د. كنيش المشارك في البعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة أن آل بن مرضاح، فرع قبيلة الجعدة، نزلوا من الهضبة إلى الوادي، وابتاعوا هناك دغلة من أشجار العلب، التي كان السلطان قد فرض عليها ضرائب كبيرة- ٣ مكاييل من الثمار على كل شجرة [انظر الملحق: المقاييس التقليدية]، وبسبب ذلك تسلّل ابن مرضاح، ومعه مائتان من الرجال القادرين على القتال، إلى الجنوب الغربي، في أراضي السلطان الواحدي، واشتبكوا مع رجال أبي طويرق وانتهى ذلك الاشتباك بالصلح، ووعد السلطان أن يضم الجعدة في قواته المسلحة، وإعفاءهم من الضرائب، وأن يدفع لهم نفقة سنوية من الحبوب.

في الشُّعْبَة، المركز السكاني الكبير في وادي عمد، ما زالت الذكريات باقية عن كيف واجه الشيخ عمر بن أحمد العمودي وابنه محمد باقسم، أذناب بدر، "بالسلاح والكلام" (الراوي عبدالله بن أحمد العمودي، حوالي ٤٠ عامًا). وفي بلدة الرضحين ما زال يعيش إلى اليوم أعقاب عوض بن سالم بن بامنصور من قعوضة (قرية في وادي الكسر)، الذي هزمه السلطان عند المخينيق.

في وادي دوعن كان مركز المقاومة ضد بدر أبي طويرق قيدون وبضة – حصن مشايخ آل العمودي. ومنصبهما عثمان بن أحمد بن محمد (شقيق الشيخ عمر)، وكان أشرس خصوم السلطان في حضرموت الغربية. وقد استنكر الشيخ عثمان العمودي سياسة التبعيَّة للعثمانيين، التي انتهجها السلطان بدر، الذي استند على الترك في قضية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

توحيد حضرموت وفي صد التوسع الأجنبي. وفي شتاء ١٥٢٣م احتلَّ البرتغاليون الشحر، على الرغم من مقاومة المدافعين عنها. ويحتفل كل عام في المدة من ١٠-١٣ ربيع الأول بذكرى تخليد "الشهداء السبعة"، قادة ومنظمو المقاومة ضد الدخلاء [١١٥].

وبعد ثلاثة عشر عامًا، وفي فرضة ذلك الميناء، ألحق السلطان بدر هزيمة ساحقة بالبرتغاليين. وفي اسطنبول قُدِّرت الهدايا الثمينة التي أرسلها السلطان الكثيري: قطعة من الألماس نادر الوجود، وخمسمائة مثقال من العنبر الأصيل، وخمسة وثلاثون أسيرًا برتغاليًا [١٤٢ ص٤٤؛ ١١٤ ص١٢٠].

وفي طريقه إلى شواطئ الهند، عرّج الجيش العثماني بالشحر؛ حيث أقيمت في ٢٤ ربيع الأول ٩٤٤هـ / ٣١ أغسطس ١٥٣٧م أول خطبة جمعة يذكر فيها اسم الحاكم العثماني سليمان الكبير. وهكذا اعترف السلطان بدر رسميًا بتبعية الموانئ. وفي أثناء عودتهم من الحملة الهندية وعد ممثلو الإمبراطورية العثمانية السلطان بدرًا بأن ترسل له الدولة العليَّة فرمانَ بعقد الولاية له من "باب المندب إلى مدينة ظفار"، وكذا لقب "سنج بيك" العثماني. والتزم حاكم حضرموت أن يدفع لاسطنبول ضريبة سنوية، وقبول الحماية التركية، والموظفين الأتراك [١٤٢ ص٤٤-٤٥؛ ١١٤ ص١٢٠؛ ١٩٧ ج٢ ص٢٧].

وبحصوله على الدعم العثماني المهيب بالرجال والسلاح قرر بدر أبو طويرق القيام بحملة تأديبية في غرب حضرموت؛ حيث كان زعماء نهد بالتحالف مع الشيخ عثمان العمودي قد استعدُّوا للهجوم ضد السلطان الكثيري. وفي ٩ رمضان ٩٤٨ هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٥٤١م سيطرت القوات السلطانية على مدينة قيدون المقدسة لدى آل العمودي والكثيريِّين في حضرموت الغربية. ومع ذلك استعصى احتلال بضة، العاصمة

المدنية للعمودي، التي تعرَّضتْ للحصار في نهاية ١٥٤٢- مطلع ١٥٤٣م. وأطلقت قوات بدر نيران المدافع على مدن وقرى وادي دوعن، وهدّمت قنوات الري، ودمّرت الآبار وخزانات المياه، وقطعت النخيل، وطردت السكان من المدن التي سيطرت عليها. وفي عام ٩٥١ هـ/ ٤٤- ١٥٤٥م اضطر الشيخ عثمان للتوقيع على معاهدة مع بدر وقبول التبعية له، بيد أن مشايخ العمودي بدأوا في عام ١٥٤٨م حربًا جديدة ضد السلطان الكثيري.

في هذه المرَّة انتفض ضد السلطان اتحاد القبائل المحلية، ولم تكن القبائل الزيدية باليمن الشمالي وأعيان آل كثير مرتاحين لتقوية السلطة الشخصية للسلطان بدر. ففي خريف عام ١٥٤٨م، وتحت قيادة التركي يوسف والأمير علي بن عمر الكثيري، اقتربت القوات السلطانية من بضة، لكنها وللمرة الثانية لم تتمكنْ من احتلالها.

من جانبهم تحرَّك آل العمودي مع حلفائهم بحزم: احتلوا هينن وبور وتريم، وحاصروا شبوة، وهدَّدوا الموانئ. وفي عام ١٥٤٩م عقد كلا الجانبين صلحًا، أضعفتْ شروطُه النفوذَ الكثيريَّ في حضرموت الغربية [١٤٢ ص٤٦-٤٩؛ ١١٤ ص١٤٤-١٤٦]. وانتهز بدر وقف الحرب في الغرب، فصالح عام ١٥٥١م وسط حضرموت وشرقها، واعتقل الأمراء الكثيريِّين المتمرِّدين في سجن مغلق في مريمة.

ولاحق السلطان بدر أنصار التقاليد القديمة – زعماء القبائل، أعيان آل كثير، السادة والمشايخ، الذين تذمَّروا من تقييد الامتيازات الأسرية، وتحدَّث المؤرخون عن إعدامات واعتقالات ونفي [١٤٢ ص٥٧]. وقد حكم السلطان على شاعر حضرموت الكبير في تلك المدَّة عمر بن عبدالله بامخرمة، والد سكرتيره الخاص، بعقوبة مشينة-

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الطواف في شوارع شبام والحبل على رقبته – بسبب حرصه على بقاء بلدته الهجرين بعيدًا عن السلطة الكثيرية [١١٤ ص١٢٩؛ ١٩٧ ج٢ ص٣٠].

في عام ١٥٦٨م أطيح ببدر أبي طويرق من قبل المعارضة الكثيرية، وبعد عام ونصف توفي في السجن. انجرّ السلاطين بعد إقصائه إلى المنافسة داخل الأسرة الواحدة، وأخذوا يفقدون السيطرة على حضرموت.

حدّد الصراع بين آل العمودي والكثيري، في أمور كثيرة، الخارطة الإثنوقبلية لتلك المنطقة، وقد استؤنف ذلك الصراع بقوة جديدة في عام ١٦٠٥م واستمرَّ لعشرات السنين، يهدأ حينًا ويشتد حينًا آخر. وفي مجرى هذا الصراع اتجه كلا الجانبين لطلب المساعدة من الزيديين في صنعاء. واعتراف السلطان بدر بن عمر الكثيري، حفيد أبي طويرق، بسلطة الإمام الزيدي محمد المؤيد (١٦٢٠– ١٦٤٤م). وقد اتُّهِمَ السلطان بالتراجع عن المذهب السنِّي، والانتقال إلى المذهب الزيدي، فنازعه لقبه بدر آخر، هو بدر بن عبدالله بن عمر (ابن الأخ الأول)، مؤسس الخط الكثيري آل عبدالله.

في عام ١٦٥٦م أدى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العمودي يمينَ الولاء للإمام الزيديِّ الجديد إسماعيل المتوكل (١٦٤٤– ١٦٧٦م). وحتى ذلك الوقت كان الإمام قد ضمَّ مناطق الجنوب اليمني، لحج وأراضي قبائل يافع والعوالق والواحدي. وفي يوليو ١٦٦٠م أرسل أحمد بن الحسن الصفي بهدف السيطرة على حضرموت. وتحرك الجيش الإمامي من مأرب إلى وادي حجر بسلام، ثم توقف في مناطق عَسِرَة المرور [١٢٢ م١ ص١٠٤]. ففي شعب بامسدوس نصب جنود بدر بن عبدالله كمينًا للزيديين، لكنْ تمَّ دحرُهم نحو أسفل وادي عمد، إلى الهجرين. وانضمَّتْ قبيلة نوح

ومشايخ العمودي إلى أحمد الصفي وزوَّدوا الزيديين بالمؤنة والزاد ومطايا الحمل. فيما حصل السلطان بدر بن عبدالله على تأييد قبائل آل محفوظ ونهد. وبفضل تفوُّق الجيش الإمامي في التسليح والتدريب العسكري هزم قبائل وادي دوعن، واحتل المناطق الغربية والوسطى لحضرموت الداخل، بما في ذلك شبام [١٢٢ م١ ص١٠٥؛ ١٠٦- أ ص٣٥].

وبسبب الأضرار التي ألحقتها حملة أحمد الصفي بالبلد من اجتياح وتخريب وإهراق للدماء، أطلق شاهد عيان على الأحداث، هو عمر بن عبدالرحمن العطاس على تلك الحملة وصف "سيل الليل" [١٤٢ ص٨٢]. وهذا التعبير يعني في حضرموت الغربية، إلى يومنا هذا، كارثة اجتماعية أو طبيعية.

استسلم السلطان بدر بن عبدالله للإمام، فأصبح أسيرًا، ثمَّ أرسل إلى صنعاء، وسمح له بالعودة منها إلى حضرموت بصفة عامل زيدي؛ وذلك لأن شقيق أحمد الصفي لم يقدر على إدارة أمور البلد.

أسهمت القبائل الزيدية وخصومها اللدودون اليافعيون في النزاعات الحضرمية الداخلية اللاحقة. وكان بدر أبو طويرق قد وزع أوائل الحاميات اليافعية في جميع حضرموت. ففي الشحر والقرية الدوعنية القزة كان اليافعيون آل البطاطي، وفي الهجرين- آل اليزيدي، وفي قرية قرن بامسعود من قرى عمد- النقيب، وفي رحاب- لبعوس، وفي وادي بحران وسدبة- بنوبكر، وفي شبام- الموسطة، وفي سيئون- الضُّبَي، وفي تريم- لبعوس. وهؤلاء اليافعيون "القدماء" يُطلَق عليهم "التَّلَد"، خلافًا للجُدُد "الغُربة" [١٠٦-أ ص٣٥]. ظهر الأخيرون في حضرموت في مطلع القرن الثامن عشر في عهد السلطان بدر بن محمد الكثيري عندما بدأت الحرب بين فوج السلطان وأذناب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الإمام المهدي. وأيد السادة سياسة السلطان المعارضة للزيدية. وقام السيد علي بن أحمد بن الشيخ أبوبكر بتخصيص الأموال لتجنيد عدة آلاف من اليافعيين، الذين طردوا الزيود من حضرموت عام ١٧٠٥م [١٤٢ ص١٠١-١٠٣]. ووقف اليافعيون "الجدد" الذين استقروا في حضرموت (في الغالب بالائتلاف مع "القدماء") ضد الكثيريين الموالين لصنعاء.

استغل آل العمودي ضعف السلطنة الكثيرية لتوسيع نفوذهم في حضرموت الغربية، ففي عام ١٧٠٤م استعادوا القزة، وفي عام ١٧١١م احتلّوا الهجرين سوية مع سيبان. وفي عام ١٧١٦م أباد النهديون، حلفاء العمودي، في وادي العين، مفرزة للزيديين الذين جاءوا لمساعدة السلطان عمر بن جعفر الكثيري، وقد أخذ السلطان عمر بن جعفر بالثأر لهزيمة والده، وأعاد السيطرة على النصيب القبلي – الشحر. ولكن بعد وفاته لم يتمكنْ آل كثير من الاحتفاظ بالسلطة، إلَّا في وادٍ غير كبير – وادي تاربة. وهذه المرحلة يعدُّها المؤرخون المحليون نهاية السلطنة الكثيرية الأولى [١٤٢ ص١١].

في حضرموت الغربية كانت السيطرة للمشايخ المحليين وأعيان القبائل. أما المراكز الرئيسة في حضرموت الداخل والساحل فأصبحت تحت سيطرة الفروع المتعددة لقبيلة آل يافع. ففي شبام كانت هناك الموسطة، وفي سيئون- الضُّبَي، وفي تريم– آل غرامة (تقاسموا السلطة مع السادة)، وفي الشحر- آل بريك، وفي تريس- الضريبي، وفي المكلا- الكسادي [١٢٢ م١ ص١١٩-١٢٠، ١٤٤ ص١٦٣]. ومع ذلك فإن آل الكثيري لم يفقدوا الأمل في استعادة السلطنة. وقد تحول التاريخ السياسي لحضرموت، في جوهره، إلى صراع المجموعتين القبليتين يافع وآل كثير. وهذه الظروف كانت سببًا لطبيعة العمليات السُّلالية في منطقة دراستنا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(القرن ١٩ –١٩١٨م)

لا ينفصل تاريخ حضرموت عن تاريخ كل العربية الجنوبية (اليمن)؛ حيث وجدت هناك، في مرحلة دراستنا، ثلاث حركات سياسية- دينية- متنافسة، ادَّعتْ في مختلف الأوقات توحيد المنطقة: أباضية عمان، وزيدية اليمن، والوهابيون في نجد.

منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر الميلادي، واجهت الحركة الأباضية في الجنوب الشرقي وفي شرق الجزيرة العربية أزمة، نتج عنها في عام ١٧٩٢م إنشاء كيانين سياسيين: سلطنة مسقط، وإمامة عُمان. واضطر الأباضيون بسبب النزاعات الداخلية والخطر الوهابي إلى الامتناع نهائيًا عن خطط التوسع. ومن الجليِّ أن هذا الدافع كان ضعيفًا في اليمن أيضًا. وهكذا، فمع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين فإنَّ الزيديين الذين يسيطرون على جميع الشمال، لم يحتفظوا إلا بصنعاء وضواحيها فقط. أما بقية مناطق اليمن الشمالي: عسير، الحجرية، رداع، صعدة، وأراضي التحالف القبلي حاشد وبكيل فقد كانت مستقلة في الواقع. وفي جنوب اليمن تقوَّى نفوذ الزعماء اليافعيين، الذين كانوا في عداء دائم مع الزيديين.

كان الخطر الأقوى بالنسبة للسلالات المحلية في الجنوب العربي يتمثل بالوهابية. فقد احتل الأمير الوهابي عبد العزيز آل سعود (١٧٦٥- ١٨٠٣م) الساحل الشمالي لعمان في نهاية القرن الثامن عشر. ووحَّد الأمير سعود بن عبد العزيز (١٨٠٣- ١٨١٤م) أراضي الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي (العربي)، فتقوَّى بذلك الضغط العسكري على اليمن، حضرموت، ظفار ومسقط [٥٠ ص٤٩-٥٣].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هاجم الوهابيون حضرموت عدة مرات. وفي عام ١٨٠٩م هدموا القباب المقامة على أضرحة الصالحين في تريم المقدسة بالنسبة للحضرميين، وبعد عدة سنوات كان ذلك مصير الشحر. وقد أطلق عليهم المؤرخ ابن هاشم "تتار الجزيرة العربية" [١٤٤ ص١٧٦].

يروي سكان الشحر، أن الوهابيين وضعُوا التوابيت وبعضَ أبواب المساجد التي أخذوها في إحدى السفن التي معهم وساروا بها، ولما وصلوا إلى ثغر مرير احترقت السفينة، وخرجت بعض الأبواب سليمة إلى الساحل فأخذت وأُعِيدَتْ إلى مواضعها [١٤٤ ص١٧٦].

وتذكر الروايات الأسرية للسادة آل الحامد في عمد (المتحدِّث حسين بن محسن بن عبدالله الحامد، حوالي ٧٠ عامًا) عن حملة الوهابيين بقيادة ابن قملا الملقّب بالهدهد، التي تحركت إلى الغرب من ناحية تريم (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، وكان عددهم كثيرًا جدًا، من بدو نجد والحجاز. وكانوا يبغضون السادة وجميع القرشيين، وهدمُوا القبابَ، وأحرقوا التوابيت والمخطوطات. وقد جمع منصب آل الحامد السيد عيدورس بن صالح القوات في وادي عمد، وتحرَّك بها للمواجهة، وتمكَّن من هزيمة جحافل الهدهد وتشتيتها بالقرب من حريضة، عند جبل غمدان، أما نهد والصيعر فأجهزوا عليهم ولم ينج من الموت إلا بضعة أشخاص فقط.

وتؤكد أحاديث السكان المحليين، أن ذكر الأباضيين والوهابيين قد امتزج في الوعي الاعتيادي في المثال السيئ هدهد بن قملا.

إن عدم الاستقرار في جنوب الجزيرة العربية في ذلك الوقت، استغلّـتْه بعض القوى الخارجية، الإمبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى.

ولغرض تحييد الوهابيين، تحرك العثمانيون من خلال تابعهم الشكلي، الحاكم المصري محمد علي. وفي عام ١٨١٩م، نزلت القوات المصرية على شواطئ اليمن، وفي العشرينيات والثلاثينيات أخضعت تهامة وتعز، أما صنعاء فأَضْحَتْ تدفع ضرائب للقاهرة، واعترفت بتبعية الموانئ.

أرسل علي بن عمر السقاف وآخرون من سادة حضرموت وفدًا إلى محمد علي، على أمل أن يدعم محاولة إعادة النظام الكثيري البائد. وفي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م كان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر الكثيري، الذي عادَ لِـتَـوِّهِ من هجرته الطويلة في إندونيسيا، وشرع يكاتب التحالف القبلي للشنافر (الذي يضم أيضًا آل كثير)، ونهد وأعيان السادة لإحياء دولة آل كثير [١٤٢ ص١٢٠]. وفي عامي ١٨٠٦-١٨٠٧م احتل السلطان جعفر شبام وسيئون وتريم، وبعد وفاته سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م لم يتمكّنْ خَلَـفُهُ شقيقُه عمر بن علي بن عمر بن جعفر من الاحتفاظ بشيءٍ من البلادِ سوى بشبام فقط، والتي ابتاع نصفَها اليافعيون عام ١٨٣٣م [١٤٢ ص١٢٥؛ ١٠٦-أ ص٥٥-٥٦]. ولأن الدويلة الكثيرية لم تفلح في أن تتقوَّى، فقد انهارت أمام مرأى العين. وربما لهذا السبب لم يؤازر محمد علي آل كثير، وعيَّن زعيم التميميين علي بن عمر قرموس حاكمًا مؤقّـتًا لحضرموت [١٢ ص١٣١-١٣٢]. وفي عام ١٨٤٠م غادر المصريون اليمن، وبقيت الجماعات المتصارعة على السلطة تبحث عن مؤازرة خارجية جديدة.

ومثل تلك المؤازرة جاءت من حيدر آباد. كانت هذه المدينة الهندية في القرن السادس عشر الميلادي عاصمة غولكندة، ذات الثراء الأسطوري، حسب رأي الأوروبيين، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أصبحت إمارة حيدر آباد تابعة لبريطانيا العظمى التي بدأت تغلغلها في الجنوب العربي من الهند.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لقد ضعف النفوذ التركي والإيراني في المنطقة. وطردت القبائل العربية من الخليج العربي الهولنديين، المنافسين الخطرين لبريطانيا العظمى. وفي عام ١٨٠٠م أصبحت مسقط مكانًا لوجود المندوب البريطاني الدائم، وفي عام ١٨٠٢م- لحج. وبإلحاقها الهزيمة بالأسطول الوهابي عند رأس الخيمة (١٨١٩م) واصلت بريطانيا العظمى تعزيز نفوذها بمساعدة الاتفاقيات والمعاهدات مع الدويلات الصغيرة في شرق الجزيرة العربية وجنوبها. وبدأ مسلسل الاحتلال الكونيالي للعصر الفيكتوري في عدن عام ١٨٣٩م. وفي أربعينيات القرن التاسع عشر سيطرت بريطانيا العظمى على الطرق البحرية من الخليج العربي، وحتى البوابات الجنوبية في البحر الأحمر.

إن توسع الاهتمام بتاريخ حضرموت دوليًا، قد وسَّع حدود الأساطير التاريخية المحلية. ففي عام ١٨٤٢م سجّل أولُ باحثٍ أوروبي من أقوال ساكنيه، أخبارًا خيالية عن شعوب غريبة: إن سلطان آل عثمان قد أدخل الملكة البريطانية في الإسلام، وضمّها إلى حريمه؛ حيث أنجبت له سبعة أبناء، أما القيصر الروسي- المارد الجبار- فيمتلك جيشًا من سبعة آلاف عملاق بعين واحدة مدورة وسط الجبهة [١٠٦ ص٧١].

أما الأسطورة المحلية عن الأبطال المقاتلين الثلاثة، الذين خدموا نظام حيدر آباد وحدَّدوا مصير حضرموت، فتستند على وقائع حقيقية. وبالفعل فإن عمر بن عوض القعيطي (توفي ١٨٦٥م)، وغالب بن محسن الكثيري (١٨٠٨- ١٨٧٠م)، وعبدالله بن علي العولقي (توفي ١٨٦٧م)، كان لهم دور مؤثِّر في تاريخ البلاد. فقد خدم هؤلاء في جيش النظام حتى بلغوا أعلى المراتب، وجمع ثلاثتهم ثرواتٍ تضاعفتْ من خلال أساليبهم العلمية، والروابط الزوجية الناجحة [١١٧ ص١٥؛ ١١٤ ص١٨٠-١٨١،

٢٠٣-٢٠٤؛ ١٩٧ ج٢ ص١٩١-١٩٤؛ ١٢٢ م١ ص ١٢٣-١٢٥]. وكان كل منهم قد أعد خططه لإنشاء دولته في حضرموت. ومن أجل هذا الهدف فإن عمر بن عوض (المولود في حضرموت الغربية، قرية لحروم في واي عمد) اشترى عام ١٨٣٩م من السادة آل العيدروس بلدة الحوطة (الريضة) على مقربة من القطن، فيما اشترى غالب بن محسن في عام ١٨٤٥م من آل تميم الغرف، الواقعة إلى الجنوب الغربي من تريم، أما عبدالله بن علي فاشترى من آل بريك اليافعيين قرية الحزم (الصداع)، إلى الشرق من غيل باوزير [١٠٦- أ ص٥٩].

وسَّع السلطان غالب الكثيري وأسرته آل عبدالله نفوذَهم في حضرموت بالمال والقوة والحِيْلَة. وبعد مدة قصيرة على اقتنائهم الغرف تنازل لهم عبدالقوي آل غرامة اليافعي عن نصف تريم. وفي عام ١٨٤٧م سيطر آل الكثيري على تريم كلها بمؤازرة السادة، وخلال عام أخذوا سيئون وتريس. واحتفظ اليافعيون في وادي حضرموت بالقطن ونصف شبام، أما النصف الآخر فامتلكه منصور بن عمر الكثيري من بيت آل عيسى [١٠٦-أ ص٥٥].

ومَرَّت المدة الممتدة من نهاية أربعينيات القرن التاسع عشر وحتى ١٨٧٦م بحروب واشتباكات لا نهاية لها بين الكثيري ويافع. تزعَّمتْ يافع أسرة عمر بن عبدالله القعيطي، الذي تمكَّن من جذب مئات المقاتلين إلى صفِّه، الذين نقلهم من حيدر آباد عبر المكلا إلى القطن. في البداية كانت المبادرة إلى جانب الكثيري. فبعد أن كوّن سلطانهم غالب بن محسن جيشًا من الموالي الأفارقة والقبائل المحلية، حاول إبعاد اليافعيين من حضرموت. ففي عام ١٨٥٠م هجم الكثيريون على الشحر، لكنهم لم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يفلحوا في السيطرة عليها؛ وذلك لأن مأجوريهم الأتراك لم يستطيعوا إنزال القوات إلى البر بسبب الرياح الخريفية غير المواتية، ومقاومة آل الكسادي اليافعيين، المسيطرين على المكلا، وآل البريكي، حكام الشحر [١٤٤ ص١٧٧-١٧٨].

في خريف ١٨٦٦م هاجمت القوات الكثيرية المؤلفة من ثلاثة آلاف الشحرَ من ثلاث جهات. وقاد الفصائل المقتحمة خال السلطان غالب من جهة الأم – عبود بن سالم، وعمُّه من جهة الأب – علي بن أحمد، وشقيق السلطان – عبدالله بن محسن [١١٤ ص١٧٩، ١٨٦]. وبسقوط المدينة انتهى كيان السلالة البريكية. وكان آخر ممثليها علي بن ناجي، قد هرب إلى عدن، ولم يفلح في الحصول على مؤازرة من الإنجليز، على الرغم من أنه عقد معهم قبل ذلك بثلاثة أعوام اتفاقية تجارية. وحاول الكثيريون احتلال المكلا من جهة المدخل، لكن ما إنْ حصل اليافعيون على تعزيزات حتى طردوهم إلى الشحر. وبهذا هدأت العاصفة الهجومية للسلطان الكثيري.

وبقيادة القعيطي أمسك اليافعيون بزمام المبادرة، وفي نهاية الخمسينيات كانوا قد وسعوا أراضيهم في حضرموت الداخل. ففي عام ١٨٥٨م امتلكوا شبام كلَّها بعد أن أبعدوا منصور بن عمر الكثيري، وخلال عام اشتروا من آل عمر بن جعفر بن عيسى الكثيري، بلدة حورة، إلى الشمال الغربي من القطن [١٢٢ م١ ص١٣٢]. وانحصر الهدف الرئيس للقعيطي في احتلال الشحر.

جرى إعداد العملية على وجه السرعة، لكنْ بدقة غير متناهية. وبهدف استخدام المكلا والطرق إلى حضرموت الداخل عبر وادي دوعن تم عقد اتفاقية مع الكسادي. وجرى في عدن وبومبي شراء الأسلحة. وبطلب من حكومة حيدرآباد لم تستحسن الإدارة البريطانية في بومبي النزوح الجماعي للناس، الذين استأجرهم القعيطي.

في أواخر يناير ١٨٦٧م كان عوض بن عمر القعيطي (الأكثر حيوية من بين خمسة أولاد عمر بن عوض المتوفَّى عام ١٨٦٥م)، قد أوصل إلى المكلا السفن القتالية المزوَّدة بالمدافع، والقوارب الشراعية، وعلى متنها (٢٠٠) من اليافعيين، و (٥٠٠) من الرويلة الأفغان من الجيش النظامي [١٠٦ - أ ص٨١]. ووصل عدد القوات القبلية اليافعية إلى ألفي مقاتل، وانضمَّ إليهم التميميون، خصوم آل الكثيري. وفي إبريل١٨٦٧م أصبحت الشحر قعيطية حتى الأيام الأخيرة لوجودها.

لم تفلح محاولة اليافعيين لتعزيز نجاحاتهم وسحق الكثيريين في سيئون وتريم شتاء عام ١٨٦٨م. فالموالي الأفارقة والأفغان واليافعيون "القدماء" و"الجدد"، والقبائل من نهد وآل تميم كانوا مشتتين، وكانت طاعتهم للقيادة سيئة. كما أن صلاح بن محمد الكسادي، زعيم السلالة العسكرية التي تسيطر على المكلا وبروم وجزء من وادي دوعن، امتنع عن المشاركة الفاعلة في التوسع القعيطي. ولقد أبقى هذا الفشل على السلطنة الكثيرية فيما انهار التحالف بين القعيطي والكسادي.

في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت على المسرح السياسي في حضرموت شخصيات مؤثرة جديدة. ففي عام ١٨٦٩م عاد عوض بن عمر القعيطي إلى حيدر آباد، بعد أن سلَّم مقاليد حكم الشحر لشقيقه عبدالله. وفي عام ١٨٧٠م توفي السلطان غالب بن محسن الكثيري، وورث لقبه الابن منصور. وفي عام ١٨٧٣م أصبح عمر بن صلاح الكسادي نقيبًا، بعد وفاة الأب.

اصطدم النقيب الكسادي الجديد مباشرة بالانتفاضة في حضرموت الغربية؛ حيث دارت معارك بين المشايخ آل العمودي وحامية محجم الكسادي في وادي لَيْمَن، في المفرق الغربي لوادي دوعن [١١٤ ص١٤٩-١٥٠، ١٥٦؛ ١٠٦-أ ص١٣١-١٣٢].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وتشجيعًا للمنتفضين، طالب عوض بن عمر القعيطي من النقيب عمر الكسادي سداد الدُّيُون الكبيرة، فوافق على بيع المكلا أو بروم جزئيًا أو كليًا عِوَضًا عن الدُّيُون. وكانت المباحثات حول ذلك قد جرت في عهد النقيب صلاح في عام ١٨٦٨م [نص الاتفاقيات انظر: ١٠٦-أ ص٢٦٨-٢٧٢].

في خريف١٨٧٣م وصل الأمر إلى حد الاشتباك المسلح بين حلفاء الأمس، ولم ينته في صالح القعيطي؛ فقد نظم النقيب وخصوم القعيطي التحالف الثلاثي الكسادي-الكثيري- العولقي، واحتلوا غيل باوزير والريّان، وتأهبوا للمسير إلى الشحر.

وفي ذلك العام ١٨٧٣م نفسه، ومن غير توقُّعِ أيِّ هجوم، سدَّد القعيطيون ضربة قوية عند المشراف. وفي عام ١٨٧٥م لم يفلح الكثيريون في السيطرة على شبام، وسَلَّموا في الأعوام اللاحقة جزءًا من تريم للقبائل المحلية، أما غيل باوزير فللقعيطيين. وسَلَّم النقيب عمر الكسادي الريّان من غير قتال إلى رجال عوض بن عمر. وفي عام ١٨٧٦م انسحب العوالق من الحزم والصداع، وغادروا حضرموت من غير رجعة. وبذلك انتهى التحالف الثلاثي [١٠٦-أ ص١٤٢].

عقب احتلال الأتراك لليمن عام ١٨٧٢م، عزّزت بريطانيا العظمى وبسرعة أمنَ مواصلاتها البحرية من الهند إلى عدن. ووقعَ الرِّهَانُ على أفراد الأسرة القعيطية، الذين كانوا قد أبدَوا الاستعداد للتحالف مع الأتراك في سبيل ضم المكلا (المباحثات معهم جرت في صنعاء في يناير ١٨٧٤م [١٠٦- أ ص١٥٠]).

قام النقيب عمر الكسادي بتعزيز المكلا من جهة البرِّ، ولهذا السبب دبَّر القعيطي الضربة من البحر، واقتنى الأسلحة والسفن في جاوة ("فلوكس")، وفي الهند

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

("بهلوان") وفي إيطاليا ("جواد"). وبوشاية من الكسادي حجزتْ بريطانيا العظمى هذه السفن في عدن ونزعت منها السلاح، مُصِرَّةً على أنَّ الخلافَ ينبغي أنْ يحلَّ بمساعدتها فقط (كان العثمانيون وشريف مكة قد اقترحوا تقديم خدماتهم للحل) [١٢٢ م١ ص١٣١-١٣٢؛ ١٠٦-أ ص١٥١-١٥٢].

وفي سَعْيٍ منها لعزل الكسادي، دفعت بريطانيا العظمى الكثيريَّ إلى التوقيع مع القعيطي على اتفاقية سلام وتعاون مُدَّتُها عشرُ سنوات. وفي مقابل ذلك وعدتْ بعدم تقديم مساعدة للنقيب عمر الكسادي من غير موافقة القعيطي، وحصل أتباع السلطان الكثيري على إمكانية استخدام ميناء الشحر في الأغراض السلمية. كما تم عقد اتفاقية مع آل تميم والمناهيل [١٠٦-أ ص١٥٦]، وانتهت بعد ذلك سنوات كثيرة من الفتن في تريم. [نص الاتفاقية انظر: ١٠٦-أ ص٢٧٦-٢٧٨].

وبمبادرة من الجانب البريطاني عقدَ حاكمُ الشحر وحاكمُ المكلا كذلك مصالحةً لمدَّةِ عامَيْنِ، بَـيْـدَ أنَّ هذا الإجراء لم يستطعْ تلافي التصادُمَ الحاسم.

كانت هناك العديد من المقترحات حول مستقبل المكلا وبروم، لكن النقيب عمر لم يقبل ولا واحدًا منها. وظل يكافح للحفاظ على دولته، وطلب الحماية من بريطانيا العظمى فأخفق في ذلك، وأجرى مباحثات مع الحكام الأتراك ومع سلطان مسقط. أما القعيطيون فأعدُّوا بمعونة الإنجليز عملية عسكرية لاحتلال المرافئ. وفي نهاية أكتوبر ١٨٨١م بدأ الأسطول البريطاني حصار بروم والمكلا، وتقدَّم المشاةُ القعيطيون مشدِّدين الحصار، وفي ٦ نوفمبر دخلت القوات القعيطية- البريطانية المكلا، واستسلم النقيب عمر، وتم نَـفْـيُـهُ إلى زنجبار مع أسرته ومئاتٍ من أنصاره [١١٤ ص١٦٩-١٧٠؛ ١٠٦-أ ص١٨٩].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في معاهدة الصداقة، الموقعة في ٢٩ مايو ١٨٨٢م، بين الحكومة البريطانية وعبدالله بن عمر القعيطي وأخيه عوض بن عمر ورد أنَّ الأخوَيْنِ وورثتَـهما يملكون الحقَّ في كلِّ شيءٍ كان يملكه النقيب عمر بن صلاح الكسادي، وأُلْزِمَا بأنْ يدفعا له مائة ألف ريال ، ومن جانبها تدفع لهما الحكومة البريطانية مبلغًا سنويًا قدرة ٣٦٠ ريالًا، إذا ما بقيا وورثتهما ملتزمين بشروط المعاهدة. وأهمُّ شروطها إلزام الجانب القعيطي بأن لا يبيع أو يرهن أو يتصرف بشكل أو بآخر في ممتلكاته: الشحر والمكلا وبروم والمناطق المتعلقة بها، لأيِّ شخص أو دولة غير الحكومة البريطانية. وكان ينبغي لهذا الشرط أن يستثني تشكيل دولة جديدة في حضرموت عن طريق شراء الأماكن المأهولة بالسكان. الشرط الآخر أعطى بريطانيا العظمى الحقَّ في الإشراف الكامل على الأمور المتعلقة بعلاقات القعيطي مع الرؤساء المجاورين ومع الدولة الأجنبية. وقد أوضحت المعاهدة القعيطية- البريطانية لعام ١٨٨٨م النقاط الأخيرة بتفصيل أكثر [انظر النص: ١٠٦-أ ص٢٧٩-٢٨٣].

وبادِّعَائهم بجميع ميراث الكسادي، وسَّع الحكام القعيطيون نفوذهم في وادي دوعن؛ حيث كانت قوات النقيب قد خرجت من هناك عام ١٨٧٣م. ومن خلال تدخُّله في النزاعات بين قبائل حضرموت الغربية ساند عوض بن عمر القعيطي الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عبدالكريم العمودي من آل مطهر، ولكن سرعان ما عزله. ودفاعًا عن الشيخ عبدالرحمن هبَّتْ قبائل الدَّين والقشم، فجاء منهم ألف وخمسمائة مقاتلٍ. ومن جانبه أرسل حاكم الشحر السلطان القعيطي قواتٍ يقودها مولاه الماس وفي مرتفعات وادي دوعن انضمَّتْ مع فصائل صلاح بن محمد القعيطي، الذي قدمَ من

القطن. وفي عام ١٨٩٩م وبعد معارك عديدة أصبحت جميع فروع وادي دوعن (وادي لَيْمن) ضمن سلطة القعيطي. وأُسْنِدَ حُكْمُ الوادي إلى عميد سيبان عمر بن أحمد باصرة الخامعي [٧ ص١٣٣؛ ١١٤ ص٢٢٩؛ ١٢٢ م٢ ص١٣-١٩؛ ١٠٦-أ ص٢٢٧].

وكانت التفرعات الشرقية لوادي دوعن (وادي ليسر) قد ضُمَّت إلى السلطنة القعيطية في القرن العشرين. وفي عام ١٩٠٢م، بدأ هناك الخصام بين زعيم قبيلة بلحمر وقبائل الخنابشة- أنصار باصرة. في الأعوام ١٩٠٧- ١٩١٠م جرت المعارك في وادي ليسر. واقتحمت القوات القعيطية المراكز المتمرِّدة (وهكذا كان قرن باحكيم قد احْتُلَّ عام ١٩٠٨م). ومن خلال وساطة السادة آل العطاس تسنَّى عقد الصلح، ولكن السكينة النهائية في حضرموت الغربية لم تتبعْ ذلك.

إنّ فَصْلَ سلاطين الكثيري عن السواحل، لم يُـلْـغِ خططهم لاحتلال الشحر وطرق القوافل، التي تربط حضرموت الداخل مع الموانئ. فمنذ عام ١٨٨٣م حاول عبدالله بن سالم الكثيري اجتلاء رد الفعل المحتمل من قبل بريطانيا العظمى على مثل ذلك التطور للأحداث. وفي ربيع عام ١٨٨٤م كان رد الإدارة الاستعمارية واضحًا: قمع أية محاولة للانتقام بالقوة [١٠٦-أ ص٢١٦-٢١٧].

هدّد استفحال الجدل داخل السلالة المالكة حول وراثة عبدالله بن عمر القعيطي، الذي وافاه الأجل عام ١٨٨٨م، استقرار الدولة القعيطية، فقد أراد ولداه حسين ومنصور اقتسام الأملاك بينهما، لكن شقيق المتوفَّى عوض تدخَّل فأعطى غيل باوزير لمنصور، أما الشحر فخصَّصها مناصفة بين حسين بن عبدالله وابنه غالب بن عوض. من جانبه رفض حسين الاعتراف بالحكم، وهكذا فمنذ عام ١٨٩٦م انقسم اليافعيون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إلى أنصار لأبناء عبدالله بن عمر (بزعامة الموسطة)، وفريق يناصر عوض بن عمر (بزعامة الضُّبَي). ولم تستطع المرافعة إلى بومبي، ولا المجلس التحكيمي لمنصب عينات السيد أحمد بن سالم السقاف في حل النزاع [١٠٦-أ ص٢٢٢-٢٢٣]. وساند الإنجليز عوض بن عمر. وفي عام ١٩٠٢م حصل على لقب سلطان الشحر والمكلا (كان قبل ذلك قد حمل الرتبة العسكرية لجيش النظام- جمعدار) وتُقَدَّم له التحية بتسع طلقات مدفعية [١٠٦-أ ص٢٢١]. ولم يتمَّ نَـقْـلُ العاصمة القعيطية من الشحر إلى المكلا إلاّ في عام ١٩١٠م، بعد وفاة السلطان عوض بن عمر.

وبتذليل النزاعات الداخلية، استمر القعيطيون في بناء الدولة. وفي عام ١٩٠٤م حاولوا أن يشتروا من السلطان الواحدي أراضي خصبة بالساحل، إلى الغرب من المكلا، في منطقة ميفعة، وبلدة بير علي وبلحاف- مَرْكَزَي عصابات السلاح. لكن الإنجليز منعوا جزئيًا هذه الصفقة، وظلّتْ بير علي وبلحاف مع الواحدي. وفي الوقت ذاتِـهِ شجَّعَتْ توسُّعَ السلطنةِ القعيطيّةِ على حساب الأراضي القبلية المتقدِّمة في حضرموت الداخلية. وهكذا فإنَّ قبائل نوّح المقاتلة قد خضعتْ للسلطنة القعيطية في عام ١٩١٤م، بعد حِصَارٍ اقتصاديٍّ طويل، وبوساطة اثنين من المناصب آل العطاس، حسين بن أحمد من عمد، وأحمد بن حسين من حريضة [٧ ص١٤١-١٧٦]. وفي آنٍ واحدٍ انتقلتْ أيضًا منطقة وادي ساه إلى الجنوب الشرقيِّ من سيئون إلى إشراف القعيطي؛ فقد اشتكى سُكَّانُ ساه من استبداد قبائل آل جابر، فاتجهوا بطلب المساعدة إلى القعيطي، وحَكَمَتْ له المحكمة في عدن بتلك الأراضي، رغم اعتراضات حكام آل كثير [١٠٦-أ ص٢٢٨؛ ١٢٢ م٢ ص٢٩].

تشكّلتْ علاقات السلطنة القعيطية مع القبائل بصعوبة. فإذا كانت اتفاقية ١٩١٨م مع قبيلة آل تميم قد هَدأت الظروف، فإنّ الصِّلاتِ مع الحموم، الذين أمسكوا بأيديهم طريق القوافل من الشحر إلى حضرموت الشرقية، اتسمت بالتوتُّر المستمر [١٠٧]. واعتبر الحموم أن السلاطين منافسون سياسيّون واقتصاديّون لهم، ويطمحون إلى الاستحواذ على امتيازات القبائل الطبيعية.

إن الحرب العالمية الأولى قد نشَّطَت الصِّلاتِ بين تركيا والسلطنة الكثيرية. فبعد احتلاله لَـحْجَ توجَّهَ القائدُ التركيُّ علي سعيد باشا إلى الكثيري والسادة و"كبار رجالات حضرموت" برسائل يدعوهم فيها إلى قطع العلاقات مع الإنجليز و"أتباعهم" من آل القعيطي [١٠٦-أ ص٢٣٦]. وفي متحف سيئون للمخطوطات التابع للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (وثيقة رقم ٤٩ لعام ١٣٣٤هـ/ ٥- ١٩١٦م) تُحفَظُ شهادةٌ تُـفِـيْـدُ أنَّ الدعوة التركية قد وجدتْ لها صدًى، وهو " قَسَمٌ للدولة العثمانية العلية من سادة حضرموت وحكَّامها في أنهم يعدُّون أوفياءَ للدولة العلية، ويرفضون أية حماية من الدولة الإنجليزية".

كان رد السلطنة القعيطية والحكام البريطانيّين على هذه الخطوة الكلامية بالحصار الاقتصادي، وعزل آل كثير عن الموانئ البحرية. وبنفاد الاحتياطات الداخلية، وعدم وصول المساعدة المنتظرة من تركيا، ذهب الكثيريُّون إلى المفاوضات في عدن، في ٨ مايو ١٩١٨م، عندما كانت الحرب العالمية الأولى قد اقتربتْ من نهايتها، وتمَّ التوقيعُ على اتفاقية القعيطي- الكثيري [انظر النص: ١٠٦-أ ص٢٨٤-٢٨٧].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبموجب الاتفاقية قَـبِـلَ الجانبُ الكثيريُّ الانضمامَ إلى المعاهدة الموقَّـعة بين الدولة البريطانية والدولة القعيطية سنة ١٨٨٨م (المادة ٥). وحُدِّدَتْ حدودُ السلطنة الكثيرية: سيئون وتريم وتريس والغرف ومريمة وغيل بن يمين وأراضي قبيلة الشنافر (المادة ٢). وأكّدَتْ ثباتَهم وعدمَ اعتراضِهم على حكم حضرموت، ما عدا المناطق المذكورة (المادة٤). ووقف الفتن السابقة بين الجانبين ونسيانها (المادة ٦). وأن يكون آل عبدالله الكثيري مستقلِّين في حدودهم المعينة (المادة ٣). وجميع النزاعات بين طرفي الاتفاقية تحلُّها الدولة البريطانية بالتحكيم بواسطة والي عدن (المادة ١١).

إنَّ المبدأَ الرئيسَ قد ورد في المادة (١):"يرتضي السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا وسلاطين آل عبدالله الكثيري أن يكون إقليم حضرموت إقليمًا واحدًا وأن الإقليم المذكور هو من متعلِّـقات الدولة البريطانية، تابعًا لسلطان الشحر والمكلا" [١٠٦-أ ص٢٨٤].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

(١٩١٨- ١٩٦٧م)

إن الدراسة المفصلة للتاريخ السياسي للمنطقة في المرحلة المنظورة [على سبيل المثال: ١٣١، ١٢٨، ١٦٢] تتيح الانتباه لتلك الحقائق التي أثَّرت جوهريًّا في الوعي الاجتماعي للحضرميين، وبشكل خاص في تكوينهم السلالي.

إن الباعث في تطوُّر الوعي الاجتماعي لدى الحضارمة في الخارج، ثمَّ في داخل البلاد، كان كما يبدو، سببًا عديم الأهمية، وهو خرق قاعدة زواج الكفاءة. ففي عام ١٩٠٥م، حدَثَ أنَّ امرأةً من السادة (شريفة) تزوَّجتْ على مسلم غيرِ علوي (أي لا ينتمي إلى السادة أعقاب أحمد بن عيسى باعلوي)، فضلًا عن كونه غيرَ عربي أيضًا. وجرت الأحداث اللاحقة بعيدًا خارج حدود الحلقات الحضرمية في"الهند الهولندية" (حوالي ٣٠ ألف شخص) [١٢٢ م٢ ص٢٤١].

وفي الرد على الاستفسار عن صحة مثل ذلك الزواج، أصدر السيد عمر بن سالم العطاس فتوى، حَرَّم تزويج العلوية "من آل البيت" لغير العلوي مستشهدًا بالقرآن، والأحاديث النبوية والتطبيق الإسلامي. وفي الفتوى تحدَّث العطاس عن أربع درجات في النكاح:

١- العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم.

٢- قريش لا يكافئهم غيرهم من العرب.

٣- بنو هاشم لا يكافئهم غيرهم من قريش.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٤- أولاد فاطمة الزهراء، بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم، لا يكافئهم غيرهم من بني هاشم.

وتدليلاً على ذلك أورد حديث الرسول ﷺ: "من آذى أهل بيتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله"، وقوله ﷺ: "مَنْ كُنْتُ مولاه فعَلِيٌّ مولاه". وبالتالي، يعلِّق العطاس على الحديث الأخير، وهل يجوز تزويجُ العبدِ مولاته؟!.

وعلى النقيض تمامًا من استنتاجات الفتوى سمح بمثل ذلك الزواج محمد رشيد رضا، من مريدي مفتي مصر، المصلح محمد عبده، مُنَظِّر القومية العربية المبكِّرة، الذي أصدر في مصر مجلة "المنار"، وفيها نُشرت الوثائق الرئيسة للمرحلة الأولى من الجدل [المنار، ١٦ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ الموافق ٢١مايو ١٩٠٥م، المجلد٨، القسم٦]. وقد كتب رشيد رضا أن جميع المسلمين متساوون بغضِّ النظر عن الأصل ولون الجلد، وأن الشريعة ينبغي أن تخدم الحرية والمساواة، وليس الانقسام والتفاضل. وحسب رأي رضا فإنَّ بعض الأحاديث التي اقتبسها العطاس، يفسِّرها على وفق هواه، وبعض منها غير موثوقة، و"إسنادها ضعيف". وعلى وجه الخصوص فقد أحدث الاستياء تأويلُ الحديث عن ولاية علي على المسلمين، التي فهمها العلويون كدليل لأفضلية "آل البيت" على جميع الناس. وأكَّد رضا أن الناس ليسوا عبيدًا للعلويين [١٢٢ م٢ ص٢٤٨].

أسس المهاجرون الحضرميون، أنصارُ موقفِ محمد رشيد رضا، في عام ١٩١٤م في بتافيا (جزيرة جاوة) جمعية الإصلاح والإرشاد. جاء كثيرون منهم من صفوف جمعية الخير العربية. وأصبح أعضاء الجمعية الجديدة والمتعاطفون معها يُسَمَّوْنَ الإرشاديين.

وفي عام ١٩١٥م جرى تأسيس مدرسة "الإرشاد"، ودَرَّس فيها غالبًا معلِّمون سودانيون. وللمرة الأولى فُرض التعليم المشترك.

نصَّ البند الثاني من نظام الجمعية على ما يلي: "غرض الجمعية جمع الأموال وصرفها فيما يأتي:

١- السعي إلى إصلاح الأمة الإسلامية عمومًا والعربية خصوصًا، وترقيتها أدبياً واقتصاديًا بنشر الدين الإسلامي، وبثّ الآداب، والأخلاق الفاضلة، ونشر العلم، واللغة العربية.

٢- القيام بالمشاريع الخيرية: كالمدارس وبيوت الأيتام والأرامل والعجزة والمستشفيات، وتتوسَّل الجمعية إلى أغراضها بالتأليف والنشر، وعقد الاجتماعات، وإلقاء المحاضرات، وإرسال البعثات، وإنشاء النوادي والمكاتب العمومية، ومساعدة الجمعيات، التي تتفق مع هذه الجمعية في المقصد، بشرط أن يكون ذلك غير مخالف للدين الإسلامي ولا لقوانين الحكومة المحلية [١٢٢ م٢ ص٢٥٧-٢٥٨].

إن باستطاعة أي مسلم أن يكون إرشاديًا، وكانت قيادة الجمعية منتخبة ومحاسبة ودورية، ولكن ووفقًا للفقرة (٥) فلا يجوز لأحد من العلويين أن يكون عضوًا من أعضاء الرئاسة أو وكيلًا لها. وجاء هذا المنبع، كما يوضح صلاح البكري إنَّ العلويين عند بدء حركة الإرشاد كانوا يقولون: إن الحضارم من غير العلويين لا يستطيعون أن يقوموا بمشروع إن لم يكن قائدهم علويًا، فأراد هؤلاء أن يبرهنوا لنا أن النجاح في الأنشطة المنظمة ممكنٌ أيضًا من غير قيادتهم [١٢٢ م٢ ص٢٦٠ هامش١]. ومع ذلك فإن السادة كانوا بين المؤسسين والأعضاء النشطاء (على سبيل المثال من آل الحبشي)،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

لكن الدور الرئيس في الحركة الإرشادية، بما في ذلك تمويلها المالي، قام به المشايخ والقبائل (اليافعيون، آل تميم، آل كثير).

في موقفهم من الحواجز الطبقية للمجتمع التقليدي أراد الإرشاديون تحويل مفهوم "سيد" واستخدامه ببساطة، كما هو مستعمل في شمال العالم العربي، كنداء لطيف مؤدَّب. ولقد نشرت صحيفة "الإرشاد" ودافعت عن محيط واسع من الأفكار التنويرية والاجتماعيّة والاقتصادية.

قاد "الحزب" العلوي حملة شرسة ضد الإرشاديين، متهمًا خصومه بالخطط التخريبية السرية، التي تذهب بعيدًا خارج إطار النظام العلني للجمعية. فالإرشاديون كما وصفتهم أساليب جدل مناقشيهم العلويين كما قالوا للقنصل التركي: "إن معلِّمي "الإرشاد" ومؤسِّسي مدارسها من جواسيس الإنجليز ومروّجي سياستهم، ويقولون للأهالي الوطنيين: إن هذه المدارس قد أسست بأموال كنيسة روما لتنصير أولاد المسلمين، ويقولون لعمال الإنجليز: إن الجمعية متصلة بجمعية الاتحاد والترقّي التي في تركيا أو البلشفيك، وشأنها تدبير الثورات في البلاد الشرقية ضد إنجلترا وحلفائها. وكانوا يقولون عن هذه الجمعية إنّ معلِّمَها الأكبر الشيخ أحمد بن محمد السكورتي هو ابن أخت المهدي السوداني، ويدَّعون أنه يخطِّط لثورة مهدويَّة ضد الحكومة الهولندية" [رسالة إدارة "الإرشاد" في وزارة الخارجية الإنجليزية، انظر: ١٢٢ م٢ ص٣١٥].

لقد ربط خصوم الإرشاد الحركة الإصلاحية مع أي من القوى الخارجية القادرة على إقلاق الإدارة الاستعمارية- الهولندية في إندونيسيا، والبريطانية في سنغافورة والهند وفي الجنوب العربي. واستخدموا في ذلك أساليب التأثير الديني، وهكذا، ففي عام ١٩١٨م

التمسوا من شريف مكة أن يمنع الإرشاديين من القيام بالحج [١٢٢ م٢ ص٢٧٨]. وخطب السادة في المحافل والمساجد، أن الإرشاديين قد اشترتْهم روسيا البلشفية للدعاية لـ"أفكار الشيوعية، ولعصيان كل السلطات وللإباحية الأخلاقية" [١٢٢ م٢ ص٢٨٤].

أعطت الدعاية المضادة للإرشاديين ثمارها. ففي البلاغ الرسمي المشترك للسلطانين القعيطي والكثيري (١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م) دعيا المهاجرين الحضارمة، وقبل كل شيء أولئك الذين ينتمون إلى"آل البيت"، أن يطردوا من صفوفهم "الجواسيس والخوارج"، وهدَّدا بكشف كل الإرشاديين بالأسماء [١٢٢ م٢ ص٢٨٦]. وفي البلاغ الرسمي الصادر في ٢٢ رجب ١٣٣٨هـ الموافق ١٢ إبريل ١٩٢٠م مُنعت الجمعية في أراضي السلطنة القعيطية، وكتب السلطان غالب بن عوض[1] بلاغًا فحواه أنَّ جمعية الإرشاد، تنشر البغي والفساد، وأطلق عليها بلشفيكية غير منظمة [١٢٢ م٢ ص٣٠٥-٣٠٦]. ومن جانبها أوقفت السلطات البريطانية أكثر من مرة منحَ الجوازات للإرشاديين، المتَّجهين إلى سنغافورة أو العائدين إلى الوطن.

وفيما بعد، وتحديدًا في الثلاثينيات، لم يخبُ وهج الصراع: فالسلطان الكثيري عند استقباله في حضرموت الرحالة والدبلوماسي الهولندي د. فان در ميلين، طلب المساعدة في إبعاد جميع الحضارمة المتآمرين ضد سلالته من الهند الهولندية، أما سادة تريم فدافعوا أمام الضيف الهولندي بغَـيْرَةٍ على موقف أقربائهم، في جاوة [٨٨ ص١٢١-١٢٢].

١) حسب المصدر الذي استند إليه المؤلف وهو كتاب صلاح البكري "تاريخ حضرموت السياسي" ج٢ ص٣٠٤ ط١، فإن هذا البلاغ مزور وأن جماعة من العلويين هم وراء تزويره ونسبوه إلى السلطان غالب بن عوض القعيطي" [المترجم]

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبصرف النظر عن الاتهامات المستمرَّة بالراديكالية السياسية، فإن الإرشاديين كانوا ينتمون إلى الاتجاه الإصلاحي المعتدل، الذي يعكس مصالح النفسية الوطنية للبرجوازية التجارية، بحلقاتها تلك، التي لم تكن راضية عن الاحتكار الديني والاقتصادي للسادة. وبرز في هذا الصرع بوضوح الجدل التاريخي بين السادة والمشايخ. ففي إحدى وثائق الإرشاديين (عريضة الإرشاد لوزارة الخارجية الإنجليزية) يضعون أنفسهم ضمن الطبقة الثانية، ويقولون في تلك العريضة: "الأمة الحضرمية، على الإجمال، سواء كانوا في وطنهم أو في مهجرهم عنصران كبيران. أحدهما يسمى بالعُرْفِ العامِّ عندنا باسم "المشايخ"، وهم أهل البلاد الأصليون، ونحن المقدِّمون إلى جنابكم هذه العريضة منهم. والعنصر الثاني يُـسَمَّوْنَ بــ" العلويِّين"، وهم الذين نشتكي منهم ونستغيث بكم من شَرّ ما نتج من فتنتهم وحيلهم علينا، وهم – أي العلويون – وقوم أجانب عنا، هاجروا إلى بلادنا منذ قرون، يدّعون الانتساب إلى علي بن أبي طالب إلى نبي المسلمين محمد ﷺ من جهة ابنته [١٢٢ م٢ ص٣٠٧].

تمثَّلَ ردُّ الفعل المعادي ضدَّ الإرشاد من قبل العلويين بإنشاء رابطتهم الخاصة في بتافيا ومدن جاوة الأخرى، والتي أُطْلِقَ عليها "الرابطة العلوية"، وأصدرت الرابطة جريدة "حضرموت".

تنافست الحركتان في إنشاء المدارس العربية الجديدة وفي نشر الإصدارت الدورية، وسعى كل منهما إلى جذب المهاجرين الحضارمة.

كما جرتْ محاولات للإصلاح بين الجانبين المتخاصمين أكثر من مرة، وكانت كل لجنة مصالحة تحلُّ محلَّ الأخرى، والكثير من الشخصيات الإسلامية المعتبرة قبلتْ أن تقوم

بدور الوسيط، لكنْ بلا جدوى. ومن بين تلك الشخصيات رئيس جامعة الأزهر الإسلامية في القاهرة، بل وحتى محمد رشيد رضا، الرائد العفوي للنزاع الإرشادي – العلوي.

المبادرة التوحيدية الأكثر نجاحًا قام بها محمد بن عبدالله العمودي في عام ١٩٢٩م في مدينة سورابيا، حيث لَـمَّ شَعْثَ أهمِّ تنظيمات المهاجرين الحضارمة في إطار ائتلاف الوحدة العربية (باستثناء الرابطة العلوية). وظل الائتلاف قائمًا حتى عام ١٩٣٢م [١٢٢ م٢ ص٣٤٨-٣٤٩].

ومع نهاية العشرينيات اعتبرت معظم تنظيمات المهاجرين الحضارمة، حتى الأكثر محافظة، أنَّ وطنهم المنقسم سياسيًا، الذي تمزِّقه الحروب الأهلية، والجهل والتخلف، يحتاج إلى التجديد.

وفي ١٧ إبريل – ١٢ مايو ١٩٢٨م عقد المؤتمر الحضرمي في سنغافورة، الذي اقترح، بمبادرة من كبار تجَّار الجملة من الجماعة العلوية، عددًا من المطالب الاجتماعيّة – الاقتصادية لعرضها على السلطانين القعيطي والكثيري. ومن أهمها:

– تنظيم الخدمات الجمركية للسلطنتين في حضرموت، والقيام بتدوين العوائد والرسوم، ومنع الابتزاز التعسفي للأموال.

– تأسيس شركة تجارية وطنية، على أن تشتري الحكومتان ٥٪ من مجموع أسهم الشركة.

– إقامة شبكة من المشاريع الخيرية والصحية.

– توحيد المناهج التعليمية.

– إصلاح القضاء (استقلال القضاة، ودفع مرتبات شهرية ثابتة لهم، ومساواة الشهود أمام القانون، وإدخال المحاماة، وإنشاء الدوائر القضائية).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- مناقشة القوانين قبل إقرارها.

- ضمان حقوق المهاجرين الحضارمة في المساهمة في قضايا وطنهم.

- الطلب من السلطان صالح بن غالب القعيطي النظر في الخلاف الواقع بين الإرشاد والعلويين، والسعي للصلح والوفاق بينهما.

- السعي لإقامة صلح بين قبائل حضرموت لمدة أقلُّها خمس سنوات.

- إلغاء المسؤولية الجماعية لأفراد القبيلة عن أفعال أي منهم، ومقابل ذلك إلزامهم بمساعدة الحكومتين في إخضاعه [١٢٢ م٢ ص٦٦-٧٥].

وقرر المؤتمر الحضرمي إرسال وفد يمثله إلى الوطن لتوضيح موقفه. وقد رفض كلا السلطانين القعيطي والكثيري مشروع الإصلاح، الذي أُعِدَّ في سنغافورة. وإذا كان الإرشاديون قد عُوتبوا؛ لأن أحد قياداتهم، هو الشيخ أحمد السكورتي، غريبًا بالنسبة للحضارمة، فإن السلطان عمر بن عوض القعيطي وصف المشاركين في مؤتمر سنغافورة كمنفِّذين لإدارة رجل غريب يُدْعَى الطيب الساسي، الذي ليس له أدنى معرفة بحضرموت "ولا ناقة له ولا جمل فيها" [١٢٢ م٢ ص٦٤-٦٥]. ومن جانبه وعد السلطان أن يقوم في الوقت القريب بإجراء إصلاحات تدريجية. وبعد وفاته مطلع عام ١٩٣٦م، اضطر السلطان الجديد، صالح بن غالب في خطاب تنصيبه أنْ يَعِدَ ببعض التغييرات، منها: توسيع الأساليب المقدمة في الزراعة وإدخال التقنية الاقتصادية الحديثة، وإصلاحات قضائية معينة، والتسهيلات التجارية [١٢٢ م٢ ص٨١-٨٤].

إنَّ تأثير بعض نقاط برنامج سنغافورة عام ١٩٢٨م، قد ظهر بوضوح في شروط "صلح انجرامس" عام ١٩٣٧م، عندما تـمَّ في نهاية المطاف عقد الصلح بين قبائل

حضرموت، تحت ضغط المندوب الإنجليزي، وبالاستناد إلى السلطان القعيطي وسادة تريم آل الكاف.

سبقت الاتفاق الزيارة التي قام بها عام ١٩٣٣م المندوب السياسي البريطاني ب. ريلي، والرحلات التمهيدية لانجرامس عامي ١٩٣٤م -١٩٣٥م، وخلال تسعة أسابيع من وجوده في السلطنتين وضع انجرامس تقريرًا عن الأوضاع في البلاد، من وادي جردان إلى سيحوت، ومن البحر إلى العبر (بلاد الصيعر) [٧٥ ص٧]. وتيقَّن أن الهيئات السلاطينية لا تستطيع أن تجبي الضرائب في الكثير من التجمعات السكانية وأراضي القبائل، وأنه ليس لها أي نفوذ في الإدارة هناك، على الرغم من أن جميع الحضارم شكليًا يعدون رعايا السلاطين، ويغادرون إلى الخارج بجوازات قعيطية أو كثيرية [٧٥ ص١٠]، كانت قد صدرت خلال الأعوام ١٩١٠ – ١٩١٩م.

تنقسم السلطنة القعيطية إلى عدد من المناطق الإدارية: المكلا، غيل باوزير، الشحر، الديس، الحامي، ميفعة، فوّة، بروم، قسم من بلحاف، حبان وعين بامعبد، قصيعر، حجر، دوعن، حورة وهينن، شبام، عينات، ساه، ويعيش فيها أكثر من مائتي ألف من السكان الحضر وشبه البدو الرحل. وفي حدود السلطنة الكثيرية، المحددة في اتفاقية ١٩١٨م، بلغ عدد السكان أكثر من خمسين ألف نسمة [٧٥ ص١١-١٢؛ ١٢٢ م٢ ص٨٤-٨٥، ٨٨].

وخارج إشراف السلاطين كانت تقع أراضي سيحوت، قَسَم، بلاد قبائل الحموم، آل تميم، العوامر، آل جابر، المناهيل، الصيعر، نهد، الدّين، نوّح، الجعدة، ماضي، المشاجرة ...الخ، أي أراضي حضرموت الغربية – وادي العين، وجزء كبير من وادي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الكسر، ووادي عمد، باستثناء حريضة، أما في وادي دوعن فكانت توجد أجزاء مستقلة، من أشهرها بلدة القزة في مصب وادي الغبر، وقد استوطنها المقاتلون آل البطاطي، ودافعت القرية عن نفسها باقتدار ضد قبائل آل محفوظ من خريخر وصيلع المجاورتين، المعترفتين بسيادة السلطات القعيطية.

يتذكر سعيد بن محمد البطاطي، المولود في القزة (حوالي ٨٠ عامًا): أراد بنو محفوظ إعادة تقسيم الأراضي في وادي الغبر، وهم أولئك الذين عاشوا في قرية خريخر، وهؤلاء هم بن الشيبة، بن عجران، بن رعيس، والمراشدة، وأولئك الذين عاشوا في نحولة- بن طيران، وفي صيلع- بن يماني. لقد قصفوا بيوت القزة المحصنة على الجبل الصخري بالمدافع، التي جلبوها من جاوة، لكن آل البطاطي أعادوا خلال ليلة واحدة بناء ما دُمِّر. وفي أثناء الهجوم، فإن القزة كلها حملت السلاح، حتى بعض النساء. وكان القعيطي إلى جانب آل محفوظ، غير أن النزاع قد حل فيما بعد، ومرت الحدود بين صخور الجرشة. (وقد حاولت السلطات الكثيرية الصلح بين الطرفين في ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٩م، انظر الوثيقة رقم ١٨ في أرشيف المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف).

أمَّا النزاع في وادي ساه (١٩١٣ – ١٩١٤)، واشتباكات الدّين مع عامل القعيطي (١٩٢٣م) وغيرها من الخلافات الداخلية فقد قام بحلِّها وبمهارة السيد حسين المحضار الوزير القعيطي، المنحدر من قرية القويرة الدوعنية (توفي ١٩٢٧م)، وقد دخل اسمه الفلكلور الشعبي [انظر ج٣ ف١ الفقرات١-٢]، وكان يمتلك أيضًا موهبة ارتجال الشعر، التي ساعدته في اللحظات الصعبة. وسار ابنه أبوبكر، على خطى أبيه، لكنه اهتم بالتجارة أكثر من بالأعمال الحكومية [١٢٢ م٢ ص٧٦-٧٧].

في رحلة انجرامس تم التوقيع على عدد من الاتفاقيات الكتابية مع القبائل. وقد قسم هذه الوثائق إلى نموذج (أ)، ويقتضي الإخلاص بلا قيود للسلطان، ونموذج (ب) ويختص بالصداقة والتعاون على أساس المنافع المتبادلة. وضمن القبائل التي ربطت نفسها بعلاقات التفاهم (أ) وجد الحلفاء المخلصون للقعيطي، مثل آل تميم (الذين يؤلفون مع اليافعيين والموالي نواة جيش السلطان)، والسيبانيون آل باصرة. غير أنه كان هنا أيضًا القبائل المستقلة: المناهيل، العوابثة، والفروع الأخرى لسيبان أو نوّح المعتدلين منذ وقت غير بعيد. ووقّع المعاهدات (ب) الحموم، الشنافر، آل كثير، المهرة، الجعدة، العوامر، بنو هلال، العوالق، العمودي وغيرهم [٧٥ ص٩٢].

وكثيرًا ما تـمَّ خرق الاتفاقيات أفقيًا (أي بين القبائل وحكام السلاطين). أما الخروقات رأسيًا (بين القبائل) فكانت مقنَّـنة: تخاصمت سيبان مع الحموم، والمناهيل مع المهرة، والصيعر مع الجميع. وكثير من القبائل أحدثتْ صدامات قبلية داخلية. فالحروب الأهلية في وادي عمد، وهي صفة أيضًا في تلك المرحلة للمناطق الأخرى في حضرموت الغربية، دمَّرتْ اقتصاد الوادي، وأحرقت الكثير من أشجار النخيل، وهدمت المنازل، وآلت منشآت الري إلى التدهور، وامتدت "منطقة القتال" إلى كل مكان [٨٨ ص١٩٩، ٢٠٥]. وأذعن السادة آل العطاس في حريضة وعمد للسلطان القعيطي بالإكراه، ولذلك لامهم انجرامس على قصور الحكمة السياسية [٨٠ ص٢٤٨].

وفي أثناء رحلته الثانية عام ١٩٣٦م، رأى الممثل البريطاني أن مهمته الرئيسة هي التوقيع على اتفاقية هدنة شاملة. كتب انجرامس: "في بعض الأحيان، بدا وكأن توقيع أحد الزعماء كافٍ لتقييد عدة آلاف من الرجال المسلحين بالتعهد، وأذكر على الأقل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حالة واحدة، عندما جاء للتوقيع درزينة منهم، ومع ذلك لابد من الحصول عليه. وهكذا اجتمع لدينا أكثر من ١٤٠٠ "حكومة" متفرقة في دولتين اثنتين. كما كانت هناك عدة مئات من المدن المستقلة ذات السكان العُزَّل (حافظ رئيسها عادة على الموالي المسلحين، وأخذ الرهائن بغرض الأمن وعقد اتفاقيات الدفاع مع القبائل المجاورة)، وكذلك الحوطات (جمع حوطه) أو المدن المقدسة، التي لا تمس حرمتها حسب الأعراف القديمة أو الاتفاقيات. وبلغ إجمالي ما أحصيته في حضرموت ألفَيْ "حكومة" منفردة، من بينها فقط اثنتان، التي اعترفت بهما بريطانيا" [٨٠ ص٢٥].

أصبحت الهدنة الشاملة نافذة منذ شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ الموافق فبراير ١٩٣٧م، ولمدة ثلاث سنوات. وفي عام ١٩٤٠م جرى تمديدها لمدة خمس سنوات، ثم أيضًا إلى خمس سنوات أخرى. ومنذ ١٩٥٠م أصبح ميثاق "السلام الأهلي" دائمًا، رغم خرقه أكثر من مرة. وللمحافظة عليه أنشئ مجلس خاص للصلح، وبمساعدة الخبراء البريطانيين تـمَّ تكوين الجيش النظامي، وفي المدن الشرطة المدنية، ولحفظ النظام في المناطق الريفية تشكلت الجندرمة. كما تشكَّل جيش البادية على طراز الجيش الأردني، وكان عليه ضمان أمن الحدود والمناطق المتاخمة لها.

تركز الإشراف السياسي على حضرموت في عدن، التي انتقلت عام ١٩٣٧م إلى الإشراف المباشر لوزارة المستعمرات البريطانية، وقسمت جميع دويلات الجنوب العربي التابعة لبريطانيا إلى محميتي عدن الشرقية والغربية [٢٤٠ ص١٥-١٦؛ ١٦٢ص٤١-٤٢]. وفي ذلك العام أيضًا أصبح انجرامس أول مستشار بريطاني لدى السلطان القعيطي في جميع الأعمال، باستثناء مسائل العقيدة والعادات، ومنذ عام ١٩٣٩م امتدت صلاحياته لتشمل السلطنة الكثيرية أيضًا [١٩٧ م٢ ص٢٠٤].

وبسبب عصيان القبائل، ووفقًا لاتفاقية ١٩٣٧م، فرضت غرامات على القبائل (أغنام وعملات فضية)، وسلمت الرهائن والأسلحة. وانتظر المتمردون حملة القوات البرية، وغارات طائرات السلاح الجو البريطاني، مع الإخطار المسبق قبل بدء العملية بيومين. وكان مهبط المطار في حضرموت الغربية يوجد بالقرب من عنيبات (وادي عمد)، وكذا في بحران (وادي الكسر).

أول غارات القصف الجوي تعرَّضتْ لها قبائل بن يماني من قبيلة آل جابر، التي قامت في نهاية عام ١٩٣٦م بمحاصرة الطريق، التي أنشئت لتوِّها (طريق أبوبكر الكاف)، التي ربطت ميناء الشحر بتريم. وهذه الطريق، ثم فيما بعد طريق المرتفعات الغربية للمكلا - وادي دوعن، قوَّضتا احتكار القبائل المشتغلة بقوافل التجارة: آل جابر، المناهيل، الحموم، ثعين في الشرق، ونوّح، سيبان والعوابثة في الغرب. ورغبة من الحكومة في تهدئة القبائل، وعدتْ بأنْ تسمحَ للنقل على السيارات للركَّاب والحمولة كبيرة الحجم أو البضائع القابلة للتلف أوسريعة العطب فقط، أما بقية الأشياء فتكون من نصيب قوافل الجمال. وتـمَّ خرق ذلك الوعد، وجرَتْ حوادث على الطُّرُقِ مجدَّدًا. وفي عام ١٩٥٤م قصفت طائرات سلاحُ طيرانِ الجوِّ الملكيِّ في حضرموت الغربية سيبان؛ بسبب هجومهم على سيارات الشحن، وفي عام ١٩٦١م تعرّض لذلك المصير نفسه العوابثة وسيبان والخامعة والحيق؛ بسبب الامتناع عن تسليم السلاح لسلطات الحكومة [٨٠ ص٤٣]. وبعد عدة سنوات فإن رجال القبائل، أصحاب قوافل الجمال، أجادوا قيادة سيارات النقل، وحصروا استثمارها في أيديهم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما تأثير القبائل، التي كانت تقوم بتوريد العبيد عادة إلى أسواق جنوب ووسط الجزيرة العربية، فقد وهن جوهريًا بمنع تجارة العبيد، ابتداءً من معاهدة إلغاء الرقيق، التي عُقِدَتْ مع الكسادي عام ١٨٦٣م، ومع القعيطي عام ١٨٧٣م [انظر النص: ١٠٦-أ ص٢٦٤-٢٦٥]، وانتهاءً بمعاهدة عام ١٩٣٨م، التي أعلنت شكليًا أنَّ امتلاك العبيد غير قانوني.

وفي عام ١٩٣٩م تـمَّ في حضرموت تنظيم الخدمة البريدية. وقد سهلت أكثر صلة الأوساط المهاجرة مع المنظمات الاجتماعيّة، التي تعمل على نشر أفكار التنوير، المساواة والوحدة. على سبيل المثال، أولى هذه التنظيمات، رابطة التكافل الخيرية، التي تكوّنتْ عام ١٩١٧م في سيئون، لكنها لم تستمر طويلًا، وسرعان ما أغلقها السلطان.

ومنذ عام ١٩٢٨م نشطت في حضرموت رابطة الأُخُوَّة والمعاونة، التي دخل فيها محمد عبدالله الشاطري، محمد السري، محضار الكاف، علي بلفقيه والشخصيات الثقافية والاجتماعيّة المعروفة الأخرى، التي تناضل من أجل وحدة البلاد، ومن أجل قيام سوق اقتصادي واحد [١٧٨ ص٨]. لقد بدا إن الوضع لا يُطاق، عندما يعرف الحضرمي البراكين في جاوة أكثر مما يعرف المناطق التي لا تبعد سوى بضع ساعات مشيًا على الأقدام من بيته الأصلي، وعندما لا يتصور ساكن شبام كيف تبدو سيئون أو تريم أو الهجرين [٨٨ ص١١٧-١١٨، ١٢٥].

وبعودتهم إلى الوطن جلب المهاجرون معهم الأفكار الجديدة. فمنذ عام ١٩٣٠م عمل المؤتمر الحضرمي في حضرموت الغربية، ومنذ عام ١٩٣١م جمعية الإصلاح، ومنذ عام ١٩٣٦م الجمعية العلمية، ومنذ عام ١٩٣٧م نادي الشباب، وغير ذلك [١٨٧

ص١٠-١٣]. وفي رابطة المساواة التي أسسها عام ١٩٣١م محمد الجفري ومحمد السقاف وأحمد الصبان في سيئون برزتْ فكرة التعاون مع بواكير منظمات الحِرْفِيّين والمزارعين.

إنَّ أفكار الإرشاديين، القريبة من كثير من المتنورين، قد وجدتْ صَدًى لها من قبل العائلات، التجارية، الغنيّة في حضرموت الغربية (وادي دوعن ووادي عمد)، التي جمعت الثروة في المهجر: بلحمر، بصعر، باقيس، بن ماضي.

بالنسبة للكثيرين فإنَّ ممثلي أسرة بن عبدات الكثيرية قد أصبحوا رمزًا للإرشادية؛ حيث قاموا خلال الأعوام ١٩٢٤م - ١٩٤٤م بإصلاحات في مدينة الغرفة (حضرموت الوسطى)، بصرف النظر عن معارضة الإدارة الإنجليزية والسلاطينية [١٣٨ ص١٥].

قطعت الحرب العالمية الثانية الصلات الاقتصادية الخارجية لحضرموت. فتوقف استيراد البضائع، ولم تَـعُـدِ الأموالُ تصل من المهجر. وأحدثتْ تلك الأسباب، مضافًا إليها شحّة المحصول في عام ١٩٤٣م، والمجاعة في البلاد، التي أوْدَتْ بحياة أكثر من عشرين ألف شخص. كما خالف الحكّام الكثيريون العادة وطلبوا من المزارعين استعادة القروض عند جَنْيِ المحصول. وقد تزعَّم المعارضةَ العفويَّةَ للمُلَّاكِ والمستأجرين حمود باضاوي (١٨٨٠ــ١٩٦٦م).

قضى باضاوي، المولود في بور والمنحدر من أسرة فقيرة من الحرثان خمسة عشر عامًا في كينيا ("جاوة بالنسبة للفقراء"، كما كان يُطلق على شرق أفريقيا نسبة إلى الإنفاق القليل على الطريق)؛ حيث عمل جنديًا. ثم عاد إلى الزراعة، وبعد مدَّة أصبح زعيمًا فلاحيًا مُعْـتَـرَفًا به، وحصل على تأييد الجماعة الوطنية في سيئون "صوت الوطن". وفي الإضرابات والمظاهرات الأولى في حضرموت عام ١٩٤٤م دعا باضاوي الفلاحين إلى

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

نسيان صفة الازدراء "ضعفاء"، التي تُطلَقُ عليهم، وعدم الخوف من الحكَّام قائلًا: "إنَّ قوَّتَكم أكثرُ من قوَّتِهِم. لا تُخِيْفُكُم جنودُهم. وإذا أمسك كلُّ واحدٍ منكم بسعف نخيل، خالٍ من الورق، فإنهم سيهربون منكم، إنهم يُسَمُّونَكُمْ "ضعفاء"، والضعيف فقط هو ذلك الذي يُعْوِزُهُ الإيمان، نحن لَسْنَا ضعفاء، إذا نادَوْكَ في أيِّ وقتٍ "يا ضعيف"، فاصرف النظر عن ذلك بالكامل" [١٧٨ ص٢٨-٢٩].

إن وصول المتظاهرين إلى سيئون بعيدان النخيل قد دفع السلطة إلى التراجع. وفيما بعد، حينما تمَّتْ زيادة الضرائب على المزارعين في السلطنة عام ١٩٤٥م، فإن باضاوي مع أنصاره بدر بريك، ومحمد وسعيد بافطيم وآخرين نظَّموا إضرابًا شاملًا للفلاحين، أيَّدَهُ قسمٌ من حِرْفِيِّي المدن. وتواصلتْ خلال الأعوام ١٩٤٤ – ١٩٤٦م، وأطلق عليها الحضارمة "ثورة حمود باضاوي" [١٧٧ ص٣١-٣٢، ١٠-١٣].

في عام ١٩٤٨م أنشأ باضاوي جمعية المزارعين، ثمَّ حظرتْها حكومة السلطنة. وفي عام ١٩٥٩م استعادت الجمعية نشاطَها في كلا السلطنتين، أما في عام ١٩٦٤م فشُكِّلَتْ بمشاركة باضاوي اللجنة العليا لرابطة العمال والفلاحين، ودخل فيها أعضاء كثيرون من المنظمات، أكثر من ٥٠٠ شخصًا. وفي عام ١٩٦٥م أصبح نشاط رابطة العمال الحضارمة علنيًا، وفي ذلك العام أيضًا احتفل لأول مرة في سيئون بالأول من مايو [١٧٨ ص٣٠-٤٥].

حاول الحكام السلاطين أن يسايروا الظروف المتغيرة في البلاد. فنظَّموا الخدمات المالية والضريبية، ووضعوا ميزانية مالية سنوية. كما تمَّ فصل الملكية الخاصة للسلاطين عن ملكية السلطنة. وكحلقة ربط بين السلطان القعيطي وإدارته جرى تأسيس مجلس

للدولة، له مهام استشارية، وترأس الحكومة سكرتير الدولة. وفي عام ١٩٤٩م صدر قانون السلطة المحلية، الخاص بالمجالس البلدية والقروية. وفي عام ١٩٥٠م صدر قانون جنائي، مأخوذ من كتب الفقه والشريعة. واختص رئيس القضاة الشرعيين بمسائل الحقوق.

وفي عام ١٩٥٢م ظهرت المحاكم المحلية لدى هيئات السلطة المحلية لتسوية أمور النزاع بين الأهالي في مناطقهم. ومع ذلك فإن الرأي العام الراديكالي في حضرموت اعتبر تلك الإجراءات غير كافية [١١٤ ص٢٤١-٢٤٣؛ ١٩٧ ج٢ ص٢٢٨-٢٢٩].

لقد أثرت الأحداث داخل البلاد وخارجها وبشدة أكثر في وعي سكان حضرموت. كما قضتْ بتعيين الهُـوِيَّـةِ التقليدية [للمقارنة:١٤١ م٢ ص٦٦]:

١- حسب الانتماء والطبقة الاجتماعيّة (عند القبائل - وفقًا لصلة الدم أو القبلية).

٢- حسب المكان (مواليد أحد الأودية – حضارمة).

٣- حسب اللغة (يتحدثون لهجة واحدة – التحدُّث بالعربية، أي عرب).

٤- حسب العقيدة الدينية (سنِّي – شافعي – مسلم).

إن مفهوم " اليمنيين" سكان حضرموت، ظل لزمن طويل مرتبطًا على الأغلب بجبليي الشمال الغربي. ويستخدم مفهوم "عرب" كمرادف لمفهوم "الإنسان كامل الحقوق، الذي يتحدث لغة عادية". وبهدف قبول أفكار القومية العربية وانتشارها الواسع احتاج الأمر إلى سلسلة متكاملة من الأحداث السياسية الخارجية. ويمكن أن نعد أهمها ثورة ١٩٥٢م ضد الملكية في مصر، التي عزَّزت الميول المعادية للإقطاع في اليمن. كما كانت الإطاحة بالإمامة في شمال اليمن عام ١٩٦٢م، قد طرحت قضية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الكفاح المسلح في الجنوب. وغدت قضية الوطن اليمني الموحَّد تثار بحماس ليس فقط في صنعاء أو عدن، إنما كذلك في المدن الساحلية لحضرموت ومناطقها الداخلية، بما في ذلك أرياف حضرموت الغربية.

شارك أعضاء رابطة عمال حضرموت، التي أسهم في تكوينها باضاوي، بحيوية في الانتفاضات ضد المستعمرين والإقطاعيين المحليين. كما رحَّبُوا بانطلاقة الكفاح المسلَّح في غرب جنوب اليمن يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م. وأيد الكثيرون منهم الجبهة القومية، وانضموا إليها فيما بعد. وقوبل رهان الجبهة القومية على الدولة الموحَّدة والمستقلة للجنوب العربي بسياستها المعادية للسلاطين بتأييد القبائل. وفشلت النزعات المناطقية أو الانفصالية. وبدأ المجتمع الجديد، الذي انتهت فيه التمايزات الطبقية، يجرُّ الشباب الراديكالي من كل الطبقات إلى الأحداث الثورية (على وجه الخصوص الطبقات الأعلى والأدنى). وفي ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م خُلِعَ غالب بن عوض آخر سلاطين القعيطي، وفي ٢ أكتوبر خُلِعَ السلطان حسين بن علي الكثيري.

وبدأ تعيينُ الهوية الذاتية التقليديُّ يستبدل تدريجيًا بثلاثة مستويات جديدة: حضرمي ــ يمني ــ عربي. وهذا التحوُّل لم يستكمل كليًا حتى الوقت الحاضر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إن تصور سكان حضرموت - حَمَلَة الثقافة السلالية المحددة - عن ماضيهم الحضاري) يتصف بتشخيص التاريخ في النماذج الأسطورية، المروية والواقعية. وليس عبثًا أن المصنفات النموذجية للتاريخ الحضرمي هي السيرة الذاتية (الترجمة) أو مجموعة تراجم. وهذه الظاهرة مرتبطة من غير انفصام بالانقسام الطبقي للماضي الحضاري، حينما جرى تفريق العملية التاريخية الواحدة إلى عدد من الخطوط المستقلة، المتعلقة بهذه أو بتلك من الطبقات الاجتماعيّة. ولتعزيز وإعادة إنتاج التصورات المماثلة تستخدم التقاليد الشفوية والكتابية، ويغذي كل منهما الآخر بشكل متبادل.

إن التفرُّدَ الطبيعيَّ لحضرموت (الأراضي الساحلية، المرتفعات الجبلية، وشبكة الأدوية بين البحر العربي والصحراء) قد حدّدتْ إلى حدٍّ ما طابع تاريخها ــ التمازج الخاص للوقائع المكتملة والمتفرقة: الانقسام مع الميل إلى الوحدة.

يمكن تصوّر تاريخ حضرموت ببساطة سلسلة غير متناهية من الاعتداءات الخارجية والحروب الداخلية والجهل. غيرَ أنَّ جميع القوى الاجتماعيّة المتصارعة هنا قد سعتْ إلى السيطرة على الموانىء وطرق قوافل الجمال والأسواق والأراضي الزراعية، وحينما يتبيّن أن تلك الغاية بعيدة المنال، كان الصراع يجري على قطع منفردة من الأراضي (حتى على الشعب، العين، والبئر، أو مجموعة أشجار). ويصح القول الأخير

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالنسبة لحضرموت الغربية، فالأرياف هنا تعيش على طرق القوافل الغربية، وبعد الأباضيين الذين لم يعد لهم ذكر في التقاليد المحلية، جرت في المنطقة محاولة واحدة فقط (العمودي) لتأسيس دولة محلية، ومع ذلك فإن السلطان القعيطي لم يتمكّنْ أنْ يضمَّ هذه المنطقة بالكامل. وتظهر المقارنة مع حضرموت الشرقية، بيد أن حضرموت الغربية، مقارنة بها أكثر سكانًا وأكثر ثراء، ولها روابط واسعة وقوية مع المشرق العربي والمناطق التقليدية للمهاجرين الحضارمة.

في الدولة المستقلة في جنوب اليمن ألغي التقسيم الطبقي، وفقد السلاطين وشيوخ القبائل سلطتهم. ومُنِعَ التخاطبُ بالنداءات المهينة: عبد، ضعيف، مسكين، وحلَّتْ محلَّها كلمات عاملٌ وفلاح.

إنَّ إلغاء التقسيم الطبقي للمجتمع بدأ قبل إحراز الاستقلال بعشرات السنين. فالخلاف الإرشادي – العلوي في الثلث الأول من القرن العشرين قد قوَّض الاحتكار الديني للسادة. وفي الأوساط التجارية الحضرمية، التي تكوّنتْ في الخارج، تراجعت العلاقات الطبقية إلى المرتبة الثانية. كما أنَّ اتجاه مركزية الحكم السلاطيني والإدارة البريطانية قد سلب الزعامات المشيخية وعددًا من القبائل دورَها التقليدي، ولذلك تعزَّزت النزاعات المعارضة. وبدت الحكومة وكأنها بمَعْزِلٍ عن القومية العربية، وشيوع المبادئ السياسية الراديكالية. وكل هذا هيأ لانهيار النظام القديم.

حمل الزمن الحديث النجاح للعملية التكاملية. وتسارع تحديث المجتمع، وتغيير الوعي الاجتماعي. إن عملية التوحيد السلالي لسكان جنوب اليمن، في الوقت الراهن جميع سكان الجمهورية اليمنية، تسري كذلك على الحضارمة.

ويسهِّل التوحيد الاندماج السلالي للسكان (في جميع التباينات المحلية)، وتجانسه اللُّـغَـوِيّ النسبيّ، ووحدة الديانة للجنوب (الإسلام السني بمذهبة الشافعي). وتخفف عمليات التوحيد السلالي الانقسام الطبقي المتخلّف للمجتمع، ووجود النمط البدوي فيه (إلى جانب الأساس، النمط الحضرمي).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الجزء الثاني

الاقتصاد ومركبات نظام الإعاشة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الأول

الأعمال التقليدية

تنتمي حضرموت إلى واحد من المراكز المهمة للنباتات الزراعية، وحسب تصنيف ن. إ. فافيلوف، هو مركز جنوب غرب آسيا، وزيادة على ذلك تتراكم هنا تأثيرات تلك المناطق المتداخلة فيه، كالغرب آسيوية، الحبشية (الأثيوبية)، والجنوب غرب هندية [١٣٠ ص١٧]. وفي التوسع الإقليمي الجيو- نباتي الراهن فإن حضرموت سويَّةً مع شمال اليمن وجنوبه تنتمي إلى إقليم إرتيريا - الجزيرة العربية، مع ملاحظة الصلة المحددة لنباتات الإقليم مع ثلاثة أقاليم أخرى: شمال البحر الأبيض المتوسط، الكناري، وجنوب الغرب الأفريقي [٦٨ ص١٥-٢١].

الـــرَّي:

يبدأ الاستعراض الملائم من وصف منظومة الري، طالما أنه من غير الممكن الاشتغال بالزراعة في الأودية بغير الري الاصطناعي. وليس عبثًا أن التشريع الإسلامي يؤكِّد أنَّه لا انفصام بين معنى "استخدام الأرض"، و"استخدام المياه" [٢٨١ ص٩، ١٠٠؛ ٢٨٠ ص٢٦٥؛ ٢٧٨ ص٢٤٢؛ ٢٤١ ص٢٧-٢٩].

في حضرموت هناك خمس طرق معروفة للري:

١- الفيضانات (السيول) .

٢- الآبار .

٣- الينابيع.

٤- الأمطار .

٥- القنوات.

إن قناة السقي (في عُمان المجاورة- فلاج) تجمع المياه تحت الأرض، وتستخدم أنفاق خطوط المياه في غيل باوزير لزراعة التبغ. وتوجد بقية الطرق المذكورة في حضرموت الغربية. والأهم منها، الريُّ بالسيول.

يتكون الفيضان أو السيل عند سقوط الأمطار، التي تتجمع من الهضبة، مندفعة باتجاه قيعان أودية حضرموت، على شكل جريان سطحي. وقاعدة الري بالسيول، هي تقسيم مجرى السيل بمساعدة جدران لحجز المياه (سدود أو قناطر جانبية) لغرض توصيل المياه المحجوزة إلى الأرض [الرسم ١-٢].

لم تتغير تقنية الري كثيرًا منذ عهد ما قبل الإسلام. وتؤكد ذلك المشاهدات الميدانية لعضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، عالم الآثار أ. ف. سيدوف في بلدة ريبون، وفي النقوش الصخرية في القرية الدوعنية تولبة (وادي ليمن)، يُروَى أن أحدهم واسمه دبرون ذو عبيل، "حفر في الصخر وأوصل قناته ــ غيل تولبة لغرض سقي الأرض" (كتاب م. ب. بيتروفسكي).

لننظر تقنية الري، على سبيل المثال، زراعة الهجرين [الرسم ١، ١٨]. تبدأ إلى الجنوب منها في منطقة قرية غار السودان مجموعة منشآت الري الزراعي للبلدات: غار

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

السودان، صيلع، خريخر، الخريبة، نحولة، الجدفرة، ديار الحامد، شرج بن حترش، الهجرين، المنيظرة، وهذا القسم من وادي دوعن يُسمَّى عادة وادي الهجرين.

السد الجانبي الأول (ضمير – ضُمْر) [الرسم ٣، ٤]هو حائل ترابي، مبلط بالزلط مع محلول فخاري، سوية مع البلاط الحجري (رصعة – رواصع)، وهو يخفِّف ويوجِّه سير السيل، ويضعف جزءًا من قوَّته. ثم تصبُّ فيضانات السيل في القناة الرئيسة (الساقية– الأم)، التي يقسمها الضمير ثانية إلى ساقيتين: دمون، وهدون. وتتشعَّب الأخيرتان بدورهما إلى ثلاث قنوات، لكلٍّ منها (باحداد، مجفا، عيبة، التجل، السفيل، حامش). وحول ذلك يتركز النشاط الاقتصادي لمزارعي الهجرين: الجزء الغربي لمدينة (الساير القبلي) حول منظومة مياه دمون، والجزء الشرقي (الساير الشرقي) حول شبكة مياه السقي خيدون.

إن مخطط الري في قرية خريخر، الذي وضعه ب.إ. بوغور يلسكي، ومنظومة الري في مدينة عمد، التي قام بدراستها م. أ. أغلا روف، يمكن أن يكون وصفهما متشابهًا. وتقوم القناة الرئيسة "الأم" بتصريف المياه إلى كل الأراضي الزراعية الكثيرة (حجل – حجول). ولا تمت بصلة إليها الأراضي الملاصقة (شرج – شروج)، التي ترويها السيول من الهضاب، وتُعَدُّ أقلَّ قيمةً من (الحجل). وتحمل فروع القناة الرئيسة (ساقية/ بدد – بدود) الماء إلى أراضي الحي أو الفرع القبلي (مطرح ـ مطارح)، وهناك تتشعّب إلى قناتين أو ثلاث قنوات لإرواء القطع المناسبة (جرب – جروب)، والوحدات المملوكة (قطعة – قطع). وعند تتابع تقسيم المياه، فإنها تمرُّ عبر أخدود مسند بالأرض (سوم – أسوام)،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

يحيط بها [الرسم ٣-٤ب]. وتتوحد القنوات التعويضية [الرسم ٣-٤ب-ج] في خزانات المياه، التي تستقبل المياه الزائدة.

وبهدف مقاومة انجراف التربة، الخطر الأكثر تهديدًا لمزارعي حضرموت، فإن منشآت حجز المياه تُلَبَّسُ بالأحجار، ويُبَلَّطُ قاع القنوات في الأماكن الضرورية بـ (سلقة البيدد)، هكذا، مثل التلبيس بالدامر.

تُعَدُّ " نجوم" التقويم الخاص علامات السنة الزراعية في حضرموت، وتُعَدُّ التقاليد أن عددًا منها يلائم بشكل خاص فيضانات السيول (انظر الملحق: تقويم النجوم).

ويعدُّ الري من الآبار الأسلوبَ الآخرَ الشائعَ في مجرى أسفل الوهاد، وبشكلٍ خاص في الوادي. ويتمُّ الري بمساعدة منشآت رفع المياه (قِرَب)، والمعروف في بعض نواحي الجزيرة العربية باسم ناعورة، مرَكّب، سواني ... الخ، أما في سوريا والعراق فتسمَّى عادةً "نصبة". إنَّ منشآت القرب سهلة للغاية [الرسم٧]. ويقع في أساسها البكرة المثبَّتة فوق وسط البئر (العجلة)، التي يمرُّ عبر محورها حبل جلدي. يُوثَقُ أحدُ طرفي الحبل إلى قطعة خشبية في الدلو الجلدي الكبير، والطرف الآخر إلى السرج، المثبّت على سنام البعير أو الثور. ولكي ينسكب الماء من الدلو فإن للقرب بكرة ثانية أسطوانية (أصغر)، تثبّت في أقصى حافة البئر. وعبر هذه البكرة يمرُّ حبلٌ دقيقٌ من النخيل، يُوثَقُ من أحد الأطراف إلى بردعة الحيوان، والطرف الآخر إلى الحلق غير المرتوق للدلو. وعندما يتحرك الحيوان في المستوى المائل فإنه يستخرج الدلو الممتلئ. وفي أثناء صعود الدلو إلى حافة البئر فإن الحلقوم الضيق يُنكَّسُ بواسطة الحبل إلى الحوض فينسكب الماء. وهذا النوع من الري كان قد وصفه أيضًا ك. لاندبرغ [٢٣٦ ص٣٢١].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كان العمل من أجل حفر بئر على عمق ٤٠ –٥٠ قامة (٦٤ – ٨٠ مترًا) يتطلّب أكثرَ من عام. ومن المعروف أنه لا يتمكن من امتلاك بئر خاصة به إلا الشخص الميسور. وفي منطقة القطن، مركز السقي بالآبار، تعزّزت بدءًا من ثلاثينيات إلى خمسينيات القرن العشرين الملكيّةُ الخاصّةُ للأراضي، وتجمّعت الطبقة المالكة بفعالية. وحسب معطيات القسم الثقافي في القطن (الذي يرأسه عبدالعزيز عمار) كانت تُوجَدُ عشيَّةَ الاستقلال عدّة أنواع من ملكية الأراضي:

أ- الأراضي السلطانية (ملكية الدولة) في منطقة العقاد، والتي أُجّرت لكبار الـمُلَّاك (بامطرف، باربيد، باهرمز) مقابل ١٢ شلنًا للفدَّان الواحد (١٠٠٠ فدان = ١٣٠.٠٠٠ مطيرة مروية من مياه الآبار و١٠٠٠ من مياه السيول)

ب- أراضي الوقف – حوالي ٢٠٠ فدان.

ج- الأراضي الخاصة، ١٤٣٧٩ فدانًا مروية من الآبار، و١٦٤٩ فدانًا مرويّة من السيول. وقد تحوّلت الملكية القبلية وبسرعة إلى ملكية خاصة. وكانت تتوزّع حصص الأملاك على مجموعة كبار الملاك (من ٢٠ إلى ٥٦٣ فدانًا)، وكان ٢٠٢ أشخاص يملكون (١١٧٩٤ فدانًا). والـمُلَّاك المتوسطون (من ١٥ – ٢٠ فدانًا)، لعدد ١٧٣ شخصًا، والمساحة العامة (٢٠٨٨ فدانًا). والـمُلَّاك الصغار ١٩٢ شخصًا، ويملكون (٦١٤ فدانًا).

كانت البئر الواحدة تروي تقريبًا ٣٥ فدانًا من الأراضي الزراعية. وكانت لدى ٢٥٪ من الملاك جرّارات، ملكية خاصة أو مشتركة، ونظمت الدورات الزراعية، واستحدثت الأساليب الزراعية الجديدة.

وفي الوقت ذاته بقيت جماعية الجوار مع تقاليد التبعية المتبادلة والتعاون المشترك في الوديان؛ حيث استخدم غالبًا الري بالسيول. إنَّ الطابع الجماعي لأعمال منظومة الري من السيول والأمطار والينابيع (التي لا وجود لها في الري من الآبار) قد جعل المساعدة ملزمة للمرضى والأشخاص المتقدِّمين بالسن وذلك في أعمال تصفية السواقي، وتنقيتها من الطمي، التي تتجمع في أوقات السيول، أو ترسبات الأملاح المعدنية في القنوات المفتوحة (عتم ــ عتوم)، التي تأتي من الينابيع، ومع ذلك فإذا لم يحضر الفلاح إلى أرضه وقت السيل، فيمكن للجيران أن يسمحوا للماء الوصول إلى أرضه، ويمكنهم أيضًا استخدام حقوقه من الماء بصورة مجانية.

خلال السنوات العشر الأخيرة جفّتْ في حضرموت آبار كثيرة. ويقول السكان إن المياه تحت التربة قد "ذهبت". وارتباطًا بذلك فإنهم يتابعون بارتياب نشاط الاختصاصيين في استصلاح الأراضي، وأعمال حفر الآبار الارتوازية، وكذا عمل الماكنات الكهربائية، التي تشفط المياه من كل الطبقات، وفيما إذا كانت تأخذ من الآبار الأخرى، بما لا يتعارض مع عادة استخدام المياه المشترك والمتكافئ.

وفي التقاليد المحلية، هناك بضع كلمات عن قواعد الري. فإلى جانب الحق في استخدام مياه (الشُّرب) (بتشديد وضم الشين) يوجد مفهوم شِرب (بكسر الشين) أي "سهم"، أو "حصة الماء" [٢٧٨ ص٢٢٦]. وفي أثناء السقي بالسيول تكون هذه الحصة نسبية إلى حدٍّ ما؛ ذلك لأنها ترتبط كليًا بكثافة استمرارية السيول. ومثل تلك الظروف أيضًا في حالة الري بالأمطار. ففي هاتين الحالتين فإن كفاية الري تتحدّد "على مرأى العين" من خلال مستوى منسوب المياه على الأرض (إلى الرسغ أو الركبة).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما عند الري من الآبار والينابيع والقنوات فإن الشِّرب يقاس بصرامة أكثر: عصا متّزنة (عودة نخيل بدون ورق - فرّ)، أو الساعة الشمسية (تغير الظل عن الحجر أو الإنسان)، أو بالمياه (سرعة الماء المندفع من الخزان الكبير للمياه)، وتسجل بوضع علامات على جداره، أو بمستوى آنية خشبية أسطوانية تطفو على سطح الماء (مُصري)، أمّا في الوقت الراهن فقد اسْتُـبْدِلَت المقاييس التقليدية للوقت بساعات اليد القياسية.

وخلال استخدام أنواع الري تلك توجد دورة ري، مضاعفة السبعة (على سبيل المثال في قرية القزة في الرافد الغربي لوادي دوعن - سبعة أيام - وفي المنطقة الجبلية - الأحجور في اليمن الشمالي - ١٤ يومًا [٢٧٨ ص٢٨٤]. وهذا مرتبط في كون مزروعات الحبوب الأكثر انتشارًا (الذُّرَة) ينبغي أن تُسقى مرة كل أسبوعين، والبر في مثل تلك المدة، والطماطم (الذي يزرع في المزرعة الجماعية"المشهد" و"بيحان") مرة في الأسبوع ... الخ (في كل مكان يؤخذ الأسلوب الأمثل).

زراعة النخيل:

إن زراعة النخيل في المنطقة التاريخية الإثنوغرافية الشمال الأفريقية ــ الغرب آسيوية كانت العامل الحاسم لخدمة الطراز الاقتصادي - الثقافي للمزارعين الحضر في الواحات والأودية والتلال السفحية. والنخلة لا تعطي فقط الغذاء ومواد البناء وخامات اللوازم المنزلية والمصنوعات، ولكنها أيضًا توفر الظل لمزروعات الحبوب، وزراعة البطيخ والزراعة البستانية والمحاصيل الصناعية الأخرى التي تزرع تحت النخيل [١٤٠ ص٥٩٨].

وللنخيل قابلية لأن تثمر مرة إلى مرتين في العام دون الارتواء من السيول، ولذلك تتعلق بدرجة أقل بطوارئ البيئة من مزروعات الحبوب. وبالنسبة للحضارمة فإن امتلاك النخيل هو أحد الشروط الثلاثة للحياة السعيدة، إلى جانب المنزل الخاص والزوجة الجيدة [١٦٥ ص١٠٢].

وسكان حضرموت يضفون على النخلة روح الالهام ويكسبونها صفات إنسانية، فهي يمكن أن تُعَمَّر إلى مائة عام (في الواقع ٦٠ عامًا)، ومن طبيعتها الشعور بالمحبة والغيرة. وقد ألف الشاعر عبد الرحمن بن شهاب (القرن التاسع عشر الميلادي) قصيدة عن نخيل حضرموت وعدد فيها أكثر من ٧٠ صنفًا للتمور المحلية:"توجد أصناف كثيرة من النخيل: الأصفر، الأحمر، الأسود، وهي تُذكَر بأعقاب ابن آدم، أما النخلة الذكر – فالزوج الحار" [٤٠ ص٣٤].

إن إبادة النخلة تتساوى مع القتل:

ففي زمن الحروب الداخلية كان القاز (الكيروسين)ــ مبيد النخلة، الذي يصب على جذعها غاز الكيروسين، يعد أسوأ من القاتل. ويُذكر أن أوائل القزازين قد ظهروا في أواسط عشرينات القرن العشرين في وادي دوعن [٢٦٧ ص٣٠٧].

يقال إن في حضرموت أكثر من ٣٠٠ صنفًا من التمور، لكن حتى ملاك النخيل أنفسهم فمن النادر أن يعددوا أكثر من درزينة من تلك الأصناف، من بينها: الحلو جدًا- سهل، والطري – بطيط، واللذيذ جدًا – ميدع، والأفضل للحفظ – زجاج، والطبي – سُريع وحمرا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تنقسم المرحلة من الحمل إلى نضج الثمرة لدى النخلة، مثلما عند الإنسان، إلى تسعة أشهر، وتتفرع في حضرموت الغربية إلى المراحل التالية:

١-الفخطة - التلقيح. ويتم التلقيح الاصطناعي في يناير - فبراير: حيث يرمى اللقاح مع الأعذاق المذكَّرة المقطوعة على العناقيد المؤنثة المزهرة.

٢- التصريف - الاستئصال. في منتصف إبريل تخلع الفروع الزائدة والحسك الحاد على الساق.

٣-التوضيع (الترديد) -الترتيب. في إبريل - مايو يتم تثبيت عناقيد التمور، لكي لا تتعرض للكسر تحت وطأة الثقل.

٤-التخبير - الحماية. في يونيو - يوليو تغطى عناقيد التمور الخضراء (بسر - بسار) بسلال ذات جانبين - خُبَرة [انظر لاحقا: فقرة٣ النجارة]. وفي هذا الوقت يحرسون المحصول من الطيور والقردة والناس.

٥- القطيع - القطع. في بداية سبتمبر يتم جمع المحصول. وتشارك النساء في العمل؛ حيث يقمْنَ بنفض التمور وفرزها من السيقان التي يقطعها الرجال.

بعد ذلك يتم تجفيف التمور عدة أيام تحت الشمس، ثم يغسلونها ويشكلونها في مساحة مستديرة، ثم يجمعونها في أكواز كبيرة (زير- أزيار). ومعظم تمور حضرموت الغربية تنتمي إلى الصنف الملائم للحفظ (زجاج). أما ما كان للاستخدام العائلي فيستهلك عادة الصنف اللذيذ والطري (صفري).

إن إضفاء الصفات الإنسانية على النخيل ينعكس في المصطلحات التقليدية. فبعض أصناف النخيل (بصرف النظر عن الجنس الحقيقي للشجرة) تسمى أبو "أب" (على

سبيل المثال صنف مديني)، أو (صنف حمراء)، وشتلة النخلة "ولد"، والنخلة المزدوجة – قرين "عدد زوجي".

المصطلحات الأخرى، المتعلقة بزراعة النخيل دوَّنها ك. لاندبرغ، و ر.سرجنت [٢٣٦ ص٣٠٧-٣١١؛ ٢٦٧ ص٣١٧]، وأكدَّتْها أبحاثنا الميدانية في حضرموت الغربية: فالنخلة الصغيرة، التي تعطي ثمارًا، تسمى (خلعة – خلوع، مقلع – مقالع) (أربع سنوات أو أكثر)، والنخلة الطويلة التي تنمو منفردة يطلق عليها (منقر– مناقر)، والنخلة ذات السيقان الثلاثة أو أكثر من جذر واحد تسمى (دوارة).

[" تشريح" النخلة يقدم في الرسم رقم ٨]

١– لبة (لباب) – البرعم العلوي الذي تنمو منة الأوراق، يطلقون عليه قلب النخلة. وهو مادة للحياكة.

٢– الجسم أو الجذر أو الساق. مادة للبناء والوقود.

٣– مطي (مطية) – السيقان الوسطى. مادة للحياكة والوقود.

٤– قرّافة – قراريف – ربط الشماريخ (الأغذاق)

٥– خيل (خيال، خول) ــ عذق من الأم.

٦–شمروخ (شماريخ) من الأم.

٧–التمور: (بسر) – أخضر، غير ناضج،(فضح)، – الناضج، (قرع) – شبة ناضج، محل – التمور الناضجة (السوداء، الحمراء، الصفراء)، (مفتول الجافة، (خطي) – الفاسدة.

٨– الأشواك الحادة في الغرائس الرئيسة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٩- سعفة (سعف)، جريد (جريدات) - غصن مورق، غرائس السعف - مادة بناء، ووحدة قياس - وار (انظر المقاييس التقليدية)، مكنسة لإزالة نسيج العنكبوت.

١٠-كَربة، كَرب - أساس الغرسة.

١١-ليف (ألياف) - مادة لفتل الحبال.

١٢-جزم (جزوم) - النصف الأكثر غلاظة للغرسة. مادة لحصيرة النافذة، التي ما زالت حتى اليوم شائعة في حضرموت الغربية، خلافًا لمخاوف د. سرجنت.

١٣-خوصة (خوص) - أجزاء الورقة. مادة لحياكة السلال، وتستخدم لإضرام النار.

تتطلب العناية بالنخيل الكثير من الجهد، وهي خطرة غالبًا، فخلال موسم (يناير - سبتمبر) يتم تسلُّق كل نخلة من خمس إلى سبع مرات. ولهذا الغرض يستخدم مرقد (مراقد)، وهو حبل مبروم من سيور الجلد الخام مع عروة عريضة، حيكت من ألياف النخيل. وبارتداء العروة كنطاق حول الخصر، ولف الجذع بالحبل فإن العامل تقريبًا يصعد إلى أعلى الشجرة. ولغرض التلقيح الاصطناعي فإن الأعذاق المذكَّرة [انظر الرسم في ١٦٠ ص١٤٣] يتم قطعها بعد تفتح القراف في يناير - فبراير، ومن ثَـمَّ ترمى على العناقيد المؤنثة المزهرة.

يتم جمع الأعذاق المذكَّرة في جراب خاص، يعلَّق على رقبة متسلق الشجرة، ويستخدم لجمع الأعذاق عصا طويلة مع غصن مقطوع في نهايتها، يقوم بدور الخطاف. ولقطع الشوك يستخدم مشذب أعوج - ملعب [انظر الرسم ١٠ج].

تتكاثر النخيل عادة بغرس عساليج جذرية، وليس بالبذور. "الأولاد"، أي الغرائس التي ليس لها أوراق بعد، تغرس في تجويف عميق، وتظلَّل بقِطَعٍ قماشية مع محيط دائري

من قطع سيقان النخيل (تستبدل حاليًا، في الغالب، بعلب أسطوانية من الصفيح التي أفرغت من السمن أو الحليب المجفف وتطلى بالطين). ويتمُّ سَقْيُ الغرسات بسخاء لعدة أيام بعد غرسها، ومن ثَـمَّ يقومون بسَقْـيِـهَا كُلَّ يومين طالما لم تظهرْ فيها البراعم العلوية التي تنمو منها الأوراق – لبَّة. ولغرض حمايتها من الحشرات الضارة، يقومون فيما بعد بدهن السيقان الوسطى بالزيت النباتي [انظر ج٣ ف٢ الفقرة٣ رقم٣٦ب].

في حضرموت يحبون الاستناد إلى أحاديث الرسول ﷺ في أنَّ الأقرب إلى مياه السيول يستخدمها قبل الذي يليه، ويسقي نخيله إلى أن يصل الماء إلى الرسغ (حجل – أحجال، حجول). عن ذلك حدَّثنا عبدالله سالم باجابر (أكثر من ٧٠ عامًا)، وهو خبير بشؤون الرّيّ من عندل في وادي عمد، وذكر ذلك أ. المقطري في مؤلفه [٢٤١ ص٢٩]. ومع ذلك ففي التطبيق يُعَدُّ السَقْيُ الأفضلُ حين يغمر الماء الشجرة إلى إرتفاع متر من أساسها في الأقل مرة في العام أو العامين.

يرتبط محصول النخلة بطريقة الري، فعند السقي من الآبار، يمكن أن تجني الشجرة أكثر من ١٠٠ رطل (٤٥ كجم) من التمور، أما عند السقي بمياه السيول في " أواسط" العام فتعطي أقل من٣٣ رطلًا (أقل من ١٥ كجم). وفي وادي دوعن تعطي النخلة، حسب محدِّثينا، حوالي ٢٢ رطلًا (٩.٩ كجم). والتنكة الواحدة (صفيحة تزن حوالي ٣٠ كجم)، تساوي ١٠ – ١٥ دينارًا حسب النوعية (الأسعار هنا ولاحقًا حسب معطيات عام ١٩٨٩م).

في الوقت الحاضر فإنَّ ملاحظة انجرامس التي وضعها قبل نصف قرن مضى بأنَّ التمور في حضرموت لا تُدَّخَرُ تقريبًا، وإنما يستهلك جميع محصولها طرديًا خلال شهري

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يونيو ويوليو، تُعَدُّ مغالاةً قليلةَ الأهمية. في الوقت ذاته كانت النخلة تساوي من ٣٢ إلى ٨٠ جنيهًا استرلينيًّا (من حساب الجنيه الواحد = ١٢.٥ تاليري)، وهذا السعر قريب من قيمة العبد. وفي مطلع الستينيّات هبط سعر النخلة إلى ٧ – ٢٥ جنيهًا استرلينيًّا [٧٥ ص٥٥؛ ٩٦- أ ص٢٤٩؛ ٢٠٩ ص٦٠-٦١]. وفي منتصف الثمانينيّات تذبذبَ سعرُ النخلةِ من دينارَيْنِ إلى ٥ دنانير للشتلة (غرسة، مقلع) من الصنوف، الحمراء، الحاشدي والعماني إلى ٥٠ دينارًا وأكثر مقابل الشجرة الكبيرة، أما الغرسة من الصنف جزاز (زجاج) مديني، سريع فتقدَّر بـــ ١٥- ٢٠ دينارًا، والنخلة الكبيرة تقدر بـــ ١٥٠ دينارًا وأكثر.

وبالرغم من تجارب السبعينيّات في تجميع الأراضي في حضرموت الغربية (في وادي عمد ووادي دوعن) فإن النخيل بقيتْ هنا ملكية خاصة (من ٥ ــ ١٠٠ نخلة وأكثر). وفي جميع الأودية الجانبية الثلاثة فإن أشجار النخيل كثيرة العدد، وبشكل خاص، في أعلى الوديان، وبالقرب من المجرى الأسفل للوديان. وما زالت باقية على الأرض أكواخ النخيل (عريش - عروش)، والبيوت الطينية (دار - ديار)، والأبراج (كوت) المخصَّصة لحراسة أحراج النخيل [حول منظومة الحراسة - الشراحة، انظر: ج٣ ف١ الفقرة٢، ونماذج من الفلكلور المرتبطة بزراعة النخيل وردت في ج٣ ف٢ الفقرة٣].

في عام ١٩٢٢م قُدِّر عدد النخيل في جميع حضرموت بـــ ٢٠٠ ألف نخلة [٢٦٧ ص٣٠٧]. وهذا الرقم يُعَدُّ قليلًا إذا ما أخذنا المعطيات الإحصائية عن النخيل في منطقة عمد، التي حصلنا عليها عام ١٩٨٩م من سالم بن شملان، الذي عمل مستشارًا لمديرية عَمْد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قرن المال	٥٥٠	٣	٢١
خنفر	٩٠٠	٥	٢٢
الرحب	٧٨٠	٤	٣٥
منخوب	٤٠٠	٦	١٠
عنق	١٠٠٠	٥	٢٧
النعير	٨٥٠	٣	٤٢
حروبة	١٥٠	١	١٢
شظية	١٠٠	٤	٥
عمد	١٦٥٠	٧.٣	٤٠
جاحز	٦٠٠	٦	١٣
حبرة	٣٠٠	٣	١٥
طمحان	٧٠٠	٢	١٨
خربة باكرمان، الوجر، بامخشم	١٤٣٠	٦	٤٥
مخية، قرن المال، شرج باتيس وغيرها	٩٠٠	٣	١٣
الرباط، حالة باصليب، خميلة بايزيد، ترمل	٢٣٥٠	٧.٥	٢٢
الشعبة، الشرقي، الحبوب	١٧٠٠	٧	٢٥
زاهر، الرضحين	٧٥٠	٢	٦
الإجمالي	١٥١١٠	٧٤.٨	٣٧١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وحسب معلوماتنا، ففي مديرية عمد يعيش مالا يقل عن ٢٨.٢ ألف شخص، ولهذا يكون لكل شخص من السكان أقل من ثلاث نخلات (٢.٦)، وحوالي ١٣ مطيرة من الأراضي المروية.

ووفقًا للمعلومات التي تم الحصول عليها من قسم الإحصاء ففي مديرية دوعن (مركز عمد ١٣٠ ألف نخلة، وفي حريضة ٥٠ ألفًا، وفي صيف ١٤٣ ألفًا، وفي وادي العين ٣٠ ألف نخلة)، وبالطبع من غير احتساب النخيل الذي هلك بسبب الجفاف، والذي يبلغ في أقل تقدير ٤٠٪ من نخيل وادي عمد. وإجمالًا يوجد في حضرموت الغربية فقط (مديرية دوعن + مركز حورة مديرية القطن- ٤٢ ألف نخلة) أكثر من ٣٠٠ ألف نخلة. ومع ذلك يوجد في عدد من المناطق، على سبيل المثال، في وادي دوعن – من خريخر إلى الهجرين، الكثير من قطع الأراضي المهملة مع أثر لزراعة النخيل.

وهناك أيضًا بعض الأرقام تصف "طريقة الفرق" في حضرموت الغربية. فمن إجمالي ٢١٨٧٣٥ مطيرة من الأراضي المزروعة فإن نصيب حريضة ٧٤٣٥ مطيرة، موزَّعة على ٥٥ فرقة (في كل منها من خمسة إلى ستة أشخاص)، أي بمعدل متوسط ١٣٥.٢ مطيرة للفريق الواحد (حي العمال).

ونصيب قرن بن عدوان ووادي تبرعة (حي ردفان) ٥٤ ألف مطيرة، موزَّعة على ٥٠ فرقة، بمعنى ١٠٨٠ مطيرة للفريق الواحد.

وفي نفحون وزاهر (حي ٢٢ يونيو) ٥٨.٣ ألف مطيرة في ٤٧ فرقة، أي ١٢٤٠.٤ مطيرة للفريق.

في عندل (حي ١٤ مايو) ٦٩.٠٣ ألف مطيرة في ٤٦ فرقة، أي ١٥٠٠.٧ مطيرة للفريق.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الإجمالي ١.٠٩٣ شخصًا من العاملين الزراعيين. وتقع ١٥ ألف مطيرة في المركز أوقافًا للمساجد، و ١٦ ألف مطيرة تحت تصرف مشروع دراسة منظومة الري، وحوالي ١٦ ألف مطيرة في الاحتياط (قسم الإحصاء بمديرية دوعن ١٩٨٩م).

في مركز عمد١٤٠٠ مزارعًا في الفرق، وفي وادي العين ٧٢٠ شخصًا، وفي مركز حريضة ٧٤٢ شخصًا في الفرق، و ٢٠٠٠ شخص أصحاب ملكية خاصة (الهجرين وأسفل مجرى وادي دوعن)، وفي مركز صيف ٣٠٠٠ ألف مزارع من ذوي الملكية الخاصة.

في مركز حورة مديرية القطن يبلغ العدد ٨٤١ مزارعًا من أصحاب الملكية الخاصة.

الإجمالي العام في حضرموت الغربية حتى مطلع عام ١٩٨٩ حوالي ١٠٠٠٠ شخص كانوا يعملون في الزراعة، من بينهم حوالي ستة آلاف كانوا يعملون في القطاع الخاص. ومع قيام الدولة اليمنية الواحدة أخذت هذه اللوحة تتغيَّر بشدة.

النباتات الزراعية الأخرى:

إن الخاصيَّة الأكثر تميزًا بالنسبة لحضرموت الغربية هي الذرة، الدجر، الجلجل (السمسم)، وبدرجة أقل المسيبلي والبر والدخن.

وبشكل خاص فإنَّ الذُّرَةَ هي الأهمُّ، وهي تعطي المحصول خلال ٧٠ يومًا. ويميِّزون هنا ذرة الشتاء ذات الساق القصيرة، التي تزرع في منتصف يوليو، عن ذرة الصيف، التي يصل ارتفاعها إلى ٢.٥ أمتار، وتزرع في العشرة الأيام الأولى من شهر مارس. ومحاصيل الذرة مألوفة للتربة، بما في ذلك التربة المالحة. وكما جرت العادة تبذر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الذرة سويَّةً مع الدجر والجلجل بصورة تناسبية ٦:٢:٢، وفي بعض الأحيان يضاف إليها حصة واحدة من الحنظل (القرعيات). أما في "وقت البرد"، أي في مرحلة المطر الخريفي ــ الشتوي (أكتوبر ــ مارس) فإنهم يزرعون البر (الحنطة).

ويمكن تمييز المناطق الملائمة للزراعة في حضرموت الغربية. ففي وادي دوعن هي تلك الأراضي من خميلة بايزيد إلى شظية، ومن الرضحين إلى عنق، نفحون، حريضة، عندل. وفي وادي دوعن – منطقة وادي ليسر وليمن مع الينابيع الدائمة في وادي مرح ووادي حمودة (الأماكن المأهولة بالسكان الرباط، قرحة باحميش، الخريبة، صبيخ، العرسمة، تولبة وغيرها)، الأراضي في الأسفل حول الهجرين ووادي الغبر (القزة)، وفي وادي العين ــ العليا (حصن آل بكر، شرج الشريف، عذب)، و"شروج وادي العين" في مجرى السيول السفلى للوادي، وكذلك بحران في وادي الكسر.

هنا في مراكز الري بالينابيع والآبار (وهذا يخص قبل كل شيء وادي دوعن، وبحران ووادي العين) يزرعون مختلف أنواع المزروعات، مثل نباتات الخضار: البصل، السلط، الثوم، الفجل، الباذنجان، الخيار، الطماطم، البامية، اللوبيا، النعناع والكراوية السوداء وغيرها.

والمزروعات البستانية: الليمون الحامض (الليم)، الرمان، الموز، البطيخ (الحبحب)، القرعيات بمختلف أنواعها، بما في ذلك القرع الأكثر انتشارًا – الفقُّوز، والبرسيم (القضب). كما توجد أشجار المانجو والباباي القليلة. ومع ذلك فإن الزراعة الرئيسة في حضرموت الغربية هي: التمور، الذرة، الدجر، الجلجل، وإلى درجة معيَّنة البر.

أمَّا عنْ كيفية تتابع الأعمال الزراعية، وما هي الأدوات التقليدية المستخدمة في ذلك؟

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

فإنَّ عدة الحراثة الشائعة في حضرموت الغربية (حسب تعريف ب. ب بوغوريلسكي، الذي استخدم تصنيفات ي. كراسنوف)، هي المحراث ذو الناب الواحد [١٤٥ ص٣٢]، والاسم المحلِّي "حلي". وهو من حيث التصنيف قريب من محراث آسيا الوسطى، الذي يمثل حلقة متطوِّرة بين المحراث الروسي والمحراث الأوكرني ذي المخلب الوحيد.

لقد وصف الباحثون أدوات الحراثة الخشبية لكثير من مناطق الجزيرة العربية، فهناك مخططات هندسية بالنسبة لِلَحْج (ج. ي. د. ش) [٢٤١ ص٥٥؛ ٢٢٢ ص٣٣]، ولمحافظة صعدة (ج. ع. ي) [٢٣٠ ص٦٠-٦٢]، وللمناطق الوسطى من اليمن [٢٢٥ الجداول٨-٩]، وكذلك بالنسبة لعسير (العربية السعودية) [٢٢٢ ص٣٩-٤٠].

في حضرموت الغربية يُعرَف نوعان من المحاريث (حلي):

أ- الكبير والثقيل (حوالي ٤٠ كجم) تحت زوج من الثيران.

ب- الصغير والخفيف (حوالي ٤ كجم)، يُشَدّ بزوج من الحمير أو جمل لوحده.

وتركيبة المحراثين متشابهة [الرسم ٩ و ٣٤].

ومثل بقية الأدوات والمعدَّات الزراعية المحلية المصنوعة من الأخشاب، يقوم النجَّار المتخصِّص بإعداد المحراث (حلي): يتمُّ تجهيز المحراث الكبير خلال يوم واحد، والمحراث الصغير خلال بضع ساعات. أما المواد فخشب (مشط)، لا تؤثر فيه الرطوبة، وتكون قاعدة الارتكاز، الجزء "ب" عادة من خشب العلب أو الإثل. ويستخدم الإثل لصنع الأنبوبة الخاصة بالبذار.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الحراثة الأولى (جسم) في عمق الأرض تجرى بالمحراث الكبير، أو يدويًا - بالمعازق ذات الحدِّ المدبَّب (مزحاقــ مزاحي)، ونموذجه [الرسم ١١]، ويستخدم القدوم لطمر التربة وعزقها، أما عند تحريك التربة ذات الكُتَل كبيرة الحجم فتستخدم المجرفة، وهي معزقة ذاتُ نصلٍ عريضٍ [الرسم٤١]. وخلال السنوات العشر الأخيرة فإن ماكينة الحراثة (التراكتور) قد أزاحتْ عمليًا المحراثَ الكبير. تـمَّ استيراد أوَّل ماكينة حراثة في عام ١٩٠٥م من قبل المزارع هود بن أحمد السقاف من سيئون مع مضخَّات الماء الميكانيكية، التي تعمل بالبنزين، والمولد الكهربائي (دينامو) والسيارة القديمة "فورد"، وللاعتناء بهذه التقنية وتدريب الميكانيكيين المحليين وإعدادهم استقدم الاختصاصي الياباني هريامو، الذي اعتنق الإسلام وتزوَّج في سيئون [١٨٢ ص١٠].

بعد الحراثة الأولى للأرض يقومون بتسويتها بالمعاول وبلوح خشبي خاص (حرير- حرور)، وبواسطته تتشكَّل الحواجز الأرضية (سوم - أسوام) على تخوم قطع الأراضي الزراعية. ويستخدمون السَّماد (الدمان) لزيادة إخصاب الأرض، كانوا في السابق يستخدمون دمان الأبقار والجمال، أمَّا في الوقت الراهن فيكتفون فقط بزبل الجمال. ومقياسه سلة كبيرة (جبل - جبول)، طولها متر ونصف، وعرضها متر واحد. ولكل مساحة مقدارها مطيرة واحدة، تُسْتَخْدَمُ لها سلتان من الدمان. توجد أيضاً سلال عملية مستديرة (مربشة - مرابش) مخصَّصة لحمل التربة ونقلها. والسلال التي كانت تُصنَع من شجر الصفصاف في الماضي أصبحت الآن تُصنَعُ - غالبًا - من السطح المحيطي لإطارات العجلات المطاطية للسيارات.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بعد حرث الأرض بالمحراث الكبير يسلقونها بمسلقة كبيرة (مخرم ــ مخاريم)، ذات المخالب الحديدية الستة عشر المفلطحة (كلب - كلاب) [الرسم ١٠-أ]. أما عند الحراثة بالمحراث الصغير فيستخدمون المسلقة ذات الاثني عشر سنًا، ومثل هذه العملية شأنها شأن الترميم الجاري لمنظومة الري، تتمُّ عند انتظار قدوم السيول.

بعد السيل مباشرة يحرثون الأرض في ظل الرطوبة (راية) بالمحراث الصغير، ويبذرون، ثم يسوون الحقل المحروث بألواح مصفحة بالحديد (مدفن - مدافن/ مخفة - مخافي). وهم يبذرون مزيجًا من البذور: ذرة، دجر، حنظل. وكانوا يحرثون على الجمل في اليوم حوالي ٧٠ مطيرة، وإذا كانَ الحَرْثُ على زوج من الحمير فيحرثون حوالي ٣٠ مطيرة.

صالح أبوبكر باسهل (حوال ٦٠عامًا)، ينحدر من أسرة مشايخ عريقة من حريضة، قال إن جميع المزارعين كانوا يبذرون في السابق بواسطة الأنبوبة، ولم تُعَدْ تستخدم حاليًا؛ لأنهم يريدون إنجاز أعمالهم بسرعة، فبواسطة الأنبوبة كانوا يحرثون ويبذرون ٤٠٠ - ٥٠٠ مطيرة خلال ١٠- ١٥ يومًا، أما في الوقت الحاضر فإن إنجاز مثل هذا العمل يتم خلال يوم واحد فقط. وهم يبذرون باليدين معًا من سلة خاصة بحبوب البذار، وفي مثل هذه الطريقة من البذار فإن البذور تستنفد أكثر بضعفين عمَّا كان عليه سابقًا، حينما كانت تستخدم الأنبوبة. وتُستَهْلَكُ في المطيرة الواحدة كميَّة مُصرى واحدة من البذور، ويكون ناتج المحصول من ذلك مقدار مكيال (١٠ مصارٍ "صغيرة") من المطيرة الواحدة، أي عشرة أضعاف البذور. وفي الوقت الراهن حيث أصبحت كمية الدمان أقل فإنهم يحصلون على ٣٠ أو ٣٥ مكيالًا من ١٠٠ مطيرة (أي ثلاثة أضعاف) فقط. بيد أن محاصيل الذرة في منطقة القطن تعطي منتوجًا أعلى بكثير.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وفي الربيع يزرعون إلى جانب الذرة الكثير من الدجر، وفي الصيف الجلجل؛ وذلك لأن الدجر لا يتلاءم مع حرارة الجو. وبعد موسم الحصاد تبقى الأرض للراحة لمدة عام.

إن العمل في الحراثة الأولى والثانية يقوم به الرجال في معظمه، أما في البذار فتشارك النساء أيضًا. ومن ثَـمَّ تلي ذلك العمليات النسائية: أول قلع للأعشاب الطفيلية الضارة (تبدأه) وتتم خلال ١٥ يومًا بعد البذار، وثاني قلع لتلك النباتات الضارة (مخوشة) بعد شهر واحد.

وإذا جاء خلال هذه المدة سيل جديد، فإن الرجال يقومون بالسلاقة ثانية (حرم)، لكي تتشبَّع التربة بالرطوبة بشكل أفضل، وحتَّى لا تتصلَّب الطبقة العلوية للأرض. وتحصد النساء الدجر بسكينة (شفرة، شفار)، أمَّا الذرة فيحصدها الرجال والنساء بالمنجل (شريم - شرم [انظر الرسم: ١-ب]). وتتمُّ دراسة المحصول (مسابط) بدراسة خشبية (عود - عيدان) لفصل الحبوب عن السَّنابل أو عن القشّ، ثم يقومون بتصفية الحبوب في مصافٍ كبيرة مصنوعة من سعف النخيل، بعد ذلك يقومون بالحراثة الأخيرة، وبذلك تنتهي الدورة الزراعية حتى موعد السيل الجديد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

على خلاف الزراعة، فإن تربية الحيوانات في حضرموت تمثل دورًا ثانويًا فقط، وهي تعيش اليوم أزمة حادَّة.

إنَّ الاقتصاد التقليدي، حقيقة، لم يستطع الاستغناء عن الجمال والحمير كوسائل للنقل والجر. وكما سبق الحديث فإن الدور الرئيس في أعمال الجر كانت تقوم به الثيران من النوع المحلي الأحدب، التي تنتشر حتى الآن في المهرة وفي سقطرى [١٦٠ ص٩٧-١٠١]، فهذه الحيوانات قصيرة القامة وارتفاعها لا يتعدَّى المتر الواحد [انظر الصورة رقم ٣١]، وتزن حوالي ٢٠٠ كجم، ويطلق الباحثون على هذا الصنف قصير القامة قزمًا. وحسب أقوال مَنْ تحدَّثوا إلينا فإن الأبقار المحدَّبة تعطي في اليوم ما يزيد قليلًا عن ٢ كجم من اللبن، أي أن متوسط كمية الحليب الـمُسْتَدَرِّ سنويًا (باحتساب٢٨٠ يومًا من إفراز اللبن) يقارب ٦٠٠ كجم، يستنفع الإنسان بنصفها تقريبًا [انظر لاحقًا: الفصل٢ الفقرة٣].

لقد تلاشت الثيران والأبقار في حضرموت الغربية من ذاكرة الجيل القديم؛ إذْ أثَّر في ذلك شحة أعشاب العلف - البرسيم والقرط أو الفصفصة (قضب)، التي تتطلب سقيًا مستمرًا. في الماضي كانت تُسقَى من مياه الآبار. ولكن مع ظهور مضخَّات البنزين والمضخات الكهربائية، وكذلك المضخات الإرتوازية، خلال العشر السنوات الأخيرة، فإن مستوى مياه الآبار الجوفية قد انخفض. ولهذا السبب جفَّتْ بعض الينابيع والكثير من الآبار. كما أنَّ انعدام الأعلاف، وتزاحُمَ الجرَّارات الزراعية، التي تستخدم الآن في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كلِّ مكان في الحراثة الأولية، قد قاد إلى بقاء القليل من الأبقار في حضرموت الغربية. ويعتقد بعض المزارعين من كبار السن، أن انعدام زبل الأبقار (الدمان)، في الوقت الراهن، قد أثر في انخفاض محصول الغلال إلى الثلث، أمَّا الجرَّارات الثقيلة فإنها تشوِّه تركيبة التربة في أثناء الحراثة.

لقد انخفضت أعداد الجمال مقارنة بالماضي بشكل كبير، فقد كان يوجد لدى قبائل بن شملان في حبب (وادي عمد) ١٥٠ جملًا لعدد ٢٥٠شخصًا. وفي الوقت الراهن قلَّ عدد هذه الحيوانات خمس مرات (حسب حديث المقدم ناصر عبدالله بن شملان، حوالي ٦٥ عامًا). وكما يبدو فإن هذه النسبة يمكن قبولها في كل حضرموت الغربية؛ حيث حلَّتْ سيارات الحمول خلال العقود الأربعة الأخيرة محلَّ الجمال كقوافل نقل رئيسة للتجارة. أمَّا في الثلاثينيات فبلغ عدد الجمال في السلطنة القعيطية حسب التقديرات حوالي ٢٠ ألف رأس [٧٥ ص٥٥].

خلال الأعوام ١٩٨٦ - ١٩٨٩م حصلت البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة على الإحصاءات الاستبيانية الآتية التي تبيِّن تعداد الماشية في حضرموت الغربية:

وادي عمد	-	٣٥٠	أكثر من ٣٠٠٠	١٨٥٠٠
وادي دوعن	٦	١٥٠	أكثر من ٢٣٠٠	٩٥٠٠
وادي العين	٦	٢٠٠	أكثر من ٣٠٠	٨٠٠٠
الإجمالي	١٢	٧٠٠	أكثر من ٥٦٠٠	٣٦٠٠٠

إن المعطيات التي تم الحصول عليها غير مكتملة: لم يدخل في الإحصاء مركز حورة، والهضبة العليا للأودية الرئيسة في غرب حضرموت. وعن قطعان الماشية الكثيرة المتركزة في الهضاب يدل استفتاء أُجْرِيَ في عام ١٩٨٩م في صوط باتيس (مركز الضليعة)، فكلُّ ٣٦٠ من السكان يقابلهم حوالي ١٤٠ جملًا وعشرات الحمير وحوالي ألف من الضَّأن والشياه. أما المعلومات عن عدد الحمير فغير موثوقة؛ لأن الفكرة ذاتها حول العدد المضبوط لهذه الحيوانات تثير الضحك لدى السكان المحليِّين، ومن المحتمل، أن الأرقام الخاصة بوادي العين منخفضة لهذه السبب.

تتميز الجمال المحلية ذات السنام الواحد بألوانها، والأكثر انتشارًا هي الصفراء "لون أصفر - رملي"، والعرقاء "لون أصفر إلى احمرار"، والحمراء "لون أحمر - بني" [٢١٥ ص٦٤].

تشتغل في تربية الجمال عادة القبائل شبه المترحِّلة في نمط حياتها الرئيسة. ترعى الجمال في مواسم الجفاف في الأودية؛ حيث تقتات على الأوراق والأغصان الرفيعة لأشجار السمر، الكرد، العلب، المشط، الراك، وأشجار الحويرة ... الخ. وفي مواسم الأمطار فإن الجمال مثلها مثل الشياه والضَّأن تطرد إلى الهضاب. أما قُطعان الأغنام فيحفظون لها الخضرة الطريَّة والمادة الخضراء (كلف) في مخازن مجوَّفة تحت الأرض [انظر لاحقا ج٣ ف١ الفقرة١].

وفقًا للتقاليد، فإن رعيَ الجمال وحلبَ النُّوق، عمل من اختصاص الرجال، بيد أن عملية التنقل والهجرة تغير الظروف تغييرًا جذريًا، فعندما يعمل الرجال في أماكن بعيدة عن أسرهم، فإن النساء يضطررْنَ للتكيُّف وإجادة "العمل الرجولي". وتشهد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على ذلك أسرة الصيعري من البدو السيبانيين من الفرع القبلي الحالكة، ففي غياب الزوج مبخوت بن عبدالله، الذي يعمل سائق عربة في الريدة، فإن العجوز "بركة" أصبحتْ ربَّ الأسرة، وهي تقوم بالأعمال الاقتصادية مع ابنتين يافعتين وزوجة الابن [انظر ج٣ ف١ فقرة١].

يستهلك حليب النوق طازجًا، ويشرب خليط اللبن الرائب مع الماء (شنين). ويستخدم لحم الجمال أيضًا في الأكل، وعادةً يتمُّ ذبحُها قبيل رمضان.

وفيما يخص قُطعان الأغنام، فإنَّ معظم أعداد الماشية في حضرموت الغربية تتكوَّن من المعز (capra mangesi noack)، على خلاف مناطق استيطان الصيعر، الكرب، آل رشيد، وجزيرة سقطرى؛ حيث يملكون الضَّأن [٢١٥ ص٦٥؛ ١٦٠ص١٠٤].

إنَّ فرضي ذ٤٤٥ دوستال حول أن السكان الأصليين يقومون، بشكل خاص، بتربية الماعز، تسندها ذخيرة المفردات المحلية: فـ"الشاه" لاتعني هنا "النعجة"، وإنما "المعز"، أما "الغنم" فيستخدم لهذه وتلك. والتيس على خلاف الـجَدِي (الضَّأن) نجده في تسميات القبائل (باتيس)، وتخاط على ثوب العروس عذبات من ذيل الماعز، وهذا يَـعِـدُهَا بالذرية الكثيرة. والماعز أكثر لذة وفائدة من الخرفان.

إنَّ متوسط وزن العنزة – ٢٥ كجم، ومتوسط الحليب في العام – حوالي ٣٠٠ كجم. ويُعطى حليب الشاه بكثرة للأطفال والمرضى، ويستهلك اللحم في الأعياد وفي الموائد الاحتفالية [انظر لاحقا ف٢ فقرة٣].

يمخَّض السمن في قربة جلدية (شكوه – شكاو)، أمَّا الجُبْن فيستخرج بالتبخير في قدور حجرية (بُرمة – بُرَم). وتعطي الضَّأن قصيرة الذيل (الوزن المتوسط ــ ٢٠ كجم) خلال موسم الحلابة حوالي ٥٠ كجم من اللبن.

إن الوجهة الرئيسة لتربية الأغنام هي إنتاج اللحوم والجلود، المستخدمة على نطاق واسع في الصناعات الجلدية [انظر لاحقا فقرة٣]. فمن فروة الضَّأن تصنع الملابس الفلاحية الخارجية، التي يتمُّ ارتداؤها في مواسم البرد والأمطار. ويُقص صوف الضَّأن في بعض الأماكن بالسِّكِّينة وليس بالمقص [٢١٥ ص٦٩].

إن الضَّأن حسَّاسة إلى حد كبير تجاه الرطوبة وهبوط درجة الحرارة، ويعد الحنَّاء أحد أساليب العلاج التقليدي. يُخطط الوشم في وجه الماشية وهو عبارة عن تركيب بسيط من الخطوط المستطيلة أو المنحنية، وتستعمل أيضًا كعلامات للمالك؛ ذلك أن قطيع الماشية، كقاعدة عامة، هو ملكية خاصة. ولزيادة كمية الحليب الذي تعطيه الشاة والنعاج يتمُّ إطعامها عجم التمور المدقوقة (رضيح).

ولا وجود علميًا لتربية الانتقاء. وفي بعض الأحيان تستخدم آلة بدائية للتيوس والخرفان. وليس هناك موسم محدَّد للسفاد، بيد أن ولادة الغنم الأساسية تتمُّ في بداية الصيف.

تُربَّى في أرياف حضرموت أيضًا أعداد لا بأس بها من الدجاج ذي الصنف القصير، ومع ذلك فإن لحوم الدجاج المستخدمة في الأكل مستوردة غالبًا.

يحتفظ القطيع حتى الآن، إلى درجة ما، بوظيفة التكافؤ النقدي. وأسعار الماشية معروفة للجميع، فالتيس أو الكبش حوالي ٣٠ دينارًا. وتنتشر في حضرموت الغربية الجمال السحاقية (نسبة إلى مشايخ آل إسحاق)، وتقدَّر قيمتها هكذا: سعر القعود ذي العام أو العامين ٥٠ – ٢٠٠ دينارًا، وسعر الذكر الفحل من ثلاث إلى أربع سنوات ٢٥٠ – ٣٥٠ دينارًا، والذكر الكبير ٥٠٠ دينار، أمَّا ثمن الناقة العشراء أو الحلوب فيبلغ ٧٥٠ دينارًا. ويمتلك الحضر في كل بيت تقريبًا من ١٥ –٢٠ رأسًا من الماشية، ومن ١ –٢ من الحمير، فيما يمتلك البدو شبه الرحَّل من ٣ –٥ جمال، وما لا يقل عن ٦٠ –٨٠ رأسًا من الضَّأن والشياه للاقتصاد المنزلي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

النِّجَارة:

إنَّ النجَّار الماهر يلبِّي مختلف الطلبات من أشغال النجارة الخشبية والحفر والنقش على بوَّابات المداخل أو النقوش التذكارية الخشبية.

كنا قد استجوبنا النجَّارين المهرة بمختلف المستويات التقليدية. البعض منهم، مثلهم مثل أسلافهم، يعملون فقط في تلبية الطلبات، في بيوت الزبائن أصحاب الطلب، وبموادهم، ويستخدمون الطقم التقليدي للأدوات. من هؤلاء عمر سالم سعيد باطرفي (حريضة، من المساكين الحضر، آخر الحِرَفِيّين المهرة في الأسرة، ٧١ عامًا)، وعوض سعيد بارحوم (عمد، من الأخدام، ٥٥ عامًا).

فيما يملك النجَّارون الآخرون مساحات خاصة لممارسة عملهم، ويقومون بتجهيز المنتوجات حسب الطلبات أو لغرض الادِّخار، ثم يتم ترويجها وتسويقها في مواسم الزيارات، ويستخدمون جزئيًا الأخشاب المستوردة والمعدات، ومن هؤلاء صالح يسلم بارحوم (جاحز، من الأخدام، ٥٣ عامًا).

أما النجَّارون الأكثر تطورًا فيستخدمون مكائن ثابتة لتشغيل الأخشاب، تُدَارُ كهربائيًّا، ويوجد لهم مساعدون، وهذه هي عمليًا ورش ميكانيكية صغيرة، وإلى هذه الفئة ينتمي صالح أبوبكر باسهل (حريضة، من المشايخ، حوالي ٦٠ عامًا)، وصالح سعيد باشميل (النعير، من الضعفاء، ٦٠ عامًا).

ولغرض المقارنة استجوبنا حِرَفِيِّين في نجارة الأخشاب خارج حضرموت الغربية – في القطن (صالح سالم بن دهري، من الضعفاء، ٥٥ عامًا)، وفي شبام (عاشور صالح زبير، من الضعفاء، ٧٠ عامًا)، ونجارين في سوق الحِرَفِيِّين في سيئون.

الطاقم الاعتيادي لأدوات النجارة موضح في الرسم رقم (١١).

أدوات القطع:

القَدُوم بنوعَيْهِ: الأول المحلِّي (طول النصل ١١.٥سم، حاشية الجزء العملي ٣.٤سم، العرض الأقصى للنصل ٤.١ سم، طول المقبض ٣٣.٥ سم). والثاني المستورد وهو أكبر بكثير (طول النصل ١٥.٥ سم، وجزء الحاشية العملية حادٌّ، العرض الأقصى للنصل ٧.٢سم طول المقبض ٣٤.٨ سم).

الفؤوس ذات الصناعة المحلية بمختلف الأحجام (على سبيل المثال، طول النصل ٨.٥ سم، طول الحاشية العملية ١١ سم، مقبض الفأس ٥٧.٥ سم).

مناشير شَقّ مزدوجة في إطارات قائمة الزوايا (طول الإطار ١٤٠ سم، الارتفاع ٧١ سم، طول المنجر ١٢٢سم، العرض ٥.٥ سم)، النصل مستورد.

مناشير يدوية (مقطعة – مقاطع) بنصل طوله من ١٢ إلى ٣٢ سم، ارتفاع المقبض حوالي ٨ سم وطوله حوالي ١١ سم، النصل مستورد.

المثقب والأزميل (منقب – مناقب)، صناعة محلية ومستوردة بمختلف المقاييس (طول الجزء المعدني من ٦ – ١٥ سم، طول المقبض ١٢ سم، والقطر حوالي ٣ سم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مثاقب مختلفة (مخدر – مخادر) معظمها صناعة محلية، المادة الخاصة بالجزء المعدني تُستخدم عادة المسامير بمقاييس قريبة من حجم الأزميل. وإلى الوقت الحاضر لم تتغير بعد آلات الخزق والثَّقب اليدوية المحلية (مخدر – وقوس). ويتم إعداد القوس من خشب المشط، ووتر القوس من شريط من جلد الجمل مطويّ أو مفتول مرتين. وتوجد آلات الثقب اليدوية بأحجام مختلفة (على سبيل المثال، طول القوس ٤٦ سم، القطع العرضي حوالي ٢ سم).

فأرة بمقطع أو مقطعين، محلِّـيَّـة أو مستوردة الصنع، وفأرة فرز (خاسر – خسور) بمختلف الأحجام.

مبارد مستوردة لتصنيع ومعالجة الخشب الخشن والدقيق.

الأدوات المساعدة:

مطرقة خشبية (موفل – موافيل) دائرية، مصنوعة من جذع شجرة غليظ (الطول ٣٢سم، القطر ٦.٥سم، طول المقبض حوالي ٨ سم، القطر ٤سم)، وكتلة غليظة منجورة (الطول العام ٤٢سم، العرض الأقصى ١٠سم، العرض الأدنى ٤سم).

مطارق مستوردة من المسامير (فتيق)، وزرادية مدورة الفكين (كلبة- كلبات).

مسند – قطعتان من جذع خشبي مختلفتا الحجم (الطول حوالي ١٢٠سم، القطر حوالي ١٣سم)، يوضعان على الأرض، ويتم توصيلهما بزاوية ٤٥ درجة، وفي الشق قرب الرأس يثبت جذع ساق، يماثل تلك الأحجام تقريبًا، وفي الزاوية الناتجة يوضع الشجرة المراد نشره بمنشار طولي مزدوج [انظر الرسم رقم ١٢].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الأدوات القياسية:

الفرجار الأوروبي (بيكار)، الزوايا المحلية والمستورة، محدد قياس محلي (بكرة-بكرات).

وإلى الوقت الحاضر ما زالوا يحسبون الكثير من المقاسات بالأساليب التقليدية- بالآيادي والأصابع.

يتم وضع طقم النجارة الاعتيادي في سلة صفصاف، باستثناء الأدوات الضخمة والكبيرة.

إن المعلِّمين المهرة يثمِّنون عاليًا الأخشاب المحلية. ويُستخدم خشب العلب الصغير على نطاق واسع، أما القديم (ما لا يقل عن ٣٠ إلى ٤٠ عامًا)، ويسمُّونه "حِمر"؛ بسبب لونه الأحمر، ويخصّص للأبواب الخارجية، المطرَّزة بالزخارف، وكذا للهياكل المنقوشة (لهج – لهوج). وتُصنَع الأدوات الزراعية الخشبية عادةً من أخشاب (المشط)، التي لا تتأثر بالرطوبة، أما المصنوعات الأكثر دقة فيستخدم لها خشب السمر. كما تأتي الأخشاب المستوردة من شرق أفريقيا والهند وسريلانكا وروسيا، على شكل ألواح أو عوارض بمقاسات وأحجام مختلفة.

يمكن تقسيم منتوجات المصنوعات الخشبية إلى أربعة أصناف:

أ – التراكيب الإنشائية وأجزاء المساكن:

عمود الاستناد (سارية- سواري)، وتاج العمود (كبش- كباش)، والمشربيَّات، التي تُثَبَّتْ على الصواري الخارجة من الجزء العلوي للعمود (مغسج- مغاسج)، وتُخصَّص لحفظ لوازم الفراش (مشعبة- مشاعب).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حوامل عارضة (قاسم- قسم) وعرضية (مكسر- مكاسر)، أبواب خارجية (سدة – سدد) وأبواب داخلية، جائز علوي للباب (عتبة – عتاب)، قوائم، عتبة (مردم- مرادم)، مغاليق على شكل صليب مع الأقفال (خيشمة- خياشيم وقلودة- قوالد). سُلَّم ثابت (رقاد)، درفات النوافذ (لهج- لهوج)، دواليب ورفوف. [انظر لاحقًا ف٢ فقرة١، والصور: ٣٥، ٦٢-٦٣، ٦٧-٦٨، ٧٢].

ب- أدوات العمل المختلفة:

أدوات زراعية:

وسائل حراثه صغيرة وكبيرة - حلي، قصبة للبذار، مسلف كبير وصغير لسلف الأرض، ألواح لتسوية التربة، نير للثيران. [الرسم رقم ٩-١٠]، "الخطاطيف" الخشبية للتمور، مقابض المنجل والمشاذب والمعازق والمعاول والفؤوس ...الخ، وقوائم وعوارض للآبار (تشروعة).

أدوات بناء:

قوالب (مفتل – مفاتل) لخامات الطوب والآجر بمختلف الأحجام والمقاسات [انظر لاحقا، ف٢ فقرة١]، نقالات (رعة- رعين)، بكرة (عجلة- عجلات)...الخ.

أدوات النقل:

برذعة للحمار (وكاف- وكفة)، مع أجنحة متناسقة (شجب- شجوب) لحمل القِرَب وغيرها من الأحمال المختلفة، وبرذعة الجمال (قتب- قتبان)، والسرج العلوي (شد- شدود) [الصورة رقم ٣٦].

ج- لوازم البيت:

جفن، وأطباق، وأجران كبيرة وصغيرة (منحاز- مناحيز)، مع مدق خشبي (قصرة- قواصر) أو حجري (منصل). ركيزة تحت الجرن (متكا- متاكي)، وعاء الطعام (مقدح- مقادح)، مجرفة – خلاطة (معصد- معاصد)، لَقمة لولبة تقسيم اللحم (موقفة- مواقف) [انظر الصورة رقم ٣٩، ٤٠].

أراجيح (هِدّاه- هدادي)، صناديق خشبية للعرائس ...الخ.

د- أدوات الطقوس والمراسيم:

أدوات التأبين المختلفة – التوابيت، وألواح عمودية مع النقوش (شاهد- شواهد)، وصناديق لجمع الصدقات، وصناديق للسكر (حوض حياض)، وأسِرَّة لغسل الأموات ونعش لحملهم.

منابر المساجد، والمحراب، وكراس لقراءة القرآن ...الخ.

لقد انخفضت تشكيلات المنتوجات الخشبية في الوقت الحاضر. وأضحت الطلبات على المواد الطقوسية نادرة جدًا، كما أن دِقَّة صنعة النقاشين على الخشب المشهورين على نطاق واسع في حضرموت باطرفي، باخشوين، باكثير، بن دهري لم يعد يتقنها أخلافُهم.

لقد أخذت الأدوات المعدنية والزجاجية والبلاستيكية المستوردة تزاحم الأدوات الخشبية، ماعدا لقمة اللَّولبة والصحون ومحراك الخلط. وبقيت التسميات الاصطلاحية لأدوات العمل، ولكن هنا أيضًا بدأت الأدوات المعدنية تزيح المنتوجات الخشبية: يتم إعداد بكار المياه من إطارات الدرجات، و"أجنحنة" برادع الحمير من أنابيب معدنية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(بأربع عوارض بدلًا من الست الخشبية [انظر الصورة رقم ٧٠])، وحتى المحراث التقليدي (حلي) يتم تجميعه أحيانًا من أجزاء معدنية.

وبالمثل فإن أسنان المفاتيح تُعمَل الآن من المسامير، كما يتم تجميع الأبواب الخارجية غالبًا من صفائح معدنية متموِّجة، على إطار خشبي أو من الحديد كاملًا. وظهرت العوارض الحديدية. ومثل هذه الأجزاء غالبًا يفضِّلها بدو الأمس، الذين يظل لديهم ميل واشتياق إلى تغيير الأماكن، وبتفكيك الأبواب الحديدية والعوارض، يمكن لهم ترك هيكل السكن المؤقَّت، المكوَّن من اللبن الطيني، والشروع ببناء منزل جديد على بعد كيلو مترات عديدة من القديم.

ويظلُّ الطلب مستمرًا على تركيبات البناء الخشبية وأجزاء المسكن، وهنا لابد من الأخذ بعين الاهتمام نمو حركة العمران، التي تدين بها حضرموت للمهجر.

وأصبح من النادر في الوقت الحاضر أن يعمل الحِرَفِيّون في بيت صاحب الطلب. فغالبيَّتهم يملكون أماكن خاصة (وصر – أوصار) خلف جدار طينيٍّ، مع غرفة لوسائل العمل وللمواد والمنتوجات الجاهزة. واستطاع البعض منهم اقتناء "ماكينة إيطالية" (قيمتها حوالي ٤٠٠ دينارًا)، وهذه الماكينة لها منشار دائري ومقشطة مع قوائم ثابتة وآلة تثقيب.

خلال عشر ساعات عمل في اليوم (من ٧ صباحًا إلى ٥.٣٠ عصرًا، مع نصف ساعة استراحة للغداء) كان الحِرَفِيُّ يحصل على ١٠- ١٥ دينارًا، وكما أسلفنا القول كان يتطلب إنجاز المحراث الصغير من ثلاث إلى أربع ساعات عمل، وتُقدَّر قيمته من ٥- ٧.٥ دنانير).

وكان يتمُّ تجهيز البوَّابة الخارجية من الطراز القديم (مع النقوش المنحوتة) خلال ١٥- ٢٠ يومًا، أمَّا الصنف الجديد فخلال ٣- ٤ أيام. وكان يقتضي الباب الداخلي أو النافذة ذات الدرفتين من ٢- ٣ أيام. ومن الصعب على الحِرَفِيّين الفرديِّين منافسة منتوجات الحِرَفِيّين التعاونيِّين، الذين ينتجون ببساطة أصنافًا عدة من الخشب المستورد. وها هي بعض الأسعار (بالدينار) لعام ١٩٨٩م من السوق الحِرَفِيّ في سيئون- للحرفيين التعاونيين و(بين قوسين) الفرديين: نافذة بأربع درفات ٣٦، ٤ (٥٠) دينارًا، نافذة بدرفتين ٢٠.٦٥ (٢٥) دينارًا، باب ٥٩.٧ (٦٥) دينارًا.

الحدادة:

منذ الأزمنة القديمة كان الحدَّادون والنجَّارون يعملون سويَّة؛ إذْ كان الحدَّادون يصنعون أسِنَّةَ المحراث، ويصفِّحون بالحديد ألواح تسوية الأرض والمجرفة الخشبية، ويصنعون الأسنان المفلطحة للمسلفة ونصال المعاول والفؤوس والمعازق والمطارق والمناجل والسكاكين والمناشير، وكذا مسامير الزينة ذات الرؤوس الكبيرة (قرصة- قروص) الخاصة بالأبواب الخارجية والداخلية وغيرها [الصور رقم ٣٤، ٤١-٤٢]، وحسب روايات كبار السن، كان الحدَّادون موجودين تقريبًا في كل قرية كبيرة في حضرموت الغربية. ولقد توفِّي قبل مُدَّة آخر أخلاف الحدَّادين في خريخرة (وادي دوعن). كما أنَّ تدفُّقَ المصنوعات الحديدية المجلوبة والأدوات المعدنية الأجنبية والأثاث قد ألحق بالحدادة المحلية ضربةً لا تُعوَّض.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

معظم الحدَّادين في حضرموت يحملون كنية المهنة التي تحوَّلتْ إلى اسم عائلي (الحداد). وما زال الحدَّادون متواجدين في العرسمة (وادي دوعن). وتحظى مساميرهم الزخرفية بشهرة واسعة بعيدةً خارج حدود الوادي. كما يوجد الحدَّادون أيضًا في البويرقات- المركز الحِرَفِيّ لوادي العين، وفي حورة (وادي الكسر). وكذا في عدد من المناطق الأخرى في حضرموت الغربية. وينفِّذُ الغالبية منهم أعمالًا غير معقدة؛ حيث يقومون، في الغالب، بترميم وإصلاح الأدوات المعدنية، وتنفيذ مصنوعات من الصفائح.

وتَلْقَى طلبات سكان حضرموت الغربية قبولًا خارج حدود المنطقة- في القطن. (جرى الحديث مع الحدَّاد بالوراثة محمد عبدالله بن يثرب الحدَّاد، ٢٦ عامًا)، وفي المكلا (عوض محمد محروس، ٤٨ عامًا، وعبدالله عمر المقداد، ٦٠ عامًا).

محمد بن يثرب يعمل عادة بالطلبيَّة في مكان مفتوح، تحت الشمس، وهو يستخدم فرنًا خفيفًا متنقِّلًا (قطرة الأقصى ٢٨ سم)، ويسمى "مجمرة- مجامر". تضرم النار في فحم (صخر) من أشجار العلب والسمر أو الجذوع، وتنفخ النار بِكِيرٍ مصنوعٍ من جلد الخروف، وفي عنقه أنبوبة معدنية، أما في الجزء الخلفي فـثُـبِّـتت اثنتان من العصيِّ لنفخ الهواء بالضغط. وتستخدم المواد الخام من نصل المعاول والمجازف والمعازق القديمة. ويقوم الحدَّاد بصناعة الأجزاء الحديدية للأدوات الزراعية (فيما عدا سِنّة المحراث "حلي" ونصال السكاكين والفؤوس). أما الأدوات التي يستخدمها فهي ببساطة: سندان الزبرة (الارتفاع ١٤ سم، المقطع العلوي ١٠×١٠ سم، والتحتي ٨×٨ سم)، ومطرقة وعدة شاكوشات (فتيق)، كمَّاشات وملاقط (كلابة)، ومبادر وأزاميل ومناحت قطع (مكسر- مكاسر)، ومخارز وزرَّادية مسطَّحة الفكَّين، وزرادية مُدَوَّرة الفكَّين،

وشفار أو مقاطع للصفيح (مقص- أمقاص)... الخ. وجميع الأدوات إنتاج مستورد، باستثناء الفرن والكمّاشات والخرامات. ولدى الحدَّاد ورشته الخاصة مع فرن ثابت متوقِّف عن العمل، يستخدم في الأساس لحفظ الوقود والمواد الخام والمنتوجات.

يعمل الحدَّادون المهرة في المكلا تحت سقيفة، على مساحة ٢٠ × ٢٠ متر تقريبًا. توجد تسعة أفران ثابتة (كير- أكيار) أسطوانية الشكل، منحوتة من الطين، وكذا منفاخ وسندان وصندوق للأدوات، وقطع المصنوعات الجاهزة. ويتمُّ شراء الفحم من البدو، وتُـقَدَّر قيمة الكيس الكبير من ٤- ٤.٥ دنانير.

ينتمي حدَّادو المكلا إلى أسرة جنبين، باعامر، بامحروس، بايعشوت، المقداد، جوبان، باحويرث. وكلُّ واحدٍ منهم مستقلٌّ بذاته حِرَفِيًّا، ولديه شخص أو اثنان من المساعدين، ومع ذلك يقرُّون جميعًا أنَّ لديهم معلِّمًا أوَّلًا (عاقل – عقال) هو عبدالله أحمد جنبين (حوالي ٨٠ عامًا)، وهم يحلُّون الكثير من القضايا بشكل جماعي. إلى جانب ما ذكر آنفًا من أدوات الحدادة يستخدم حدَّادو المكلا مطرقة كبيرة (مخلعة)، وأزاميل للثقب في القطع الساخنة (مقصة – مقصات)، وفي القطع الباردة (فرصة – فرص)، وسندان كبير (صين)، وركيزة خاصة للثقب والتخريم.

وهم يقدِّمون خدماتهم لمنطقة واسعة، تمتدُّ من المهرة إلى شبوة، بما في ذلك حضرموت الداخل، ويتَّجه عملهم لتلبية طلبات الزبائن وكذلك للسوق. ويستمر يوم العمل لديهم من خمس إلى ست ساعات (٧½ صباحًا إلى ١٢½ - ١٣½ ظهرًا)، ويكسب الحدَّاد خلال ذلك الوقت من ٥- ٦ دنانير تقريبًا. ويتم تصنيع المعزقة الواحدة في المتوسط خلال ساعتين ونصف الساعة إلى ثلاث ساعات، وقيمتها تساوي ستة دنانير.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إنَّ تشكيلة منتوجاتهم متنوِّعة إلى حدٍّ كبير: مسامير الزخرفة برؤوس صغيرة الحجم، أدوات النجارة، منتوجات الصيادين والبحَّارة: حربات منثنية لصيد الأسماك صغيرة وكبيرة (منذق – مناذق)، والمرساة (برونصي – براوص)، ومجارف (نخيسة – نخايس)، وأزميل لتقليف القوارب (قلفطة). وهلمَّ جرًا.

كان الحدَّادون في حضرموت يقعون في حضيض الدرجات التقليدية للأشغال، تقريبًا، وطبقًا لذلك انتموا إلى الطبقات الدنيا للمجتمع. وأبحاثنا الميدانية تتعارض مع هذا الوضع. مع أن دوستال ذكر حدَّادًا من تريم ينتمي إلى طبقة القبائل (نهد).

صياغة المجوهرات:

إنَّ الوضع الاجتماعي للصاغة (صَوَّاغ- صواغون) - خلافًا للحدَّادين - يكادُ أن يكون الأرفع بين حرفيِّي حضرموت. وعملهم هذا مشهور، والطلب على مصوغاتهم مستمر، ولذلك يعملون على تلبية طلبات الزبائن وللتسويق أيضًا.

كنا قد تحدَّثنا مع الصاغة بالوراثة في غرب حضرموت: في وادي دوعن، مع عمر سالم باحشوان، حوالي ٧٠ عامًا، وابنه أحمد البالغ من العمر٤٧ عامًا (الهجرين)، وكذلك مع سعيد محمد بن سلمان، ٤٣ عامًا (قيدون)، وفي وادي عمد مع أحمد عمر باداود، ٥٤ عامًا (حريضة)، ومع أحمد عمر بإبراهيم، ٦٧ عامًا (خنفر). وخارج حدود حضرموت الغربية أجريت أحاديث في القطن مع علي محمود باحشوان، ٤٠ عامًا، وفي شبام مع محمد عبدالله حسن حوالي ٧٠ عامًا.

إنَّ الفضَّة هي المادة التقليدية، وكانوا يستخدمون كمادَّة خام للمصنوعات وقطعة للزينة ووحدة للوزن العملة الفضية "قرش فرنصة"، كما كانوا يطلقون في حضرموت على تاليري ماريا تيريزا، الذي صكَّ حسب مواصفات الاتفاقية النقدية النمساوية-البافارية عام ١٧٥٣م. الوزن الصافي للفضَّة ٠٤٧٤، ٢١ جرامًا من إجمالي الوزن العام للعملة ٣٨٦، ٢٣ جرامًا، وقد ظلَّت العملة النقدية تاليري تصدر حتى الزمن الحديث (يُشار على ناحية الوجه إلى عام وفاة الإمبراطورة ١٧٨٠م). وكانوا في الشرق الأوسط يثمِّنون العملات القديمة، مع نقش واضح على القطعة وحرفي S.F تحت صورة ماريا تيريزا، ورسم واضح لـ "اللؤلؤ"- سبع في التاج وتسع على مشبك الكتف يسارًا. وكان سعر التاليري في منتصف الثمانينيات حوالي ٥ دنانير. واستخدم الصاغة العملات الفضية الأخرى والخردة (عشير).

منذ ربع قرن مضى، أخذت تنتشر من العربية السعودية وغيرها من الدول العربية النفطية موضة الحليِّ الذهبية. وفي الوقت الراهن يتم بَيْعُها، بل ويقوم معظم الحِرَفِيّين بصياغتها في بعض الأحيان، وكما جرى التأكيد أكثر من مرة في الأحاديث فإنَّ هذه المادة ليست من تقاليد البلد.

إنَّ جزءًا من أدوات صياغة المجوهرات تماثل أدوات الحدادة: الفرن المتحرك (مجمرة – مجامر)، والمطارق، الزرادية مبرومة الكفَّيْنِ، الزرادية مسطحة الفكَّيْنِ، والكمَّاشة [الرسم رقم ١٤]. يشتري الصاغة الفحم من البدو، وتُترك الفضة تطفو على النار في بوتقاتٍ فخارية (كواج – كويج)، ثم تُصَبُّ بعد ذلك في قوالب (مفرغ – مفاريغ)، ويتم الحصول على سبائك ممدودة – أسياخ، ومن هذه الأسياخ يعملون أسلاكًا مختلفة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأقطار، ويوصلونها من خلال ألياف الطبعة، باستخدام أسطوانة السحب (كانت في السابق خشبية، أمَّا الآن فحسب مواصفات الطراز الأوروبي).

ولتصنيع الصفائح الفضية الدقيقة يستخدم مكبس فخاري (مفتاح- مفاتيح): في جزئه السفليّ (قدر – قدور) يصب المعدن، ثمَّ يضغطونه بغطاء ثقيل (رأس- رؤوس). ويقومون بالتلحيم بواسطة "مسدس ياباني"، وهو مشعل حديث يعمل بالغاز، ومع ذلك ما زالت مواقد اللحام التي تعمل بالكيروسين (سراج – سروج حق الغاز) باقية عمليًا لدى جميع من سألناهم [انظر الرسم رقم١٤-٥]. وبصرف النظر عن المظهر القديم لهذه المواقد فإنها لم تظهر إلا في عشرينيات القرن العشرين فقط، أما قبل ذلك الوقت فقد استخدم الحِرَفِيّون لصياغة الحليِّ المصابيح التي كانت تُـوْقَـدُ بالزيت النباتي. وتُوزَنُ المصوغات الجاهزة في موازين لها ذراعانِ متساويان.

إنَّ طقمَ الحليِّ في حضرموت الغربية واسعٌ إلى حدٍّ ما. وهذه الحلي تشتريها قبل كل شيء أسرة العريس للعروس، وتعدُّ أساس الممتلكات الشخصية للنساء: طوق وأنواط تعلق على الجبين (عصبة - عصابة)، وقد خرجت في الوقت الحاضر عن نطاق الاستخدام، وان احتفظ بها بعض صاغة المجوهرات. الزينة الأخرى على الجبين (خرز- خروز، مخدرة- مخادر، عثكول- عثاكيل)، وشنوف ثقيلة على الأذن مع أربعة إلى ستة أقراط) [١٧٤ الصور ٢٢، ٢٦]، وأقراط على شكل سلسلة مزدوجة (مخلوط - مخاليط)، وأقراط الأنف (لازم - لوازم)، وقلادة الصدر (لـبَّـة- لَـبَّات)، والسلسلة (مسلسل- مسلسلات)، ودلايات (مرية – مرايا)، وأساور اليد (زند- زنود) المصبوبة (صب)، والمفتولة والمجوفة (فاضي) [١٧٤ الصورة ٢٣]، وكذلك أساور للأرجل

مفتولة (سمط- سموط) [١٧٤ الصور ٢٣، ٢٦]، وأساور لأرجل الأطفال (ريسي- ريساس) وأحزمة وخواتم وحلق.

وللحليِّ في وادي حضرموت خصوصيَّـــتُها المحليَّة المميَّزة: ففي شبام لا يعرفون المصطلح الدوعني للأجراس الصغيرة المزدوجة "الناطقة" (عرق- عروق)، وفي وادي العين يلبسون حزامًا مفتولًا من الخيوط الفضية مع أجراس صغيرة (حنيشة)، وفي وادي عمد حمَّالة مزدوجة تشبك على الصدر (نسعة حق الصدر). ولا تستعمل هنا الأحجار الكريمة النفسية، ولا حتى الصناعية، ما عدا بعض الأشياء المزخرفة بالمرجان والزجاج الأحمر أو المعجون.

وكان الطلب كبيرًا على المصنوعات الفضية، أما في الوقت الراهن فعلى الصفائح المذهبة للأحزمة النسائية الضيقة.

من بين أشكال التفاصيل الزخرفية يتميَّز المعيَّن مع مربع في الوسط (شمسي) و (نجوم)، والشكل البيضاوي الصغير (أبو سمكة)، والهلال. وتستخدم بفعالية الأنواط المخروطية (قباقب)، الأجراس "الناطقة"، أي ذات الألسنة (قنقونة- قناقن، دبدوبة- دبادب)، و"الخرساء" (عجماء).

أما مسمَّيات الحليِّ الخاصة بالرجال فقليلة جدًّا: خاتم- خواتم، وأساور على العضد والمعصم (عضاد – عضد)، وجراب للخنجر (عبدي – عوابد).

ومن بين حليِّ "الموضة الجديدة" الذهبية - الخواتم، الأقراط، العقود، الأنواط، الدلايات مع نماذج من العملات الذهبية، ورسوم قرآنية، وقلوب ونماذج هلالية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الصناعة الفخارية:

في مدَّة الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة أجرينا أحاديث مع صانعي الفخار بالوراثة (خزاف- خزافين) في حضرموت الغربية: في وادي عمد – مع سالم عبيد بابريجة، ٧٠ عامًا (مدينة عمد)، وفي وادي دوعن – مع محمد عبدالله بخضر، حوالي ٨٠ عامًا (صيف). وخارج حضرموت الغربية سألْنا الحِرَفِيّين: سبيت محفوظ دعكيك، ٢٥ عامًا (القطن)، وجمعان ربيع باسويد،٤٠ عامًا (قرية الحزم بالقرب من شبام)، وفرج عيسى باني، أكثر من ٥٠ عامًا (تريم).

جميعهم ينحدرون من عائلات حرفية معروفة جيدًا (طبقة الضعفاء): يشتهر الباني من تريم بعمل أشكال للحيوانات – الوعل، الجمل، الحصان [انظر على سبيل المثال ٢١٧ ص٤١]. أما اسم بابريجة فيُطلَق على حيٍّ كامل في عمد.

تقع الساحات الإنتاجية للفخار – عادةً - بالقُرْب من البيت. جزء منها يُخصَّص لإعداد عجينة الصلصال. ويُـعَدُّ الصلصال الأبيض اللبني هو الأفضل، ويتم استخراجه من تجاويف خلايا النخيل (إلى مترين). ويُقدَّر كذلك الصلصال"الجبلي" الرقائقي من المنحدرات والسفوح (نجرة). وتُنقَل المواد الخام على الحمار في (جبل، جبول)، ثم يصبُّون الماءَ بمقاييس فخارية (حوالي ٤٠ لترًا)، ويقومون بعملية الخلط بدقة في مساحة الأرضية المستوية. إنَّ مكوِّناتِ العجينة الطينية مرتبطةٌ بغلاظة الصلصال: في صيف وعمد فإن خمس الكتلة تتألف من زبل الحمير الجاف المسحوق مقدَّمًا. وفي القطن والحزم فإن سلة من الطين الأحمر تخلط مع سلة مماثلة من الزبل، ويضيفون إليها قليلًا من النجرة مع صوف الضَّأن بغرض "التجفيف". وتُمزَجُ الكتلة

بالأرجل إلى أن تتجانس الأجزاء، ثمَّ تُجمَع على حصيرة، وتُخلَط يدويًا، وتُترَك لتجفَّف حتى صبيحة اليوم التالي.

وينحتون المواد الفخارية شبه المنجزة تحت سقيفة (عريش – عرش) – أعمدة (إطار – إطر)، وأقراص – سفلى للموقد المتحرك، ويستخدمون لذلك محيطًا فخاريًا بدائيًا (دوار- دورات). وفي صيف فإن تركيبته أكثر بساطة [الرسم رقم ١٥-أ]، ويتكوَّن من حوضٍ فخاريٍّ مسطَّح (أ) برصيف طيني قطره ٤٠ سم، وسُمْكُهُ ٤ سم (ب)، منتقلًا في القاعدة الخشبية (ج)، ولها تقويرة مخروطية، يوضع بها محورٌ خشبيٌّ، مثبَّتٌ غيرُ متحرِّك (د). وفي الوقت الذي يقوم صانع الفخار بتشكيل مصنوعاته، فإن المساعد له (في صيف– امرأة) يُحرِّكُ الدائرة يدويًا.

وفي عمد فإن للدوَّار محورٌ حديديٌّ، يوصل القاعدة الخشبية الأكثر دقة (ج) [الرسم ١٥-ب] بالأساس الحجريِّ الدائريِّ (د)، وينتج عن ذلك إمكانية وضع الدائرة في الحركة بواسطة الأرجل والأيدي.

تستخدم الدائرة فقط لتصنيع منتوجات ليست كبيرة نسبيًا أو أجزاء منها.

وينتج السطح الأسطواني الكبير كما في كل مكان في حضرموت بطريقة غير دائرية ومن مادة بلاستيكية لـيِّـنة.

تُترَك الموادُّ الأوليَّةُ الـمُـنْـتَجَةُ لِـتَجِفَّ تحت الشمس، ومِنْ ثَـمَّ تُـحْـرَقُ في تَـنُّـورٍ ذي وعاءَيْنِ (ميفا- ميافي)، وهو فرن مستطيل الشكل ذي محرقة أحادية بنيران متصاعدة. ولـحُجْرَةِ الاحتراقِ كُـوَّةٌ جانبية، وتُوصَّل غرفة الاحتراق بالفرن بقناة وفتحاتِ القاعِ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تُستخدَمُ جريدُ النخيلِ الجافَّة مادَّة للوقود. ويستمر الإحراق لمدَّة أربع ساعات في عمد، وثماني ساعاتٍ في صِيْف. ويتمُّ تجميع المنتوجات جميعِها في حجرة الإحراق (في المخزن الواحد ٥٠ فنجانًا، ٢٠ جرة، وبين ٥٠ – ٦٠ قفيرًا)، وتجري العملية بغير نظام، ولذلك فإن ١٥ – ٢٠ ٪ من المصنوعات تصاب بالعَطَبِ.

يشارك أفرادُ أسرة صانعِ الفخار منذ سنواتهم المبكِّرة في العملية الإنتاجية: يجلبون الماءَ على الـحَمِير (ست رحلات في اليوم، بمعدل قربتين للرحلة أي ١٢ قربة)، وكذلك جلب الصلصال. ويكسب الحِرَفِيّ في الشهر الواحد في عمد حوالي ١٠٠ دينار، وهو يعمل بشكل أساسي للتسويق. أمَّا أسعار المنتوجات فعلى النحو الآتي:

زير كبير مع قاعدة مخروطية الشكل من ٢.٥– ٣ دنانير، موقد للطباخة (تنار – تنانير) ٣ دنانير، قفير للنحل (جبح – جبوح) دينار واحد [الرسم رقم ٥٧–٥٨]، حلقة للخلية (وصلة– وصال)٠.٣٥ من الدينار، وقطعة مغار (مغار– مغور) ٠.٥ من الدينار [انظر الرقم رقم ١٧]، درزينة فناجين ٠.٦ من الدينار، قدح بقائم (خزبة – خزاب) ٠.٥ من الدينار [الرسم رقم ٤٥]، كأس للنارجيلة (بوري – بواري) ٠.٥ من الدينار [انظر كذلك الرسوم رقم ٤٤، ٦٥، ٦٦].

إن المنتوجات سواء من صيف أو عمد ذات طراز واحد، ولكنَّ الأُولى تُـثَمَّنُ عاليًا. وبشكل عام فإن الفخَّارين في جميع حضرموت يحافظون على تقاليد واحدة، رغم أن الأدوات المجلوبة من المعدن والزجاج والبلاستيك والخزف تقوِّضُ حرفتهم. ومع كل ذلك ما زالت حية بفضل الطلب الدائم على الأزيار وكوارات النحل والتنانير. ومن الطريف أنَّهم يستخدمون لطلاء السطح الداخلي للتنُّور مسحوق الأواني المتحجِّرة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(بُرمة- بُرَم) ذات النوعية الصخرية، التي تحتوي على كثير من البَلَق.[1] ويحتكر صانعو الفخار كلَّ البُرَم القديمة، وإذا ما استمرَّ تسويق منتجاتهم بالوتيرة نفسها، فإن هذا الصنف من اللوازم سيصبح فريدًا في القريب.

دباغة الجلود:

قارنَّا المعلومات التي حصلْنا عليها في عمد من الدبَّاغ بالوارثة سعيد باخميس (٧٠ عامًا، ينتمي إلى الأخدام)، مع معلومات عاشور عوض مكرمة من الحزم (حوالي ٦٠ عامًا)، ومع معطيات هادي علي باجريبة من القطن (٥٨ عامًا). وهكذا فإنَّ الدباغة تقع في مرتبة متدنِّية للغاية في ترتيب الدرجات التقليدية للأعمال.

سعيد باخميس، دبَّاغٌ بكلِّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى: فهو يكشط الفرو، ويدبغ الجلد (ديم – ديمان). ويقوم بشراء الماشية – الماعز والضَّأن – من البدو. أما عملية ذبح المواشي فيقوم بها أحد أقربائه، هو محفوظ باخميس (ذبَّاح / مشارك)، ويحصل على رطل لحم مقابل كل خمسة رؤوس مذبوحة (الرطل الواحد من اللحم سعره دينار واحد).

الجلد المخلوع كخلع "الجوارب" (عجم – عجام)، يُغطَّى لمدَّة قصيرة في محلول ملح الطعام. ثم ينقعونه بعد ذلك ولمدَّة ثلاثة أيام في خابية طينية (مِركين – مراكين)، بارتفاع ٣٠ سم، وقطر التاج ٣٣ سم، وتضاف مساحيق أوراق "العشر". بعد ذلك يتركونه في جابية أخرى لمدة أربعة إلى خمسة أيام في منقوع أوراق القرظ، التي تمتلك خاصية الدبغ. وبانتهاء الدباغة يقوم الدبَّاغ بدهن الجلد بزيت النخيل أو السمسم

١ – البَلَقُ: الرُّخامُ، وحِجارَة باليمَنِ تُضيءُ ما وَراءَها كالزُّجاج [تاج العروس- كلمة بلق] (المترجم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(سليط)، (في الحزم– بزيت شحم الغنم. ويقدَّر سعر الجلد المدبوغ بدينار إلى دينارين ونصف الدينار، أما القِرْبَة المرتوقة منه فتساوي دينارَيْنِ إلى ثلاثة دنانير. ويمارس خياطة المنتوجات الجلدية في عمد غير متخصِّصين، في " البيوت" من الرجال والنساء.

وحرفيًا يقوم بإنتاج المصنوعات من الجلد حرفيُّون مهرة (مخزم– مخزمين) من الحزم أو من القطن. وأدواتهم ببساطة هي: سكينة، مخرز، مقصَّات، إِبَر، وخيط مُقَطْرَن. ويقومون برتق القِرَبِ الكبيرة والصغيرة، والشكوة، والسطل الكبير (قربة – قرب)، والسطل الصغير (الدلو) [الرسم رقم ٥١]، و"القربة المعلَّقة" بحبال شريطية متينة، التي يستخدمها البدو (جراب– جربان)، والنطاق (نسعة– نسع)، والحزام مع جراب لطلقات الرصاص (مسبت – مسابت)، وحقيبة للرصاص (محفظة)، وزمزمية للسمن (بطة– بطط)، وأوعية لحفظ المؤن الغذائية أو البخور والطيب (صمرة– صمار)، وعُدَّة الدَّوَابِّ، وأحذية الصندل [الرسم رقم ٥٢–٥٥].

لم يُعَد الحِرَفِيُّ باجبير من القطن يمارس دباغة الجلود؛ لأنه يحصل على الموادِّ من المصنع في عدن، بما في ذلك الجلود الصناعية. وأخذت المواد الصناعية تطرُدُ الصناعاتِ الحِرَفِيّةَ الجلديَّة، ومعظم المسمَّيات المذكورة سلفًا لم تُعَدْ تُصَنَّعْ هنا، رغم أن الحِرَفِيّين يتذكَّرونها، بل يجيدون صناعتها. وبقي فقط الطلبُ المستمرُّ على القِرَب. أما بقيَّة الأدوات الجلدية كالأحزمة والأحذية والدلو فحلَّتْ محلَّها اليومَ الموادُ البلاستيكيَّة المستوردة.

الحياكة:

تقع أكبر مراكز الحياكة (الشطف) في حضرموت خارج حدود منطقة دراستنا. ويقع أهمُّها بالقرب من سيئون، في مدودة؛ حيث أجرينا في عام ١٩٨٩م أحاديث مع أحفاد الحِرَفِيّين (أصحاب الخوص): سعيد هادي بامطرف (أكثر من ٧٠ عامًا، وقد توفي ١٩٨٧م)، وعوض سالم باعباد (حوالي ٧٠عامًا). وعلاوة على هاتين الأسرتين، يشتهر في مدوده الحِرَفِيّون: بخضر، باحارثة، دوبل، فرارة، شقلوف. وقد استُكْمِلَتِ المعلومات في موسم ١٩٩٠م.

مهنيًّا تُمَارَسُ الحياكةُ في الحزم، القطن، وفي الغرب – البويرقات. بيد أن هذه الحرفة بالنسبة لمعظم المناطق السكنية في حضرموت الغربية ليستْ تخصُّصِيَّة. وتُزَاول "في البيوت" (على سبيل المثال، في مدينة عمد، أسرة بن مزاحم من الأخدام).

يعمل في الحياكة الرجال والنساء. والمواد المستخدَمة في الحياكة هي سَعْفُ النخيل أو رقائقها (خوصة- خوص). ويستخدِمُ الغالبيَّةُ موادَّ أوليَّة مساعدة، يحصل عليها الحِرَفِيّون في مدودة من وادي الصيعر أو من وادي سعف بالمهرة (الاسم ذاته يدل على تخصُّصه). وتتمُّ تجزئة الخوص إلى قطع صغيرة (أقل من ذراع)، ومتوسطة (ذراع)، وطويلة (أكبر من ذراع).

إن أكثر منتوجات الحياكة انتشارًا هي السلَّة المزدوجة (خبرة- خبار)، التي تستخدم لوقاية التمور الناضجة. ولإعدادها تُبَلَّلُ المادَّة الأوليَّةُ بوضعها في أزيارٍ كبيرة لمدَّة يومٍ كامل، ثم تُجفَّفُ، ويفكِّكُونَ بعد ذلك رقائقَ الورقِ (عملية التقسيم)، ثمَّ يقومون بعملية ضمِّ كلِّ ١٠ – ١٤ ورقة جاهزة، ويتمّ ضفْرُها فيما بعد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بعض المضفورات التي يتم الحصول عليها بمثل تلك الطريقة تُربَطُ بمصراع (جناح – أجنحة)، وتُعَادُ حياكة الدرفتين بالخوص (يوثِّق الحِرَفِيّ العقد بالأسنان – عملية الفتل)، ومن ثَـمَّ يشدُّ العقدَ فوقَ كُلِّ مُثَلَّثٍ على الحوافِّ الخارجية للسلَّة (عملية عطور)، وبهذه الطريقة تكون السلَّة جاهزة. وتكون كسلَّة أصغر بقليل من سابقتها، كي يسهل وضع الوحدة داخل الأخرى، وبمعدَّل مجموعتين، كُلٌّ منها "عشرون" سلة، ويتم ربط المجموعتين "أربعين" كاملة (قرن – قرون)، وهي التي يتمُّ احتسابها وبيعها.

كان بامطرف من مدودة طوال عشر ساعات من العمل يقوم بتجهيز عشر سلال، ومثل ذلك زوجته، أمَّا البنت فأقلّ بعض الشيء: الإجمالي ٢٦ – ٢٧ سلة. إن الإنتاجية في حضرموت الغربية ذاتها تقريبًا – سلة واحدة في الساعة. (تفاصيل تقنية الحياكة في وادي دوعن، قام بدراستها عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ب. ب. بوغورلسكي في عام ١٩٨٤م، وفي عام ١٩٩٠م).

إن عملية إنتاج السلال (خُبَر) مرتبطة بدورة حياة الإنسان: الاستعداد للزواج (تقسيم – تسريح العروسة في مفرق الشعر)، والزواج (مجاوزة)، وهكذا حتى الموت "القهري" (قتل)، وكذا الدَّفْن (عطور – صفة خاصة من طقوس الدفن). وإذا ما أخذْنا بعين الاعتبار التقاليد العربية القديمة لإضفاء الصفات الإنسانية على النخيل، فإن هذه التسميات كما يتضح لم تأت مصادفة.

تحظى سلال النقل الخاصة بالحمير (جِبِل- جبول) بطلبية مستمرَّة، ويُـرتَّقُ (الجِبِل) بطول ١.٥ متر وعمق متر واحد، من عدة أشرطة طولية مُـجَـدْوَلَـة، ويقوم الحِرَفِيّ بتجهيزه خلال يومين. وتستخدم في نطاق واسع مختلفُ صنوفِ الأطباق، التي يتمُّ تنفيذُها

من "منحنيات" لَوْلَبِيَّة مصفَّفة: من الطبق الدائري (تِفَال) ذي القطر ٩٠ سم، الذي يستخدم كسُفْرَةٍ للطعام، إلى الأطباق ذات الرُّسُومِ والزخارف المنمقَّمة الصغيرة بقطر١٥ - ٢٠ سم (غطاء – غطيان). وتوجد مختلف أنواع الأطباق مع الأغطية، ومراوح يدوية لتلطيف الجوِّ، والقُبَّعَات العريضة (مظلة- مظلات)، ومختلف أنواع المناخل [الصور ٤٧-٤٩]. وفي الوقت الرَّاهن أصبح الحصيرُ (سلقة- سلق) يُحَاكُ الآن من ألياف صناعية. وتُفَصَّلُ السلالُ العلميَّة الكبيرة (مربشة – مرابش) مِنْ مَطَّاطِ إطارات السيارات، ولم تَعُدْ تُنْتَجُ كثيرًا الحُقَقُ المستديرة أو البيضاوية الأنيقة (قِرطلَّة- قراطيل، قُفَّة- قُفَف، مَحْمَلة – محامل) التي تستخدم لحفظ الوثائق، والأشياء الثمينة وأدوات التجميل والبخور والأدوية والطعام.

أما أسعار المنتوجات التي يتمُّ حياكتها فليس كبيرةً:

قفة (جبل) سعرها دينار واحدٌ، قبعة من ١ - ١.٥ دينار، طبق صغير ٠.٣ من الدينار، مراوح ١.٥ دينار مقابل حزمة من ست قطع.

ولبعض منتوجات الحياكة (قُبَّعَات، صُحُون، أطباق، مراوح) زخارف هندسية من خطوط النخيل، ملوَّنة أحيانًا باللون النِّيلي، أو البنفسجي، أو الأحمر الدَّاكن، كما تستخدم في الوقت الحاضر الأصباغ الصناعية.

النسيج:

على الساحل، في مدينة الشحر، ما تزال تنشط جمعية تعاونية كبيرة لأرباب النسيج (حيك- حويك)، كما يشتغل النسَّاجون في الوادي الرئيس (تحدثنا مع سعيد محفوظ،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٦٦ عامًا، في الحزم). بيد أن هذه الحرفة في حضرموت الغربية اختفتْ من أمام مرأى العين. في عام ١٩٨٥م تسنَّى لنا الحديث في البويرقات (وادي العين) مع النسَّاج بالوراثة، ذي السبعين عامًا، عوض عمر باكلكا، آخر الحِرَفِيِّين في الأسرة، وقد توفَّاه الله في الوقت الذي كان فيه كتابنا هذا قيد الطبع.

في حضرموت سابقًا كانت كلمة حائك (حويك) اسمًا للدلالة على الوضع المتدنِّي في درجات السُّلَّم الاجتماعي، ولذلك فإن أبناء النسَّاجين يختارون أعمالًا أخرى: ففي سِدْبَـه (وادي الكسر) أصبح بارزقان، المنحدر من أسرة حاكة ساعاتيًا، وفي عمد (وادي عمد) فإنَّ شابًّا من أسرة باسالم قد أصبح معلِّمًا. ولا تَـقِلُّ أهمية الأسباب الاقتصادية: فأقمشة النسيج المغزولة في البيت، لا تَـقْـوَى على منافسة الأقمشة الصناعية المستوردة من الهند وجنوب شرق آسيا، وعلى وجه الخصوص المنسوجات الرخيصة (الصارون)، التي يصنعها في أندونيسيا المهاجرون الحضارمة.

كانت آلة نسيج (محواك- محاويك) من نصيب عوض باكلكا، وقد حصل عليها من الأب. في السابق كانت الحياكة بالخيوط الصوفية. أما حائكنا عوض فيعمل بالخيوط القطنية، وكان يشتري الغزل من سيئون أو من المكلا، ويقوم بِـنَـدْفِـهِ بِـمِـشْطٍ من القَشِّ (مجح)، ثم يَـلِـفُّ كُلَّ جديلتين في خيطٍ على بَكَرَةٍ خاصة بالغزل (كُبّة – كُبَب)، مع أسطوانة خيوط النسيج المعترضة (دولاب- دواليب)، والركائز (دراج- دراريج) الخاصة بلفِّ الخيوط على بكرة اللفِّ (قصبة – قصب)، بعد ذلك يتمُّ إعدادُ قطعةِ النسيج على وحدة دلفنة مكوكية أفقية ومستوية طولها ٦.٥ متر، وبعرض حوالي ٩٠ سم. وترفع خيوط قاعدة النسيج (بسطة) بدوَّاسة (حذية- حذي) على ناصيتين خشبيتين (نص)،

وفي الحلق المتكوِّن بمساعدة المكوك (زمار) تمرُّ خيوط النسيج المعترضة. ويفصل النسيج الجاهز على أعمدة خشبية (مدرج- مدرج).

كان الحائك ينسج على مدى عشر ساعات من العمل في اليوم إلى ٦.٥ أمتار من المواد. وفي الأعوام الأخيرة اكتفى باكلكا فقط بعمل مناديل الرأس النسائية المخرَّمة (نقبة- نقوب)، التي زيَّـنها بنفسه بالنِّـيلة (النيل، نباتات النيلة الرئيسة في حوير)، بلونٍ أزرقَ- داكنٍ على حجرة خاصة (قلبدة- قلبدات). سعر المنديل ٢.٥ دينار. كما يحيك النسَّاجون في الحزم زنانير رجاليَّة بسيطة من "الطراز البدوي"، أمَّا الصنفُ المماثِلُ من الملابس الأصلية فيجيدُ الحاكةُ صناعتَها في الشحر فقط.

في بعض مناطق حضرموت الغربية (على سبيل المثال، في وادي العين)، لم تختفِ بالكامل تقاليدُ إنتاجِ قِطَعِ النسيج الصوفية الرفيعة (بساط- بسط)، وكذلك الأغطية الصوفية (شقة- شقاق)، التي يتم إعدادها في إطار مضفور في ريدة الدَّيّن ومناطق أخرى من المرتفعات.

إنتاج زيت السمسم:

كانت معصرة الزيت، التي يجرُّها الجمل، تجذبُ دائمًا اهتمامَ الرَّحَّالةَ الأوروبيين [٩٦-أ ص٣٨]. في مدينة عمد، يملك علي محمد حداد (حوالي ٤٠ عامًا) مكبسًا مماثلًا، غليظًا مغروسًا في أرض الحوض بوزن ٣٦ رطلًا مع صفائح إضافية ثقيلة، وله ذراع موازنة مثبَّـتةٌ إلى حيوان الجرِّ. تُكبَسُ بذورُ السمسم المنظَّفة (إلى٣٠٠ رطل = ١٣٥ كجم) تحت الضغط، إلى أن تتكوَّن كثافة متجانسة، تتحوَّل إلى زيت، ويتواصل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

العمل حتى الحصول على الرغوة. ويتمّ كشطُ العصارةِ (التُّخ) من جدران الحوض، أما ما تبقَّى تحت الكابس فيُعْطَى للجمل.

وخلالَ عشرِ ساعاتِ عملٍ في اليوم يعصرون حوالي ٧٠ رطلًا من السمسم (الجلجل)، ويذهب منها أربعة أرطال لصالح العصَّار. والطلب على الزيت مستمرٌّ، إلا أن معصرة الزيت في عمد، كما أشار س. ن. سيربروف. مرتبطة بالسمسم المستورد من السودان، ولذلك تظلُّ غالبًا متوقِّفةً لانعدام الموادِّ الأولية؛ حيث يحصلُ المالكُ على ٣٠ – ٤٥ كيسًا من السمسم في العام، فيما يحتاج كحدٍّ أدنى إلى ٦٠ كيسًا.

بعض الملاحظات العامة على الحرف التقليدية في حضرموت الغربية تجدُها في استنتاجات هذا الفصل [أما عن أعمال البنّائين انظر لاحقًا، الفصل٢ فقرة١، والخياطة، الفصل ٢ الفقرة٢].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

تربية النحل:

المعلومات عن تربية النحل جَـمَعَهَا ب. ب. بوغوريلسكي في عامي ١٩٨٤م و١٩٩٠م، وكذا مؤلِّف هذا الكتاب في الأعوام ١٩٨٣م، ١٩٨٥- ١٩٨٧م، ١٩٨٩م، ١٩٩٠م. وقد نُشر جزءٌ من المعلومات في دراسة ب. ب. بوغوريلسكي و م. أ. رودينوف "تربية النحل في وادي دوعن"، (أعمال البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، قيد الطبع)[١].

بعد مقالة انجرامس عن تربية النحل في وادي دوعن، التي ظهرت في الصحافة قبيل الحرب لعالمية الثانية بمدَّة قصيرة [٧٦]، تكوَّن انطباع عن أن الوادي هو مركز هذه الصنعة. ومع ذلك فإن تربية النحل في حضرموت تمارس منذ القدم وفي كل مكان. وتوجد في غرب حضرموت، حسب تقديراتنا، أكثر من ١٢ ألف كوارة نحل (حوالي ٥.٠٠٠ في وادي دوعن، ٣.٥٠٠ في وادي عمد، ومثل هذا العدد، على الأرجح، في وادي العين، وما لا يقل عن ألف كوارة في منطقة حورة).

يُـمَـيِّزُ مربو النحل موسمين رئيسين لجمع العسل في أوقات تفتح أزهار الأشجار الرئيسة المولدة للعسل. الموسم الأول – تفتح أزهار السُّمُر. فحسب أقوال الشيخ عمر الحبشي (حوالي ٦٠ عامًا، قرية الغبر، بالقرب من القزة، وادي دوعن)، وتستمر هذه المدَّة ٥٢ يومًا، من مطلع نجوم الجبهة (٢٢ فبراير) وحتى نهاية نجوم العوا (١٤ إبريل).

---

١ – صدر في موسكو ١٩٩٥م الجزء الأول من أعمال البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة تحت عنوان "حضرموت" ويشمل دراسات تاريخية وثقافية وإثنوغرافية وأثرية. (المترجم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الموسم الثاني يحل في أكتوبر – ديسمبر، حين تأخذ النحل غذاءها الرئيس من أشجار العلب. وعسل هذه المدَّة يكون سعره غاليًا: ٢٠ – ٢٥ دينارًا للرطل الواحد. أما عسل موسم السمر، الذي يسمَّى "مَريَة"، أو"صيفي" فيبلغ سعره من ٣ – ٥ دنانير.

في الأعوام الممطرة يكون هناك موسم ثالث لجمع الشهد من الأعشاب، يطلق عليه "مَرْبَـعِـيّ". أمّا إذا لم تهطل الأمطار في يوليو فيحدث أن تتغذَّى النحل بعصير السكَّر، كما يترك لها ما كانت قد جمعتْه هي من محصول.

يُميَّز صنفان من النحل، المربى في حضرموت: النوع الأول المحلِّي المقاوم للحرارة (الأصفر) أو (الأحمر)، وكذلك المجلوب من أفريقيا (في الأساس من أرتيريا) وهو "الأسود". أما تركيب وشكل الكوارة، ونظام العناية لكلا النوعين فمتشابهة.

وعلى الرغم من أنّ تربية النحل في حضرموت له تقاليد ضاربة في القدم، فإنّ تقنيتَها بقيَتْ بدائية. يدلُّ على ذلك، قبل كل شيء، تصميم الكوارة ذاتها وتركيبها، التي يُطلَقُ عليها في المؤلفات "الخلية المستلقية" بسبب وضعها الأفقي.

إنَّ شكل الخَـلِـيَّـة على هيئة قنينة هو الأكثر انتشارًا في الوقت الراهن [الرسم رقم١٧]. وفي بعض الأحيان يمهَّد الفراغ إلى التويج (مغار–ميغار)، وتنتهي الخليّة بشكل مخروطي ناقص (أشير إليه في الرسم [رقم١٧] بخط منقّط).

ووفقًا للصور الفوتوغرافية من الثلاثينيات والأربعينيات [٩٦ ص١٣٣، ٧٦ ص٣٢٩]، فإن الخلايا كانت تجهَّز آنذاك على شكل أسطوانات مجوَّفة أيضًا – وهذا الشكل ينتشر على نطاق واسع في غرب آسيا– على هيئة جذوع أشجار مجوَّفة، ما تزال تُستَخدَمُ حتى الوقت الراهن كخلايا، على سبيل المثال في عسير (العربية السعودية).

في الماضي كانت تُشَيَّد للخلايا أماكن خاصة في سُوْرِ المنزل. ومثل هذا الوضع كان يؤمِّنُ ويقي النحل من نزلات البرودة، الأمر الذي يضاعف من إنتاجها. وفي كثير من الأماكن في وادي عمد (على سبيل المثال في قرية الشراجة أو في نجد باتيس) ماتزال خلايا النحل حتى الآن تُجهَّز بالأسلوب القديم. لكن في وادي دوعن، وبسبب انتشار المبيدات الحشرية، التي تستخدم على نطاق واسع ضدَّ الذُّبَاب والبعوض، فقد تمَّ التخلِّي عن الخلايا المركَّبة.

في الوقت الراهن تُـشَـيَّـدُ الخلايا على السطح المستوي للمنزل (فوقه مباشرة أو على حامل غير طويل)، أو في الفَـنَاء، في الأرض، أو على مُنْحَدَرٍ بالقرب من نباتات صاحب النحل [الرسم٥٧-٥٨]. وأحيانًا ينقلونها على السيارات إلى الأودية المجاوِرَة. ولغرض حماية النحل من الطفيليات تُوضَعُ سياجاتٌ من الأغصان المشوكة غير المرتفعة، وتستخدم كموانعَ مهمَّةٍ للناس والحيوانات.

في البداية، تُـوضَعُ جماعةُ النحل في الخليَّة، الـمُغَطَّاة من قطاعها العَرَضِيِّ بغطاية مضفورة من سعف النخيل، تشابه الصحن ذا الحواشي العمودية المرتفعة، ومن أجل تغليظ الغطاية يَـلِـفُّـونَ حَـوْلَها قطعةُ قماش.

تُـشَـيِّدُ النَّحْلُ الخلايا الشمعيَّة، من الجدار الوسط، على شكل أقراص، وتضعُ النحلاتُ العاملاتُ الشَّهْدَ في الخلايا، أمَّا الأمُّ (الملكة- أو الملك) فتربِّي ذريَّـةً جديدة.

وعند نُـمُوِّ أعداد جماعة النحل وامتلاء الخليَّة يقوم مربِّي النحل بتوسيعها بحلقة إضافية (وصلة- وصال)، ويطلي موضعَ الربطِ بالطِّين (الرسم ١٧: أ- مغار: قطر الفتحة ٣ سم، قطر التويج ٧سم، ب – الوصلة: القطر ١٩.٥سم، والطول ٣٥ سم،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

السمك ١ سم) وعلى هذا النحو، تتكوَّن الخلية عادة من اثنتين إلى ثلاث حلقات وتحتوي ١٢ قرصًا [الرسم ٧-ج].

وبغية استخراج العسل يفتح الغطاء الجانبي للغطاية، ويتمُّ انتزاع ٢ – ٤ أقراص مع الشهد بالسكينة، طالما تبيَّنَ عَسَلُها بالشمع، وبعدها تُـعَادُ الغطاية إلى مكانها. وخلال ستة – سبعة أعوام فإنَّ ما يُترَكُ من آثار العسل بالشمع، يبدأ بالتحوُّلِ إلى اللَّونِ الأسود، وحينها وبواسطة مغارٍ يضعون علامة (معلم- معالم) من الناحية المقابلة، ثم يقومون بقطع الخلايا المسودة.

يقوم النحَّالون مرتين في العام بتفقُّدِ الخليَّةِ وتنظيفِها، ويتأكَّدون من عمل النحل، وكيف تصنعُ الأمُّ الذريَّةَ الجديدة. وإذا وجدوا أنَّ وضعيَّـةَ الذريَّةِ الجديدةِ غيرَ جيِّدةٍ فإنهم يأخذون من الخلية القويَّةِ جزءًا من المنتوج ويَـنْـقُلُونَـهُ إلى الأضعف. ولغرض التحويل يُـسْتَخْدَمُ وِعَاءٌ خشبيٌّ (حشو- حشا)، بمثابة تكرار لشكل الخلية.

وفي لحظة تقسيم الأسرة (ريش) يكون من المهمِّ عدمُ السَّماحِ لِـتَـفَكُّـكِ السِّرْب. وعندما تبدأ النحلُ في الخلية بالأزيز، وهو ما يحدُثُ قبلَ تفرُّقِ النحل، فإنَّ النَّحَّالَ يُعلِّقُ بجانب الخلية سُفْـرَةً، من تلك التي تُـوجَدُ في كلِّ بيت، وينتظرُ اللحظةَ التي ستحطُّ عليها النَّحلةُ الأمُّ بين النحلات العاملات، فيتمُّ اصطيادُها في قفصٍ خاص (كبل- كبول)، مصنوعٍ من حلقتين جلديَّـتين مع فتحات في الدائرة، بقطر ٥ – ٦ سم، وبطول ١٤- ١٥سم، وبعد ذلك تعقف أطراف السلَّة المجدولة، ويتمُّ نقلُ السِّرْب. أمَّا في الأعوام غير الملائمة فلا يتمُّ تقسيم أسرة النحل.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وعند الضرورة تستخدم خلايا صناعية أيضًا. ولهذا الغرض تقطع إحدى الحلقات من الخلية، وتنقل إلى شجرة مجاورة على بعد١.٥ -٢ كيلو متر، ويتمُّ الانتظار إلى أن تضع النحلُ ملكةً جديدة.

تتجلَّى بدائية أساليب تربية النحل في حضرموت الغربية في الغياب الكامل للأدوات المتخصِّصة. فهي تتألَّف هنا من سكينة عادية، وقطعة من قماش قطني، يتمُّ إحراقُها لإرغام النحل على الخروج، وقطعة بسيطة تُوضَعُ على الوجه للوقاية، ومصفاة للعسل، وكذلك نقَّالة خشبية للنحل، وقفص للملكة.

ومن تأثير الحرارة تغطَّى الخلايا بقطعة قماش عادية، ولوقايتها من المطر تُغَطَّى بقطعة من الجلد. أما في الوقت الراهن، فبطبقة رقيقة من البوليثيلين. وتستخدم أدوات مماثلة أيضًا في أقصى الجنوب الغربي لمحافظة حضرموت- في وادي حجر (منطقة يبعث) [١٢٠ ص٤١-٤٢].

ويعالِجُ النحَّالون في حضرموت مشاكِلَهُمْ بدراية صحيحة من غير الحصول على مساعدة المتخصصين، وهكذا فإن حسين عبدالله بن الشيخ أبوبكر (٦١ عامًا، خريخر) [الصورة رقم ٢٩]، يقوم في موسم الحرِّ الشديد بفتح الغطاية الخلفية للخلية في الليل، لكي يسمح لها أن تبرُدَ قليلًا، أما في النهار فلا يسمح لمثل هذا العمل؛ ذلك لأن النحل تُـصَابُ بانزعاج.

إنَّ علَّة فسادِ النَّسْلِ معروفة جيدًا لمربِّي النحل، ويوضِّح محدِّثنا أنَّ مرض ملكة النحل يصيب بالعدوى بقية الأقارب، ويقول: "إن الملكة المريضة تبدأ بالحركة والاختلاط في جوانب مركز الخلية فتنحِّي جانبًا بيضها، وفي النتيجة فإن اليرقات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تنقلب وتموت". ولقد قام حسين بالتجربة: سحب الملكة المريضة، فربَّت النحلُ ملكةً جديدة ولم يُـفْسَد النسل بعد ذلك. وفي العادة، تُرَشُّ عائلة النحل المصابِ من جيرانها بالعَدْوَى بالملح، لكنَّ ذلك لا يفيد كثيرًا.

إنَّ الإبادة الاصطناعية لليعاسيب لا تطبق عمليًا:

وحسب ملاحظة النحَّالين المحليِّين، فإن النحل بعد انتهاء موسم السمر وبدء الجدب بين الموسمين، تتخلَّص من اليعاسيب من تلقاء نفسها.

ويعتقد الحضارمة أنَّ النحل يستطيع أنْ يقطع مسافاتٍ كبيرةً إلى حدٍّ ما، في أثناء جمع رحيق الأزهار، وأنه يبقى في الطيران حوالي ستِّ ساعات في اليوم الواحد. وفي موسم تفتُّح أزهار أشجار الشبرة، التي تنمو حول قرية القزة، فإنَّ النحل يطير إلى هناك من وادي العين، وتُـقَـدَّر هذه المسافة تقريبًا بـ ٢٠ كيلومترًا في اتجاه واحد فقط. وحسب كلام الشيخ عمر الحبشي، فإن الطيران الاعتيادي للنحل من بلدة قيدون إلى القزة والعودة تقريبًا ٣٠ كيلو مترًا.

ووفقًا لتقديرات حسين بن الشيخ أبوبكر، فإن العائلة الجيِّدة تعطي في العام الواحد ١٢ – ١٣ قرصًا من العسل، يحتوي كل قرص في المتوسط على رطل ونصف من العسل وهو ما يساوي تقريبًا ٧.٥ كجم.

أما حسب معطيات انجرامس فإن العائلة الواحدة تعطي خلال الموسم ٣٠ – ٤٠ رطلًا من العسل، أي من ١٢ – ١٦ كجم [٧٦ ص٣٢]. ومثل هذا التفاوت يمكن إيضاحه، في كون أعوام القحط ١٩٨٤ – ١٩٨٦م، التي قمنا خلالها بأهم أبحاثنا

الميدانية، قد كانت خلافًا لأعوام الثلاثينيات، غير ملائمة للغاية بالنسبة لتربية النحل في حضرموت (عن دور العسل في التغذية انظر لاحقا الفصل٢ الفقرة٣، وعن دوره في العلاج الفقرة٤).

إنَّ تربية النحل في حضرموت موجَّهة إلى درجة كبيرة للسوق الخارجي، ومع ذلك فإنَّ الطلب على العسل المحلي يستند في الأساس على المهاجرين الحضارمة، الذين يعملون في الدول النفطية في الجزيرة العربية.

كانت هناك محاولة لتصدير العسل الحضرمي إلى السوق العالمية الواسعة، لكنَّ الخبراء في لندن عدُّوا البضاعة غير قادرة على المنافسة؛ بسبب تكوينها الكيميائي [٧٥ ص٥٣-٥٤].

يحفظ الكثيرون من أصحاب النحل في حضرموت عن ظهر قلب ما ورد في "سورة النحل" في القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ويعزِّز الاقتباس من القرآن التصوُّرَ عن الوضع الرفيع لتربية النحل، وتؤكِّد جذورها الضاربة في القدم المبادئ المتطوِّرة لنظام العرف، المرتبطة بتربية النحل.

وكما في بقية مناطق الجزيرة العربية الأخرى، فإن هذا العمل من اختصاص الرجال، وتنتقل ملكية النحل والخلايا بالوراثة، ويحدث أيضًا أن يمتلك عدد من الأخوة الأشقاء منحلًا.وجرت العادة أن يكتب على بيت النحل أسم مالكه (خاصة إذا كان موقعه بعيدًا عن المنزل). وتحدُثُ معظمُ المشادَّات بسبب انقسام خلية ولمن ينبغي أن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تؤول ملكية الجزء المنفصل، لكنَّها تحلُّ غالبًا وفقًا للعادات، فإذا كان غيرَ ممكنٍ رميُ حجرٍ بوزن رطل واحد (تقريبًا ٤٥٠ جرام) من مكان الخلية إلى الموقع الذي انتقلت إليه الخلية الوليدة حديثًا، فإنَّ المالك في حالة الخلاف يفقد حقوقه في هذا النحل. ويوجد في حضرموت "محكِّمو النحل" المتخصِّصون، ويقومون بحلِّ النزاعات بين النحَّالين. ويحظى بشهرةٍ كبيرةٍ في أسفل وادي دوعن مبارك بن شملان (أكثر من ٦٠ عامًا)، الذي يعيش في وادي عمد.

كان معظم الذين تحدَّثْنا إليهم من المتخصِّصين في تربية النحل ينحدرون من الطبقة الاجتماعيّة "القبائل" وفي النادر من السادة.

القنص:

عبّر سرجنت في كتابه المكرَّس للقنص في حضرموت، عن الأمل في أن تكون هذه الحرفة ما تزال باقية [٢٦٥ ص٤]. وفي الحقيقة فإن قنص الوعل الجبلي (ibex) ما زال متَّبعًا في الواقع، كما كان منذ سالف الزمان، في مناطق كثيرة من حضرموت. في مدودة، بالقرب من سيئون، تيسَّر لي في عام ١٩٨٧م أن أُجْرِيَ حوارًا مع واحدٍ مِـمَّنْ التقى بهم العالم الانجليزي، هو الشيخ أحمد سعيد بخضر [٢٦٥ ص٤٣]، الذي كان يافعًا في زمن سرجنت، أما الآن فقد أصبح رئيسًا للحيِّ، وزعيمًا للقنص.

في شتاء ٨٦/ ١٩٨٧م جرى اصطياد وعلٍ واحدٍ فقط في مدودة، وفي تاربة ١٨ وعلًا (٩ منها كبيرة)، وفي دمون (تريم) ٤ أوعال. ويُـعَـدُّ الوعلُ كبيرًا إذا كان له في كل قرن ما لا يقل عن ٢٠ عُقدَة دائرية (عجرة- عجر). يتم القنص في مدودة ودمون باستخدام

أحبولة الشبكة [الرسم ١٨]، وفي تاربة بواسطة مطاردي الصيد فقط، وحسب رأي المقدَّم عيضة عوض بليلة (حوالي ٧٠ عامًا، قبيلي من العوامر)، فإنه لا يوجد قنصٌ حقيقيٌّ في غرب المنطقة (علوى)، فالوعول قد أذعرتْها الضِّبَاعُ والقِرَدَة.

ومع ذلك ففي مارس ١٩٨٨م، اصطاد القنَّاصة من قرية قعوضة (مديرية حورة)، في المرتفعات بين شعاب مَنْوَب وقعوضة وعلًا جبليًّا له ٦٤ حلقة، وقال المقدَّم أحمد بن مدرة (حوالي ٦٠ عامًا، قبيلي من نهد): "إنَّ مثلَ هذا يحدُثُ للمرة الأولى في منطقتنا منذ عشرين عامًا". وقد تناولتْ هذا الحدث الصحافة العدنية [٢٨٣، ٣١/ ٣/ ١٩٨٨م].

أهمُّ مراكز القنص في حضرموت الداخل- من الشرق إلى الغرب- هي: عينات؛ حيث كانت تُرَبَّى، في زمن ما، الكلاب المدرَّبة على صيد الوعل، ودَمُّون التريمية، وبور، وتاربة، ومدودة، والغرفة. أمَّا في حضرموت الغربية فهي: قعوضة في وادي الكسر، وبضة في وادي دوعن. وتمتلك كل بلدة أراضي محدَّدة بدقَّــة للقنص.

في بور وضواحيها ترتبط أماكن القنص بأُسَرِ الأولياء المدفونين في القرية، ويُخَصَّص لها جزء من كل ضحية قنص يتم اصطيادها: جبل ربق من نصيب السادة آل العيدروس، جبل بانجار لصالح مشايخ الزبيدي (حوطة السلطان)، جبل بن حمدان لصالح مشايخ بن محمد (مولى خيلة) والسادة آل علوي باعبيد (مولى سمح)، وجبل يهبر لصالح القائمين على ضريح عبيد الله، ابن السيد الأول أحمد بن عيسى المهاجر.

ينقسم القنَّاصة إلى مجموعات (خبرة- خبر)، مكوَّنة من ٥- ٢٠ شخصًا، يتألّفون من القبائل، والمساكين والمشايخ، بل وحتى السادة، رغم أن الأخيرين يستنكرون القنص. ويُطلَق على القنّاصة من السادة، حتى الوقت الراهن، اسم (حبايب) تهكُّمًا [٢٦٥ ص١٨].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عند الصيد بالأحبولة ينقسم المشاركون إلى المجموعات الآتية:

١- مطاردو الصيد (شن- شننة).

٢- الرُّمَاة.

٣- المكملون لغنيمة القنص (مكبنين).

٤- "رجال الشبكة" الذين يضعون الأحبولة عادةً في باطن الجبل؛ لأن الوعول تحاول الفرار إلى الأسفل [٢٦٥ ص٢٧-٢٨].

في الماضي كانت الأحبولة تحاك من صوف المعز، وكانت تطرَّز أحيانًا بالنيلة، أما في الوقت الراهن فإنهم يحبكونها من حبال مبرومة بيضاء، تشابه سلة الكرة الطائرة، ومقياسها ١.٦ × ٩ أمتار، وبارتفاع ٢.٥- ٣ أمتار، وكانت تصنع في الماضي من فروع النخيل، أما الآن فمن عيدان خشبية، لها زوايا حادَّة ممسوحة بالفأرة، وبحجم أصغر.

وإذا كان القنص غيرَ موفَّق، فإنّ القنّاصة يعودون متفرِّقين فُرادَى، ويكونون في هذه الحالة عُرْضَةً للتعيير والتحرُّش بهم وإغاظتهم، ويُعْتَقَدُ أنَّ خَلَلَ التنظيم (زام- زيوم) قد تكون بواعثُه الغشَّ والسرقةَ والتهرُّبَ عن أداء الصلوات والمشاجرة بغير تصالح ومخالفة الممنوعات الغذائية.

أمّا في حالة النجاح في القنص، وفيما إذا كان الوعل "كبيرًا"، فينظّم موكبٌ احتفاليٌّ مَهِيب، (زف- زفوف)، ويقومون بطلاء القرنَيْنِ في رأس الضحيَّة المفصول باللَّون الأسود، ويُـنْـشِدُ القنَّاصون أغاني "بني مغراة"، ويلعبون ويرقصون بخناجرهم، ويُطلِقُون النَّارَ في الهواء (في مدودة يشعلون في الوقت الراهن خراطيش "ألعاب نارية" مستوردة من الصين، تُـوْضَعُ في ماسورة (قصبة) بندقية غير حقيقية).

في تريم جرى الصيد الشتوي عام ١٩٨٧م خلال ثمانية أيام، وشارك فيه ١٢٠ من الرماة، و ١٤٠ مساعدًا "حملة الماء"، وقد استمرَّتْ "حفلة القنص" هنا على مدى يومين متتاليين. وفي موكب الحفل التزمتْ كلُّ الأحياء السكنية في البلدة التتابع الصارم، وخضع تقسيم الغنيمة لقواعد صارمة. ويُـقْـرِنُونَ النجاحَ في قنص الوعول بالخير في الزراعة، أيْ بالمطر والسُّـيُـول، كما عرض هذا سرجنت بصورة مقنعة [٢٦٥ ص٩-١٣، ٧٦].

الجدير بالإشارة، أنَّ المعابد المقدسة لـ "أمير الوعول" قد وُجِدَتْ في شرقيِّ البحر الأبيض المتوسط في "إبل" في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانتْ رسومُ الوعلِ جنبًا إلى جنبٍ مع النخلة شائعة في أوغاريت، في الأقل منذ القرن ١٦ – ١٤ ق.م. أمَّا الرؤوس البرونزية للسهام مع علامة الإشارة إلى المالك فمنذ القرن ١٢ ق. م [٢٢٦ ص٢٤١، ٢٨١، ٢٧٥]. وفي وقت أكثر تأخُّرًا حلَّ رصاصُ الصَّيْدِ محلَّ السِّـهَام.

يرتبطُ قَنْصُ الوعول بالمشايخ. أمَّا السَّادَةُ فيَـقِـفُـونَ ضِدَّ ذلك، وقد تحدَّث عن ذلك أكثرَ مِنْ مرَّةٍ منصب حريضة الشاب علي بن أحمد العطاس، الذي ذكر أنَّ آخر احتفالٍ مع الغناء والرقص بمناسبة التوفيق في قنص الوعول كان قد جرى آخر مرة قبل عشرين عامًا مضتْ.

وبضغطٍ من سادة تريم فإنَّ السلطان محسن الكثيري (١٨٧٨ – ٢٤/ ١٩٢٥م) أدان القنصَ، وفي إثر ذلك أخذتْ تتلاشى تدريجيًا ثقافة القنص الريفية في تريم وضواحيها، ما عدا دمون [٢٦٥ ص٩٣، ٩٧]. أمَّا في الوقت الرَّاهن فيتمُّ تسجيل تفاصيل مراسيم القنص في أشرطة الفيديو. وقد شاهدْتُ مِثْلَ ذلك التسجيل لحفلات القنص في مدودة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتارة، وتجلَّتْ من خلاله وبوضوح الطقوسُ القديمة، التي تُظهِرُ فرحة النجاح وبهجته في القنص، وكأنَّه عُرْسٌ (هنا عرس الوعل "الكبير" مع عموم القناصة؟). ولم تغبْ هذه الموضوعات عن المتابعين السابقين [٢٦٥ ص٥٥]، وتظهرُ أيضًا في تسالي الطفولة وألعابها التي جرى تمثيلُها عن طِيْبِ خاطر، وبسرور كبير للضيوف كذكرى للنجاحات السابقة.

وتزدَانُ قبـــَّـــةُ قرية القزة؛ حيث دفن أحمد بن سالم، سلف السادة الحاليِّين من أبناء الشيخ أبوبكر، بقرون الوعل، وتسمَّى "القبَّة المربعيَّة"؛ لأنَّ لكلِّ قَرنٍ أربع عُقَد (عجر)، للمقارنة انظر: ٢٦٥ ص٩٣، ٩٧]. وعن قنص الوعول في وادي دوعن قال حسين عبدالله بن الشيخ أبوبكر: "القناصون المشهورون، هم مشايخ آل العمودي من بضة، وهم أناس أثرياء، لديهم أعمالهم في العربية السعودية. يجمع رئيس القنص من ٣٠ – ٤٠ شخصًا مع الأسلحة، والآلات الموسيقية، الطبول والمزامير [انظر ج٣ ف٢ فقرة٢]، والغذاء، أي الخرفان. ثُـمَّ يصعدون إلى الجبال، وتُحمَلُ أمتعتُهم على الحمير أو الجمال. ويَـقْـتَـفُـونَ أثَرَ الوعول، ويَـحُـوْطُـونَ المكان، الذي تُـوجَدُ فيه الوعول غالبًا، ثُـمَّ يَـتَـوَارَوْنَ مُسْتَـتِـرِيْنَ في مَكْمَنٍ أو مَـخْـبَـأٍ وراءَ الحجار؛ بحيث لا يرمي بعضُهم بعضًا، وحين يظهرُ الوعلُ يقومُ أحدُهم بالصُّرَاخِ أو الضجيج؛ بحيث ينفرُ الوعلُ الهارِبُ ويَـحْـرِفُ مَسَارَهُ إلى أسفل الـجَـبَـل؛ حيث يَكْمُنُ له القنَّاصةُ مِنْ كُلِّ جانب. وأوَّلُ مَنْ يُطْلِقُ الرصاصَ عليه هو الرئيس، وحين يسقطُ الوعل فإنَّـه لا يخرُّ صريعًا مباشرة، ولذلك يسدِّدُ بقيَّةُ القناصةِ طلقاتِـهِمْ حتى يسقطَ الوعل صريعًا، ثم يُـعْـلِـنُ الرُّمَاةُ إلى أيْنَ سدَّدَ كُلُّ واحدٍ منهم طَلْقَـتَه، ويُـعَـدُّ الرامي الحقيقي الذي صرعَ الوعلَ

هو القنَّاصُ الذي حدَّد المكان الصحيح، الذي أصابته طلقةُ الرصاص. ويُعْطَى لِـمَنْ جَـنْـدَلَ الوعلَ الرأسُ والقرنان معًا، وهذا يُسمَّى (القشعة)، وهكذا يخاطبون الطفل الشجاع: ياقشعة! أي ياجدع!. ويعطى لِـمُجَـنْـدِلِ الوعلِ أيضًا فخذًا واحدًا زيادة له، أمَّا بقية أجزاء الضحية فتُـقَـسَّـمُ بَيْنَ بقيَّةِ المشاركين في القنص [للمقارنة انظر:٢٦٥ ص٣٠]. وفي المساء يُغَنِّي القناصة في الجبال، ويردِّدُونَ الأشعارَ إيذانًا بانتهاءِ مُهِمَّةِ القَنْص، بصَرْفِ النَّظَرِ عمَّا إذا كان موفَّـقًا أم لا.

وعند نجاحهم بالقنص يعودون إلى بيوتهم مبتهجين وهُمْ يردِّدون الأناشيد (الزامل) [انظر ج٣ ف٢ فقرة ٢-٣]، أمَّا في حالة الإخفاق فيعودون صامتين. بل إنهم إذا لم يصطادُوا شيئًا فإنَّ من يصادفهم من بقيَّة القبائل الأخرى يقولون لهم: اقضموا العظم !، لقد سقط قائدكم واستلقى.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إنَّ التعرُّفَ على الأعمال والأنشطة التقليدية للسُّكَّان في حضرموت الغربية يبيِّنُ أهميَّةَ نظام الإمداد بالماء، فهو المسألة الرئيسة، التي تَلُمُّ شَعْثَ مثلِ هذه موضوعات المهمَّة، كالدَّورة الزراعية السنويَّـة، وخصوصية الماء، واستخدام الأرض، وتقنية الري، وأهمّ التنظيمات الاجتماعيّة (في الأحياء) وذات السلطة والنفوذ.

بُـنِـيَـتْ منظومة الري بالسيول على أُسُسٍ عامَّة، ولها آلية تنظيم ذاتية، لا تحتاج إلى سيطرة مركزية قوية [انظر ج٣ ف١ فقرة٢]، خلافًا لمنظومة الري بواسطة الآبار في الوادي الرئيس، التي مهَّدت السبيل لعلاقات الملكية الخاصة.

وانعكاسًا للتقاليد القديمة للاستخدام المحلِّي للمياه، فإن مصطلحات الري في حضرموت الغربية قريبةٌ إلى حدٍّ ما من المصطلحات المماثلة في لحج وشمال اليمن، ولكنَّها تختلفُ بشكل جذري عن العمانية [٢٦٣ ص٧٢-٧٣، ٢٨٠]. وبغية تبيين مستوى أصالتها لا بد من البحث الميداني في حضرموت الشرقية والمهرة.

إنَّ الاهتمامَ الخاصَّ بالنسبة لعالم الإثنوغرافيا يتمثَّلُ في تربية النخيل ونظامها الزراعي، المثبت في التقاليد المحلية المكتوبة [انظر ج٣ ف٢ فقرة١]. ويسمح لنا وصف زراعة النخيل في سقطرى بالافتراض أن تقنيتها مقتبسة من حضرموت.

كما أنَّ الأدوات الزراعية التقليدية في منطقة دراستنا متكـــيِّـفة جدًّا مع الظروف المناخية- الطبيعية. وينبغي أن يجري باحتراس تحسين النباتات الزراعية ومضاعفتها من غير الإخلال نهائيًا بالتوازُنِ الأيكولوجي غير المستقر. وهكذا فإن ظهور مكائن الحراثة قد وضع النهاية لبقاء الثيران وامتلاكها في حضرموت الغربية.

إنَّ الزراعة في أودية الغرب متمِّمَةٌ فحسب لتربية الحيوانات. وتسبب ظهور شاحنات الحمول أزمة تربية الجمال، وزاد ذلك من أهمية الأشغال الأخرى، وفي المقام الأول التنقل.

وتعزيز المعطيات الإثنوغرافية، الافتراض في أنَّ الـمَـعْـزَ كانَ أساسَ قطيعِ الأغنام في حضرموت من الأصل، بما في ذلك توقير الوعل "سلف المعز المنزلي". وتعطي الأبحاث الإثنوغرافية، التي بدأتها البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في موسم ١٩٩٠م في الهضبة، الوصف العميق لتربية الماشية عند البدو.

وبمقارنة المواد في الحرف المحلية مع الروايات التي حصل عليها دوستال في تريم [٢١٧]، يمكن الاقتناع تقريبًا في التشابه الكامل في أدوات أهمِّ العمليات الإنتاجية (سواء في التركيب او المصطلحات) في الجزء الأكبر من منتوجات حضرموت الغربية والشرقية.

لقد تكوَّنت "المواصفات" الموحَّدة في ظروف التشتُّت والانقسام السياسي، وفي الصراعات والحروب الداخلية بين القبائل. وتستوجب آلية إنتاج التقنية التقليدية الانتقال الوراثي للأساليب والخبرات، من الأب إلى الابن، ومن العم/ الخال إلى ابن الأخ/ الأخت (يقوم الرجال في جميع الصناعات الحِرَفِيّة بتصنيع المنتوجات حسب الطلب أو للتسويق، أما النساء فيُـسْـهِمْنَ إسهامًا خاصًا في حياكة سَعْفِ النخيل وفي الأشغال الإنتاجية" المنزلية").

يعمل في كافة أنحاء حضرموت في أشغال الخشب، النجارة: باطرفي، الكثيري، باحشوان، والحدَّادون آل بن يثرب الحداد، وصاغة المجوهرات باحشوان، حسَّان،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

باضاوي، بابراهيم، بن سلمان، وصانعو الفخار دعكيك وبابريجة، ودباغو الجلود باجبير وغيرهم. أما بعض الأسر- بامطرف، باسنبل وغيرهم فيشتغلون بالتجارة والـمِـهَـنِ المختلفة. ويفخرُ الحِرَفِيّون الميسورون بأصلهم مؤكِّدين أنهم جاءُوا إلى حضرموت مع السيد أحمد المهاجر، أما النجَّارون باطرفي فيَـدَّعُونَ الانتماءَ إلى كِـنْـدَة.

ويرتبط التوحيد القياسي للمنتوجات الحِرَفِيّة بالزيارات (زيارة الأماكن المقدسة لأضرحة الأولياء المحليين)، التي تصاحبها الأسواق الدَّوْرِيَّة. وفي أثناء مواسم الزيارات تنخفض الضرائب أوْ تلغَى، ولهذا السبب أصبحتْ أهمَّ عامل لبَدْءِ تشكُّلِ السوق الاقتصادية الموحَّدة في حضرموت. وفي هذه الزيارات لا يبيع الحِرَفِيّون بضاعتَـهم فقط إنما يتبادلون مع بعضهم أسرارَ الصنعة.

إنَّ التوحيد القياسي، بالطبع، لم يحمل الطبع المطلق، ولامَسَ أكثرَ شيء أدوات العمل، المصنوعات الفخارية، الحياكة، والقسم الأكبر من منتوجات صاغة الـحُـلِـيّ.

وباستثناء القواعد العامة، فإنها لمْ تمتدَّ إلى الثوب النسائي، الذي يمتلكُ عدَّة أشكال. ويتبيَّن ذلك إلى حدٍّ ما من كَوْنِ الخياطة لا توجد لها عشيرة متخصِّصة بالوراثة. ولم تظهر آلية أمويَّة (نسبة إلى الأم) للحفاظ الثابت على التقاليد [انظر لاحقًا ف٢ فقرة٢].

من خلال وصف الأشغال التقليدية في كل مكان اتضح الوضع الثقافي الانحدار الطبقي للعاملين [انظر ج١ ف٢ فقرة١]. وإلى درجة ما فإن السمعة العالية للحِرَفِ مرتبطة بالتقاليد المحلية التي تعود إلى ما قبل الإسلام.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

لقد أضحت التقاليد القديمة للزراعة، وتربية الحيوانات، والحرف والمهن عُرْضَةً للتشويه والتغيير الشكلي في أنحاء حضرموت ابتداءً من ثلاثينيات القرن العشرين، أي مع بدء العصر الإثنوغرافي الراهن. وهي تعيش في حضرموت الغربية، بشكل خاص، أزمةً حادة، وبعضُها (على سبيل المثال خبرات النسج) قد قُضِيَ عليها في الوقت الحاضر. ومن غير الجائز أن يتريَّثَ الإثنوغرافيون في دراسة ما بقيَ منها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الثاني

مركبات نظام الإعاشة

هذا الموضوع اهتمَّ به ك. لاندبرغ، الذي نشر باللهجة الحضرمية عن عمل البنَّائين الحِرَفِيّين، مع ترجمة وتعليق أثنوغرافي- لُغَوِيّ دقيق [٢٣٦ ص٣٩٤-٤٠٨].

كما كتب عن البنّائين المحليِّين هـ. انجرامس، ر. سرجنت، ودَوَّن الأخير سويَّـةً مع ب. دو مخطَّط البرج السكني ومظهره الداخلي في وادي جردان (بالقرب من حضرموت الداخل)، أما محمد بافقيه و ج. شلحود فكرَّسَا بحثَـهما لبيوت شبام، ذات الطوابق المتعدِّدة [٧٢، ٢٤٧، ٢١٣، ٢٠٠]. وكتب ي. ف. كوجين عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة دراسة عن السكن التقليدي في حضرموت، وأخذ بنظر الاعتبار استعراض ف. دوستال عن الفنِّ المعماري لكلِّ منطقة الجنوب العربي [٢٢١، ١٤٤-أ].

في أثناء الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة كُنَّا قد أجرينا أحاديث مع معلِّمي البِنَاء، صالح عبود بامخيَّر من حريضة (٥٥ عامًا)، سالم عمر باهادي من عمد (حوالي ٦٠ عامًا)، مع عمال البناء من القزة، الجدفرة، الهجرين، حورة، وقُورِنَتْ أحاديثُهم مع المعلومات التي تمَّ الحصول عليها خارج حدود حضرموت الغربية مع معلِّمي البناء: صالح فرايع جوفة (٦٠ عامًا، القطن)، وسالم عوض جميل (٥٨ عامًا، تريم)، ومع منتج الجِيْر (النورة) أحمد عبيد لعوج (٥٥عامًا، القطن)، ومع نحَّاتي حجارة البناء التريميين من أسرتي حريش وباسمبل.

خلال وصفهم لنظام السكن والإسكان في حضرموت، فإن الباحثين نادرًا ما أعارُوا اهتمامًا للكهوف السكنية، الملاجئ المؤقتة والأماكن المجهَّزة للتوقُّف، الموجودة في كلِّ الأماكن، التي تزاول فيها تربية المواشي، وتستخدم هنا أساليب البناء البسيطة، وهي أنموذج مُوَحَّدٌ لحضرموت وسقطرى [للمقارنة انظر: ١٦٠ الرسوم ٥١-٥٢، ٦٤-٦٥]، وكذلك، ربما، المهرة. ومع ذلك ففي الجدران المبنية من الداخل من أحجار غير مُسَوَّاة (وكذلك التقنية، مثلما في منشآت الري)، تستخدم عوارض خشبية [الصورة ٥٩]، وهي عادية بالنسبة لمواد خام البناء في حضرموت.

تماثل البيوت الطينية لأودية حضرموت البيوت الحجرية للمرتفعات اليمنية، وتنتمي إلى المنشآت الدفاعية القديمة – منشآت منزل – البرج (الطراز الأول ما زال باقيًا في وادي ظهر)، الذي يتكوَّن من تقسيمات واضحة عموديًا [٢١٣ ص٥، ١٤٤ ص٧٣] – [انظر الصورة ٦٠].

في الأسفل يكون موقع الأدوات والخدمات. وإذا كان البيت يقوم على صفا فإنَّ هذا الموقع يمكن أن يحتوي على مكان منحوت تحت الأرض في الصخر (غار-غوار) للماشية والعلف، ومخزن مع سرداب (سرة- سرين) للأعلاف والغلال مع تجويف (كرس – كروس) للأعلاف الطريَّة، ومن بين المواقع الأدوات – حضيرة (زرب- زروب)، ومستودعات (بيت، ميسمة، مياسم)، والمطبخ (مخدم- مخادم) والموقد. وإلى الأعلى تقع حجرات منطقة السكن (فاضلة- فواضل)، أما أرفع شيء فتقع الشرفة (ريم-ريوم) والسطح المستوي الذي يستخدم للاستراحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يُـعَدُّ المنزل، كقاعدة، لأسرة واحدة: زوج، زوجة، أطفال، وأحيانًا، أيٍّ من الأقرباء الصغار أو الطاعنين في السن. ويعمل الأبناء الراشدون كلَّ ما بوسعهم لبناء منزل مستقلٍّ لأسرهم الجديدة. ويسري الفصلُ الصارمُ المتَّبع بالنسبة لزوجات الأشقاء، ولذلك فإنَّ الحياة اليومية في البيت الواحد بالنسبة للأسرة الواحدة غير المجزَّأة صعبة للغاية. ولهذا السبب فإنَّ المساكنَ تُخطَّطُ، بحيث تستطيعُ المرأة اجتنابَ اللقاءاتِ غيرِ المتوقَّـعَـة: الزوايا والشرفات في موقع السلالم، والأبواب الخلفية (سخوة) في الفناء الداخلي (وصر – وصار) [الرسم ٦١، ٦٣].

لقد استجابت أشكال البيوت- الأبراج بصورة جيدة للمطلب الرئيس، المتوخَّى من بناء المسكن في حضرموت قبل النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين وهو ضمان الأمن. فالمسالك إلى المسكن في مأمن، بل وتُغطَّى بمساحة للنيران من برج (جلب – جلوب) على السطح [الرسم ٦١]. وكانت النتوءات البارزة فوق بوابة الدخول (تقدوم-تقاديم) تسمح بالكشف عن العَدُوِّ وإلحاق الهزيمة به من الأعلى من خلال الفواصل في الجذوع الخشبية (مردعة- مرادع). ولعلَّ التفكيرَ الجيِّدَ في الكُوَّة (مشواف- مشاويف)، بما في ذلك المنحنية قد سمح بإطلاق النيران الأمامية والجانبية، وكان من الصعب للغاية التغلغل أو النفاذ إلى المسكن: فبوابة الدخول عملت أدنى من قامة الإنسان كما وضعت مرتفعة فوق الأرض، وفي الأشكال المتأخِّرة أصبح لها أقفال، يتمُّ التحكُّمُ بحركتها بواسطة حبلٍ مُـتَـدَلٍّ من الطابق الأعلى، مِنْ غير الحاجة للنزول إلى الأسفل. وإذا ما اقتحم العدوُّ الطابقَ الأوَّلَ- الخاص بالأدوات، فإنه يضطر للحركة والعمل في الظلام: هنا لا وجودَ تقريبًا للنوافذ أو فتحات يدخل منها الضوء.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وكان الأمان يتحقَّق من خلال استقلالية المعدَّات والممتلكات المنزلية: الماشية والعلف واحتياطات الغذاء والماء (في أزيار، خزانات الماء- جباح، وفي بعض الأحيان في الآبار)، وحتى خلايا النحل-كل ذلك كان يدخل في إطار السور السميك للمسكن [الرسم ٨٤].

إنَّ السَّعْيَ لتأمين الحماية قد أدَّى إلى احتمال التعب. فالمباني مشيَّدة على رابية أو تَلٍّ أو على صَفَا شديد الانحدار، في مواقعَ ضيِّقة، لا تَتَّسِمُ بالرحابة والفساحة. ومع ذلك فحتى البيوت – الأبراج كانت متلائمة جدًّا إلى حدٍّ ما، مع مناخ حضرموت القاسي. فخاصية العَزْلِ الحراريِّ لخامات الطُّوْبِ المستخدَمِ كبيرة إلى درجة كافية، كما أن المساحة غير الكبيرة للسطح تؤمِّنه من ارتفاع درجة الحرارة أكثر من اللازم، وكذا تَقِيْه من الأمطار المدمِّرة النادرة. ولكلِّ حائط أو حائطين في كل غرفة سكنية نافذة: الكبيرة (خلفة- خلاف، فتحة- فتاح)، وهي غير مرتفعة عن مستوى الأرضية، والصغيرة (كُوَّة-كُوَّات)، وهي في أقصى ارتفاع تحت السقف، الأمر الذي يؤمِّن حركة الهواء المستمرة. وإلى ما قبل ظهور مشن الاستحمام في المنازل (الدوش)، لم يكن شاقًا القيام بالاغتسال، من خلال صبِّ الماء من الزِّيْرِ، أو من المغسلة الفخارية (مصب-مصبات) [الرسم ٤٤]. أما تنظيف الأرض: فيتمُّ إخراج الماء إلى الخارج بميازيب توصيل وصبٍّ (مرعاض- مراعيض) [الرسم ٦١].

إلى جانب بيوت الأبراج في حضرموت، وبصرف النظر عن كل النزاعات والحروب الداخلية، شُيِّدت المباني المخصَّصة للعبادة: المساجد ذات المنارات المميَّزة، بأشكالها الاسطوانية (الكنتورية)، وأضرحة الأولياء المقبَّبة في الحوطات (حوطة المشهد وقبة علي بن حسن العطاس- انظر الرسم ٧٣-٧٤).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كما شُيّدت مبانٍ بأشكال مختلفة تمامًا على حساب التبرُّعات (الصدقات) وإيرادات ممتلكات الوقف، وتستخدم لاستقبال الغرباء، ولتعليم الأطفال تلاوة القرآن الكريم في المساجد. وجرى تطوُّر البرج في اتجاهين. فمن جانبٍ، حافظ على خصوصيته الحربية- من برج الحراسة في الأرض إلى القلعة المحصَّنة أو مجموعة الحصون، ومن جانب آخر تشكَّلَ نموذجُ المنزل الرغيد، بالغرف الكثيرة وأماكن الأمتعة المنزلية، والممرَّات والشُّرْفَات والأفنية... الخ؛ حيث غلبتْ متطلباتُ الرَّاحةِ على اعتبارات الأمن [الرسم ٦٣]. وفي مثل هذه البيوت بَـقِـيَ فقط التخطيطُ الرأسيُّ، واستقلاليَّـةٌ ذاتيَّـةٌ محدَّدة، وتحوَّلَ المسكنُ والمرافقُ التابعة له إلى وحدةٍ متكاملة.

في الربع الأخير من القرن العشرين، بدأتْ تنتشر البيوت الـمُشَـيَّـدَة بمخطَّطاتٍ مبسوطة مع المساحات الفسيحة وأماكن السكن العالية، التي تشغل أيضًا الأدوار الأولى. أمَّا منشآت الخدمات المرفقة فتكون خارج البيت. ولم تُـفْـقَـدْ بَـعْـدُ تقاليدُ الفنِّ المعماريِّ القديمة، ومع ذلك فقد ظهرَ الخَطَرُ الحقيقيُّ لمعايير فنون العمارة المحلية بفقدان الآثار التاريخية؛ لأن بنايات المواد الخام المحلية مهملةٌ، وتتقوَّض أمامَ مَرْأَى العَيْن [١٤٤ ص٧٦].

لننظر في واحد من تلك "البيوت الجديدة" لصاحبه حسن عبدالله بن أبوبكر، قرية خريخر (وادي دوعن-الرسم ٦٤).

يقع المنزل على قاعدة خشبية، وشُيِّدَ من الطُّوبِ المحليِّ. وجميع عوارض السقف (قواسم ومكاسر)، والأبواب، والنوافذ- خشبية، وكذا أعمدة خشبية في الغرف (سهم-سهوم)، وأعمدة ارتكاز بيت الدَّرَج (عروس- عرسان الرقاد) بمواد طينية مجصصة.

إلى يسار المدخل في الطابق الأول تقع ثلاثة مخازن: الأول- للعلف، والثاني - للأدوات والأشياء (وكلاهما-مهر)، والثالث (ميسمة-مياسم)- لاحتياطات الأطعمة. وعلى الدعامة ثلاثُ عُصِيّ (معلاق)، تؤلِّف مثلثًا، معلَّقة بالحبال بشكل متوازٍ مع الأرض، وتُحْفَظُ فيها اللُّحُوم والأطعمة الأخرى القابلة للتَّلَف بعيدًا عن متناول القطط والفئران. وهناك كذلك الرَّحَى الحجرية (مَرْهَى وعالي) لطحن حبوب الذرة [الرسم ١٩]، ومقلاة لتحميس البُنِّ (محمس)، وغير ذلك من أدوات الطباخة الأخرى.

نصعد في الدرج، فندخل في حجرة، حيث تحفظ في صندوق، على أعواد خشبية ناتـــئة من العمود الحجري، الملابس، ومستلزمات فراش النوم والأدوات. ثم بعد ذلك الحمام وحجرة السكن "على دعامتين".

تؤدِّي الدَّرجُ إلى غرفة سكنيَّة كبيرة في الطابق الثاني [الرسم ٦٤-٢]، تُستَخْدَمُ لاستقبال الضيوف (فاضلة-فواضل). وفيها عمود استناد (أم سهمين) مع رؤوس أعمدة خشبية (كبش-كباش). وإلى أعلى الباب، كما في كل الغرف السكنية، تُوجَدُ رفوف خشبية عريضة لأغطية النوم والفرشان (مغسج- مغاسيج)، وإلى يسار الباب- خزانة للثياب (كانت تُشيَّد في البيوت القديمة خزانة – عَمَّاري)، وتلفزيون مع جهاز فيديو على طاولة تحتية، وفي السقف مروحة كهربائية.

وبجانب الغرفة إلى الحائط الشرقي- غرفة الحمام، وزِيْرُ ماءٍ للشرب، ومِنْ ثَـمَّ المرحاض (طهارة)، الذي تخرج منه البلاليع إلى الخارج [انظر الرسم ٧٢ الأسفل إلى اليمين]. وتلتصق إلى الزاوية الغربية للحائط الجنوبي غرفة صغيرة، مِنْ غير أعمدةِ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ارتكازٍ، للزوجة والأطفال. ووُضِعَتْ بتماثُلٍ مع (الفواضل) الشُّرفة (ريم –ريوم)، وفي الجزء الأسفل منه المطبخ (مخدم- مخادم) مع فرن متحرِّك لأقراص الخبز (تنار- تنانير).

تبدأ عملية إنشاء المنزل من اللحظة التي يختار فيها صاحبُ الطَّلَبِ معلِّمَ البناء المناسب؛ حيث يتَّفقان بينهما على مقدار المبلغ، الذي يتطلَّبه بناء المنزل، وعلى كيفية حجمه وعدد الطوابق. وبغرض الاستشارة يستدعي صاحب العمل بَنَّائِيْنَ آخرينَ، ويحدث عادةً أن يقوم أحدُ المستدعين ببناء ذلك المنزل بتكاليفَ أقلَّ.

توضع على الأرضية علاماتُ موقعِ القاعدة؛ حيث تُـمَدُّ الحبال المشدودة، ثُـمَّ يتمُّ الحفر عادةً إلى نصف قامة الإنسان، وتُوضَعُ أحجار الأساس. في تريم يتمُّ شراؤها جاهزة من نحَّاتي حجارة البناء، أمَّا في حضرموت فتُستَخْدَمُ غالبًا وبشكلٍ مُـتْـقَـنٍ الأحجارُ المجمَّعةُ من الجبال.

وتجري عملية إعداد خامات الطوب (مدر / لبن)؛ حيث تخلط المادة الخامُّ من الطين، وإلى كل تسعة أجزاء من الطين يُضَافُ جزءٌ من التِّبْنِ المهروم، ويقومون بـ "فتل" العجينة في قالب خشبيٍّ مُنْـثَنٍ، ومن هذه الحركة جاءَ اسْمُ القالب (مفتل- مفاتل). وخلال سبع إلى عشر ساعات من العمل يقوم الشخص الواحد بتجهيز ١٠٠-١٢٠ قطعة من الطوب، يتمُّ وَضْعُهَا مُتَجَاوِرَةً في الساحات، وتُـتْـرَكُ مُدَّةَ أسبوعٍ عُرْضَةً لأشعة الشمس لتجف [الصور ٢٠، ٦٩-٧٠].

وفيما يلي نقدِّم مختلف مقاسات الطوب وأحجامها في مختلف مدن حضرموت (بالسنتيمتر):

خريخر	ــ	٣٣×٤٤	٣٠×٣٦	ــ	٦ – ٨
عمد	ــ	٢٨× ٤٤	٢٨× ٣٦	١١ × ١٩	٤ – ٦
حريضة	٢٨ ×٤٨	ــ	ــ	ــ	٥ – ٦
القطن	٥٦ ×٢٨	٢٢× ٤٤	ــ	ــ	٦ – ٧
تريم	٥٣ ×٥٠	٣٠ × ٤٥	٢٥× ٤٠	ــ	٥ – ٦

في عمد يسمى الطوب من النوع الثاني "عبادي"، والنوع الثالث "مخمس"، والرابع "لِبْن حق خيش". ويستخدم الأخير لأغراض الزخرفة: فمنه يشيَّد البرج العلوي (جلب)، والحاجز (خيش) الذي يحيط بالسطح. وتعدُّ غِلْظَةُ الطُّوْبِ قياسيَّةً – السُّمْكُ (بنانتان أو حوالي ٥ سم)، وفي الواقع، كما تبيَّن بوضوح من المعطيات التي حصلنا عليها، فإن السُّمْكَ يتأرجَحُ من ٤ إلى ٨ سم. ويقيس البنَّاؤون طولَ الحِيْطَانِ بـ (موفر – موافر)، أي أنَّ غلظ خمس من الطوب مع المحلول فيما بينها يساوي حوالي ٤٤ سم.

يستخدم الطوب الكبير لبناء الطابق الأول، والمتوسط ثم الأقل – للأدوار العلوية. ونظرًا لمثل هذا البناء فإن المنزل يضيق من الأعلى ويبدو مظهره عاليًا.

ومن أجل الرسوخ والمتانة وإطالة العمر فإن البنَّائين المجرّبين يقومون بطرق كل (موفر) خام غير متماثل بأغصان (يعبور). وكمثال نذكر البنَّاءَ الشهير عوض سليمان عفيف، الذي شيَّدَ قبل قرن ونصف مضَى منارةَ المحضار، ذاتَ الخمسين مترًا في تريم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

في الوقت الراهن فإن الباني يفحصُ المبنى بالميزان، ولم تُعَدِ الحيطانُ تَضِيقُ. ويتمُّ خَلْطُ محلولِ الطِّيْنِ (جراق)؛ حيث يُـضَافُ ١/ ١٥ من التِّبْن المهروم. ولتلبيس الحيطان من الخارج (قشط) يستخدم مخلوط الطين مع التبن بنسبة ١:٥. كما يتمُّ وضع الأعمدة الحجرية الدائرية (ركبة-ركب)، والخشبية (سهم - سهوم) والأعمدة الطينية الملبسة (سارية - سواري)، ومع ذلك فإنَّ غالبية الناس لا يميزون الاختلاف بين هذه المسمَّيات.

يحدُثُ كذلك مع تسمية الطوابق. ففي تريم يُـسَـمَّى الطابق الأول (بعد الأرضي) "مَرَبَّـعَـة" (مَرَبَّـعَات)، والثاني - قيل - قيلة، والثالث - مرواح، الرابع - جلب- جلوب (في سيئون- فالق)، ثم الجلب الأول، والجلب الثاني...الخ؛ ذلك لأنه لا يشيد في تريم أكثر من الطابق الرابع (الخامس). ومن هنا ينبغي أنْ نعرف، أنَّ شأن الكثير من المصطلحات العربية، متعدِّدة المعاني، وهو يعني أيضًا البرج على السطح [٢٣٦ ص٣٩٩]، وحجرات الدور الخامس [٢٤٧ ص٢٨٤]. ويستخدم في بناء الطابق التحتي المؤلَّف من ثلاث غرف، مع مطبخ وحوش (فَنَاء) داخلي حوالي ٢٣ ألف طوبة.

تقاس مساحة المكان بـ"الأعمدة": غرفة بعمود واحد = ٨ ×٨ أذرع (١٢.٣٩م٢)، والغرفة ذات عمودين = ١٢× ٨ أذرع (١٨.٦م٢)، والغرفة بأربعة أعمدة = ١٢×١٢ ذراعًا (٢٧.٩م٢). وكانت الغرفة ذات الأعمدة الأربعة تُكَلَّفُ قبلَ نصفِ قرنٍ مضى ٨٠٠ تاليري[١].

١ - التاليري: هو الريال الفرنصة الذي كان يستخدم على نطاق واسع في مختلف المناطق اليمنية حتى عشية الثورة (المترجم).

ولإكساب المواد الأولية خاصية صدِّ المياه وعدم تسرُّبها، وكذلك لغرض تزيين السطح، وأحيانًا حيطان البيت، يتمُّ تلبيسها بالكِلْسِ الأبيض (النُّوْرَة). وتستخرج أحجار الكِلْسِ من دمُّون التريمية ومشَّطة ووادي عيديد وفي أماكن أخرى. ويتمُّ إحراقها في مواقد كبيرة (نموذج مماثل للفخار) لمدَّةِ ليلةٍ ونصف إلى ليلتين (يمكن مشاهدة المواقد "التنانير" في منطقة القطن). يتمُّ الحصول على المنتوج الجاهز بعد سحق الجير المستلم بواسطة هراوات خشبية. وفي قرية خربة باكرمان وفي نعير كانت تُسْتَخْدَمُ لإعداد المواد الجِـيْـرِيَّـة دواليبُ حجريَّةٌ (في البلدة الأولى – بقطر٨٥ سم، السمك ٢٥ سم، وقطر المساحة ٤.٨٥ مترًا)، ويجرُّها البعيرُ في مِـيْـزَابٍ دائري. وذكر أحمد سليمان باكرمان (حوالي ٥٠ عامًا)، الذي كان جدُّه المالكَ لهذه الآلة، أنَّ هذا الدُّولَابَ قد استخدم لتبييض مسجد عباد بمحلول الجِيْـرِ قبل ٣٠ – ٤٠ عامًا مضتْ. وفي نعير استخدمت العجلة قبل عشرين عامًا تقريبًا لتبييض مسجد بالنُّورة، كان قد تبرَّع بتشييده فيصل العطاس (محافظ حضرموت الأسبق).

خلال يوم عمل، باستخدام الهراوة، يمكن تحضير ثلاثة إلى أربعة أكياس من النُّورة. أمَّا المكائنُ الآليَّة الخاصة بِسَحْقِ الكِلْس فتُـنْـتِج عشرةَ أضعافِ تلك الكمية. وتعدُّ نُورَةُ تريم أجودَ الأنواعِ، وقيمتُها ٢.١٥ دينارًا للبرميل الواحد (٢٥ – ٣٠ كجم، أو خمسة قهاول). أما برميل نورة شبام فيساوي دينارًا واحدًا. وتعدُّ نُورَةُ القطن هي الأردى والأرخص من بين الأنواع الأخرى؛ وذلك بسبب شوائب التراب.

يستلم المنهي- المعلِّم النقودَ من صاحب الطلب، ويشتري كلَّ شيءٍ بنفسه. ويستأجر من ١٠ إلى ٣٠ عاملًا. في السابق، قبل عشرة أعوام مضتْ، كان المنهي يحصل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على ١٧.٥ دينارًا في اليوم الواحد، أما العامل فيستلم ٦ دنانير. وفي الوقت الحاضر فإن المنهي يقبض ١٢.٥ دينار و٢٠ مصرى من الحبوب، أما العامل فيحصل على ٥ دنانير و٢٠ مصرى من الحبوب، وفي السابق كان المنهي يوفر الغداء للعمَّال على حسابه الخاص، يومان مع اللحم ويومان مع السمك، وكان يشتري لهم القهوة والشاي. أمَّا في الوقت الحاضر فلا وجود لمثل ذلك، لقد أصبح العمران أكثر، وينفق الناس النقود التي يحصلون عليها في المهجر، ولذلك أصبحت التسعيرة منخفضةً. بيدَ أنَّ قيمة البيوت في ارتفاع. ولا يقلُّ ثمنُ المنزل العادي المؤلَّف من طابقَيْنِ عن ١٢ ألف دينار.

ويقبل البناؤون العمل مع صاحب الطلب بعد أن يتساوموا بجدِّيَّة. وعندما يكون البيت جاهزًا، ينحرون على عَـتَـبَـةِ البابِ الخارجيِّ تَـيْـسًا أو اثنين، ويعطي اللَّحمَ للبنَّـائين.

إنَ تَـمَـوْضُعَ البلدات والقرى في أودية حضرموت يرتبطُ بملاءمة الري ولدواعي الأمن. فالقرى والبلدات تقع في "جزيرة" وسط الوادي، على المنحدرات أو الأنجاد [الصور ٧٨-٧٩؛ ٨٠-٨١]. أمَّا القرب من أماكن السقي بمياه السيول فيميلون إلى التخطيط الطولي، تموضعًا بجانب القنوات الرئيسة، أمَّا قرب الينابيع (أو الآبار) فإن التخطيط يكون متراصًّا أكثر، وأحيانًا دائريًّا. وكثيرًا ما تقع القرى عند المداخل الجانبية للشعاب؛ حيث تكون إمكانية السقي مضاعفة.

وفي معظم المراكز المأهولة بالسكان في حضرموت الغربية ما زال باقيًا طابع الحارات أو آثاره. ولننظر في بعض من تلك البلدات.

(قرية قبلية) [الصورتان ٧٨-٧٩]

في هذه القرية غير الكبيرة، الواقعة في مكان رائع جميل، يوجد ٨٠ منزلًا مأهولًا، وكثير من السكان يقيمون في المهجر. تُسقَى نصف الأراضي الزراعية من العين الدائمة (عين شرحبيل) في شعب عامر، أو دمون. وقد سُمِّيَتِ البحيرة الصغيرة بـ (قَلْت الرحمة)، باسم جارية للسادة آل بن الشيخ أبوبكر، غرقتْ هنا قبل نصف قرنٍ مضَى، كما يُقَال.

القسم الأكثر تأثيرًا من سكان القرية القبائل - اليافعيون آل البطاطي، الذين يُرْجِعُونَ أصلَهم إلى شيخان، وهم ينقسمون إلى خمسة فروع: آل محمد (الزنجبيلي)، آل قاسم، آل سالم بن يحيى، آل جبران، آل سعيد عمر (آل طالب). وقد أدَّت المحاولات المستمرَّة المعروفة لسلاطين القعيطي لضمِّ القزة، إلى الصدامات المستمرة بين آل البطاطي وسكان قرية خريخر قبائل آل محفوظ. وتتحدَّث التقاليد الشفهية المحلية عن تلك "الحرب" بدرجة كافية.

علاوة على آل البطاطي (أكثر من ١٠٠ شخص)، والسادة آل بن الشيخ أبوبكر (حوالي ١٠ أشخاص)، يعيش هنا آل باقادر، قبائل سابقة من بني تميم، تحوَّلتْ إلى طبقة الضعفاء، وباضاوي (ضعفاء)، نزحُوا إلى هنا من الغرفة، وأعقاب العبيد - بركات والسَّيْوِد (حوالي ٧٠ شخصًا).

تنقسم القرية إلى أربع حارات، في كلٍّ منها مسجدها الخاص:

١- الشق الخبيتي أو (شق السادة). وهذه المنطقة تقع إلى الأسفل. وهي الأولى، إذا ما ذهبنا إلى القزة من وادي دوعن. سُمِّيَتْ على شرف فرع عشيرة السادة آل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بن الشيخ أبو بوبكر، الذين يعيش معظمُهم في هذه الحارة. وبالقرب منها تقع المقبرة، الواقعة على "أرض قاحلة" (فرطوان)، وليس لها تقسيم إلى "كبار" و" صغار" مناصفة كما في القرى المجاورة (يوضح سكان القزة سبب ذلك لقلَّة الأراضي الفرطوان، الضيقة بين الأراضي الخصبة، المخصَّصة بجانب النخيل والمزروعات البستانية). وشُيِّدت القبَّة على المقبرة على شرف أحمد بن سالم بن الشيخ أبوبكر [انظر أعلاه ف١ الفقرة٤ القنص].

٢- الجول - منطقة متموضعة إلى الأعلى، وهنا يقع أقدم مسجد في القرية، يعود عمره إلى ١٥٠ – ٢٠٠ عامًا، بناه، كما يؤكِّد السكان، عبدالله بن علي بن قاسم البطاطي. ويقع هنا أيضًا "أقدم بيت".

٣- القفل.

٤- الخلوف، حارة وراء الشعب.

وتشكِّل المساحة العامة للأراضي المخصصة لزراعة الحبوب أكثر من ٥٠٠ مطيرة. وتقدَّر مزروعات النخيل بحوالي ١٠ آلاف شجرة. وفي البساتين يزرع الكراث، القرعيات، البطيخ، الفجل، البصل، الثوم، الزنجبيل، الفلفل. كما يزرع الليمون الأخضر الصغير (ليم)، وتزرع أعشاب العلف.

يوجد حوالي ٢٠ خلية نحل، و٣٠٠ رأس من الأغنام. ويستخدم في الزراعة ١٥ بعيرًا، و٣٠ حمارًا.

إنَّ دراسة منظومة الري في القزة، بيَّـنَتْ بجلاء نظام توزيع المياه واستخدامها، الذي ساد هنا من قبل، لكنْ بمرور الوقت فُـقِدَ تعريفه بشكل ملحوظ (وهكذا، فإن حارة الشق الخبيتي لم تَـعُـدْ تستخدم الجابية السابقة).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

(بلدة مأهولة مع خليط من السكان)

[الصورتان ٨٣، ٨٤]

يشكل سكان عمد مع قريتي حبب وشظية ٢.٣ ألف نسمة. وهي مدينة قديمة، محاطة بالأراضي الزراعية (٤٠ ألف مطيرة، ١٠ ألف نخلة) ومنظومة متكاملة من القنوات. وفيها حارات موضحة بدقة (جور – أجوار):

في حارة سميح ومصنعة تسكن قبائل شملان وحرثان بارميم (١ -٢).

في حارة العطاس (٣) – السادة آل العطاس.

في حارة السادة (٤ – ١٠) – السادة آل الحامد وأخدامهم.

في حارة آل باهادي – الحرثان (١١).

في حارة آل بابريجة (١٢) – الحِرَفِيّون.

في حارة أسفل البلاد (المنطقة ١٤) – السادة بامساوى من آل الكاف.

تشغل حارات القبائل دائما المواقع الإستراتيجية المهمة – في أطراف البلدة أو على المرتفعات، المشرفة عليها. وتؤكد هذا قائمة الحارات والأفكار الأساسية للهندسة المعمارية في عمد [الصورة ٨٢].

١ – قلعة (المصنعة) للنقيب بن شملان.

٢ – جور الصافية.

٣ – قبة صالح بن عبدالله العطاس، مقبرة دليج (باسم الجبل)، دار الغرباء (المقصد) القبلي مع مسجد المفرج.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٤- بيت السيد محمد بن أحمد الحامد (عشيرة بن سالم).

٥- قباب كل من: صالح بن عبدالله الحامد، وعيدروس بن صالح بن عبدالله الحامد، الشيخ الأحمدي المعروف بالمعلم، مسجد الحبيب سالم.

٦- بيت السيد صالح بن أحمد الحامد، المعروف بالبكري.

٧- بيت السيد عبدالله الحامد، دار السعادة.

٨- مسجد حسين بن محمد الحامد.

٩- بيت السيد محسن عيدروس.

١٠- قبة السيد حسين بن محمد الحامد.

١١- بيت عبيد يسلم باعبيد.

١٢- حارة الحِرَفِيّين بابريجة.

١٣- خزان الماء الأعلى لعمد.

١٤- مدرسة ذات ثمانية صفوف.

١٥- آل محمد بن شملان.

١٦- آل سليمان بن شملان.

١٧- مسجد الرباط، أقدم مسجد في المدينة.

١٨- المسجد الجامع.

١٩- منزل استقبال الغرباء (بيت الصدقة).

وقلعة النقيب بن شملان. وقد تسنَّى لعضوية البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ل. ف. توغارين، وأ. ي. ريدكين التقاط صورًا تفصيلية لقلعة قبائل شملان (قبيلة الجعدة)، حيث يريدون منها عمليًا المدينة ومحيطها.

عايض فرج بن شملان (٣٥ عامًا، عمد) أشار إلى أن القلعة شيدت فقط قبل ٥٠ – ٦٠ عامًا خلت على أكتاف عبيد بن شملان. كما نحتت بئران في جلمود صخري بعمق ٨٠ و٩٠ كوم (١٢٨ مترًا و ١٤٤ مترًا)، وقد نضبت فيهما المياه مؤخرًا. وكان سكان القلعة دائمًا قليلين، وحاليًا يعيش هنا ٤٥ شخصًا.

١- شُيِّدَ هذا الحصنَ بَنَّاءٌ ماهرٌ من عَمْد لسليمان بن صالح النقيب ولابن أخيه من الأب. وهو في الوقت الراهن بناية سكنية.

٢- دار سالم بن علي: هنا عاش والده، ويعيش الأولاد.

٣- دار بُنِيَ قبل ١٢ عامًا خلت لشقيق سالم – مبارك.

٤- مخازن شُيِّدَتْ قبل ٤٠ عامًا مضتْ كمنزل للسكن، بناها أحمد باقرين لعبدالله سالم.

٥- منزل تحت التشييد لعبدالله سالم. معلم البناء عمر سالم بن شملان من قرية حَبَب.

٦- مخزن للعلف (خزن الحشيش).

٧- عنبر (وصر – أوصار) لسنابل الذرة، ومساحة لفرز وتجميع الحبوب.

٨- حضيرة الماعز (زرب-زروب).

٩- حضيرة للحمير (وصر).

١٠- إلى الأعلى – زريبة الماعز (وصر)، وإلى الأسفل – مخزن للعلف.

١١- مستودع للخضرة الطازجة.

١٢- مطبخ (مخدم).

١٣-مطبخ.

١٤-زريبة الماعز.

١٥- حوش مفتوح (وصر). وقبو (غار- غوار)، نحت في الصخر، ومدخله خارج سور الحصن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

(بلدة مع خليط من السكان)

(الصور١، ٨٠، ٨١)

يقطنها نحوٌ من ألفين من السكان. ومن بين ٥٠٠ منزلٍ فإنَّ المأهول ٤٢٥ منزلًا. وتنقسم الحارات (جور – أجوار) على النحو الآتي:

- حارة الشيخ (إلى الجنوب الشرقي من طرف الجول، في الجزء القديم من المدينة) – ويعيش هنا مشايخ بن عفيف.
- حارة سِرِه (الموقع الغربي للبناء القديم)- حرثان باسلامة، بادحمان، وآل رشيد.
- جول يزيد – آل يزيد اليافعيين.
- الموسطة – السادة آل الكاف.
- سرحة البار – بن عفيف، وبادحمان.
- النادرة- السادة آل الكاف، وأخدام بازكام.
- الشعيبة (الشمال الغربي من البناء القديم – حرثان باخلو، وباقوزة).

كان آل يزيد اليافعيون هم كبار المُلَّاك في الماضي (حوالي ١٠٠٠ مطيرة). وكانت تُزرَع الأراضي (جروب)، إلى الغرب من المدينة (سُقِيَتْ بواسطة قناة دمُّون وفروعها)، والسفلى إلى الشرق (قناة هدُون وفروعها).

إلى ما قبل الاستقلال، خلال أعوام الخمسينيات والستينيات، كان مجلس المدينة المؤلَّف من خمسة إلى ستة أعضاء: بن عفيف، باسلمة، بامخرمة (من المنيظرة)، بن محفوظ، يجتمع بغير انتظام.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(حوطة)

إن الطابع المميّز للبلدات والقرى يتمثل في المكان المقدَّس ــ الحوطة، المخصَّصة لاستقبال الزوَّار، الذين يؤمُّونها تبرُّكًا بها. وفي المشهد توجد: قباب على أضرحة الأولياء ــ مقصد الزُوَّار [الصورة ٧٥]، وأحواض ضخمة ـــ جابية-لخزن المياه، يتم تكريسها في مستهلِّ الزيارة، وخزَّانات لمياه الشُّرب (سقاية)؛ بحيث يستطيع عشرات العطاشى، في وقت واحد، أن يَرْوُوا عطشَهُمْ [الصورة ٧٤]، والآبار، والمستودعات التجاريَّة الخاصَّة بالسُّوق، التي تُشَيَّدُ في أوقات الزيارة، ومنزل للحراسة وبنايات؛ حيث يستطيع أحفاد مؤسِّس الحوطة علي بن حسن العطاس أن يعيشوا بصورة دائمة أو طرقها خلال العام. ويُعَدُّ إرواءُ عطشِ الإنسانِ أو الحيوانِ عملًا محبَّـبًا إلى الله. ومن هنا يأتي العدد الكثير للسقايات في طُرُقِ حضرموت الغربية [الصورة ٣٣]، والسقايات الخاصَّة بالماشية عند الآبار [الصورتان ٣١، ٣٢].

ينتمي الفنُّ المعماري لحضرموت الغربية إلى التقليد الحضرمي الموحَّد، ومع ذلك تُـوجَدُ في حدود المنطقة أشكالٌ محليَّة. فالبيوت في وادي دوعن ووادي العين أكبر وأنصع مقارنةً بمباني وادي عمد (باستثناء حريضة)؛ إذ تُحَافِظُ الأخيرة على الوظيفة الدفاعيَّة (كذلك كما في بعض أماكن وادي الكسر، على سبيل المثال، ديار البقري). أمَّا مساكن عَمْد الاعتيادية فهي ذات أبراج مضاعفة. وفي مرتفعات وادي عمد فإن البيوت عادةً غيرُ مَصْبُوغَةٍ، وتُـلَـوَّنُ في بعض الأحيان بالجصِّ الأبيض (النورة) الحواجز العلوية "تيجان" الأبراج والأبراج على السطح فقط (تُزَاوج أحيانًا النورة مع اللَّون الأخضر أو الأزرق السماوي).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

جَذَبَتِ الملابسُ، وخاصَّة النسائية، اهتمامَ الرحَّالةِ بحضرموت. كتبَ فُون فريدَه عن الملابس البُـنِّـيَّـة اللَّون للرعويِّين السيبانيِّـين (وادي عَمْد): كانَ طرفُ الثوبِ يَكَادُ يغطِّي الرُّكْبَة، أمَّا الطَّرَفُ الخلفيُّ فإلى الكعبَيْن. وفي مرتفعات الوادي كانَ قدْ شاهدَ ثوبًا بلونٍ أزرق فاتح مع حاشيةٍ خضراءَ للياقة ولأطراف الأكمام [١٠٦ ص٩٠-٩١، ١١]. وفي أسافل الوادي شاهدَتْ ميبل فرجينيا بينت نساءً في فساتينَ ملوَّنةٍ بالأخضر، مفتوحةَ السيقانِ إلى أعلى الرُّكْبَةِ، وتتدَلَّى من الخلف. وتُـخَاطُ من قماشٍ قُطْنيٍّ أزرقَ غامض، ومزخرفة بتطريزات اصطناعية، وإضافات زخرفية خضراء وحمراء. وهذا هو الزيُّ النسائيُّ في حضرموت. وتُـضَـافُ إلَـيْـهِ قُـبَّـعَـةٌ عريضةٌ من القشِّ، وقناعٌ للوجه [٥٢ ص٩٥].

كما أشارتْ دارين انجرامس إلى الثيابِ الخارجيَّةِ الزرقاءِ والخضراءِ لنساءِ تريم، وإلى الأردية البيضاءِ للعَلَوِيَّات، وإلى الـحُجُبِ البرتقاليَّةِ التي تُلْبَسُ في أوقات الصلاة [٧١ ص١٩، ٥٠، ٥٩]. وتذكر فريا ستراك الأزياءَ الخضراءَ والبرتقاليَّةَ ذاتَ الاخضرار في تريم، والزرقاءَ في شبام، والسوداءَ بزينة فِضِيَّةٍ وتقويرةٍ في أطرافِ الثوبِ في الهجرين [٩٦-أ ص١٩٠، ٢١٣].

وإذا أضفْنا إلى ذلك وصفَ الزيِّ النسائي في هينن، الذيْ ذكرَهُ بيدرو باييس في نهاية القرن السادسَ عشرَ (الثياب بيضاء، والحجب السوداء التي تُـغَطِّي الوجه، كما لَدَى الرُّهْبَان) [٢٥٠ ص٢٠٠]، فإنَّه يغدُو واضحًا، إنَّ طبقاتِ الزيِّ الحضرمي - أمرٌ غيرُ هَيِّن.

ومثل هذه المحاولة قامتْ بها ف. أ. كراتشكوفسكايا. فقدْ جمعتْ في أبحاثِهَا عن الزيِّ النسائيِّ في حضرموت [١٤٨، ١٥١] دائرةً واسعةً من المعلومات الخاصة بأزياء النساء العربيَّات، ودراسة تطوُّرِهَا التاريخيِّ في شمال العالم العربي، ومِنْ ثَـمَّ انتقلتْ تدريجيًا إلى حضرموت. واستخدمتِ الباحثةُ إلى جانبِ المعلوماتِ الكتابيَّةِ مادَّةً تصويريَّة كثيرة: رسومات وصور ف. يستارك، غ. هيفريتس وآخرين. ومع ذلك فإنَّ إعادةَ الصياغةِ غيابيًّا لم تستطعْ إخفاءَ بعضِ الفراغاتِ والأخطاء.

تحدَّث إلينا كثيرون عن الفوارق الاجتماعيّة (الطبقية) السالفة في الأزياء في حضرموت الغربية. وقبلَ أنْ نَـلِجَ في هذا الموضوع، ننظر إلى الملابس الرجالية والنسائية وملابس الصغار، الشائعة في الوقت الحاضر في المنطقة. ويَسْتَـنِـدُ وصفُنا على عشرات الأحاديث، الرسوم، الصُّوَر [انظر الصور ٢١-٢٥، ٥٢-٥٣، ٥٥، ٨٥-٩٢، وكذا ١٧٤ الصُّوَر ١٥، ١٦-١٩، ١٢، ٩-١٠، ٢٠-٢١، ٦، ٢٨، ٣٠-٣١]. وقد سلَّمَتِ البعثةُ السوفيتيَّةُ اليمنيَّةُ المشتركةُ لمتحف الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا طقمَيْنِ من الملابس الرجاليَّة، وأحدَ عشرَ فستانًا نسائيًا – من ملابس الأعياد والملابس الاعتيادية اليومية (او. بي ٦٩٨٦، ٦٨٢٧، ٦٩٢٠، ٦٨٧٨).

لقدْ قُمْنَا في حضرموت الغربية بتقسيم ثلاثةِ أشكالٍ محليَّةٍ للفستان النسائي:

الهجرين، عَمْد العليا، ضِفَاف الوادي.

فستان الهجرين النسائي [١٦٩ ص١٠١-١١٤] يوجد في أسفل وادي دوعن وعَمْد، وفي وادي العين ووادي الكسر. وحدود انتشاره إلى الشرق- بلدة العجلانية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(وادي الكسر)، وإلى جنوب وادي دوعن – قرية العادية، وإلى جنوب وادي عمد – نفحون. أمَّا الحدود في وادي العين وإلى شمال المنطقة فلم تُـحَدَّدْ.

هذا النوع يقتضي لبسَ ثوبِ العيدِ الكلاسيكي [الصورة ٢١، ٨٦] مع تقويرة ١٠-٣٠ سم في أطراف الثوب. ويُسمِّي السكَّانُ المحليُّون مثلَ هذا الثوب "ذيل"، أو "الثوب الأسود". وخلال السنوات العشر الأخيرة فإنهم يَخِيطُونَهُ من قطيفة رفيعة مستوردة سوداء اللون. ومع ذلك كان الثوب الأسود في الثلاثينيات يُـجَـهَّـزُ من مادَّةٍ قطنيَّةٍ، ويُـخَاطُ من قبل معلِّمي الخياطة المحليِّين، ويُـصْـبَـغُ بلونٍ أزرقَ غامضٍ [انظر أعلاه ف١ الفقرة٣ النسيج]. ويُحتَـفَـظُ بنموذجٍ قديمٍ للثَّوْبِ في متحف الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا (أو. بي ١٩-٦٩٢٧).

إنّ تفصيلَ شكْلِ الثوب في الهجرين وعَمْد العليا متماثل: "كيس" بمقاييس ١½ × ١متر تقريبًا، بأكمامٍ مُخاطَةٍ على شكل مثلَّث، وهو أقْرَبُ إلى الرِّدَاء المستطيلِ الشَّكْل. عباية [١٥١ ص١٣٥]، الذي يتميَّز به البدويُّ في شمال الجزيرة العربية. والثوبُ الأسْوَدُ شحيحُ الزِّينَةِ في طَوْقِ العُـنُـق، وفي أطراف الأكمام، وفي بعض الأحيان في طرف الثوب (في الماضي – كانت الإضافات من القماش تُخَاطُ بالفِضَّة، أمَّا الآن – فبأشرطةٍ ملوَّنة).

إلى جانب الثَّوْبِ يَتِمُّ ارتداءُ منديلِ الرأسِ، ذي اللَّونِ الأسودِ، الضَّارِبِ إلى الزُّرْقَـةِ مِنْ قماشٍ قطنيٍّ مُـخَـرَّم (نقبة-نقاب) بمقياس ٢× ٤ أذرع صغيرة (٧٠ × ١٤٠ سم). وكذلك قناع للوجه (برقع – براقع) من قطيفةٍ سوداءَ بحدٍّ أدنى من الزينة: يتمُّ وضعُ خطٍّ رفيعٍ على طول الأنْفِ [الصور ٨٦-٩١]، وفتحة للعَيْنِ تُخَاطُ بالأبيض

أو الأحمر. ويُربَطُ القناعُ في الجزء العلوي للمنديل بشريطَيْنِ من القُطْنِ بيضاءِ اللَّون (في الماضي كانت تستخدم أشرطة جلدية)[انظر الرسم ٢٢، ٢٣، ٩١]. يضاف إلى الثوب حزامٌ رفيعٌ بِـلَـواحِـقَ فِضِيَّةِ اللَّونِ، أو كما في المرحلة الأخيرة صفائح ذهبية اللون، وتُـستَخْدَمُ قُـبَّـعَةٌ عريضةٌ مصنوعةٌ من سَعْفِ النخيل (مظلة – مظلات)، أسطوانيَّـةُ الشَّكْلِ للوقاية من الشمس عند التعرُّضِ لها مدَّةً طويلة. وإلى الشرق من منطقة الهجرين (في منطقة القطن) يتغيَّر الشكلُ الأسطوانيُّ للقُـبَّـعَـةِ [١٧٤ الصورتان٩-١٠]، وكذلك أيضًا المميَّزات الأخرى للزي. وفي الأماكنِ التي ينتشرُ فيها نموذجُ زيِّ الهجرين يعتقدُ السُّكَّانُ أنَّه كُلَّمَا كانَتِ الثيابُ النسائيَّـةُ كلاسيكيَّـةً، كُلَّمَا تطابقتْ أكثرَ معَ مفاهيمِ الثقافةِ الحضريَّـة، أمَّا كافَّة أنواعِ الزينة فهي "علامات البداوة" [الصورة ٩٢].

تقتضي العاداتُ المحليَّةُ تنقيشَ الثَّوْبِ النسائيِّ وبَرْقَـشَـتَـهُ فقطْ في الأعياد والحفلات، التي تُنَظَّمُ في غير وجود رجالٍ غُرَبَاء [١٧٤ الصور ١٦-١٩]. ويتميَّزُ فُسْتَانُ الفَرَحِ (الثوب المطرز) الأحمر والقرمزي والأخضر والمخطَّط عن غيره بطابعِ الزِّيْـنَـة. والثيابُ الحريريَّةُ ذاتُ اللَّونِ الأحمرِ، أو المخطَّطِ والمطرَّزَةُ بخيوطٍ فِضِيَّـةٍ (تكتيب) هي الأكثرُ قيمةً. ولقدْ حرَّمَ الإسلامُ لُبْسَ الثوبِ الحرير[1]، ولذلك تكونُ للفستانِ بِطَانَةٌ قُطْـنِـيَّـةٌ، لكي لا يلامسَ القماشُ الجسمَ. وتُحفَظُ ثيابُ الفرحِ بعنايةٍ وحِرْص، وبعدَ أنْ تَـبْـلَى الثيابُ لكثرةِ الاستعمال، يَتِمُّ انتزاعُ ما تبقَّى من قِطَعِ التطريزِ، وتُعْمَلُ منها حَوَاشٍ للثِّيَـابِ الجديدة.

١ – التحريم للرجال فقط، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ. رواه الترمذي: اللباس – ما جَاء في الحرير والذهب. وقال حسن صحيح. (المترجم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المرحلة اللاحقة، الثياب بمختلف الإضافات، إذ تُقطع الزخرفة الهندسية بـمُـتَـوَّجَاتٍ والتواءات "ثعبانية"، ويخيطون على القماش الكثيرَ من الصَّدَفِ (بصبص)، والمرجان والحِلَقِ الفضيَّة والبهارجِ (رعش) والأشرطة الرفيعة، وحتى الأزرار. ولقد أخذت الموادُّ الصناعيةُ تـزيحُ الموادَّ الطبيعية.

وتُـزَيَّنُ ثيابُ العِـيْـدِ النسائيَّـةُ في حضرموت الغربية من الخَـلْـفِ بصورةٍ أكثرَ ممَّا في الأمام. وتحتفظ الزخرفة، كما هو جَلِيٌّ، بخصوصيةِ الوقاية. وبشكلٍ خاصٍّ دقَّـة تقويرةِ العُـنُـق (تل)، والأكتاف والآباط على ثوب الزفاف الجديد. وتُخَاطُ الأعدال الحريريَّـةُ فَـوْقَـهُ (عكس – عكوس) مع حبوب الهيل والنباتات المولّدة للعسل أو حزمة من ذيل الماعز يُعتَـقَدُ أنها تؤمِّنُ الذُّرِّيَّة، أمَّا الأجراسُ الفضيَّة – فتطردُ الأرواحَ الشِّرِّيرَةَ. وللوقاية من العيون الشريرة يُـخَـصَّصُ بشكلٍ خاصٍّ وَشْيٌ في الظَّـهْـرِ، يتكوَّنُ من الصَّدَفِ، أو بقايا القماشِ، على شَكْلِ نجمةٍ رباعيةٍ، تُخَاطُ بخيوطٍ فضيَّةٍ، وتُسَمَّى (قترة- قتر). ومن أمام القترة تتطابق نجمةٌ ثمانيَّةُ الأبعاد (نقطة – نقط) ببهارجَ وإضافاتٍ من الوَشْيِ والتطريز [الرسم ٨٨].

نموذجُ الثوبِ النسائيِّ في عَمْد العليا: ينتشرُ من الحدود الشمالية لوادي عمد إلى نَـفْحُون طرازُ الهجرين من الثياب النسائية نفسُه. ومع ذلك، تُوجَدُ هنا تَـبَايُـنَاتٌ محليَّةٌ ملحوظة – زخرفةٌ أكثرُ لتقويرة الرقبة، وزركشةُ ظَهْرِ الثَّوْبِ بشريطٍ رفيعٍ وغير ذلك.

أمَّا في جنوب نَـفْحُون فيتغيَّر الشكل [الصورة ٨٩-٩٠]؛ حيثُ يَبرُزُ على ظهر الثوب الأسود وأكمامه الوَشْيُ بخيوطٍ فضيَّة (أو مرفقات من الأشرطة الدقيقة)، وبزخارف هندسية (فرخة)، ومجموعة نجوم رباعية (أمقاص). وفي عَمْد فإنَّ الفرخة

أكثرُ تعقيدًا؛ إذْ تتألَّفُ من ٣٤ نجمة ثمانية الأطراف، وتنتهي بزخارف باسم "الطير الكبير" [الصورتان ٨٩-٩٠، ب]. إنَّ مقاطع هذه الزخرفة معروفةٌ على ثياب العِيدِ بالنسبة لِصِنْفِ الهجرين، ومع ذلك يمكنُ مصادفتُها على الثياب اليوميَّة في وادي دوعن لدى الرَّعَوِيَّات السيبانيَّات فقط.

يعكسُ الثوبُ النسائيُّ في عَمْد العليا التفاوُتَ في السِّنِّ. فالفَتَيَاتُ الصغيراتُ مِنْ عشرِ سنواتٍ إلى سنِّ الزواج يلبسْنَ الثوبَ الأسودَ، وبزخارفَ قليلة. وكان يُمْنَعُ عليهنَّ التزيُّنَ بالحناء والكحل والتطيُّب بالعطر. وفي سنِّ ١٢ – ١٤ يلبسْنَ القناعَ غيرَ المطرَّز. وبعضُ المُوْسِرَاتِ فإنَّ ثَوبَ المرأةِ في مرحلة الإخْصَابِ يكونُ أكثرَ تطريزًا عندَ الأمِّ، ولكنَّ الزينةَ تختفي من الثياب مجدَّدًا عند النساء من سن ٥٥-٦٠ عامًا.

ينتشر هذا الشكلُ من الثياب، مع بعض الخصائص المحليَّة، في جنوبِ وادي عَمْد وحتى جَاحِز؛ حيث يظهرُ الثوب الخليط، الذي يجمعُ بين ثوبِ عَمْد العليا مع منديلِ الرأسِ ذي اللون الأصفر (جاحز) أو الأحمر (الوجر).

نموذج ثوب ضفاف الوادي: ابتداءً من حبرة وترمّل (وادي عمد) مع اختفاء القناع من الوجه والحجاب، وبالنسبة لهذه الأماكن، كما هو الحال في الساحل، فإنَّ طابع تفصيل الثياب غيرُ مُقَيَّدٍ بشكلٍ محدَّد.

ومزيجُ الألوانِ المفضَّلة هي الثوبُ الأخضرُ اللَّونِ، والمنديلُ الورديُّ، أو الثوبُ الأحمرُ، والمنديلُ الأصفر. وفي منطقة الهجرين وعمد العليا فإنَّ النساء يلبسْنَ في البيت مثلَ تلك الثياب (غالبًا بلونٍ واحدٍ: الخضراء، الحمراء، والصفراء).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وفي موسم البَـرْدِ فإنَّ النساءَ في حضرموت يرتديْنَ قمصانًا صوفيةً تحت ثياب الخروج. وتنسب إلى الثياب الداخلية السراويل القصيرة أو الطويلة، و"الفوطة" التي تخاط من السرَّة إلى الساق، والقميص العريض المستطيل مع تقويرةٍ للعنق.

قبل ثلاثين عامًا مضتْ كانتْ قمصانًا تحتيَّةً فضفاضةً إلى الركبة (شلحة)، وكان الحضارمةُ الحَضْرُ يلبسون قمصانًا قصيرة، تلتصِقُ بالصَّدْرِ (كرتة). أمَّا في الوقت الحاضر فقد أزاحت الصدريةُ الأخيرةَ، ويسمَّى القميصُ النسائيُّ الداخليُّ العاديُّ (شلحةً).

حظيت الثياب الرجالية للحضارمة بمقدار قليل من الوصف من لدن الرحَّالة: أقلُّ ذكرٍ لها يرجع إلى بيدر وبايس، الذي كتبَ أنَّ الرجال المحليِّين يرتدون "بصورة رديئة" [٢٥٠ ص٢٠٠]، ولعلَّ الراهبَ اليسوعيَّ الأسبانيَّ لم يستحسن الرجالَ بأجسادٍ نصفِ عارية، يأتزرون التنُّورة (لعلَّها الفوطة) ويحملون البنادق.

إنَّ نماذج الانطلاق للملابس الرجالية في الجنوب العربي - هي الأشكال المختلفة للنطاق- قطع مستطيلة من القماش، تُـلَفُّ حول الرأس، وحول الجسم، وحول الخصر. وقد انعكس التغيير المتبادل الأوليُّ لأجزاء الملبس في المصطلحات. وهكذا فإن (خلفة) تعني عمامة الرأس الرجاليَّة والطَّوْق، و(نُـقْـبَـة) منديل الرأس النسائي، و(الشيدر) الحجاب النسائي، و(الحزام) النطاق الرجالي ... الخ.

تدريجيًا جرى تغييرٌ في ملابس الرجال الأكثر انتشارًا في حضرموت: من الإزار القطني البدويّ غيرِ الملوَّنِ (المقطب) (٤× ٢ ذراع) والطانة (٦× ٢.٥ ذراع) إلى "السباعية" ذاتِ الحواشي المهدَّبة (٢×٢.٥ ذراع)، والشيدر المنقَّش (٧× ٣ ذراع)، مع الكفوف (ذبال)، والخيط الذهبي (حَظوة)، إلى الفوطة، التي تخاط بواسطة مكائن

خياطة مستوردة من شرق آسيا، من حيث جاءتْ تسميتها أيضًا – صارون (سارونج، تنطبق كلمة "فوطة" تنطبق على الثياب الرجالية، وتستخدم في حضرموت كما في عدن) [الصور٣٤-٣٨، ٦٠، ٨٥].

كان البدو يلبسون مآزرَهم، ويُبْقُونَ سيقانَهم عاريةً إلى الرُكْبَةِ وما فوقها، أمَّا الحَضْرُ فكانوا يُـغَطُّون الركبةَ وإلى ما تحتها بشبرين تقريبًا. وفي الوقت الحاضر تلاشَتْ هذه الاختلافاتُ، ويغلبُ "الطابع الحضري"، ومع ذلك فإلى اليوم ما أنْ يرحلَ الحضرميُّ إلى الجبال، حتى يربط الإزاردون قيود "على الطريقة البدوية".

إن سِتْرَ الجسم بقطعةِ قماشٍ قطنيَّةٍ مستطيلة (ملحفة، كانت في الماضي من الصوف)، أو قميص قصير (مسترة) قد خرج عن نطاق الاستخدام منذ عِقْدَيْنِ إلى ثلاثة عقودٍ خلتْ. وفي الوقتِ الراهنِ يرتدُونَ القمصانَ المستوردةَ [الرسم ٨٥]. وأحيانًا يعلِّقُونَ على الكَتِفِ شالَ الرأسِ المنثني عدَّة مرَّات، ويُلبَسُ حزامُ الجلوس (حبوة– حبوات) على الكتف أيضًا، وعند الجلوس يتمُّ لَيُّ الرُكبتَيْنِ وضمّهما إلى الصَّدْر، ثم يلفُّونه حولَ الحِقْو، وهو مشهورٌ لدى المجاورين في الغرب والشرق، ويُصادف قليلًا في حضرموت. وفي الجوِّ البارد يلفُّ الرجالُ حولَ الجزء العلويِّ من الجسم شالًا صوفيًا.

كانت تلبس تحت النطاق سراويل (نكس) من مادة قطنية غير ملونة، وتحت القميص – لباس تحتاني، من القطن أيضًا (جرمة–جرام) أمَّا في الوقت الحاضر فإنَّ الملابسَ الداخلية مستوردة (سراويل قصيرة، مايوه أو فانيلات، قمصان داخلية بدون أكمام).

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في الماضي كانت تَسُودُ عدَّةُ أنواعٍ من شالات الرأس الرجالية، والكثيرُ من الطُّرُقِ لِرَبْطِ العمامة. الشالات المربعة (٤ × ٤ أذرع) المشهورة: غترة – غتر (للمقارنة مع أسماء الزخارف على المنديل النسائي)، عثكول- عثاكيل ...الخ، وفي الستينيات انتشرتْ في جنوب اليمن، وبشكلٍ واسع، الشالاتُ الرجاليَّةُ الفلسطينية، التي أخذتْ تُطرَّزُ على النمط المحليِّ بالألوان والعذبات. وتستورد من العربية السعودية، إندونسيا، اليابان، بريطانيا، وبلدان أخرى.

كما أن الأحزمة الجلدية العريضة مع الأجزاء الخاصة بالطلقات (الفشك) والنقود (سبتة-سبات، مسبتة–مسابت) قد أزاحتها الأحزمة الخضراء (كمر) [الصورة ٥٣] المصنوعة من الثاربولين، بجيوبٍ إضافيةٍ، ومحابسَ لشدِّ الحزام ومسامير. أمَّا الأحذية فمن إنتاج مصنع عدن: نعال مع رقائق المطَّاط (شبشب)، وأحذية بلاستيكية أو من الجلد الاصطناعي، ومع ذلك فما زال بعضُ صانعي الأحذية يصنعون الأحذية الجلدية التقليدية، بما في ذلك أبو جحيش، ذات القطعتين من الجلد [الصورة ٥٢]، التي يجب أن تفزّع خشخشتُها الثعابينَ والعقارب. ولا تنقسم الأحذية اليومية إلى رجالية ونسائية، ولكنْ في الأعياد فإنَّ النساء يلبسْنَ الصنادلَ ذاتَ الزينة المكبوسة والمطعَّمة بالجلد، أو الأحذية "الأوروبية" من الجلد اللَّمَّاع.

لقد فَقَدَ اللباسُ الرجاليُّ تقريبًا خصوصيةَ التبايُنِ بين الفئاتِ العُمْرِيَّة، والطفل من سنِّ سنتَيْنِ إلى ثلاث سنوات (طالما لا يفهم الكلام بَعْد) يمكن أن يخرج في قميص، بغير سراويل داخلية، وبشريط فقط (بريرة)، يحيط بالخصر. أما بعد ذلك فيلبسونه لباسًا شعبيًا مستوردًا ورخيصًا (في الغالب سترات عسكرية مقلّدة تايوانية أو كورية

جنوبية)، ومن سنِّ سبعٍ إلى عشر سنوات (حينما تتبدَّل الأسنان) ينتقل الطفل تدريجيًا إلى ملابس الكبار. ولا وجود لفوارقَ في تسريحةِ الشعر، بيد أنه ما قبلَ نصفِ قرنٍ مضَى، كانت توجد عادة، بمقتضاها كان الفتيان إلى سن ١٦ عامًا يحلقون شعر الرأس ويبقون على ناصية (قزعة)، تعني أنه لم يخضع بَـعْـدُ للثأر [٢٣٦ ص٧٠٦]. أمَّا في الوقت الراهن فإنهم يحلقون شعر الرأس قصيرًا، ويبقون على الشَّنَب.

غالبًا ما يُطْلِقُ كبارُ السنِّ وجزءٌ من الشبابِ لِـحَاهُمْ (أحيانًا مدببة)، وتنتشرُ على وجه الخصوص بين الشخصيات الدينية. ويمكن في بعض الأحيان مصادفة الشعر الطويل عند البدو. وفي هذا الوسط أيضًا توجد تسريحاتُ الشَّعَر النسائية القديمة على شكلِ جدائلَ كثيرة.

في وقتنا الحاضر فإن الفوارق الاجتماعيّة ضعيفةٌ للغاية، ويعبِّرُ عنها أيضًا في الزي الرجالي والنسائي لسكَّان حضرموت. ويمكن للمتأنِّـق المعاصرِ في الملبس أنْ يحملَ شالَ الرَّأسِ (مَشَدَّة) وإزارًا صُنِعَ يدويًا في الشِّحْر. وتبلغُ قِيمَةُ مِثْلِ هذا الرِّدَاء من ٢٠ – ٢٢ دينارًا، مقابل ٥ دنانير للصَّارِمِ العَادِيِّ المستورد. كما أنَّ ثيابَ الأعيادِ والخروج لنساء حضرموت الغربيَّة لا تُـعْطِي لَـهُنَّ وضعًا اجتماعيًا.

بيد أن التباينات الاجتماعيّة في الماضي تجلَّتْ بوضوح في أنواع الملابس [انظر ج١ ف١ فقرة١]. فقد روى الشاعر الشعبيُّ مبارك أحمد بن عقيل الشهير بـ(أبوبشر) (قرية غنيمة بن عقيل في وادي الكسر، توفي عام ١٩٨٩م عن عمر ٧٦ عامًا) أنَّ السادة كانوا يُعرَفُونَ بكسائهم الأبيض الطويل (قميص ــ قمصان)، والصدرية، والعمامة الخضراء أو شال الرأس الأبيض. ونساء هذه الطبقة يلبسْنَ ثيابًا حريريَّةً حمراءَ اللَّوْنِ، أمَّا خارج

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

البيت فيرتدِيْنَ الثَّوْبَ الأسود، والقناعَ ومنديلَ الرأس. وكان المشايخ يتميَّزون بخَـنَـاجِرِهِمْ المستقيمة، وبمقدورهم أنْ يلبسوا مِثلَ السَّادَةِ أو مثلَ القبائل، وكان الأخيرون يرتدُونَ المأزرَ القصير، ملحفة، والشال على الشعر، أو سيرًا من الجِلْد، والخنجرَ المعقُوفَ الذي لابُدَّ منه على الخصر- جنبية (حاليًا يحمل الجنبية فقط كبار السن من القبائل في حضرموت).

أما ثِـيَابُ القرويِّيْنَ فهي: الصارون، وقميصٌ قصيرٌ، وحزامٌ، وشَالٌ على الرأس وآخر على الكتف، ولا يجوزُ لهم حملُ الخنجرِ ولا الجنبية، ويمكِنُهُمْ حملُ السكِّين فقط. وكانتْ نساؤُهُمْ يلبسْنَ الثِّيَابَ الحمراءَ تحتَ قميصِ الخروجِ الأبيضِ، وغطاءً خاصًّا للرأس – غشاوة.

وبالنسبة لفقراء الفلاحين والمستأجَرين (فتح الجيم) فكانوا يلبسون أرديةً متواضعةً (طان- طانة)، تُوثَقُ بأحزمةٍ جلديَّةٍ رفيعةٍ مع حلقٍ رصاصيةٍ دائرية، أمَّا الفلَّاحاتُ فَكُنَّ يلبسْنَ الثيابَ السوداءَ، ومناديلَ للرأس بغيرِ قناع. وكان العبيد والصبيان كذلك يَرتَدُونَ (طان)، ونساءُ هذه الطبقةِ لمْ يَكُنَّ يَسْتُرْنَ وُجُوْهَهُنَّ.

في الوقت الراهن أصبح ارتداءُ القناعِ منتشرًا لدى نساءِ جميعِ الطبقات في حضرموت الغربية، وينظر الكثيرون إليها كهيبة (باستثناء الثياب النسائية في ضفاف الوادي).

أجريْنَا أحاديث مع الخيَّاطات في حضرموت الغربية، من خلال وسطاء (قدّمَتْ لنا المساعدة الكبيرة رشيدة أحمد حسين – الموظَّفة آنذاك في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف في عدن)، أو بطريقة المراسلة، من خلال طرح الأسئلة والحصول على إجابات كتابيَّة عليها. وكان طلب جميع الخياطات (الهجرين وغار السودان في وادي دوعن، وعمد في وادي عمد) عدمَ ذِكرِ أسمائهن؛ لأنَّ ذلك شأنٌ عائليٌّ لا يحتاج للإباحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وكما في الهجرين كذلك في منطقة عمد العليا (لم تُدْرَسْ منطقة الضفاف لأنَّ مركزها خارج حضرموت الغربية) فإن أدوات الخياطة واحدة: ماكينة خياطة، مقص، إبرة يدوية، خيوط حمراء وخضراء وسوداء، وأشرطة من قماش حريري – خضراء، حمراء، صفراء، ومبرقشة (حمراء وخضراء ووردية ("صناعة مصرية")، وقماش قطني أسود، ومخمل أسود، وأشرطة فضية اللون (تل، "ذهب أبيض")، وخيوط فضية، وزركشات صناعية (شلش، أبو رندا).

يُـجَهَّزُ الثوبُ الأسْوَدُ العادِيُّ في الهجرين خلالَ أسبوع، وقيمتُه حوالي عشرة دنانير. ومدة لبسه من ٦–١٢ شهرًا، دون أنْ يتمَّ غسله، كي لا يُـتْـلَفَ الـمَخْمَلُ، لكنَّه يتعرَّضُ لتنظيفٍ جافٍّ وللتبخير بالبخور. أمَّا الثيابُ الأخرى – عِوَضًا عن الصابون – فتُـنَـظَّفُ باستخدام طينٍ دسم (نجرة)، ومسحوق أوراق العلب، أو الأزهار الجافة للنبات الجبلي (حتيكة). وكان سعر الثوب الأسود في عَمْد نحو ١٥ دينارًا (بسبب تسويته المعقدة كثيرًا)؛ حيث يـُجَـهَّـزُ خلال ١٠–١٥ يومًا، أمَّا مُدَّةُ لُـبْـسِهِ فذاتُها أيضًا.

وأسعار الأقنعة– البراقعُ في كلا المنطقتين واحدة أيضًا = ١.٥ دينار، ومنديل الرأس (النقبة) ٢.٢٥ دينار، وقيمة الوشاح الزاهي الذي يظهر من تحت الشال (علم) والـمُخَاطُ من أشرطة رفيعة =٥ دينار.

يتمُّ تجهيزُ ثوبِ العِـيْـدِ في عَمْد خلال ٣٥ يومًا، ويساوي تقريبًا ١٧٥ دينارًا، ولا توجد أرقامٌ دقيقةٌ بالنسبة للهجرين، بَـيْدَ أنَّ المدَّة وكذلك السعر هناك أقلُّ بعضَ الشيء.

يبدأ تعَلُّمُ حرفة الخياطة من العام الثامن. وتتمُّ خياطة الزخارف والجزئيات التكميلية يدويًا كما كان الحال في الماضي قبل ظهور مكائن الخياطة. ويجري احتساب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

جميع المقاسات بالأذرع والأشبار والبنان [انظر الملحق: المقاييس التقليدية]. وغالبًا توجد أسماء تعبيرية للعناصر الزخرفية: سعفة، الطير الكبير، عين الشمس، خيشة ... الخ. وفي حديث حول طبيعة المنطقة وأحوالها للباحث جعفر السقاف من سيئون مع المؤلف أوضح أنه من خلال زخارف الثياب الحضرمية يمكن دراسة تاريخ الديانات في المنطقة، وهو يرى في عناصر الزينة أحرفًا سبئيَّـةً، ورسومًا للثَّوْرِ والوعل والصقر والشمس والنحلة، والشموع اليهودية المتعدِّدة، والصليب المسيحي، والهلال الإسلامي ... الخ.

وإذا كانت جميع الملابس الرجالية المعاصرة مستوردة عمليًا، فإنَّ الزّيِّ النسائيَّ (وخاصة الفستان) يتمُّ تجهيزُه حسب الطلب، ولا يُـبَاعُ في الأسواق أو الزيارات، ويُحَافِظُ في أشياء كثيرة على الخصائص التقليدية القديمة. ومع كل ذلك فإنَّه عرضةٌ للتغيير. ففي مجرى وادي دوعن خرجتْ من الموضة خلال الأيام الأخيرة فساتينُ الأفراح المخطَّطة، وحظيَتِ الفساتينُ الخضراءُ بشُهْرَةٍ خاصة.

وخلال مدَّة عملِ البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ظهرَ الـمَخْمَلُ الأسْوَدُ المطرَّزُ بالزخارف "المضغوطة" المجسَّمة، وكذا زينة الثياب السوداء ذات الحاشية الذهبية الدقيقة (يمكن ربط الأخيرة بالإزاحة المستمرَّة للفضَّة من قبل الذهب).

ولا وجودَ لثيابِ الحِدَادِ الخاصَّةِ في حضرموت الغربية. ومع ذلك فإنَّ التقاليدَ المحليَّة ترى في الثوب الأسود العاديِّ مع التقويرة في الأطراف علامةَ حِدَادٍ، إمّا على شقيق ملك عاد، الذي قَـتَـلَـهُ السُّكَّانُ المحليُّون، أو على شقيقِ البَطَلِ الأسطوري أبي زيد الهلالي، أو على مواطنيهم من ضحايا الوالي العباسي مَعْنِ بْنِ زائدة [١١٤ ص٥٧-٥٨].

لقد سبق الحديث عن الزينة [ف١ فقرة٣:صياغة الحلي]. ونتحدَّث ببضع كلمات عن أدوات الزينة. وكم هو جميلٌ الوصفُ التعبيريُّ عن الفنِّ البدويِّ الذي أوردَهُ د. فان ديرميولين: "منذُ سنٍّ مبكِّرةٍ بين الثامنة والعاشرة، تُثقَبُ حافَةُ الأُذُنِ الخارجيَّةُ بثقوبٍ صغيرة، ثم تُعلَّق فيها حلقاتٌ فضيَّةٌ بحجم الخمسة الشلنات، أو تتدلَّى منها سلاسل فضيَّةٌ صغيرة، وتَبْقَى أُذُنُ الفتاةِ البائسة مُنجَذِبَةً إلى أسفل. وتُطْلَى أظافرُ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ بالحِنَّاء، فتُصْبِح أطرافُ الأصابعِ مسودَّة بينما راحة اليدين مِحْمَرَّةً. أمَّا الوجه واليَدَانِ والذراعان والساقان والقدمان فتُمسح بالهُرُد الأصفر. وتُكْحَلُ العينان، وحتى الرِّجَالُ يستعملون الكُحلَ؛ لاعتقادهم بأنه يقوِّي النظر.

تَخْضِبُ النساءُ والفتياتُ وُجُوْهَهُنَّ ورِقَابَهُنَّ وصُدُوْرَهُنَّ وأكْتَافَهُنَّ والجُزْءَ الأعلى مِنْ ظَاهِرِ اليَدِ والقَدَم، بخطوطٍ متشابكة، بخضابٍ أزرقَ أو أسودَ، كقاعدة، وأحيانًا بالأحمر أو الأخضر. ويَقُمْنَ بإزالة الحواجبِ ووضعِ خطوطٍ رفيعةٍ سوداءَ مكانَها. ويُقَصُّ الشَّعَرُ من الأطراف ويُدْهَنُ بالزيتِ ثم يُسوَّى إلى مؤخِّرة الرأس" [٨٨ ص٢٤-٢٥].

كما شاهدت م. بينت صورةً مماثِلَةً للفتياتِ قبلَ أكثرَ من ثلاثة عقود على ذلك "إن أجسادهنَّ ووجوهَهُنَّ تُزَيَّنُ بالهُرُد ذي اللَّون الأصفر الفاقع، ويَرْسُمْنَ على الخلفيَّةِ خطوطًا سوداءَ بالكُحْلِ حولَ العين، أمَّا لَوْنُ الأَنْفِ الشائعُ فهو الأحمر، ويَزْدَانُ العُنُقُ بالوَشْمِ الأخضر.." [٥٢ ص١١٠]. وهذه الظاهرة كان قد أشار إليها فون فريدة أيضًا [١٠٦ ص١١٢، ١٧١].

إن تلك النقوشَ الصعبةَ التي أدهشت الرحَّالة، لم يَعُدْ لها وجودٌ في الوقت الراهن. ومع ذلك فإنَّ الهُرُد والزَّعْفَرَان (العُصْفُر) والوَرْسَ ما زالتْ تُسْتَخْدَمُ في نطاقٍ واسعٍ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

حتى اليوم لتزيِيْنِ الجسم، وكذا الحناء أو صبغة سوداء لتخطيط زخارف الزينة على الأيدي [انظر النماذج في الرسوم ٢٤، ٢٥، ١-٤]، والكحل للجُفُون. أمَّا الخِضَابُ الأخضرُ فأصبحَ استخدامُه الآنَ نادرًا، وفي الأساس للأغراض العلاجيَّة. كما يُـوجَـدُ الوَشْمُ النسائيُّ لدى البدويَّات (يصف ف. ستارك عيِّـنَةً منه على الوجه لدى الفتيات من الهجرين) [١٩٦-أ ص١٤٣].

تستخدم النساء والرجال في حضرموت الطِّيْبَ منذ غابِرِ الزمان للاعتناء بالجسم والثياب. وتنمو أشجارُ البُخُورِ في عدَّةِ أماكن في حضرموت الغربية (على سبيل المثال في وادي الغبر)، ويقوم السكَّان بجَمْعِ البُخُورِ وبَـيْـعِـه، الذي تُطَـيَّبُ به الأماكنُ والنَّاسُ والثِّـيَـاب. أمَّا في الوقت الراهن فقد انتشرت العطورُ المستوردةُ بعَـبْـوَاتٍ وأشكالٍ مختلفة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

خلال الخمسين عامًا الأخيرة حدَثَ في حضرموت تغييرٌ جَذْرِيٌّ في أنواع الطعام.

مُنْذُ القِدَمِ كانت التُّمُوْرُ والذُّرَةُ هما الغذاء الرئيس للحضارمة، وهو ما أشار إليه أيضًا بدروبايس [٢٥٠ ص٢٠٠]. وكانت التمور تُستهلَكُ طازجةً أو على شكلِ معجون (تمر مفحوس)، ونقيعُ ماءِ التمور اسْتُـبْدِلَ باللَّبَنِ الصناعي للأطفال الرُّضَّع. بيد أنَّ الذُّرَةَ كانتْ تُعَدُّ الغذاءَ الرئيس، وكانوا يُطْلِقُونَ عليها (طعام). وتُخْبَزُ أرغفةُ الذُّرَةِ في التنُّور [انظر ف١ فقرة٣:صناعة الفخار]، وتدخلُ في أيِّ مائدةِ طعام. ويُضَافُ إلى ذلك القليلُ مِنَ البُـرِّ والدُّجْر، وثمارُ العِلْب (مسحوق الدوم الحلو- اللاذع، الذي يشتهر به بشكل خاص وادي دوعن)، ولَبَنُ الشِيَاهِ (من النادر الأبقار). ومشتَّقات الألبان، وأحيانًا العسل، وفي حالاتٍ خاصَّةٍ لحومُ الماعزِ والجملِ أو الخروف. ويُطيَّبُ الطعامُ بزيتِ السمسم (الجلجل). وفي ضفاف الوادي، أو في سوق شبام كانوا يبتاعون البُـنَّ والسكَّر والسمك المقدَّد، وفي وقتٍ لاحقٍ الشاي.

كان المزارع يحصل في الموسم الملائم في المتوسط على ١٠٠-١٥٠ قهاول (٦٠ – ١٠٠كجم) من الذُرَة وعلى ٤-٦ أزيار من التمور (يوضع في الزير الكبير حوالي ١٢٠ كجم). وكانت الذرة المخلوطة بالرمل الخَشِنِ يمكنُ أنْ تُحفَظَ لأعوام، لكنْ في الغالب لمْ يكنْ ممكنًا الإبقاء على الاحتياطات؛ لأنَّ الغذاء يكادُ يكفي من الحصاد إلى الحصاد مِنْ غيرِ زيادة.

يمكن تمييزُ أربعِ وجبات تقليدية لتناول الطعام خلال اليوم:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(١) بسط – بسوط (صباح - فطور)، وهو إفطار خفيف بعد صلاة الصبح، أي حوالي الساعة الخامسة إلى الخامسة والنصف صباحًا: قهوة وتمور، وأحيانًا رغيف من الذرة بقي من المساء السابق.

(٢) غداء/ ضحى، من الثامنة إلى التاسعة صباحًا: قهوة وأرغفة مع لبن الشِّيَاه (فتوت).

(٣) قيال– بعد صلاة الظهر: قهوة مع التمور وقرص خبز، ويجمع المسافرون غالبًا فيتناولون طعام الغذاء، والقيال بعد الثانية عشر ظهرًا.

(٤) العشاء- يتمُّ تناول الطعام قبل أو بعد صلاة العشاء، أي من الساعة الخامسة إلى الثامنة مساءً: حليب الشياه (روبة)، خبز طازج من الذُرَة، أو دقيق مخلوط من الذرة والبر، زيت السمسم، وقهوة مع بذرات القرعيَّات أو البطيخ.

ومن بين هذه المأكولات تُـعَـدُّ وجبتا الغداء والعشاء مُشْبِعَتَيْنِ، ومن هنا ينتشرُ المفهومُ الشائعُ (أكلة ثقيلة) عن وجبتي طعام الحضارمة.

أمَّا اللحوم فحتى الميسورون لم يكونوا يتناولونها أكثرَ مِنْ مرَّةٍ في الأسبوع، أي في يوم الجمعة لا أكثر. لكنَّ اللحوم ضرورية مع الأطعمة في عيد الأضحى (العاشر من ذي الحجة)، أو في اليوم السابق له- يوم عرفة، وكذا في عيد الفطر بعد نهاية رمضان، ومطلع شهر رجب، واللحم مرغوب في وجبات الإفطار الرمضانية، وفي الزواج، وعند استقبال الضيوف. ويُـفَضَّلُ أكثرَ لحمُ الماعز الصغير ولحمُ الإبل، أمَّا لحمُ الضَّأن فيُـقْـبِـلُ عليه الحضارمة بِـتَـحَـفُّـظٍ، أمَّا لحم الخروف ذي العام أو العامين فيَـعُـدُّوْنَـهُ خَطِرًا على الصحَّة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تذبح الماشية (الماعز، الخروف، وفي النادر الناقة) بعد توجيه رأس الضحية إلى مكة وتلاوة "بسم الله الرحمن الرحيم"، وينبغي أن تفصل الرقبة دفعةً واحدةً بقطعها مباشرة، تحت فقرة القذال (حلصة- حلص)، وإلاّ فإنَّ اللحم يكون غيرَ حَلال (فايت- فيات) [للمقارنة: ٢٣٦ ص٣٨٥]. بعد أن يستكمل سيلانُ الدَّمِ يتمُّ حَزُّ كَعْبِ الماعز أو الضَّأن في أحدِ رِجْلَيْهِ الخلفيَّتَيْنِ، وتُعَلَّقُ الجُثَّةُ مقلوبةَ الرأسِ إلى الأسفل على خَطَّاف، أو في حبل، ويُسْلَخُ الجِلْدُ خلال عشر دقائق. ومِنْ ثَمَّ يعملون محزًا في فقرات العمود، ويستأصلون كعب الساق، ثم يفصل عظم اللوح عن عظم الكتف، وتُنْتَزَعُ الأحشاء الدقيقة من اللحم. وفي البداية تُفْصَلُ الرِّجْلُ اليُمْنَى الأماميَّة، أمَّا المَصَارِيْنُ مع محتوياتها والحوصلة الصفراوية فيَسْتَلُّوْنَها ثُمَّ يَرْمُونَها جانبًا. ويَتِمُّ نَفْخُ الأمعاء بالهواء لغرض إزاحة الماء، أمَّا الكُلَى والكَبِدُ والرئتان والقَلْبُ والشُّحُومُ الداخلية فيتمُّ جَمْعُهَا. وبعد تفريغِ المعدة (الكرش) من محتوياتها وغسلها تُقَطَّعُ بشَكْلٍ دقيق، وتُلَفُّ الأحشاء، ويتمُّ الحصولُ على "حساء"، ومِنْ ثَمَّ يُطْهَى (طعام المغضاف). كما يتمُّ عادةً طَهْيُ اللحم المفصَّلِ وتحضيرُ المرق. واللحم المشوي يحضّره البدو، أما الحَضَر ففي المناسبات الاحتفالية الخاصة فقط.

في كل مطبخ (مخدم/ معسم) يُوجَدُ مَوْقِدٌ من الفخار [الصورة ٦٥]، تِنَّار، ومطحنة يدوية، ومبشرة حبوب، وطقم من القدور الحجرية (بُرَم) [الصورة ٤٦]، مقالي حجرية، أواني معدنية (طست- طسات - طسوت)، وصحاف خشبية، ملاعق، ممازج، مغارف، ألواح تقسيم، أزياء فخارية، أقداح لتبريد الماء (خزية-خزاي)، قربة جلدية، وأنواع مختلفة من الأدوات المنزلية المجدولة من أجل حفظ الأطعمة وتقديمها

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للتناول [انظر أعلاه ف١ فقرة ٣: الصناعة الفخارية، الحياكة]. وفي الظروف الخاصة ولغرض إعداد موائد الأفراح يُستدعَى طبَّاخٌ متخصِّصٌ (عسام)، وهكذا، فإنَّ الطبَّاخين بالوراثة في الهجرين يَـنْـتَـمُـونَ إلى أسرة الخشار.

يتألف طقم القهوة من مقلاة فخارية (محمس- محامس) لتحميص البن، مجرن خشبي مع مدقة، وطبق مجدول، كانت تُصَبُّ وتُقَدَّمُ عليه القهوة لكي يستطيع كلُّ واحد من الضيوف أنْ يشمَّها ويقدرها، وإبريق القهوة (دَلَّة-دلال). في الظهيرة كانوا يفضِّلون شُربَ القهوة الشريخ، التي تُـحَـضَّر مِنْ نَـوَى البُن، والغَـنِـيَّةِ بقشارة البُن ومسحوق الزنجبيل. وكانت القهوة باللَّوز تـقَدَّمُ يوم الجمعة وكذا في أوقات مراسيم عقد القِرَان. أمَّا الشاي بالعسل والزنجبيل فيشربونه قبيل ليلة الزفاف. ويُضَافُ الهيل أحيانًا إلى القهوة.

ويؤكِّدُ الباحثون المحليُّون أنَّ القهوة عُرِفَتْ في حضرموت منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، أمَّا الشاي فقد جلبه إلى البلاد في مطلع القرن العشرين حامد بن عبدالله الجنيد (من أهل تريم)، ومع ذلك فإن الشاي أخذ يحلُّ محلَّ القهوة فقط منذ ثلاثينيات قرننا العشرين، حينما ظهرت في حضرموت أصناف الشاي الرخيصة من الهند وجنوب شرق آسيا، أما القهوة فتستهلك الآن فقط في الدوائر المنزلية. ويحتلُّ السماور الذي حافظ على تسميته الأصلية أو (بخاري) الموقع الرئيس في طقم الشاي، والكثير من الحضارمة يعرفون حتى اسم المدينة الروسية "تولا"، التي تنتج السماور، مع أن البعض حقيقة يعتقد أنها حيٌّ في بخارى.

إنَّ تغيير نموذج الطعام، قد بدأ في الثلاثينيات، وانتهى في أواخر أربعينيات القرن العشرين، عندما عانتْ حضرموت من القحط الشديد، وجرى على نطاق واسع استيراد المواد الغذائية. وأخذ العسل يتنحَّى ليحلَّ محلَّه السكر، وأصبح الرزُّ المستورد المادة الرئيسة للتغذية، ومصدر الكربوهيدرات. أما المصدر الآخر للكربوهيدرات و(البروتين) فيُـعَـدُّ اليومَ الفاصوليا (الفول). وظهرت الزيوت المستوردة، والملبسات، والبسكويت، والشيكولاتة. وفي أعوام السبعينيات انتشرتْ في حضرموت الداخل الأسماك الطازجة والمعلَّبة-الساردين، التونة، الأسقمري. أما في الماضي فكان البدو يشترون فقط الأسماك المقدَّدة (لخم"القرش")، وفي الوقت الراهن، وبعد التغلُّب على الممانعة الأولية، فقد دخلت الأسماك في لائحة الغذاء اليومي للسكان المحليِّين.

وفي الوقت الراهن تستخدم بشكل واسع الصلصة-حلبي، بسباس، وتوابل ضرورية-كراوية، فلفل أسود، زنجبيل، شمار، قرفة، قرنفل وغير ذلك. وفي المواسم يأكلون الخضروات (باذنجان، بامية، قرعيَّات، الطماطم- طازج أو على شكل معجون، الفجل مع الأوراق الخضراء)، والفواكه (الليم، الموز)، البطيخ، اللوز، والبزرات. ويفضّلون الألبان المستوردة، وأصبحوا الآن يشربون الشاي "ألأبيض" (أي مع اللبن).

أما الأكلات اليومية في وقتنا الحاضر فهي على النحو الآتي:

(١) بسط (من الخامسة إلى السادسة صباحًا): شاهي حلو "أبيض" أو"أحمر"، رغيف، فول مع الصلصة.

(٢) قيال (الساعة ١٢ ظهرًا): شاي (وفي النادر القهوة)، تمور، خبز (بر أو ذرة).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(٣) الغداء (من الواحدة والنصف إلى الثانية ظهرًا): رز مع صلصة الطماطم والتوابل، والسمك، والشاي.

(٤) العشاء (من السابعة إلى الثامنة مساءً): شاي مع الخبز، وبزرات القرعيات، والبطيخ المقليَّة والمملَّحة.

هذه هي الصورة المتوسطة. أمَّا في الأعياد فتعدُّ مختلف أنواع الفطائر-سمبوسة، وتقدم الحلويات المستوردة-جيلي، قشطة بالحلاوة أو الفاكهة المعلبة-فرسك، أناناس، وتراقب بدقَّة شديدة في حضرموت الداخل المأكولات التي يحرِّمها الإسلام، وما تزال سارية آداب السلوك في تناول الغذاء.

إن عادة تدخين النارجيلة (رشبة) شائعة في حضرموت، كما في كل أنحاء الجزيرة العربية. ويستخدم في التدخين التبغ الذي يزرع في غيل باوزير. أمَّا أوراق القات ذات المفعول الذي يذكر بالكوكاين فلم يكن الحضارمة يتناولونها (على خلاف سكان المناطق الغربية من ج.ي.د.ش وسكان ج.ع.ي)، ولكن بعد الوحدة أصبح القات منتشرًا هنا أيضًا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

نشر سرجنت مقالة قصيرة عن الطب الشعبيّ في حضرموت [٢٥٦]، ولامس هذا الموضوع أيضًا ف. دوستال [٢١٧ ص١١٣-١١٦]، كما قدَّم كتاب الطبيب الألماني ك. شرول بعض التصوُّرات عن الأمراض في ج. ي. د. ش. والوسائل التقليدية للعلاج [٤٨]. وهناك كتاب جاهز للنشر عن الطب الشعبيِّ في جزيرة سقطرى لعضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ف. س. شينكارينكو، ولكنَّ هذا الجانب من ثقافة الجنوب العربية بشكل عام ما زال ينتظرُ مَنْ يُـقْدِمُ على دراسته. أما آخر عمل للبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في هذا الموضوع فانظر [١٨٧-أ ص٥٢-٦٠].

تُعطَى الأهمية الكبرى في التقاليد الحضرمية للاختيار الصحيح للغذاء. وكل طعام له تأثيره الخاص على الصحة. فمَرَقُ الماعز يُـنْـقِذُ مِنْ تدهوُرِ السِّلِّ، نزفِ الدَّم، السخونة الشديدة أو ضربة الحمى. والشريخ يحفِّز نشاطَ القلب. والعسل يقوِّي الجسم، أما تناوله مع اللحم فيثيرُ الرغبةَ الجنسية [٧١ ص٣٨-٣٩]، ويستخدم العسل أيضًا في حالات التهاب المعدة والقرحة، وأمراض الكبد والكلى، وعند الإصابة بداء السكري، وكذا لالتئام الجروح. وتقضي التمور على الحمى، ويُـفِـيدُ لُبُّ القرعيَّات في الاسترخاء. ويُعطَى الباذنجان للنُّـفَـسَـاءِ عندَ نزيفِ الدَّم، ولمرضى النَّـقْـرَس، وعند الإصابة بأمراض الكلى والكبد. والبطِّيخ كمُدِرٍّ للبَوْلِ، يفيدُ عند الإصابة بمرض الكلى والمثانة والمسالك البولية. ويُصفِّي الثومُ الأغشيةَ المخاطيَّةَ، ويُـعِـيْـدُ النشاطَ والانتعاش للجسم ... إلخ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يحدد المذهب الشافعي للسنة، كغيره من المذهب الإسلامية الأخرى، بالتفصيل مفهوم نظافة وغير نظافة الأكل وماء الشرب والجسم.

في الطب ومنذ القِدَمِ رأوا في البخور وسيلة للطهارة والتطيُّب. فالبخور الذي يُسحَقُ ويُـلقَى به في الماء، يَـقِـيْـهِ من النجاسة، وإحراق البخور في المجامر الفخارية ينقِّي الهواءَ في الغُرَفِ ويطيِّب الملابس. ويستخدم الـمُرُّ للتطبيب، ويذر مسحوقُهُ على الجراح. ويُـفِـيدُ الصُّبُر (الصبار) في علاج التَّدرُّن الرِّئوي (العصارة الطازجة مع العسل والزيت النباتي)، وتعالج عصارة الصُّبُر الجراح المتقيِّحة والدمامل والحروق، أمّا العصارة المتخثِّرة، التي يتمُّ الحصول عليها عن طريق التبخير فتفيدُ في التخلص من الإمساك والكسل والحركات التقلُّصية. ويستخدم زيت السمسم مثل البخور أيضًا: يُطهَّر به بالتدخين رأس المولود الجديد وجسمُه قبل النوم. كما يستخدم قطران صمغ اللّك كبخورٍ، أو يُعْطَى للأطفال الصغار كشرابٍ منقوعٍ ضد غازات المعدة.

وتستخدم الخاصية البكتيرية للجوس لأغراض العلاج الخارجي (مسحوق، عجينة) والداخلي (منقوع، شراب). ويعدُّ مَرَقُ لَـحَاءِ الكرد مفيدًا عند الإصابة بدَّاء السكري، ويُروَى أنَّ ثمار شجرة التَّوْلَق تشفي من مرض السرطان، أمَّا منقوع لحائها فينفعُ للوقاية من الخزب، آلام المفاصل، وأمراض الكبد. ويقضي مسحوق (الريحان) على التهاب المعدة، وحالات الالتهاب عامَّةً، أمّا لالتئام الجروح فيذرُّ مسحوق شجرة دم الأخوين- التي تنمو في سقطرى- على مكان الجرح. ويجنِّب منقوع الحرمل آلام الركبة. أمّا الزعفران "فيجدِّد الكبد". وتعالج عصارة الكروياء والنعناع الدمامل، وتساعد على زيادة اللبن لدى الأم الـمُرْضِعَة [للمقارنة: ٣١ ص٤٢، ٤٣؛ ١٨٧-أ ص٤٥-٥٥].

تمتلك أدوات التجميل، حسب التقاليد الشعبية، خصائص علاجية: فالكحل يقوِّي النظرَ، ويَـقِي العينَ من الشمس، والهُرُد والوَرْسُ يصفِّيان الجسم، أمّا النِّيلة فتَـقِـي من البرد. وهذه القائمة من الممكن مواصلتها. لكنْ من الضروري قبل ذلك مراجعة القِيْمَةِ العلاجية للنباتات المحلية، والتشابُهِ الكاملِ للمصطلحات النباتية المحلية والعلمية.

إلى جانب العلاج بالحِمْيَة، أي الإقلال من الطعام (بما في ذلك العلاج بالتجويع) وغيرها. ومن الأساليب غير المتخصِّصة الأخرى للعلاج في الطب الشعبي في حضرموت استخدام الفصد (الحجامة) والكَيّ. وقد حَظِيَتْ هاتان الطريقتان باهتمام كبير في الطب العربي التقليدي، ومما يدلُّ على ذلك البحث الطبي للطبيب العربي الأندلسي أبي القاسم الزهراوي (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) [٢٥ ص ٣٤-٧٠، ٢٠٠-٢١٦]. وكانت مدرسة سالرن الطبية الأوروبية قد ورثتْ من العرب التطبيق العلمي للمعالجة الصحية الغذائية في القرن الثاني عشر الميلادي [٥ ص٩-١٠، الفقرة ١-٧٩، ٩٢-٩٨]. ويوجد حتى الآن في كبرى المراكز السكَّانية في حضرموت الغربية الحجَّامون، الذين يمارسون الحجامة. ويتمُّ فَـصْدُ الدَّم (الفئة العمرية للمرضى: ١٤ــ ٦٠ عامًا) إمَّا للحفاظ على الصحة (عند امتلاء الدم)، وإمَّا بسبب المرض كـ (الحمى، أمراض الكلى، أمراض غشاء الرئة، التهاب اللوز، صداع الرأس، الأسْتَمة، السُّعَال، التهاب العين، البواسير، الدمامل وغير ذلك). وفي العادة يتمُّ عمل قطعٍ، ثم يضعون المحجم لامتصاص الدَّم. وهذه المحاجم هي أوعية نحاسية أسطوانية الشكل مع طرفٍ فوقيٍّ ومقبض، وتوجد لدى البدو محاجم من القرون، تُدهَن من الداخل بالزيت (وأحيانا بالسبرت)، ويتمُّ الفَصْدُ أو الكي في الهواء الطَّلْق.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في الغالب يقوم الحجّام بعمل المكوى أيضًا، وكأداة للكي يستخدم مسمارًا معقوفًا [الصورة ٩٣-أ]، كان الحدَّاد يقوم بإعداده في الماضي، أمّا في الوقت الحاضر فيستخدم سِلْكٌ متوسِّطُ الطُّول، يتمَّ ثَنْيُ نهايته، وتُلَفُّ حول المقبض قطعة قماش [انظر ١٨٧-أ ص٥٦-٥٨].

يُـعَـدُّ الكي العلاجَ الحاسمَ الأقصى. وقد قُيِّضَ لي في أثناء البحث الميداني تصحيح وزيادة مخطَّط نقاط الكي، الذي نشره دوستال [٢١٧ ص١٤، الرسم ٢٦]. إلَّا أن ممارسة الكي في حضرموت تدفع للموافقة على ملاحظة ف. س. شينكارينكو من أن تأثير الكي أَسْرَعُ كلومًا ممَّا في العلاج الباطني بسبب شدة الحروق وانتشارها. [٤٨ ص٢٢٢، الهامش ٢٦]. ومن التقاليد الطبيَّة التي سُجِّلَتْ في بحث الزهراوي [٢٥ ص٣٤-٧١] بقيتْ أجزاءٌ غير كاملة منها فقط حافظ المعالجون في الوقت الحاضر. وعِوَضًا عن ذلك فإن بعض الـمُجَبِّرين يملكون مواهبَ رائعة في تجبير انحرافات كسور العظام وآلامها.

إنَّ الطبَّ الشعبيَّ يَعُـدُّ التنفُّسَ الطبيعيَّ مهمًّا فلا يجوز تنفُّس الهواء المعفَّر أو المغبرّ أو البارد، وعليهم وقاية أنفسهم من ذلك بمناديل الرأس أو الشال. ومع أنّ الحضرمي يُغَطِّي الرأس من البرد، غيرَ أنه يستطيع البقاءَ حافيًا أو بصندل صيفي. ويقال إنّ الرجل الوقور (على سبيل المثال، من مشايخ باجابر أو بن إسحاق) يُمْكِنُهُ أن يشفيَ بواسطة تنفُّسِه (تُفَال).

والتماسًا للعلاج أو للحفاظ على الصحة كانوا يقدِّمون الهباتِ لأضرحة الأولياء من زيت السمسم والبن والسكر، ويقدِّمون النذورَ في الزيارات. وكانوا يتّخذون الحروز والأشكال القرآنية المكتوبة بِـيَـدِ السيِّد كتمائم. وفي الوقت ذاته وُجِدَتْ شخصياتٌ إسلاميةٌ مشهورةٌ ممَّنْ أدانتْ هذهِ العاداتِ واعتبرتْها خرافاتٍ ووساوس [انظر ١٧٨-أ ص٥٨-٦٠٧-١٩، ٤٠].

الخلاصة:

إن مجموعة نظام الإعاشة في منطقة دراستنا عبارة عن نماذج محليَّة لعموم حضرموت- وبشكل أوسع - للجنوب العربي.

ومنظومة السكن والإسكان مترابطة بجلاء وبدرجة كافية مع نظام العلاقات الأسرية-الشعائرية، فالمنزل- أسرة غير منقسمة (أو في طريقها إلى الانقسام)، والحارة- مجموعة أسرية ذات قرابة، والقرية أو البلدة (عدة حارات) أو مجمع قرى- عدة جماعات أسرية- عشائرية، تمثِّل مختلف الطبقات.

يعكسُ المسكنُ في حضرموت الغربية تقاليدَ البناءِ العامَّةِ المتَّبعة في جميع حضرموت، وتعود جُذورُه إلى المنشآت الدفاعية القديمة في الجنوب العربي-البيوت البُرْجِيَّة. وفيها تُحَدَّدُ أماكن السكن وأماكنُ الخدمات للاقتصاد المنزلي رأسيًا، أما أشكال المساكن الحديثة فأفقيًا. والمنزل بكلِّ خدماته يمثّلُ وحدةً أسريّةً واقتصاديّةً.

إنّ بعض الخصائص التركيبية لمخطَّطِ المسكن ومظهره الخارجيِّ استوجَبَها التقسيمُ الصارمُ للجنس. كما ازدادتْ كثيرًا متطلَّبات الأمنِ في إطار المسكن خلالَ الحروب والصراعات والنزاعات الداخلية. والنماذج البسيطة للسكن المحليِّ هي الكهوف، الـمُعَدَّة للتوقُّف، وهي تتطلَّب دراسةً أعمقَ، مع الأَخْذِ بمادَّة المقارنة في سقطرى والمهرة.

يحدِّد موقعُ البلدة ومخطَّطُها قبلَ كلِّ شيء طابعَ الرّيّ: فهي تتمدَّد بمحاذاةِ القناة الرئيسة؛ حيث الري بالسيول، والتراصُّ أكثر (غالبًا بشكل نصف قطري) حول العيون أو الآبار. وتقع الكثير من القرى على المخارج الجانبية للوادي؛ لسهولة استغلال السيول الرئيسة والإضافية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أخذتْ تتلاشى تدريجيًا أساليبُ البناء القديمة، وكذا مقدرةُ تكييف المسكن مع المناخ والمنظر. وتدلُّ على ذلك بشكل خاص الفيضانات المدمِّرة، التي حدثتْ عام ١٩٨٩م، التي هدَّمت البيوت القديمة، مع الإخلال والعبث بمنشآت الحماية، والبيوت الجديدة التي شُيِّدَتْ على طريق السَّيْل (خلافًا للعادة).

إن الملابس التقليدية (النسائية كقاعدة) في الجنوب العربي، تعدُّ علامةً جنسيّةً أو سلاليّةً جَلِيّة، تسمح في الظروف الميدانية بوضعِ تُخُومٍ أو حُدُودٍ للمناطق. وبالنسبة لحضرموت الغربية فإنها تتميّز بشكلَيْنِ محليَّيْنِ من الثياب النسائية، أطلقْتُ عليهما نموذج الهجرين، ونموذج عَمْد العليا. أمَّا الشكل الثالث ففي ضفاف الوادي، ويشملُ الأرياف من منطقة دراستنا فقط. وقد تمَّ التعرُّض لأسباب الأشكال الكثيرة للثوب النسائي في استنتاجات الفصل السابق. أمّا الزخارف فقد حافظتْ بوضوحٍ على الطابع التعبيري.

إنّ الطراز الأوليّ للثوب النسائي في حضرموت الغربية هو الفستان الشرق أوسطي والأردية المستطيلة التفصيل، أمّا الملابس الرجالية فترجع إلى مختلف أشكال أردية الجنوب العربي. وقد اختفتْ عمليًا المادَّة التقليدية (الصوف) من الملابس الرجالية. وأضحَتْ جميع العناصر تقريبًا صناعية، وفي الغالب منتوجات مستوردة، ومع ذلك لم تَفْقِدْ طرازَها التقليديَّ بصرف النظر عن المقاييس الموحَّدة المعروفة.

وخلال العقدَيْنِ الأخيرَيْنِ تساوَتْ بسرعة الخصائص الاجتماعية والعُمرية للملابس الرجالية، وبدرجة أقل الملابس النسائية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

واسْتُبْدِلَتْ تسريحة الشعر التقليدية بالتسريحة المعاصرة. ولم تَعُدْ تستخدم أدوات الزينة القديمة على نطاق واسع كما كان الحال في الماضي. كما أزاحتِ الحُلِيُّ الذهبية الحُلِيَّ الفضيّة.

وعلى مدى نصف القرن الأخير حدث تغييرٌ أيضًا في طراز الطعام التقليديّ، وأصبح الرزُّ المستورد والفاصوليا والفول أساسَ الغذاء اليومي بدلًا عن الذرة والتمور، وأصبحوا يشربون الشاي بصورة أكثر، عوضًا عن البُن ومختلف مشروبات القهوة. كما اعتاد سكان حضرموت الداخل على الأسماك الطازجة والمعلبة. أمّا في أكلات الأعياد فتُـقَدَّمُ اللحوم المغليَّة والمشويَّة، كما كان الحال في الماضي، وتتبع هنا بدقة آداب المائدة والنظام التقليدي للأكل ولا تؤكل الأغذية المحرَّمة إسلاميًا.

وفي الطب الشعبي في حضرموت الغربية تُـعْـطَى أهمية قصوى للأساليب العلاجية غير المتخصِّصة المتمثِّلة بالمعالجة الغذائية، واستخدام الأعشاب والطيوب. وفي ضوء الطب العربي التقليدي فإن المعالجين المحليِّين يلجأُون إلى فَصْدِ الدَّم (الحجامة) والكي، والأخير يمثِّل صدمةً أسرع، ممَّا في علاج الأمراض الباطنية. ويعمل مجبرِّو العظام ببراعة. ويسمَّى المنتمون إلى أسر المشايخ معالجين بالفطرة. كما تَسُودُ تصوُّراتٌ عن النظافة والنجاسة في الغذاء، الماء، الهواء والجسد، تستند إلى التقاليد الدينية التي تحافظ عليها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الجزء الثالث

القوانين والعادات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الأول

القيم الأخلاقية

إن المنظومة المحلية للمفاهيم والمصطلحات قريبة من الطراز التقليدي العربي. وأي مصطلح تقليدي يمكن أن يكون مرادفًا للمحلي.

أقرباء الدرجة الأولى: الأب (الوالد)، الأم (الوالدة).

الجيل الثاني صعودًا: الجدّ الجدّة (حبابة) [مقارنة مع السقطرية ١٦٠ ص٢٠٩].

الجيل الصفر: أخ/ شقيق، أخت/ شقيقة، أخت غير شقيقة (كريمة). بالنسبة لأشقاء وشقيقات الدم والبطن الواحد تستخدم المصطلحات المذكورة.

الجيل الأول بالانحدار نزولًا: ابن (ولد) بنت (وليدة)، ابن الزوجة أو الزوج من الزواج السابق (ولد الزوجة أو الزوج) والبنت (ربيبة).

الجيل الثاني بالانحدار نزولًا: الحفيد والحفيدة من خط الرجل، وسبط، أسباط للحفيد من خط المرأة.

وللعمّ وللعمّة الأفضلية في حق تزويج ابنة أخيهما، على أبنائهما (زواج ابنة العم) [٢٦٤ ص٦٢٩]، وهذا يقوّي الأواصر الوشيجة مع العم من ناحية الأب، خلافًا للصلات المتبادلة مع الخال من ناحية الأم. ويُعَرَّف الأقرباء من ناحية الرجل والمرأة بالتعاريف المذكورة.

وزوجات الرجل في الزواج المتعدِّد الزوجات - ضَرَّة ، ضرائر.وشقيق الزوج أو الزوجة- صهر، وأخت الزوجة أو الزوج- صهرة. ولبعض المصطلحات تدرُّجٌ طبقي. وهكذا فإنّ ربيض تعني "أقرباء من ناحية الأم" [٢٦٣ ص٦٣٣] ويستخدم في أوساط السادة.

وقواعد النبرة الجيدة للزوجة عند ذكر زوجها لا تستخدم الاسم أو التعريف، وإنما الضمير الخاص للغائب (هو).

وتُفْطَن قوانين القرابة الأسرية منذ الولادة. وطقوس التحوُّل لا تدل فقط على مراحل الحياة، وإنما هي كذلك علامة على المراحل الاجتماعيّة العامَّة التي تمكث وتستمر في المجتمع التقليدي من الصرخة الأولى للمولود إلى نَفَس الموت الأخير.

مراسيم الولادة:

كانت المرأة تضع المولود جلوسًا، بعد أن ترفع ركبتَيْها وتتشبَّث بأيديها بالأرض، وتُدثَّر بخرق غير نظيفة؛ لأنّ الاعتقاد كان أن النفاس نجاسة. وكان يقدَّم للنفاس قليلٌ من القطران مع الماء، أو زيت نباتي لتسهيل عملية الولادة وتسريعها. وتستقبل القابلة (الداية) المولود الجديد تحت ثوب الأم الناعم الملمس]٧١ ص١١؛ ٦٠ ص٥٧]. وكان يتمُّ ترديد الأذان في الأذن اليمنى للطفل الوليد، بعد ذلك تصعد النساء إلى السطح، ويخبرْنَ الجيران صارخاتٍ بالنتيجة. ويتمُّ غسلُ الأمِّ والرضيعِ ودهنَهما بالـهُـرُد الممزوج بالزيت، ويلبسان كسوة جديدة. ولغرض خلاص الطفل كانت تُنْثَر حبوب الذرة (أحيانًا بالرماد) وتُدْفَن مع مسمارٍ حديديٍّ تحت عتبة بوَّابة الدخول على عمق ذراعين:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إذا كان المولود طفلًا، فمن الخارج، وإذا كانت المولودُ طفلةً فمن داخل البيت. وعند مدخل الغرفة وفي الغرفة ذاتها، حيث تمّت الولادة، يتمُّ كسْرُ بَيْضِ دجاج نَيْء، لكيْ يُشْبِعَ الجِنِّـيُّ معدتَه ويرتَوِي، ولا يُلْحِق الضَّرَرَ أو الشرَّ بالطفلِ وأمِّه. وكانَ يُجفَّفُ الحبلُ السِّرِّيُّ ويُحفَظُ في وعاء، ويزعمون أنَّ الماء الذي يُـوْضَعُ فيه الحبلُ السرِّي يشفي من مَغْصِ المعدة. أمَّا الحليبُ فيُـفِـيْـدُ لالتهابِ العَيْن.

يُحضَّر للمرأة النِّفَاسِ حَسَاءٌ لذيذٌ بشكلٍ خاصٍّ من عصيدة القمح. وتتواصلُ مرحلةُ النِّفاس أربعين يومًا متواصلة. ويتمُّ دهنُ رأسِ المرأةِ والطفلِ وجسميهما كلَّ يومٍ بزيت السمسم. وتغتسل النِّفاسُ بالقَطِرَان وتَدَّهِنُ بالوَرْس. كما تقومُ القريباتُ والجاراتُ بزياراتٍ ضرورية لها. ومن أجل (تنقية الكبد) يُـعْطُونَ الطفلَ عصارةَ الصبَّار (الصبر)، ولتجنُّبِ إصابةِ العينِ يرسُـمُونَ حرفَ الواو مقلوبًا وبنتوءاتٍ أو بالكحل بين الحاجبين [٢٦١ ص٢٠٢].

ويتمُّ اختيار الاسم حتى الوقت الراهن من خلال القُرْعَة غالبًا (تنتشل واحدة من ثلاثة أوراق مع أسماء مكتوبة من قبل). وينعكس الانتماء الطبقي عند اختيار الاسم. ففي الطبقات العليا تُفضَّل أسماء الأسلاف المعروفين. ولذلك فإنَّ سلسلة النسب يمكن أنْ تَبْدُوَ وكأنَّها تكرارٌ لبعض الأسماء ذاتها. أمَّا في الطبقات الدنيا فإنَّ أشهر الأسماء: يسلم، مبارك، أو بأسماء الأيام: ربيع، (الأربعاء)، خميس (الخميس)، وبأسماء الأشهر: رجب، شعبان، رمضان، وقد لاحظ سرجنت أنّ شهر صفر يُـعَـدُّ قليل الحظ في هذا المضمار.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الختان:

يتمُّ ختانُ الطفل في حضرموت الغربية خلال أسبوع من الولادة (بما يتلاءم مع الشريعة). وفي النادر – خلال شهر أو حتى عدة أعوام. أما البدو فيقومون بإجراء الختان في وقت أكثر تأخُّرًا. ففي حضرموت الشرقية تتمّ هذه العملية للفتى بين سن ١٤ – ١٦ عامًا، وفي بعض الأحيان مباشرة قبيل الزواج. وقد أشار إلى الواقعة الأخيرة أ. سنيل [٢٦١ ص٢٠٤]، ومع ذلك ففي عام ١٩٨٣م دوَّن عبد العزيز بن عقيل الموظَّف في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف سير المراسيم المماثلة لدى الحموميِّين الجميحة في حَلْـفُون (حضرموت الشرقية)، والنصوص الشعرية التي تُرَدَّدُ خلال ذلك (غير منشورة).

يقوم الخاتن، الحلاق (الحجام) أو المجبِّر، بعملية الختان في الصباح الباكر. ويقوم مساعده بقلب الصّبي/ الفتى على الظهر ويفرِّج ما بين رجليه. فيما يدهن الحلاق أطراف الجسم بالدهن، ثم يُـوْثِـقُـهُ بحبل، ويقوم الخاتنُ بقطع الغُلْفة، أي: الجلدة الزائدة في العضو التّناسليّ بسكينة. وفي تلك الأثناء يُوضَعُ في فمِ صاحب العملية قليلًا من العسل لإلهائه عن وقع الألم. ويُـوقَفُ الدَّمُ بقطعة من القطن، ويُـذَرُّ على الجرح طبقةٌ خفيفةٌ من مسحوق دم الأخوين، أو مواد أخرى ضدَّ التعفُّن، ومِنْ ثمَّ يُـغْـمَـسُ رأسُ العضوِ بزيت السمسم الدافئ أو جوز الهند. وبعد أسبوع يُـرَشُّ الجرح الـمُنْدَمِلُ بمسحوق الكُحْلِ الأسود [١١ ص٦٤].

وفي حضرموت الغربية لا يحتفلون خصيصًا بيوم الختان. بل تُوَقَّتُ المائدة الاحتفالية بهذه المناسبة مع الأربعينية – عيد طهارة المرأة النِّفاس.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويسودُ أيضًا في حضرموت الغربية، كما في أنحاء البلد، ختان البنات من خلال استئصالٍ جزئيٍّ للبظر (إزالة البظر). وتقوم القابلة بهذا العمل في العادة خلال أسبوع على الولادة. وتقوم في الوقت ذاته بخَرْمِ شحمة الأُذن، وفي السابق كان يتمُّ فتح الحاجز الأنفي. ولوقفِ نزيفِ الدَّمِ يُستَخْدَمُ مسحوقُ الهُرُد. وتؤكِّد الشخصيّاتُ الدينيّةُ المعروفة أنَّ هذه العادةَ قدْ أقرَّها النبيُّ محمَّد ﷺ [١١ ص٦٥].

طقوس الزواج:

كَتَب كثيرون عن الزواج في حضرموت، وعلى الأخصِّ النساء الرحّالة. ف.ستارك: "يتمّ تزويج اليتيمة في سنّ الخامسة عشرة، بالرغم من أنَّ العرائس الاعتياديات يَكُنَّ في سنٍّ أصغر أيضًا. ومع ذلك فمهما كان العمر، فإن الأمور جميعها تسير من غير علم الفتيات: يتمُّ خياطة الفستان لابنة الأخ / الأخت، فلا تَفْطَنُ لما يحدُث، إلاّ حينما يبدأون بغسل رأسِها قُبَيْل الاحتفال. ويصبغون وجهها بالزُّبد ممزوجًا بالزيت والشمع والهرد، أمّا الأيدي والأرجل فتُنقَّش باللون الأسمر الدَّاكن، وتظلُّ على مدى الأيام الثلاثة لاحتفالات الزواج تحت الغطاية الحمراء، التي ينتزعها الزَّوْجُ من على وجهها في الليل فقط. وفي الصباح يترك الزوج عشرة قروش (ريالات (تاليري) على الوسادة، وبعد الليلة الثانية يترك صينية مع منديل الرأس وعشرة ريالات (تاليري) وكومة من القرنفل والعطور والبخور، ولاشيء أكثر من ذلك [٩٦-أ ص١٠٩-١١٠].

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الزوجة الحديثة في وادي دوعن تلبس الزينة لمدة ٤٠ يومًا بعد الزواج، وفي ذلك الوقت ظهرت الحُلِيُّ الذهبيّة بين اللوازم الفضية.

بالنسبة للمراقب الخارجي فإنّ مراسيم الزواج تنقسم إلى عدة مشاهد متفرِّقة، غير مترابطة فيما بينها، وهاكم أحدَ هذه المشاهد، كما أوردها د. انجرامس (جرت الحادثة في بيت العريس، بالقرب من حريضة، في وادي عمد): "قرعت الطبول، وهتفت النساء غير المرئيّات. كان العريس يرتدي قميصًا أبيض اللون وفوطة. وأمام المكان الذي جلس فيه وضع طفل صينية دائرية مجدولة، فأخذ بعض الضيوف يهيلون عليها من حفنة بُن (لا يقوم الجميع بذلك- كما أوضح علوي- وإنما المدعوُون إلى اليوم التالي لاحتساء قهوة الصباح. وحينها يدخل البُن في الاستخدام). وهناك أيضًا جلب الطفل نفسُه صينية من الصفيح وعصا هدَّد بها العريس، فقام بسرعة مستلًّا خنجرَه للدفاع عن نفسه. ووضعت الصينية أمام العريس، وكان أبوه أوَّلَ مَنْ وضع فيها النقود، أمَّا العريس فحين لاحظ الهدية طرق على الصينية بالخنجر، وعند ذلك بدأ الضيوف بوضع النقود (في العادة ريالات تاليري ماريا تيريزا)، ومِنْ ثَـمَّ قام الطفل بإعلان أسماء من قدَّموا هداياهم من النقود. فيما كان العريس يطرق الصينية تعبيرًا منه عن الشكر والعرفان بالجميل. وعند انتهاء ذلك الجزء من المراسيم، جاء الطفل بصينية فيها الحِنَّاء الممزوج بالماء، وقام بغمس أصابعنا فيه، ولوَّن به أيدينا. ثُـمَّ جلس الجميع وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث بهدوء، وفجأة قفز العريس من مقعده محاولًا الهروب، فأحاط به بعض الشباب، وأمسكوا به وهم يصرخون، وأجلسوه عُنْوَة في المكان. لم يوضح علوي مَغْزَى هذا الأمر. وكان ينبغي أنْ يلي ذلك الرقص، لكنه لم يتمَّ لأن الأسرة كانت في حالة حداد" [٧١ ص٥٥-٥٦].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تحدَّث إلينا عن مراسيم الزواج كُلٌّ من: عبدالله بن حسين بن أحمد الكاف (٥١ عامًا، الهجرين)، إمام مسجد السقاف محمد بن علوي بن عمر العيدروس الملقَّب سعد (أكثر من ٧٠ عامًا، تريم)، ومنصب حريضة الأصغر سنًا علي بن أحمد بن حسن العطاس. وكان الاثنان الأوَّلان ممثّلَيْنِ للسُّلْطَة الدينية (قضاة) يقومان بإجراء عقد القِرَان (مأذون، مقعد، مقاعيد). كما تسنَّى لنا مشاهدة مراسيم الزواج في مسّورة، وبضة (وادي عمد)، وفي الهجرين، وغار السودان (وادي دوعن)، وفي عِذِب (وادي العين)، وكذلك خارج حدود المنطقة في سيئون.

أشار ر. سرجنت أيضًا إلى محاولة السلطات المحلية لتنظيم مراسيم الزواج وتبسيطها، والشيء الرئيس تقليل نفقاتها. ومثل تلك المحاولات قام بها في عامي ١٨٩٥ - ١٨٩٦م أعيان تريم، وعلي بن المنصور الكثيري في عام ١٩٣٤م والمرسوم السلطاني رقم ١٠ لعام ١٩٥٩م في المكلا. وقد أوعز المرسوم التنفيذ لمجلس المدينة ولجنة الشؤون الدينية ذات النزعة المحافظة، وهي التي رأت في البذخ بدعةً أثيمة [٢٦٠ ص٤٧٢-٤٧٣، ٤٧٩-٤٨٢]. وظلَّت التدابير المانعة حِبْرًا على ورق، وتوقَّف منذ ذلك الحين فقط منح العطايا للراقصات، وحُدِّدَ الدَّفْعُ النَّـقْـدِيُّ [٢٦٠ ص٤٧٢].

المهمُّ إنَّ إجراءً مماثلًا، تقدَّمتْ به السلطات المحلية في المحافظة الخامسة عام ١٩٧٤م إلى مؤتمر اللجان الشعبية، لكنَّ مَنْ وقفَ مُنَاقِضٌ تمامًا لـ" الإسراف في استخدام مواد الترف، كظاهرة استعمارية، تخدم مصالح الاحتكارات"، وكان قد صدر ملحقٌ للقانون الحكومي الخاص بالزواج (سلمني النص م. ب. بيوتروفسكي) حول "تنظيم إجراءات الزواج والمحافظة على العادات..." [٢٨٤ تاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٧٤م ص١-٨]، وحدَّد

بدقَّة الإجراءات الأدنى وحدود الإنفاق المباح. وبصرف النظر عن اللهجة الحازمة، فإنَّ الملحق لم يتبع مطلقًا بمَدَاه الكامل لا في الساحل، ولا في حضرموت الداخل. لكن هذا وغيره من الإجراءات أَثَّرَتْ في تقصير مُدَّة بعض مراسيم الزواج وتبسيطها.

تسبق الزواج الخطبة (الخطوبة): يحصل الأب أو وسيط الزواج، على موافقة والدي العروس أو ولي أمرها، ويتم الاتفاق على مقدار المهر، الذي سيدفعه جانب العريس. ويُسلَّم المهر أو جزء منه (المد) في منزل العروس في أثناء مراسيم قهوة الصباح (قهوة المد)، حينما يعلنون أن الفتاة مخطوبة.

يتوقَّف مقدار المهر على المراتب الاجتماعيّة، وعلى مستوى صلة القرابة بين المتزوجين (الزواج" الأرخص"، هو الزواج من ابنة العم)، أمّا الأغلى فمن خارج حدود النسب والجماعة المحلية، لكنْ بما لا يتعارض مع زواج الكفاءة [انظر ج١ ف١ فقرة١]. ومع مرور الزمن ارتفع المقدار المطلق للمهر. ففي أعوام الثلاثينيّات دفع خادم في شبام٦٠ شلنًا مقابل العروسة البكر، و ٣٠ شلنًا مقابل المطلَّقة أو الثيِّب، وفي مطلع الستينيّات كانت هذه المؤشرات تطابق ٣٠٠ و ٢٠٠ شلنًا [٩٦-أ ص٢٥٢؛ ٢٠٩ ص١٠١].

واستنادًا إلى أ. س عبدالله بجرة، فإن السادة آل العطاس (حريضة) كانوا يدفعون ٧٠ شلنًا مقابل العروس من آل العطاس المحليّين، و٢٠٠ شلن مقابل العروس من آل العطاس الذين يعيشون خارج حريضة، و ١٠٠٠ شلن مقابل العروس من عائلات السادة الآخرين. وكان مشايخ باسهل يدفعون لقاء الفتاة من جماعة النسب المحلية٢٠٠ - ٣٠٠ شلن، ولقاء العروس من أسر المشايخ الأخرى ٥٠٠ شلن، ولقاء العروس من القبائل ١٠٠٠ شلن. وكان القبائل يدفعون مقابل الزواج من فتاة داخل جماعة القرابة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢٠٠ – ٣٠٠ شلن، أمّا من خارجها (لكن في إطار القبيلة) فيدفعون ١٠٠٠ شلن [٢٠٩ ص٩٧، ٩٨، ١٠١].

في أواخر الثمانينيّات أظهرَ استفتاءٌ قامتْ به في حضرموت الغربية الموظَّفة في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف إلهام عبد الوهاب (بين حوالي ٩٠ رجلًا وامرأة)، أنَّ المهر في حالة الزواج الداخلي لدى الحضر يتراوح في حدود ٢٥٠ دينارًا (٥ آلاف شلن)، والزواج من ابنة العم يصل إلى ٧٥٠ دينارًا، أما في حالة الزواج الخارجي فمن ٧٥٠ دينارًا إلى ٢٠٠٠ دينار.

وللبدو وضعٌ خاصٌ: فالمهر عند الزواج داخل القبيلة يمكن أن يكون ٥٠٠٠ دينار، ومن غير احتساب الإنفاق على ملابس الفرح للعروس (٥٠٠ – ٦٠٠ دينار). وعلى الـحُـلِـيِّ التي تعادل قيمتُها سعرَ رطل من الذهب. ويضاف إلى هذا الإنفاق لدى الحضر والبدو الإنفاق على الزفاف (الجهاز) ومبلغ ١٠٠ دينار "المهر اللازم"، وهو الحدُّ الأقصى للمهر، وفقًا للمادة ١٨ من قانون الزواج في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وفي الواقع فإن هذا التحديد قد ضاعف المهر فقط؛ ذلك لأن الحد الأقصى قد تحوَّل إلى دفعٍ مضاعف. وفيما إذا كانت مسؤولية الطَّلاق تقع على الزوجة فإنَّ المحكمة يمكن أنْ تحكم على الرجل بتعويضٍ نقديٍّ، لا يزيد على مبلغ المهر (المادة٣٠)، ومهما يكن من أمر فإن الدولة لا تُـقِـرُّ بالمهر أكثر من ١٠٠ دينار، وهذا ما يؤدي أحيانًا إلى الاستهتار به من قبل الفتاة حديثة الزواج وأسرتها: فتكثر وسوسة فسخ الزواج، والإمساك بنصيب الأسد من الصداق.

يقوم المأذون (العقّاد) بعقد القِرَان رسميًا استنادًا إلى القرآن الكريم، وبعد أن يضمّ يدي العريس والعروسة يقرأ الفاتحة. ويقوم الصبيان المحليُّون عادة بدعوة الأقارب والجيران إلى حفل الزواج بقولهم: "أنت مطلوب"، أي: أنت مَدْعُـوٌّ إلى الحفل.

في صباح اليوم الأول يجري حفل الاستقبال في منزل أهل الزوجة الحديثة؛ حيث تجتمع النساء ويُـقَـدِّمْنَ الهدايا (طرح) للزوجة الحديثة، التي تجلس دون حراك تحت الحجاب. كما يُـنَـظَّمُ حفلٌ يتخلّله الغناء والرقص. وفي مساء ذلك اليوم (ليلة الحِنَّاء) يتمُّ تنقيش كَـفَّي وقدمَي العريس بالحناء. وفي البداية يحلقون له الصدغين والقَـفَى تحت صراخ النساء، (صليق، حجير)، ولكن ليس زغاريد؛ لأن ذلك ملائم في مثل هذه الحالة.

ويُقدَّم الحناء للضيوف المحترمين [انظر أعلاه، نص د.انجرامس] الذين تبرَّعوا بالنقود في الحفل. وتصدحُ الأغاني ويرتجلُ الشعراءُ الأشعار، ويرقصُ الضيوف مع العريس. ويقوم صاحب الزواج بالحفاظ على النظام. كما أن محاولة العريس في "الهروب" التي وصفتها الباحثة الإنجليزية، مرتبطة بكلمات أغنية الزواج "فلينقش بالحناء، إذا لم يعترض على أن يتزين"، التي ينبغي أن تدفع المجتمعين لأن يكونوا أكثر سخاءً [انظر ج٣ فقرة٣:الأغنية رقم ٣٨].

في صباح اليوم الثاني تُسَرَّح العروس، وتُغسَل، وتُنقَش بالحناء، وتُزيَّن بالأساور الذهبية (في الماضي الفضية) والأقراط وأساور الأرجل ذات الأجراس (حجول) إيذانًا بمراسيم العقد. وعند ذلك ينظم حفل استقبال كبير في منزل العروس مع القهوة والحلويات، وفي النهار الغداء، وفي المساء، بعد الصلاة (أي الساعة الثامنة مساءً) يبدأ في منزل العريس الاحتفال في انتظار وصول العروس (حفلة الحراوة). وفي منتصف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الليل يصل موكب العروس على وقعِ دقّات الدفوف والأغاني والرقصات والزغاريد. وكان الاحتفال المصحوب بالغناء والرقص يتواصل في الماضي إلى الصباح، أمَّا في الوقت الحاضر فإنَّ الحفل المسائي يبدأ مبكِّرًا، ويستمر حوالي ثلاثَ ساعاتٍ فقط.

الفقيه الحضرمي المعروف علي بن أحمد سعيد باصبرين (المتوفي في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي) أدان طقوسَ الزَّواجِ في وادي دوعن: أغاني اللعب، ونقش يدي الفتاة بالحناء، وتقليد طريقة خطف العروس، عندما تدافع عنها الصديقات غير المتزوجات (الشردة)، والرقص المشترك للرجال والنساء (الدحيف)، والعادة التي تسمح للزوج أن يفتح جهارًا وجه الزوجة الحديثة وتقبيلها في الجبين [١٤، ل ١٦-أ، ب]. أما في الوقت الراهن فلا وجود لمثل هذه الطقوس. ومع ذلك فإن المتحمِّسين للشرف يستنكرون حتى اليوم رقصة (تنعوش)، التي ترقصها النساء في وادي دوعن في حلقاتهن الخاصة؛ حيث يقُمْنَ بضمِّ الأيدي إلى الصدور ويهزهزن الرؤوس باتِّــزَان. أو عادة تغيير الثياب عدة مرات في حفلة الرقص (في بعض الأحيان يلبسْنَ الثوب فوق الآخر، وتقوم الراقصة بخلع الفستان الفوقاني أمام أعين الجميع). وفي الوقت نفسه تردِّد الأغاني النسائية التي نَشَرَ نماذجَ منها سرجنت.

كما يرقص الرجال رقصات (الدحيف)، مكوِّنين حلقة دائرية أو نصف دائرية، بمشاركة راقصة متخصِّصة (مشترحة، مدرجة)، تدعو إلى الرقص رجلين، يسيران معها سويَّــة دورة كاملة. كما يؤدِّي الرجال نموذج الرقص الشبواني، الذي يُــسمَّى في حضرموت الغربية "القطني" (نسبة إلى مدينة القطن). وهذا اليوم يسمى "يوم الصبحية" (والصبحة هي الهدية التي يقدِّمها الزوج للزوجة بعد ليلة الزواج الأولى).

وفي الماضي كانتْ تتكرَّر الصبحة أيضًا في اليوم الثالث (ثاني صبحة)، أمّا في اليوم الرابع فيَـزُوْرُ الزوجان الحديثان منزل أهل الزوجة؛ حيث ينظّم حفل استقبال، وكانت تقام خلال أسبوع بعد الزواج ضيافة في منزل الزوجين (نقضة)، كما تعود الزوجة خلال أسبوع إلى منزلها السابق لمدة يومين للضيافة، لكن العادة الأخيرة غير ملزمة.

مراسيم دفن الموتى:

يغسل المتوفَّى في البيت من قبل الأقرباء بأنفسهم أو من قبل متخصِّصين في غسل الأموات من طبقة الصبيان. وتوجد في المساجد قُرْبَ المقابر أماكن للغسل وللتوابيت (مغسل- مغاسل) وذلك بغرض الاستعداد لدفن أولئك الذين لا يوجد لديهم أقرباء. ويتمُّ هذا العمل على حساب الصدقات ومن إيراد وسائل الوقف.

يُرَشُّ جسد المتوفَّى بالحناء (والمتوفَّاة بالـهُـرُد والوَرْس)، ويُلَفُّ في الكفن، أو ببساطة في قطعة قماش قطني غيرِ ملوَّنة، وتُسَدُّ فتحات الأنف والأذنين بالقطن، وتتمُّ الصَّلاة على الميِّت وقراءة القرآن الكريم، وفي اليوم نفسِه يُحمَلُ النَّـعْشُ إلى المقبرة لدفنه.

يُـوَجَّه الضريحُ نَحْوَ القِـبْلَة، بحيث يُـمَدَّدُ فيه المتوفَّى ووَجْهُهُ إلى مكة، ويُحفَرُ القبر بقامة الإنسان الواقف ويداه مرفوعتان إلى الأعلى (أي بحدود مترين)، مع مثبّت من الأسفل، ويُقَاسُ طوله بغصنٍ من النخيل، يُعْرَزُ فيما بعد في التربة المكوَّمة. وبعد رَدْمِ القبر وتسويته يضعون فوقه طقة من الحجارة البيضاوية أو الحجارة المستوية الكبيرة، فيما تنثر على الجزء الأوسط أحجار صغيرة [الصورة ٧٧].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تُنصَبُ على ضريح الرجل شاهدتان، عند الرأس والقدم، وعلى ضريح المرأة ثلاث شواهد (الزائدة في الوسط) [الصورة ٧٦]، أمّا إذا تُوُفِّيَتِ المرأة وهي في حالة الوضع فمن خمس إلى ست شواهد. وقد لاحظ تلك الخصوصية عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ي. أ. ريزوان في المهرة وشبوة.

معظم القبور ليس لها مشاهد، عدا أضرحة السادة والمشايخ أوالأولياء المشهورين [الصورة ٧٥]. يُشيِّدون على قبر الأخير، ضريحًا حجريًا (مشهدًا) مع النقش، بعد ستة إلى ثمانية أشهر من الدفن، حينما يكون الضريح قد ترسَّب. ويدفن البدو موتاهم غالبًا في مقابر عند الحضر، على تُـخُـوْمِ الحوطات (جمع حوطة). وهكذا، فعلى بعد ٣٥٠ مترًا إلى الشمال الغربي من مجموعة قباب المشهد سُجِّل ما لا يقل عن ٣٤ ضريحًا لرجال ونساء من البدو. تقع المقبرة على أرض غير صالحة للزراعة (فرطوان، [انظر ج٢ ف١ فقرة١: القزة])، ويُخصَّص نصفها للكبار والنصف الآخر للصغار (يدفن في الجزء الأخير الأطفال الذين "لم تتبدَّلْ أسنانهم بعد")، وليس هناك عناية أو اهتمام بالقبور. وفي أثناء الزيارات يحضرون أغصانًا خضراء ويضعونها على الحجارة. وبعد أربعين عامًا يمكن أنْ يُدفَنَ في القبر القديم ميتٌ جديد (نبش).

يستمرُّ الحداد في حضرموت الغربية بعد الجنازة مُدَّةَ عشرةِ أيام. تُنَظَّمُ في الأيام الثلاثة الأولى مراسيم التعازي: بعد صلاة العشاء، وبعد الصلاة على الغائب، تُنظَّم مأدبة عشاء (يتمُّ تحضيرها كصدقة إلى منزل المتوفَّى؛ حيث يُـحرَّمُ إشعالُ النَّار) وتتكوَّن من لحوم الماعز المغلي والرز وأرغفة الخبز والتمور والقهوة. كما يقوم ثلاثة من الأشخاص المحترمين (وفي النادر خمسة) بتلاوة القرآن الكريم (ختم- خواتيم). ولا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وجود هنا لثياب خاصة بالحداد. كما يتمُّ تغطية المرآة وشاشة التلفزيون، وعلى مدى نصف عام يتمُّ الكَفُّ عن اللهو والرقص...الخ.

وتعطي قوانين وطقوس دورة الحياة الشكلَ المكمِّلَ للعلاقة بالأقرباء والأنساب بالمصاهرة والجيران والغرباء. وهذه القوانين وطيدة وثابتة إلى حدٍّ ما، وتخضع للترتيب بصورة ضعيفة. وعن المميزات الأخرى لنظام القرابة الأسرية تعطينا بعض التصور المعالجة الإحصائية للمواد الاستبيانية.

فمن الاستفتاء الذي قامتْ به إلهام عبد الوهاب في الهجرين (وادي دوعن) اتَّضحَ أنَّ أكثرَ أشكالِ الزواج انتشارًا هنا، هو الزواج الداخلي (حوالي ٦٠٪ ممَّن شملهم الاستفتاء)، والعدد المتوسط للأطفال في الأسرة أربعة (التقدير التمهيدي، خمسة إلى ستة)، والتباين مرتبط بالفتوة النسبية لغالبية الذين شملهم الاستفتاء.

إنَّ أحكام المادة الخامسة من قانون الزواج لعام١٩٧٤م. الذي حُدِّدَ بمقتضاها السن الأدنى للزواج بـــ ١٨ عامًا للرجل، و ١٦ عامًا للمرأة، تُطَبَّق في الأساس، ومع ذلك تُوجَد بعض الاستثناءات (عروس ذات ١٥ أو ١٤ عامًا). ومتوسِّط عمر التزويج لدى الرجل غالبًا أعلى من الحد الأدنى (في بعض الأحيان إلى سبع - عشر سنوات) بسبب السفر وضرورة جمع الأموال الخاصة بالمهر (سبق الحديث عن مقدار المهر).

إنَّ المعطياتِ المهمَّة قد حصل عليها س. ن. سريبروف والمؤلف عند المعالجة الاختيارية لمواد الاستمارة، التي وضعها قسم التعليم في مديرية دوعن عام ١٩٨٤م، وقد شملتِ العيناتُ ثلاثةَ مراكز، عَمْد وحريضة والضليعة، أي أراضي وادي عمد. ومنها نستخلص أربعة نماذج للأسرة، وهي:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١- الأسرة المنفصلة: الزوج، الزوجة، والأطفال إن وجدوا.

١- الأسرة غير المنفصلة:

أ- الزوج، الزوجة، الأبناء المتزوجون من ذريتهما.

ب- أُسَرُ الإخْوَةِ المتزوجين، الذين يقومون بالتدابير الاقتصادية المشتركة.

٣- الأسرة غير المكتملة: الأُسر التي يغيب عنها في الأقل أحد الأزواج.

٤- الأسرة المختلطة: أي أسرة من النماذج المذكورة، يعيش فيها أقرباء من جهة الرجل والمرأة.

فيما يلي نورد معلومات عن توزيع الاقتصاد المنزلي وفقًا لنماذج الأسر (بالنسبة المئوية):

	٥٣.١	٣٢.٣	٥٦.٥	٥٠.٧
	١٠.٨	٢٤.٩	١٧.٤	١٥.٤
	٢١.٩	٣٥.٠	١١.٦	٢٠.٧
	١٤.٢	٧.٨	١٤.٥	١٣.٢

إن النسبة الكبيرة للأسر المنفصلة في جميع المراكز الثلاثة (٥٠.٧) تدلُّ على العملية الحيوية لفرز الأسر الجديدة من مجموعات الأسرة غير المنفصلة (في الدائرة المغلقة: المنفصلة- الأبوية الواحدة- الأخوية الموحدة- المنفصلة).

بالنسبة للأسر الجديدة في وادي دوعن تُبَاعُ لها في العام بحدود ٦٥٠ قطعة أرض جديدة لأغراض التعمير. وفي كثير من الأحوال يرتبط تشكيل الأسر غير المكتملة (٢٠.٧) والمختلطة (١٣.٢) بهجرة وسفر السكان القادرين على العمل.

ويوجد ارتباط واضح بين مقدار الاقتصاد المنزلي ونموذج الزواج سواء في داخل مجموعة القرابة الأسرية أو في سواها. وتبيِّن المعلومات الآتية توزيع الاقتصاد المنزلي حسب نوع الزواج:

▪▪			
إلى ٣ أشخاص	٤٨ (٤٥.٣٪)	٥٨ (٥٤.٧٪)	١٠٦ (١٠٠٪)
من ٤ – ٧ أشخاص	٣٢٨ (٤٨.٨٪)	٣٤٤ (٥١.٢٪)	٦٧٢ (١٠٠٪)
أكثر من ٧ أشخاص	١٣٧ (٣٥.٩٪)	٢٤٥ (٦٤.١٪)	٣٨٢ (١٠٠٪)
الإجمالي	١٣٧ (٣٥.٩٪)	٦٤٧ (٥٥.٨٪)	١١٦٠ (١٠٠٪)

إن النسبة العامة للزواج داخل الجماعات الأسرية المتقاربة أقلُّ بعضَ الشيءِ عن نسبة الزواج خارج المجموعة، لكن بتناسب قياسيّ. ويمكن أن نستنتج أنَّ الاتجاه إلى الزواج الداخلي قد انعكس بجلاء في وادي عَمْد إلى درجة كافية. والاختلاف كبير جدًا في الزَّواج داخل الجماعات الأسرية المتقاربة وخارجها، وبشكل خاص في الأسر الكبيرة، التي يزيد عددُ أفرادها عن سبعة أشخاص: ٣٥.٩٪ مقابل ٦٤.١٪. ، وهذه الظاهرة تحتاج إلى إيضاح. أمَّا في المراكز فلم تظهر اختلافات خاصة، على الرغم من أنَّ مركز عَمْد الزراعي لا يماثل مركز حريضة المدني المتطور، والاثنان يختلفان عن مركز الضليعة، الذي تستوطنه قبائل المرتفعات.

إنّ مستوى الزواج في حضرموت الغربية مرتفع إلى درجة كافية (نحو ٩٠٪). ومحلية الزواج – قانون، على الرغم من أنَّ الخروج عنه لا يعد نادرًا: فقبائل الغرب (على

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

سبيل المثال، الصيعر، العوابثة) وبشكل خاص قبائل الشرق (الحموم، المناهيل) يستقرون غالبًا بين أنسابهم بالمصاهرة بهدف تثبيت ادعاءاتهم على جزء من أراضيهم القبلية [انظر ج١ ف١ فقرة٣].

وتوضح المعطيات الاستبيانية لعام ١٩٨٤م (شملت نحو ١٠٪ من سكان المحافظة) خصوصية التركيب العمري للجنسين في مديرية دوعن. ونورد أدناه المعلومات عن تركيب الجنسين لسكان مديرية دوعن (في كل ألف شخص):

١ – ١١	١١.٤	١١.١	٢٢.٥	٣٢.٠
١٢ – ٢٠	٧.٠	٨.٧	١٥.٧	٢٢.٤
٢١ – ٤٠	٦.١	٨.٠	١٤.١	٢٠.١
٤١ – ٤٩	١.٨	٢.٣	٤.١	٥.٨
أكثر من ٥٠	٥.٦	٨.٢	١٣.٨	١٩.٧
الإجمالي	٣١.٩	٣٨.٣	٧٠.٢	١٠٠

إن أغلبية النساء في أكثر الفئات العُمرية نشاطًا يرجع سببه إلى التنقل في حضرموت الغربية.

وفي النهاية، فإنَّ الحقيقة الأخيرة بدتْ وكأنَّها غير مرتبطة مباشرة بالقوانين المنظِّمة للنسب والزواج. وإنَّما تبيِّن ارتباط السكان بالآليات التقليدية العامة للجميع. وبصرف النظر عن الحملة قريبة العهد للقضاء على الأمية، فإنَّ ٥٨.١٪ من السكان بين سن ١٢ – ٤٠ عامًا لا يستطيعون القراءة والكتابة (الرجال ٢٣.٨٪، والنساء ٨٤.٢٪).

كان مفهوم المال في حضرموت تقريبًا يرتبط بصورة استثنائية بالأرض، قطعة الأرض المزروعة، حيث ينمو النخيل أو تزرع الذرة وغيرها من المزروعات الأخرى. وملكية الأرض يمكن أن تكون مشتركة (أراضي الوحدة القبلية الصغيرة) أو خاصة. وقد سجل مُلَّاك الأراضي الخاصَّة في قوائم المساحات التفصيلية الخاصة. كما وجدت كذلك (وما زالت حتى اليوم) الأراضي العامة ــ المباح، التي تُسْتَغَلُّ لرعي الماشية، ولادّخار حطب الوقود، وهي في الغاية المثلى تَتْبَعُ الجميع، لكنَّها في الواقع تُخَصَّصُ لمجموعة قبائل. ماعدا ذلك – كما في جميع العالم الإسلامي – وجدت أراضي الوقف.

إنَّ الحقَّ في الأراضي والماء مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا، ومن الصَّعْبِ فَصْلُ أحدِهما عن الآخر. وهكذا فإنَّ الحق في الماء لا يمكنُ تقديمُه في شكلِ مهرِ الزواج، أو إهداؤُه والتصدُّق به أو الإيصاءُ به. ويملكُ جميعُ المسلمين حقوقًا متساوية في الماء. ولا يوجد مالك للماء. باستثناء تلك الحالات، عندما يحفرُ شخصٌ ما بئرًا على أرضه، لكنَّه لا يستطيعُ منعَ الظمآنِ مِنْ أنْ يملأَ جَرَّةَ أو قِرْبَةَ الماء من المصدرِ العام.

وكان يَسْرِيْ أيضًا حقُّ الاستخلاف (الشفعة) لأولئك الذين يربطهم عمليًا الاستخدام المشترك للماء من المصادر المحدَّدة (ينبوع، بئر، قناة)، التي تتطلَّب عملًا مستمرًا للحفاظ عليها أو لتحسينها. وبكلمات أخرى، إذا ما برزتْ ضرورةٌ لبيع قطعةِ الأرض الزراعية، فينبغي في بداية الأمر عرضُها على أعضاء الجماعات الأسرية القريبة أو الجيران في مجموعة السَّقْيِ (حق الجوار).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتنعكسُ الصِّلَةُ بين استخدام الماء واستخدام الأرض كذلك في "إحياء الأرض الميتة" (إحياء الموات)، وحينما تدخل في الدورة الزراعية تلك الأراضي التي لا تعود ملكيتها لأحدٍ، ولم تُزرع من قبل. ويتمُّ "الإحياء" فقط على مساحة تلك الأراضي التي لا تُستخدَم كمراعي ولا تُجَاوِرُ القرى. ويرتبط "إحياء الأرض الميتة" بالعثور على مصدر للماء في تلك الأراضي أو حفر بئر. وتشمل العملية حراثةُ قطعةِ الأرض ومساواتها، وقَطْعُ الأشجار، وإنشاءُ السُّوْرِ، وشَـقُّ القنواتِ ومَدُّها، وإقامةُ العلاماتِ التي تبيِّن حدودَ قطعةِ الأرض.

إنَّ مبدأَ الدُّخولِ الحرِّ إلى الماء يقعُ في أساس العادة، التي تمنع عند تنظيف القناة أنْ تُـحْشَى ضفَّـتُـها بالأتربة المستخرجة، أو أنْ تُفرِضَ تركَ "أرض حمى" حول مصادر الماء [٢٧٨ ص٩-١٥؛ ٢٤١ ص٢٣٠-٢٥٤].

إنَّ الفقه الذي مكَّنَ من تنظيم المعايير الاجتماعيّة للأوضاع الأخلاقية العقائدية العامَّة للشريعة [١٨٦ ص٥٥]، لم يضعْ قواعدَ واضحةً لاستخدام المياه في ضوء الإسلام [٢٧٨ ص٢٢٦]. ولذلك تُـقَـدَّرُ عاليًا في حضرموت فتاوى العلَّامةِ الشافعيِّ المرموق ابن حجر الهيتمي (توفي عام ١٥٦٦م)، الذي حَلّ هذه الدائرة من المسائل، مستندًا إلى الفكر السليم وإلى العادة المتَّبعة، ويفهم بالعادة الممارسة المتكرّرة، التي اتُّـبِـعَتْ في حياة ما لا يقلُّ عن جيلَيْنِ، دون أنْ يكونَ فيها أيُّ انقطاع [٢٤١ ص٩٢]. وهكذا إذا قَضَتِ العادةُ أنْ يَحتفِظَ الشخص بالماء في قطعته الخاصة، من غير التقاسم مع الآخرين، فإنَّ ابن حجر عدَّ من الضروري تقدير حصته انطلاقًا من حاجة الأرض، ونوعية المزروعات والوقت من السنة.

إذا كانت قطعتان من الأرض التي ينمو فيهما النخيل، تُـرْوَيَانِ من قناة واحدة، وأُهمِلَتْ إحداها، فإنَّ مستوى الأرض المهملة فوقها يرتفعُ بسبب الرواسب والطمي، فيما القطعة الأخرى أصبح يَـعُـوْزُهَا الماء، فكيف ينبغي أنْ يتصرَّفَ صاحب قطعة الأرض الأخرى؟.أجاب ابن حجر: لا ينبغي استدعاء مالك الأرض المهجورة لكي يخفض مستوى الأرض، وللمالك الآخر كاملُ الحقِّ في القيام بذلك بدلًا عنه. ولكنْ إذا رتَّبَ المالك الأوَّلُ قطعتَه فإنَّ التـتابُـعَ في السَّقْيِ ينبغي أنْ يُستَـعَاد.

مَنْ كانتْ قطعةُ أرضِهِ أقربَ من مصدرِ الماء فإنَّه أوَّلُ مَنْ يحصلُ على حصَّته، طالما لمْ يحصُلْ بَـعْـدُ على استحقاقه، وأشار الفقيه إلى أنَّه يستطيع ضبط الماء كيفما كان: بحاجز من الطين، يحجز السيل كلّه، أو بحواجز من الأشجار أو أغصان النخيل، تسمح لجزء من الماء. وإذا كانت العادة تقضي بذلك فإنه يحقُّ للمالك أنْ يتصرَّف هكذا.

وعلى السؤال، هل يستطيع أحد الملاك أن يسقي جزءًا من أرضه، إذا كان الـمُلَّاكُ الآخرون المشتركون معه لا يجيزون له ذلك، خوفًا من الأضرار؟ يؤكِّد ابن حجر: طالما أنَّ الإنسانَ يتصرَّفُ مع ملكيته كما تقضي العادة، فإنَّ عملَـه مسموحٌ به، وهو غيرُ مُلْزَمٍ بأنْ يدفعَ مُـقَـابِـلَ الضَّرَرِ الـمُحْـتَـمَل [٢٤١ ص٣٥-٣٧].

وفي حضرموت الغربية كانت الحوادث المماثلة تُـحَلُّ من قبل الأعيان الـمُلِمِّيْنَ بالعادات. وفي مجرى وادي عمد يتمتَّع مشايخ باجابر بنفوذٍ خاص. ويمكن أن تكون العادة مسؤولةً عن الملتقيات الرئيسة للسَّقْي، ولكنْ كالمعتاد تمَّ تقسيم هاتين الوظيفتين الاجتماعيتين (حسبما عرفت، قبل عمل المجموعة الإثنوغرافية في البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ولم تتمَّ دراستها خصيصًا).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المدبِّرُ لأعمال السَّقْي يُسمَّى "خيال- خيلة"، الخيال - الملاحظ عن بعد، والـمَخِـيْـلَـة - السحابة المبشِّرة بالمطر [٢٣٦ ص٥٦٨-٥٦٩]. ومهمَّـتُـه الرئيسةُ الرقابةُ لحالة القناة الرئيسة للسَّقْي (الساقية الأم- أو ببساطة الأم)، وتحديد الأضرار التي تلحقُ بمنشآت الري بسبب الفيضانات [انظر ج٢ ف١ فقرة١]. صالح أبوبكر باسهل (حوالي ٦٠ عامًا، حريضة) قال: في اليوم الذي يأتي فيه السيل، يقوم الخّيال بمراقبة الوادي والشِّعَاب، ليرى فيما إذا حدثَتْ أيَّةُ أضرار. وإذا لم تحدُثْ، فإنه يقول: (حوّل الله، ما عندك تغيير)، أمَّا في حالة حدوثها فإنه مُلْزَمٌ بتقييم الدَّمَار، وإلزامُ مُلَّاكِ الأراضي بإزالته. وكان الخيّال ينتخب من قبل الجماعة، وكذلك مساعديه، الذين كان أحدهم يأخذ السجلات ويدون أسماء ملاك الأراضي وحدود ممتلكاتهم. وكان المساعدون يعتنون بتفرعات القناة الرئيسة، وكقاعدة، كانوا مهتمين شخصيًا بضبط دقة شبكة تصريف المياه، الخاصة بالري وبقطعهم.

كان الخيال يقوم بمهمته مجانًا. وكان يشرف على الأموال التي يتم جمعها من أقساط مالكي الأراضي بالتناسب مع حجم قطع أراضيهم. وكان المالك يستطيع العمل بنفسه، أو أن يدفع (عبر الخيال) خدمات العمال المأجورين(فارق السوق). وكانت التبرعات تتم جماعيًا على شكل صدقة مقابل المعوزين والعاجزين.

في كثير من الأماكن كان الخيال ينتخب من ممثلي الحرثان- المزارعين الأصليين: بادحمان (وادي دوعن)، باحليوة، باحسين، باحويرث وغيرهم (وادي عمد)، وفي نفحون كان الخيال السيد عمر بن محمد بن أحمد العطاس، وفي عندل- عبدالله سالم باجبير، وفي حريضة- مشايخ باسهل، السادة آل العطاس وآخرون. وكان الخيال

يتحمل المسئولية شخصيًا أمام الجماعة، وفي حالة الضرورة كان يعزل عن منصبه. وفي عام ١٩٩٠م كانت تقوم بمهمته هيئة جماعية- اللجنة الزراعية، المسئول فقط أمام الهيئات الأعلى.

إن وظيفة الخَيّال من أهم الأدوار الاجتماعيّة، التي ظهرت في الجماعة المتجاورة للمزارعين في حضرموت الغربية بهدف التنظيم الذاتي. وهي خاصية لمناطق السقي بالفيضانات، التي تستدعي من المزارعين التعاون المشترك بصورة دائمة.

وليس مصادفة أنْ تطورَّتْ بسرعة في مناطق السقي عن طريق الآبار ملكية الأراضي الخاصة الكبيرة والمتوسطة إلى الشرق من منطقة دراستنا، أما الملكية العامة فقد تفكَّكتْ عمليًا، ولم تسجل وظيفة الخيال.

إنَّ التبعيَّة المتبادلة بين المزارعين قد تعزَّزتْ بسبب التجزئة المستمرَّة لحصص الأرض في الماضي، التي تقتضيها عادة الوراثة. وقد وضحها القرآن الكريم [٤، ٨]، وكانت قد ظهرت منذ زمن طويل قبل الإسلام، وتصاغ هكذا:

يملك الوريث حصةً في كلِّ قسم من الإرث. وبمقتضى الأرض فإنَّ هذا يعني أنَّ الورثة المتساوين في الحقوق يحصلون على حصص متساوية في كل قطعة من الأراضي الموروثة. وفي الأطراف الأخرى للوطن العربي، على سبيل المثال في السهل السوري، أدَّتْ هذه العادة إلى تجزئة الأرض بإفراطٍ فائقٍ، ممَّا أعاق تطوُّرَ الاقتصاد الزراعي. وفي مناطق السَّقْيِ بالسُّيُولِ في حضرموت (أو في مرتفعات اليمن ولبنان) فإنَّ المواقع المشتَّـــتة لقطع الأراضي، التي تَـؤُوْلُ ملكـيَّـتُها لمالكٍ واحد، قد أُرْغِمَتْ على التقيُّدِ الصَّارِمِ بعادة استخدام المياه: قبل أن يصل الماء إلى قطعة الأرض التالية، ينبغي أنْ يمرَّ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من خلال أرض الجار (وقد ورد الكثير في معالجات ابن حجر عن الحوادث المرتبطة بذلك). وكانت آليَّة التنظيم تحقّق في الواقع بدون أي جهاز قوة، والتي حلَّ محلَّها الاهتمام بالمنفعة المتبادلة. وقد أشار أ.عبدالله بجرة إلى الكيفية التي جرى فيها مثل ذلك في حريضة [٢٠٩ ص٥٧]. إنَّ تجزئة قطع الأراضي (بالطبع، إلى درجة معقولة) لدى الـمُلَّاك الزراعيِّين قدْ ساعدَ أيضًا على تعقيد الدورة الزراعية، الانتقال من نظام دورتين متكاملتين، إلى الثلاث المتكاملة. ولقد أبقت اتجاهات التجزئة على حقِّ الاستخلاف وتنظيم الحارات: تجزأتِ القطع في إطار المطرح الواحد.

أخذت الضرائبُ تُـجْـبَـى على الأرض في حضرموت الغربية بصورة أكثرَ أو أقلَّ انتظامًا فقط في أربعينيّات قرننا. أمَّا قبل ذلك فحمَلَتْ طابعًا عرضيًا، وكانت تشابه أكثر الأتاوة أو الغرامة. وبالنسبة للكثير من القبائل فإنَّ الفكرة ذاتَها حول إمكانية فرض ضريبة عليهم تبدو مهينة.

إلى جانب العمل لصالح الهيئات الاجتماعيّة (خيال، منصب، صدقة)، وكذلك الأعمال الاجتماعيّة التي تحافظ على صفات "المساعدة"، فإنَّ الجموع الأساسية من السكَّان المزارعين الحضر ظلَّتْ موضوعًا للاستغلال الاقتصادي من قبل القبائل. وفي هذا الخصوص فإنَّ الدليل الأكبر هو نظام حراسة محاصيل النخيل (الشراحة) الذي كرَّس له ر. سرجنت دراسةً خاصة [٢٧٦].

في القرن الخامس عشر الميلادي أُطْلِقَ على الشِّراحة "عادة حضرموت" [٢٦٧ ص٣٠٨]. وكانت القبائل المسلحة تأخذُ من الـمُلَّاك مقابل حراسة التمور الناضجة ثمارًا، هي الخُمس من العناقيد والعُشْر من الحبوب وعيدان الذرة. هذه المعلومات

أكَّدها محدِّثُــنَا محسن مبارك بنَّدُف من قبائل بن ماضي في وادي عَمْد (٥٠ عامًا، طمحان).

وفي الخريبة والرباط (وادي دوعن) كان المزارعون يدفعون "مقابل الحراسة" لسيبان، والمراشدة، والقشم، والسموح، وقد اشتكوا من فرض ضرائب ثلاثية: للدولة، وللقبائل، وللحُرَّاس من الفلاحين [٢٦٧ ص٣١١]. وكانت الحراسة الفلاحيَّة أو الحماية بالعصى (سلاح الضعفاء)، تقابل بالحراسة القبلية "غير العادلة والاستبدادية". وفي الرسالة التي كتبها السيد طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي (مطلع القرن التاسع عشر الميلادي) بالشِّعْرِ المسجوعِ (مقامة) يصوِّر وبجلاء غطرسة القَبِيْلِيِّ وكبرياءَهُ الذي يَـعُـدُّ أفراد قبيلته "رجال الدم". أمَّا الفلاحون فـ "رجال زبل (فرث)"، يتنحنح بصوتٍ عال، ويتمخَّط بإصبعَيْنِ، ويَلْبَسُ أرديةً قصيرةً وشريطًا أسودَ من الصُّوْف على الرأس، يَـهِيْنُ ربَّ البيت، وأُسرتَه والخَدَم، ويأكل ويوزِّع المحصولَ المحمِيَّ، يجلسُ متَّكِـئًا على عصا، واضعًا رِجْلَهُ اليُمْنَى على رُكْبَـتِـهِ الـيُسْرَى، ولأيِّ سببٍ يُلامِسُ السَّبَّابَــةَ بينَ الحاجبَيْنِ وطرَفَ الأَنْف، ويُـقْـسِـمُ بِالوَجْهِ (الشرف) [٢٦٧ ص٣١٣-٣١٤، ٣١٨-٣٢٠].

يمكنُ أنْ نرى في الشراحة المرحلة الأولية لتحوُّل الأملاك الزراعية الخاصة إلى محميَّة نسبيًا [١٣٩ ص١٨]. وتتطابق حتى المفاهيم الإغريقية pronoia والإيرانية Timar والعربية الشَراحة "الرّعاية".

وهذه العملية لم تَــرْتَـقِ كثيرًا، ذلك لأنَّ نظامَ الشراحة القَسْرِيّ، كما ذكره انجرامس، قد تساوي بعادة الـحَظْر في الانتفاع (رفقة، خرج)، التي تفرضها القبائل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لوحدها على ممتلكات الحرثان أو المساكين، الواقعين تحت اضطهاد فرعٍ قَـبَـلِـيٍّ آخر [٢٧٣]. وإذا كانت القبائل لا تقومُ بمسؤوليَّاتها أمامَ ممثِّلي طبقاتها، فإنَّ الأخيرة كانتْ تستطيعُ من غير اللُّجُـوْءِ إلى حَكَم، الإعلانَ عن مَنْعِ بعض الأعمال للمتَّهَمِين تحت الوصاية: كانَ المستأجِرُ لا يَـمْـلِـكُ الحقَّ في أخذ الماء من البئر أو الجابية، والبنَّاؤون- في تشيِّـيد العمارة، والقوافل - في اجتياز أراضي الجماعة القبلية الأولى ...الخ. وكان الحظر المفروض على الملكية الخاصة لأبناء المساكين يخصُّ حَوَانِـيْـتَهم ومُسْتَـوْدَعَاتِ البضائعِ والمدينة بشكلٍ عامٍّ. وبعدَ مُرُورِ بعضِ الوقت يمكنُ أنْ يُـلْـغَى الحظر، ويُـحَلُّ الخِـلَافُ عن طريق وساطة السادةِ والمشايخ والمحاكم القبليَّة، وفي بعض الأحيان كان يؤدِّي إلى الاصطدام الحربيِّ بين القبائل. وكان يعلن عن فرض الحظر وإلغائه ممثِّلٌ مُفَوَّضٌ من القبائل في مكان عامٍّ: "في الأول صلُّـوا عليه، أي النبي ﷺ، وثانيًا صلُّـوا عليه، وثالثًا صلُّـوا عليه! اسْـمَـعُـوا أحسن! فلان ابن فلان ينادي البلد محظورة (البلد مرفوقة)" [٢٧٣ ص٩٨].

قام الممثِّلون الأمناء للقبائل (الدلال- الدلالون) بوظائفَ مهمَّة غير مباشرة في اقتصاد حضرموت. ولم يسمح الاعتزازُ القبليُّ للقبائل بالاشتغال في التجارة: كانَ القبيليُّ يمكنُ أنْ يكونَ جمَّالًا أو أنْ يحرسَ القوافل، أمَّا تجارة السوق فكان يقوم بها الدلَّالون. فقد كانوا يَـبْـتَـاعُـوْنَ الماشيةَ من البدو، ويشترون البضائعَ الضرورية للقبائل. الدلَّال السابق عبدالله سالم صعمر (حوالي ٦٠ عامًا، حريضة) أوضح أنَّ عائلتهم - نصير- معروفة جيدًا في كلِّ أنحاء حضرموت، وقد جاءتْ إلى حريضة قبل نصف قرن مضى وحصلت على اسم "صَعْمَر". وكانت الأسواق المهمَّة في حضرموت

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الغربية هي قُعُوْضَة في وادي الكسر، وشبام في الوادي الرئيس والخريبة (التي يسمِّيها هو دوعن) في وادي دوعن. وقد عمل صعمر مع قبائل الجعدة ونهد، وكان يحصل على ريالٍ واحدٍ كعمولة مقابل مائة ريال/ تالير ماريا تريزا، وعلى مقابل بيع الجمل ٢٪. وفي القطن برز الوسطاء آل باخميس. وكانتْ تأتي من الشمال البضائع، مثل القطن، الحصائر، زيت السمسم، العلف، والماشية. ومن المكلا كان يَصِلُ الشاهي، اللبن، السكر، الملابس. وكانت القوافل تسير إلى الساحل من حريضة وعنق (وادي عمد). وقد وصل تعداد القافلة الأخيرة إلى حوالي ١٥٠ جملًا، وكان ثلثها يعود لقبائل شملان، الذين كانوا يأخذون مقابل حمولة الجمل الواحد- بهار (نحو ٣٠٠ جنيه) ٢٥- ٦٠ ريالًا/ تاليرماريا تريزا، وكان يقوم بحماية القوافل ممثِّلو قبيلة سيبان، التي كان يمرُّ في أراضيها الجزء الأكبر من الطرق. ويذكر بعض المتحدِّثين أنه عند تسوية حساب الدَّلَّالين كانت تستخدم الحوالات (صك- صكوك).

إنَّ الأهمية الكبيرة بالنسبة للحياة الاقتصادية في حضرموت الغربية كانت تمثّلها الزيارات، التي تصاحبها الأسواق [انظر ج١ ف١ فقرة٣، وج٢ ف١: الاستنتاج]. وهاكم قائمةً بالأهمِّ منها، التي كانت تتوقَّف خلالها الحروب والنزاعات الأهلية، وتنتقل القوافل بالبضائع بأمان في البلاد:

١- نفحون (ضريح عمر بن حسين العطاس): ١٧ شعبان.

٢- المشهد (علي بن حسن العطاس):١٢ ربيع أول.

٣- قيدون (سعيد بن عيسى العمودي): الجمعة الأخيرة من رجب.

٤- صيف (شيخان بن أحمد): ١٠ ربيع الآخر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٥- بضة (معروف باجمال): ١٩ ذو الحجة.

٦- العرسمة (عبدالله بن علوي مقيبل): الجمعة الثانية من رجب.

٧-القرين (عمر بن عبد الرحمن البار): ١٢ ربيع الأول.

٨- الرباط (دحمان بن شيخان): ١٧ ربيع الأخر.

٩- بالقرب من الرباط (أحمد بن عبدالقادر باعشن): ١٧ محرم.

١٠- بالقرب من معبر شتنة (عمر بن عبدالله باراس): اليوم الأول لنجم الدلو= الأول من اكتوبر.

الحِرَفِيّون، الذين يأتون بمنتوجاتهم إلى الزيارات، كانت لديهم إمكانية منتظمة للتعرُّف على بضائع زملائهم، ومناقشة قضايا المهنة، وفي بعض الأحيان وضع خطٍّ عامٍّ نسبيًا للأسعار، واستلام الموادِّ الخامِّ الأولية ...الخ.

يذكر ك.لاندبرغ أنه حينما كان البائع والمشتري لا يرغبان في الإعلان عن قيمة الصفقة، فإنها كانت تتمُّ " تحت الشال"، أو "تحت الستار" (في عدن "الصفقة بالأيدي": يقوم الدلَّال بِضَمِّ يَدَيِ الزبائن تحتَ الشَّال، وتتمُ الصفقة بالأصابع- الأصبع الواحدة تعني وحدات (عشرات، مئات): ونصف الإصبع – ٠.٥، والسُّلامية – ٠.٢٥.

كانت للوسيط أو السمسار علاقاتٌ واسعة ومعرفة وسيعة. ويتوقَّف في منزله القادمون بغرض التجارة. وكان الدلَّال يُعَدُّ شخصيةً لا يُعْتَدَى عليها، وكانت إيماءَاتُه- تلويحه بالثياب- تُوْقِفُ القِتَال. مع ذلك فإنّه مِنْ حيثُ الوضعُ الاجتماعي ينتمي إلى فئات المجتمع الدنيا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

في المجتمعات التقليدية لا يمكن دائمًا رسم حدود واضحة بين القيم الأخلاقية، الموجَّهة إلى عضو الجماعة الاجتماعيّة أو الفرد. والدين الإسلامي يتوجَّه إلى شخصية كلِّ عضو في جماعة المسلمين (الأمة)، مقدِّرًا أفعاله في هذه الحياة، ويَعِدُهُ عليْهَا الثَّوَابَ بعدَ الموت.

وخلافًا للسلوك الخارجيِّ الذي ينظِّمُه الفِقْه، فإنّ مسائلَ العقيدة، وأخلاقَ المسلم وضميرَه قد رسمتْها الشريعة، أي القرآن والسنة [١٨٦ ص٥٥]، ويمكنُ أنْ يُضَافَ إليهما مَفْهُومَا الاجتهادِ والقياسِ.

تسود في حضرموت القوانين الإسلامية كأحكامٍ للمذهب الشافعي. ومن ميزته أكثر ممَّا لدى أي اتِّجاه ديني آخر للسنة، غيابُ النموذَجِ الواحد: حتى أنَّ مؤسِّسَ المذهبِ محمَّدَ بْنَ إدريْسٍ الشَّافِعِيَّ قدْ أفصحَ في كثير من المسائل بآراء مُتَضَارِبَة [٢٤٢ ص٤]. وغرست المدرسةُ بذرةَ مَبْدَأَيْنِ مَنْطِقِيَّيْنِ:

١- استخلاص الأسس الشرعية (تخريج الوجوه).

٢- الاجتهاد المطلق.

وفي الجنوب العربي كان لها تأثيرُها على المنظومة المتطوِّرة للعُرْفِ والعَادَةِ [٢٤١ ص٦]. وكان تأثيرُ العُرْفِ الخاصِّ مُحَدَّدًا جغرافيًا واجتماعيًا، أيْ أنه بالنسبة لحضرموت، ولكلِّ طبقة من طبقاتها على انفراد، أُقِرَّت التقاليد الخاصة، ورُغْمَ أنَّ جميع الشخصيّات الدينيّة لم تَسْتَحْسِنْهَا، فإنّه لم يُلاحَظْ تضاربٌ جَادٌّ بين فروض الدِّين وأحكامِ العُرْف. وهذا لمْ يمنع الصوفيِّين والفقهاء، المحافظين والعصريِّين، من اتِّهام نُظَرَائِهِمْ باستمرار بالانحراف عن الإسلام الصحيح.

إن منظومة القِيَمِ الأخلاقية للحضارة، قد بُـنِـيَـتْ على أُسُس، هي عامَّةٌ بالنسبة للشرق الأوسط، وقد كتبتُ عن ذلك بمقتضى الأخلاق العربية والسلوك الرَّمْزِي [١٧٢؛ ١٧٤ ص١٢٩-١٣٨]. وبالنسبة لجنوب الجزيرة العربية فهي:

١- الـمُـرُوَّة.

٢- القَبْوَلَة.

٣- الدِّيْن، أيْ:

أ- خصوصية الرَّجُلِ الحقيقيِّ (المروّة، رحابة الصدر، الشهامة، الجود، الاعتزاز بالذات، الأفضلية).

ب- الولاء للقبيلة (لمبادئ التعاون المتبادل والتبعية المتبادلة والشرف الاجتماعي والقبلي).

ج- نظام السلوك، الحائز على التقدير الديني.

والكثير من أوضاع كلِّ واحدٍ من المبادئ الثلاثة تتعارضُ مع أحكام المبدأَيْنِ الآخرَيْنِ. وهنا يجري سَرْدُهَا تصاعديًا: قواعد خاصة بالشخصية، إرشادات لعُضْوِ الجماعات الأسرية، العشائرية، فرائض المؤمن من الجماعة الإسلامية، التي يتحمَّل مسؤوليّةَ تَـبِـعَـاتِـهَـا شخصيًّا. وبِـصَرْفِ النَّـظَرِ عن تحديدِ سُلُـوْكِ الشخصيَّـة في المجتمع التقليْدِيِّ، فإنَّ الأمر في نهاية المطاف مرتبطٌ بالإنسان نفسِه، وأيِّ طريقٍ يختارُ، وكيف يتصرَّفُ؟ وما هو المبدأ الذي يفضِّله؟.

وقد تحدَّثتْ دراسة ب. ب بورغوريسكي عن بعض السلوكيَّات الدارجة للحضارمة [١٦٥]. أما عن الفلكلور الشعريِّ والرَّقْصِ والغناء من القواعد التنظيمية والإنسانية فيتحدَّث الفصل القادم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إن العقيدة أو النظرة للعالم، مثلُها مِثْلُ التَّرابُطِ الكُلِّيِّ للحياة المتنوِّعة، تتشكَّل لدى الشخصية منذُ الطفولة خلالَ العمليّة الاجتماعيّة. وتنعكِسُ القوانين المنظِّمة للنسب والزواج في المنظومة الحضرمية لمفاهيم النسب والسمات، التي تعبِّر عن نظام صِلَاتِ النَّسَب. والمنظومة المحليّة أَقْرَبُ إلى التقليدية العربية، لكنَّها حافظتْ على بعض المصطلحات العربية الجنوبية على سبيل المثال واد (ولد).

وتعرَّضتْ مراسيمُ التحوُّل للتوحيد الإسلامي في حضرموت الغربية أكثرَ ممَّا في الشرقية. والصراع الذي خاضَهُ المحافِظُون والمجدِّدُون العصريُّون ضِدَّ الطُّقُوْسِ المُكْلِفَةِ والزَّائدة، قد بَسَّطَ بعضَ العادات (خاصة الزواج) مُبْقِيًا في بعض الحالات على الحدود الدنيا فقط للمراسيم الثابتة.

إن تحليل المعلومات الاستبيانية يبيِّن تميُّزَ الزواج الداخلي بالنسبة لحضرموت، كما للوطن العربي، وضمنه غير قليل من الزواج الخارجي. وتؤكِّد المعطيات المحلية عن الأسر الأُخَوِيَّة الموحَّدة فرضيَّة المؤلف عن أنه خاصة في هذا الشكل من الأسر ينبغي تتَّبع منابعَ منشأ الزواج الخارجي. إنّ النسبة العالية للأسر المنفصلة (٥٠.٧٪). ونسبة الأسر غير المكتملة (٢٠.٧٪) توضِّحها الهجرة الكبيرة للرجال القادرين على العمل، وهو ما ينعكس أيضًا على التركيب الجنسي للسكان. وبالنسبة للكثير من الأسر (أكثر من سبعة أشخاص) فإن نسبة الزواج داخل جماعة القرابة الأسرية كبيرة بشكل خاص (٦٤.١٪). ويعد الزواج الداخلي قاعدة، والاستثناء منه يرتبط بادِّعاءات البَعْلِ في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أراضي النُسَبَاء بالمصاهرة. ومرَّةً أخرى تؤكِّد معالجة المعلومات الاستبيانية عدم صلاحية تناقُضِ أشكال الأسرة المنفصلة وغير المنفصلة؛ لأن ذلك جميعَه يمثِّل مراحل مختلفة فقط للدَّورة الواحدة (الأسرة المنفصلة- الأبوية الموحدة- الأخوية الموحدة- المنفصلة).

إن القوانين المنظمة للمِلْكِيَّةِ في حضرموت قد أُسِّسَت على الترابُطِ الذي لا تنفصِمُ عُرَاهُ بين الأرض واستخدام المياه (كما في جميع الوطن العربي) والأدوار الخاصة للري بواسطة السيول، الذي يسمح بتنظيم العلاقات داخل الجماعة المتجاورة دونَ آليَّةِ القُوَّة. وارتباطًا بذلك تَبْرُزُ الوظائف الاجتماعيّة الخصوصية لحضرموت الغربية: المُلِمُّ بالعادات ومنظِّم أعمال السقي (الخيّال). إنّ الاحتياطاتِ المائيةَ المحدودةَ في غرب حضرموت وانعدامَ الموادِّ الإضافية الدائمة قد جعلتْ دورَ الخيّال مُحَايِدًا سِيَاسِيًّا، فهو لا يستطيعُ أنْ يُغَيِّرَ نظامَ السَّقْي، ويقومُ فقط بالتحقُّقِ إلى أيِّ مَدًى يوافقُ التطبيقُ العادةَ. كما أنَّ الهيئة البيروقراطية عديمةَ الجَدْوَى (اللجنة الزراعية) ليستْ مسؤولةً أمام المزارعين، وليس بمقدورها أنْ تحلَّ محلَّ الخيّال. وفي خارج المنطقة فإنَّ الدورَ الاجتماعيَّ المماثل للسَّقْي بالسيول لا وُجُودَ له (على سبيل المثال، في القطن، حيثُ يسودُ السَّقْيُ بالآبار).

كما أنَّ اتِّجاهَ التَّكامُلِ للجماعة المتجاورة قدْ جابهتْه القُوَّةُ المركزية النابذة للأنظمة القبلية. وكان نظام الحماية بالقوة (الشراحة) المفروض على المزارعين من قبل القبائل، يمكنُ أنْ يحوِّلَ الملكياتِ الخاصَّةَ للأرض إلى أراضٍ محفوظة نسبيًا، لكنْ حالتْ دون ذلك العاداتُ المحليّة الأخرى (على سبيل المثال، الرفقة) والإجراءات التي وضعتْها الإدارة البريطانية لنهاية العملية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لقدْ رفعتِ الأسواقُ والتجارةُ في أثناء الزيارات من مستوى بضاعة الاقتصاد الحضرمي. وكانت العلاقات الاقتصادية للقبائل (ولكلِّ المجتمع)، وفي كثير من الأحوال، تحت إشراف الوسطاء- الدلَّالين- بين القبائل وسكان المجتمعات الحِرَفِيّة – التجارية.

إنَّ مظاهر نظام الإنتاج الاجتماعي في حضرموت الغربية قد ذَابَ بدرجة كبيرة في الجوانب التنظيمية، أو أجزاء منها بصورة غير كافية.

وما يميِّزُ العربية الجنوبية أنَّ المنظومة المتطوِّرة لِلْعُرْفِ والعادات تُقَاسُ في حضرموت مع المذهب الشافعي للإسلام، وقدْ قامتْ على أسس المبادئ العامَّة للشرق الأوسط، وهي تشكِّل مع التصحيح بالنسبة لمنطقتنا هكذا:

١- الـمُرُوَّة ٢- القَـبْـوَلَـة ٣- الدِّيْـن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

الفصل الثاني

النقل وإعادة الإنتاج

التراث الروحي: النقل وإعادة الإنتاج

سبق الحديث عن ترابط التقاليد الشفوية والمكتوبة. وبالنسبة للحضارمة، حيث يشكل المتعلِّمون أقليَّةً بينهم، فقد كانت التقاليد الشفوية هي الآلية الرئيسة لنقل إنتاج الإرث الروحي وإعادته، ومع ذلك فإنَّها لا تنفصل في الواقع عن المكتوبة. ويتجلَّى تأثيرهما المتبادل في علم تدوين التاريخ، وعلم الفقه (اقتران التشريع الفقهي والعرف غير المقنَّن). وفي كثير من الجوانب القياسية الاجتماعيّة للثقافة. وتعودُ منابعُ ذلك التأثير المتبادل على الأرجح، إلى ذلك الزمن عندما كانت الكلمة الشفوية للإلهام والإنصاف تحتاج إلى صيغة ثابتة لحفظها كتابيًّا. وليس عَـبَـثًا أنَّ المعاملاتِ المتَّـفَقَ عليها حتى في الوسط البدوي في حضرموت تثبت ليس فقط شفويًا وإنما أيضًا بصورة مكتوبة "بينهم وثر ووثائق" (بينهم اتفاق كتابي).

والـمُجَسِّد لِكِلَا التقليدَيْنِ هو الشاعر الحضرمي. ويوجد أسلوبان لنَظْمِ الشعر: أدبي (حكمي)، وشعبي (حُميني)، أي مكتوب وشفوي، شعبي. وفي الواقع فإن أي

شاعر في حضرموت، اتجه إلى الأسلوب الحكمي، لم يكتب بلغة أدبية نظيفة، واستخدم تراكيب الكلام وأشكال القواعد المبسطة الأقرب إلى اللهجة المحلية.

وعلى وجه التقريب فإن جميع الشعراء المحليِّين قد زَاوَجُوا في إبداعاتهم كلا الأسلوبَيْنِ، ارتباطًا بالنوع. وقدْ حدَّدَ عبدالله بن محمد بن حامد السقاف، مؤلف "تاريخ الشعراء الحضرميّين"، مهمَّتَه فقط بالشعر الأدبي، ولم يهتمّ تقريبًا بالشعر الشعبي "بسبب ضِيْقِ محليَّـتِـه" [١٨١ م١ ص٣].

ينبغي أنْ يمتلك الشاعر موهبةَ البداهة (الارتجال)، والردّ ببساطة على هجمات أنْدَادِهِ في الحالة الشعرية، ويجبُ أنْ تكون ذاكرتُـهُ واسعةً ومدرَّبة. وأن تتواءَمُ جميعُ سِمَاتِ التقليد الشفوية هذه مع خبرات الكلمة المكتوبة. حتى وإنْ كان الشاعرُ غيرَ متعلِّمٍ، ففي اللقاءات الشعرية (جلسة، سمر) يُـوجَدُ دائمًا الكاتب والملقِّن، الذي يُـلقِّنُ الـمُـغَـنِّـيَ النصَّ الذي نظمَه الشاعرُ لِـلتَّـوِّ. وفي أثناء الارتجال يتعاظَمُ للغاية الثقلُ النوعيُّ للكليشة، الإطناب، الاستشهادات الواضحة والغامضة.

النصُّ الـمُرتَجَلُ المسموع، إمَّا أنْ يُلْقِيَه المؤلِّف، أو باسم المؤلف (الراوي، المغنِّي). ومثل هذا النص يُؤلَّف دائمًا مع الأخذ بالحسبان نتيجة المباغتة. وينبغي أنْ يضحكَ المستمعون للنكتة، ويستحسنون بصوتٍ عالٍ الموعظة الأخلاقية، وتخمين جوقة الغناء للإمساك بالقافية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

خلافًا للأدوار الاجتماعيّة، التي تمتلك في حضرموت الغربية رابطًا طبقيًا واضحًا (الدلال، العازف على الآلات الموسيقية، الراقصة المشترحة)، فإنَّ الشعراء يُوْجَدُونَ في جميع الفئات الاجتماعيّة التقليدية من الأدنى إلى الأعلى.

يُقَدَّرُ الشاعر، بِـقَـدْرِ موهبته الكبيرة، ويُـوجَدُ "الشاعر العظيم"، ويوجد ببساطة "شاعر"، كما أنَّ هناك أيضًا "شُويعرًا". ويُسَمَّى تصغيرًا، وهو ذلك الذي يقرضُ الشعرَ من حينٍ إلى حين. وفي حضرموت لم يوضع حدٌّ بصورة نهائية للمفهوم السائد الذي بموجبه أنَّ هناك أصواتًا تَسْتَـنْـطِقُ الشاعر – أما الشياطين [القرآن الكريم ٢٦: ٢٢١-٢٢٤]، أو "الروح الأمين" [القرآن الكريم ٢٦:١٩٣، ٢٢٧]. وما زال الشاعر يتنبَّأ، أيْ أنَّه يعرف الماضي والحاضر.

إنَّ مصدر الإلهام لإبداع الشاعر، يتجسَّد في التقاليد العربية الجنوبية على هيئة الحليلة، آلهة الشعر المحلية. وزوجها المتجسِّد بالهاجس. وإليه بالذات تتمُّ الاستشهادات المألوفة في الأشعار الحضرمية "يا هاجسي عهدي إلَّا بك بدي" [انظر لاحقا: فقرة٣ رقم٣١/ ٣].

وكلا شخصيتي الإلهام تُعَدَّانِ "شيطان الشعر"، أمَّا ما يتعلق بـ"الروح الأمين" فإنَّ العادات لا تتحدَّثُ عنْها. والكلمات التي يُلْقِـيْـهَا الشاعر تكون أحيانًا مُـبْهَمَةً من حيثُ الفكرة، وغريبةً من حيث الشكل، لكنْ لابُدَّ من إعطاء اهتمامٍ لها؛ لأنها قد تحتوي على الفأل. والفأل هو موهبة وضوح الرؤية التي يتضمَّنها الشعر. ويمكن أنْ يمتلكها

الشاعر بدرجة كبيرة أو صغيرة، وزيادة على ذلك فإنَّ الفأل يمكن أنْ يكون "جيّدًا" (التنبؤ بالسعادة والنجاح) و"سيّـئًا" (تكهُّنات غير مناسبة). وكانوا يتخوَّفون من الشعراء ذوي "الفأل السيِّء"، ويتزلَّـفُون إليهم ويمقتونهم كذلك. وكان المنقص واحدًا من الشعراء في حضرموت الغربية الذين تنبَّـأُوا بالحوادث غير السعيدة [الفقرة ٣ الرقم٢٤].

ينبغي أن تمتلك كلُّ جماعة ذاتُ قرابة أسرية شاعرها. فلا يمكن الاستغناء عنه في طقوس دورة الحياة [انظر أعلاه: ف١ فقرة١]. وفي الزواج يُسْتَدْعَى عددٌ من الشعراء، وخلال مبارياتهم ينتظرُ كلُّ واحدٍ من شاعره سرعةَ البديهةِ، والكلماتِ القويّةَ، الأكثرَ حِدَّة. ويمكن طلبُ الأشعارِ الجانبية، وإنْ كان هذا الأمرُ غيرَ مريح دائمًا.

وما تزالُ تقاليدُ الزَّاملِ حيَّـةً حتى اليوم، وهو نصٌّ شعريٌّ قصيرٌ ومسجوع، يؤلَّف بمناسبة حدثٍ خاصٍّ، وتردِّدُهُ المجموعة بصوتٍ جماعي [انظر لاحقا الفقرة ٣ الأرقام ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٥-٣٧]. وكان الشاعر ينظِّمُ الأغاني الخاصة بالزواج (الشبواني)، وبالقنص، وأناشيد استسقاء المطر، وأغاني العمل (على سبيل المثال، أناشيد النورة) [الفقرة٣٣، ١٤].

تُؤدِّي الأغاني غالبًا غيرَ مصاحبةٍ للآلاتِ الموسيقية، وعلى أنغام المزمار (ناي مزدوج)، والمدروف (ناي بخمس فتحات)، ودف كبير وصغير، والطبول- الأفقي الكبير (حجير- حواجير) والأفقي المتوسط (مروس- مراوس)، والعمودي الصغير (مصدع- مصادع، مطرق- مطارق)، ويستخدم كذلك صنف الطبل العربي الفخاري الرنَّان، الدربوجة (إيقاع) [انظر الرسم ٢٧].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

بيد أنَّ مركزَ الفنِّ الموسيقيِّ يقعُ خارجَ حضرموت الغربية في سيئون والحوطة، وغيرهما من مدن الوادي الرئيس، حيث يزدهرُ نوعُ الدَّان: يغنِّي الـمُنْشِدُون الكلماتِ ذاتَها التي يرتجلُها الشعراء. والدَّان المشهور وجداني وعاطفي وساخر. وقد كرَّس الباحثون المحليُّون مؤلفاتٍ لهذا الفن، وللمُبْدِعِيْنَ فيه سعيد مبارك مرزوق، ومستور حمادي [٢٦؛ ٣٧].

وللشعر النسائيَّ دَوْرُهُ الكبيرُ في حضرموت. وفي غرب حضرموت تشتهرُ الشاعرة فاطمة العمودي، التي عاشتْ قبل نحو أربعة قرون خلَتْ في وادي عَمْد، وقد أعطى جعفر السقاف شعرَ المرأة مكانةً مهمَّةً في دراسته عن الغناء والرقص الفلكلوري في حضرموت [١٨٣ ص١٤-١٥، ٨٥-١٢٣].

إنَّ وظيفة الشاعر هي حفظ ونقل التقاليد: القيم الأخلاقية (فن الموعظة-النصائح). والمعارف المكتنزة (قصائد الفهرس)، والاعتزاز بالشعور القبلي والاجتماعي (فن الفخر "عزوة" وفن الهجاء) [انظر لاحقًا نماذج هذه الفنون، الفقرة٣].

والشاعر محفِّزٌ ومنظِّمٌ للخلافات الاجتماعيّة. وكانت معرفةُ أهمِّ الأشكال الشعرية الرئيسة، ومهاراتِ الإبداع الشعري ضروريةً للنَّجَاحِ في تحقيق الكثير من الأدوار الاجتماعيّة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(*)

١ - أبو عامر

رقم (١)	
١-	قال أبو عامر رفيع النفس ماجي للربيع
٢-	ماجي مرة صاحب ولاخون الأمانة في الوضيع
٣-	والله ثم والله ورب العرش واللي حل البقيع[١]
٤-	إنها تلاوجنا وأني كما ون الوجيع
٥-	لاطاعة الحرمة فالرجال يغلب ما يطيع
رقم (٢)	
١-	قال أبو عامر في أني ما بيدي تمنيت شر
٢-	ألا نهار الصلخبي[٢] ياريت أبو عامر حضر
٣-	يحضر بكدر الرأس[٣] والآرمح ما قرى بشر

(*) التزمت في ترجمة النصوص الفلكلورية، كما وردت تعابيرها بالرموز الصوتية باللغة الانجليزية، وهي التي استند عليها المؤلف. (المترجم)

١ - البقيع: كنية المدينة المنورة، أي أن الشاعر يقسم بالنبي محمد ﷺ.

٢ - معركة عند قرية في وادي الكسر قُتل فيها أحد أقرباء الشاعر.

٣ - استعارة ثابتة لمقبض الجنبية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رقم (٣)	
١-	يقول أبو عامر خيار العلم قولت ما دريت
٢-	إن شفت شيء ما قول شيء
٣-	وإن حد حكا لي ما حكيت
رقم (٤)	
١-	يقول أبو عامر ناشدتوني ولا عندي صفات
٢-	ما ينقطع رزق حي
٣-	سوى من تجدد كفنه ومات
رقم (٥)	
١-	يقول أبو عامر من العواء إلى السماك[١]
٢-	ما تسمع الداعي من المناك[٢]

التعليق:

ينسب هذا الشعر إلى الشاعر الأسطوري أبو عامر، الذي ينحدر حسب الروايات المحلية من قبيلة بني هلال، ويُسمَّى موطنه هينن (وادي الكسر)، ويعتقد أنه عاش منذ ألف عام خلتْ، وكقاعدة عامة لا يُورِدُ المهتمُّون بالأدب العربي أيَّةَ معلوماتٍ عن السيرة الذاتية لهذا الشاعر [٢٥٢ ص٣٧٣؛١٧٥ص٣٨]. ولذلك فإنَّ الإشارات

١ - يقصد به موسم الحر ٢-١٤ إبريل (العواء)، ومن ١٥-١٧إبريل (السماك).

٢ - المناك: عقدة الري.

النادرة عن المسائل الحياتية (النص رقم ٢) تستحق الاهتمام. والنص رقم (٣) مشهور جدًا في حضرموت. والنص رقم (٤) موعظة أبي عامر ترتبط بإحدى الهيصميات (نهاية القرن ١٨م)، التي أوصتْ بأرضها القريبة من شبام "لأولئك الذين انقطعتْ بهم سبل الحياة". وقد ضُمَّتْ قطعة أرض الهيصمية إلى المقبرة التي تقعُ غَرْبَ المدينة. والنص رقم (٥) أحد الأبيات الزراعية الكثيرة التي تُنسب لمؤلِّفها أبو عامر، أو الحميد ولد منصور [انظر لاحقًا]، أو الشاعر علي بن زايد - شمال اليمن [٣ ص١٩-٢١].

٢- الحميد ولد منصور

رقم (٦)	
١-	قال الحميد ولد منصور ما في الكسل شيء نفاعه
٢-	إن الكسل يورث الهم والجوع في كل ساعه
٣-	بداع في اثنتين حراجوعبد ملوي ذراعه
٤-	وإلا جمالات تهدر فجعتها كل ساعه
٥-	وإلا لقي فرقة الضَّأن الأَّ سمن كبش باعه
٦-	وإلا لقي حرمه أصيله تجوعه في الشباعه
٧-	وتقول هذا لذحِّين وذاك يقعد لساعة
رقم (٧)	
١-	قال الحميد ولد منصور الفقر ضياع لنساب
٢-	أمسيت من فقر ليلة زاني وسارق وكذاب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رقم (٨)	
١-	قال الحميد ولد منصور شو بور لهلي محله
٢-	غادرت لا قرية الرداع من شأن قومي مذله
رقم (٩)	
١-	قال الحميد ولد منصور يا ماطري من كناني
٢-	سلمت من حيث أنا خيف وقتلت من حيث أماني
رقم (١٠)	
١-	قال الحميد ولد منصور الموت في غرغري دار
٢-	بعدي كيف تلقون في الضيف والصهر والجار
٣-	للضيف نذبح ونقدح نلقي من حيث يختار
٤-	والصهر منا ولينا قسيم في المال والدار
٥-	والجار يخطى علينا ليس نخطي عل الجار

التعليق:

من النصوص الخمسة التي أوردناها ثلاثة منها (أرقام ٦، ٩، ١٠) تتشابه للغاية مع أشعار علي بن زايد من شمال اليمن [٣ ص٦٦]. رقم (٦) تتطابق جزئيًا وقافية مشتركة مع الرقم ١٦٤ (وفقًا لمؤلف أ.أغاريشيف)، والرقم (٩) قريب من الرقم ٨٨، والرقم (١٠) يتقارب مع الرقم ١٥٥ [٣ ص٩٨، ١٢٠، ٧٧، ١٠٨، ٨٧، ٢١، ٢٤]. والنص

رقم (٧) حيث التأكيد أن الفقر يؤدِّي إلى فقدان الشرف، يتجاوب مع الأبيات التي يتجادل فيها الحميد مع علي بن زايد، مُصِرًّا على أنَّ المال خيرٌ من الجاه [٣ ص٨٥].

وتصوِّر الروايات اليمنية الشمالية الحميد بن منصور (الحميد ولد منصور) كمعاصر ومنافس لعلي بن زايد، وتذكرُ مكانَ وفاته قرية المغرب، الواقعة إلى الشمال من صنعاء. وكتب أغاريشيف: يذكر اسم ابن منصور مرارًا في الأشعار، وكأنه كما يزعمون شخصية موجودة في الواقع. وقد روى المتحدِّثون أن الحميد بن منصور كان صديقًا لعلي بن زايد وشاعرًا أيضًا. وقد خاض الصديقان جدلًا لا نهاية له. إحدى الرباعيات (رقم ١٠٣) "رثاء في وفاة الحميد ابن منصور". ويعتقد جامع الأشعار أنهما عاشا، على الأرجح، في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي [٣ ص٤١].

وفي الروايات الحضرمية لا وجود لرأيٍ مُـوحَّـدٍ عن زمن حياة الحميد ولد منصور وأصله [٢٥٢ ص٥٠]. وفي هذا الصدد يقول علي بن أحمد العطاس إنَّ الشاعر ينتمي إلى بني سهل أو بني سعد بن هلال، الذين اشتهروا منذ القِدَمِ بشعرائهم، وقد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي. في ما يؤكِّدُ بو بشر أنَّ الشاعر كان من عشيرة باجري، وكان زمن حياته أواسطَ القرن الثامن عشر الميلادي. ومن النص رقم (٨) يمكن الاستنتاج أن بور في حضرموت كانت موطن الشاعر. ويجمع المتحدِّثون على أن تلك هي (بور الشرقية)، أي القرية الواقعة في الوادي الرئيس بين مدينتي تريم وسيئون. وفي ما بعد انتقل الشاعر إلى رَدَاع في شمال اليمن، من جرَّاء إذلال الأقرباء. وعن أسباب هذا الإذلال تُورَدُ إيماءات في النص رقم (٩) [للمقارنة، أغارشيف، رقم ٨٨، ٢١]، ويعتقد المتحدِّثون أنَّ الباعث لذلك هو حَمْلُ ابنة الشاعر غير المتزوِّجة. ولا يزيد عدد النتاجات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المنسوبة إلى الحميد أو المتبقِّية في الروايات الشفوية في حضرموت الغربية عن بضع عشرات من الأشعار القصيرة.

والحميد بن منصور أكثر شهرة في شمال اليمن، من علي بن زايد في حضرموت: لم يستطعْ أحد من الذين تحدَّثوا إلينا أن يروي من الذاكرة أشعار الأخير، ولم يكن حتى اسمه معروفًا للغالبية، وبصرف النظر عن ذلك فإن أشعار الحميد وعلي بن زايد تتمتَّع بوحدة ملحوظة، وترتقي على الأرجح إلى مصدر عام. ويظلُّ السؤالُ مطروحًا حول صفتهما الجوهرية. وكما يحدُثُ دائمًا في شعر الجنوب العربي، كلما كانت الأشعار الشفوية شائعة أكثر ،كلَّما كانت شخصية مؤلِّفها الشكلي نسبية أكثر، ورابطة النصوص أكثر ضعفًا بالنسبة إلى الشخصية المحدّدة. وعلى أية حال فإن "ثنائية التأليف" للنماذج المشهورة من الأبيات الشعرية الشفوية الواردة أعلاه، تؤكِّد مرَّةً أخرى وجود روابط ثقافية قوية بين حضرموت وشمال اليمن.

وقد طرح أدباءُ وكُتَّاب اليمن المشكلة حول نسب أشعار الحميد (علي بن زايد) [١٩ ص٧٣-٨٤]، وأشار عبدالله البردوني أنَّ كلا الشاعرَيْنِ قد وجدا حقيقةً، مُوضِحًا أن الثنائية المتماثلة في إبداعهما من أخطاء الناقلين [١ ص١٤].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٣- علي بن حسن العطاس

رقم (١١)

يا معرب الصوت مثل الصوت صوتك مليح	١
نغمتك حلوة ونطقك من لسانك فصيح	
والصوت لا طابق المعنا دوا للجريح	
وان ما توافق غدا مثل العسل في سفيح	
ما حبّنا للغنى وذي دوامة ذليح	٥
أذكر به اذكار فيها أفكار معنى رويح	
يوم الندا من قدا المبدأ لنا بالصريح	
ما همنا بهجة الدنيا الغرور القبيح	
ذي ما تساوي جملها للبعوضة جنيح	
والزين والشين كلن من جفاها يصيح	١٠
ومن غبطه لقيتة قيم يضبح ضبيح	
على المزاهز مجاهد مثل شاة الرضيح	
وتاليتها محاشر والمحاشر تسبيح	
والمال قد مال وأهله في المقابر سبيح	
ماهي على شيء ولا من يتجرها ربيح	١٥
فقل لمن خل في قولي بعنقه مشيح	
أين الذي ثور الغيوار ذي هو فسيح	

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بناه بالجص والياجور ينقح نقيح	
وألقا مباني قوية في قواها رقيح	
تحيّر القلب لقلب حين فيها يميح	٢٠
يا حصن ريبون خبرنا بعلم الصحيح	
هات أعطنا علم سكانك لقلبي يريح	
قال أعتلانا من السكان كم من صبيح	
وقوم نذاخ ما هو في المعاني شحيح	
أهل السلب والنسب والديولة والنقيح	٢٥
والخيل والرجل صيح الحرب دوبه يصيح	
وكم حسينة جمال الزين فيها وضيح	
أعيانها تقتل الناظر ويمسي طريح	
من طيبها المسك والكافور ينفح نفيح	
وعادنا اعلمك ياسيّد عليّ بالصحيح	٣٠
عن عاد ذي عادوا الله وأدبروا بالنصيح	
كفروا بنعمته وأهلكم بصرصر وريح	
أرسل عليهم رياح النار تلفح لفيح	
قامت عليهم قيامة في غببها تفيح	
راحوا فجا قط ما واحد قبر في ضريح	٣٥
في وقت قادم يعيد العد فيه سبيح	

من قبل صالح وموسى والخضر والمسيح	
ذا علمهم قد شرحنا لك بيانه شريح	
وانظر إلى أثارهم ذي ما عليهم مديح	
من سوح سدبة إلى الهجرين فيها تسيح	٤٠
كم ذا تفاصيل في المغنى وكم ذا قديح	
زغرت علىّ القوافي موجها له لديح	
من بحر طامى على صيفه جواهر جديح	
تذكير للمعتبر والمذكر والسنيح	
والسر مكنون يا ساجي النظر ما يبيح	٤٥
رقم (١٢) (قصيدة رقم٢)	
يا ناس من سار في ريبون شاف العجب	١
فيها مباني قوية من نظرها اشتغب	
واكثر إليها النظر واربع وثلّث وغب	
والحاصل انه يحيرك أمرهم في طرب	
على الحجر يقطعونه مثل قطيع الكرب	٥
حكّمه بانيهم الصانع وفيه الشلب	
أما نقش فيه والّاقط والّا كتب	
حقيق ذولاك ما يقاتلهم الّا غضب	

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كم سرت في الأرض ماشي مثلهم في الترب	
وطني أنها مدينة الأرض في ذا الجنب	١٠
شبام شارع ودونه سواقيها والخبب	
إن بيرها عشرة اذرع ذي حفرها نقب	
وحصنها حيد شامخ في وسطها انتصب	
قلبي وحل كيف مبناه القوى اخترب	
سبحانه رب البرايا خير مالك ورب	١٥
سبحانه المبدي المعدم ومحي الترب	
قد صب مخلوق من بزقه بقدرته صب	
والآن أنا مفتكر عندي بوادي شغب	
قلبي يخاطب لسان الحال حلو الحطب	
وينشد انشاد منها من نجب	٢٠
ويعتني في عناها من تقرّب وحب	
يا حصن ريبون خبرنا بعلم العرب	
وهات لي من عجايب وقسّهم ذي عزب	
ذي خيموا فيك يوم الديولة والطنب	
وكيف حادقهم الشيبة ومن كان شب	٢٥
وراعي السرج والشاوي ومولى القتب	
واهل القناصات ذي هم يتبعون الغنب	

وأهل الحراثات بالثيران صفر العصب	
كم رأس فيهم بعيد النو ما هو ذنب	
يسخا بماله ويرقى عاليات الرتب	٣٠
والبيض ذي كنهن بين المباني قلب	
ملاح لوصاف ما يوجد كماهن ولب	
غوالي الوصل كم عاشق تلف وانقطب	
كيف الخبر في هليكتهم وكيف السبب	
قال انهم عمروا الدنيا بطول الرغب	٣٥
وفاش فيها خصيب والخصب والخير شب	
وجاهم الناصح الداعي إلى الله ولب	
عصوه واقصوه والقوا فيه فعل العطب	
عاقبهم الله بصرصر قطعتهم خبب	
كم حصن عالي تدامر فوقهم وانتكب	٤٠
صلم البنا كامل القوة وفيه الورب	
كم كابدوا في حكم بنيانها من نصب	
أمست خرابة كما رّبك كتب	
من شافها في ظلال الليل منها هرب	
كم ذا عبرات في الدنيا وكم ذا عجب	٤٥

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

التعليق:

السيد علي بن حسن بن عبدالله بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن العطاس (١١٢٢هـ/ ١٧١٠م- ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م)، مؤسِّس الحوطة المقدَّسة إلى الشمال من وادي دوعن، ومعروف كشاعر [٢٥٢ ص٦٥]. وكُنْتُ في عام ١٩٨٣م قد سمعْتُ قصيدتَـيْـه، اللَّتَيْنِ تصفان أطلالَ ريبون القديمة وخرائبَها، من خلفه علي بن أحمد بن حسن العطاس منصب في وادي عَمْد، أي القائم على رعاية الحوطة، التي شيَّدها هناك في مطلع القرن السابع عشر جدّ الجد عمر بن عبدالرحمن. وكانت النصوص قد قورنت بالمخطوطات المحفوظة لدى أسرة المنصب [٨، ل، ٥-٩] [النسخة رقم ١٣٠٢/ ٨٤-١٨٨٥م].

وتفسيرًا للشعر عن زيارات المشهد تحدَّث منصب حريضة، والقائم على حوطة المشهد ذاته- علي بن عبدالله العطاس (أكثر من ٧٠ عامًا)، وكانت الأحاديث مع الأخير قد تواصلتْ خلال موسم ١٩٨٥م. وقدَّم لنا المساعدة الكبيرة عند ترجمة قصائد مؤسِّس المشهد، وبشكلٍ عامٍّ عند جمع موادِّ الروايات الشعرية في حضرموت الغربية، عبدُالعزيز جعفر بن عقيل، الباحثُ في المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف.

من الوهلة الأولى فإنَّ كلا القصيدتَيْنِ المكرَّستَيْنِ لريبون تقليديَّـتان تمامًا. وبغضِّ النظر عن اللهجة المحلية، فإنهما تنتميان إلى الروايات الأدبية المكتوبة وتتطرَّقان لموضوعٍ معروف جدًّا في الشعر العربي، التفكير بعدم جدوى حياة الدنيا الباطلة، التي تبدو لعابر السبيل من خلال مناظر خرائب البنايات الضخمة في الأزمنة الغابرة. ومع ذلك فإنَّ شاعرنا، وبعيدًا عن التمارين الأدبية الشكلية، يتَـتَبَّـعُ هدفًا مُـحَـدَّدًا.

إنَّ أوصاف أطلال المدينة على قِـلَّـتِـها الملحوظة (القصيدة الأولى: الأسطر ١٧- ١٩، ٣٨- ٤٠، القصيدة الثانية: الأسطر ١- ١٤، ٤٠- ٤٤). تشيرُ إلى حجم البئر في الأذرع (٢:٢٢)، والتُّـخُوم التقريـبية لمجموعات البلدات الريفيَّة من سِدْبِه (قرية إلى الجنوب الشرقي لوادي الكسر، سُـمِّـيَـتْ على خارطة فون ويسمان "البلد")، وإلى الهجرين (بلدة كبيرة إلى الجنوب من سدبه في وادي دوعن (١:٤٠). ويذكر في الشعر "الغيوار" (١:١٧) الجبل القريب من المشهد- يُـعَـدُّ هنا مرادفًا لريبون.

وتتحدَّث القصيدتان كثيرًا عن التركيب الاجتماعي للسكَّان في ريبون (١:٢٣- ٢٩، ٢٢.٢ – ٢٣)، وذلك بمفاهيم معروفة لمعاصري الشاعر. الغريب بعض الشيء لأول وهلة، الشعر عن القناصين (٢٧.٢)وربما لإيضاح الطريقة القديمة للقنص: مطاردة الظباء حتى تضعف وتستلقي على الأرض [٢٦٥ ص٢].

وفي تصويره العواقب الوخيمة التي تلحق بأولئك الذين يخالفون إرادة الله، يتَّجه مؤسِّس المشهد بوضوح إلى سكَّان البلدات المجاورة. وينبغي أنْ تقيَ أطلالُ المدينة الزاهرة في الزمن الغابر، الواقعةُ بجانب الحوطة الجديدة، السكَّانَ المحليِّين من وساوس الإخلال بوضعها المقدَّس. وتخدم القصيدتان ذلك الهدف: إعطاء الشكل القديم مضمونًا جديدًا.

واستنادًا إلى القصص الأسرية قال منصب حريضة: "وجَّهَ أهلُ علي بن حسن إليه سؤالًا: لماذا تريدُ أنْ تَسْكُنَ في المشهد رغم أنَّه لا حياة فيه؟ فأجاب: إنَّني مثلُ نبي الله، جدِّي إبراهيم (إذ قال): "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" [إبراهيم:٣٧].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رقم (١٣)

وقال بعد ذلك: إنني ما أسَّسْتُ هذا المكان إلَّا لخمس خصال:

١- سَقْيُ العطشى.

٢- وسِلَةٌ للمنقطعين.

٣- وأمانُ الخائفين.

٤- والعَـوْنُ للمحسنين.

٥- والعَـوْنُ للمسلمين.

رقم (١٤)

وقال:

١- علي بن حسن حوط الغيوار وأمسى المزار

٢- وامسيت يالجاهي جنة بعد ما كنت نار

٣- حلوك لخيار والقوا في عروضك ديار

٤- والحوض والسقاية حيث كان المغار

٥- والسوق تدخله البضائع بالبخار

رقم (١٥)

وأضاف علي بن عبدالله العطاس قائلًا: كلّ عام كان علي بن حسن يقرأ الدعاء في يوم مولد محمد ﷺ، وقد أعطى لكلِّ قبيلة مكانًا في المشهد، وأخذ هذا يزدهر، وقال حول ذلك:

١- وقفة الخير كم للناس فيها مجاني

٢- حد يجيها وحد من عمان

٣- تجتمع فيها الأوليا

٤- وأهل الكتب والمغاني

رقم (١٦)

وأيضًا:

١- مشهد على بحره يلاطم

٢- يابخت من زار مبانيه

٣- زوار من صنعاء ومأرب

٤- واتهشلت كم من مطيه

يواصل منصب حريضة حديثه: "تبدأ الزيارة في المشهد في الثاني عشر من ربيع الأول، وتتواصل لمدة أربعة أيام، إلى الخامس عشر منه. خلال عشرين يومًا قبل الزيارة يتمُّ البدء بملء خزانات المياه. وفور بدء الزيارة يُفتَح الماء ويتبرَّكون به. ويتلو المنصب من القرآن الكريم سورة (ياسين)، وشعرًا عن آل بيت النبيِّ ﷺ، والتبرُّك بعمر بن عبد الرحمن. وفي يوم الثالث عشر يقام الاحتفال المهيبُ في المشهد بركوب الخيل. وتدخلُ كلُّ قبيلة بنظامٍ محدَّدٍ إلى المشهد. ويسري خلال هذه المدَّة السلام بين القبائل. ويأتون من أراضي (قبيلة) العوالق ومن صنعاء بغرض التجارة. وكان يجتمع هناك نحو ألفي جمل. وتستمرُّ الزيارة أربعة أيام. أما الأماسي فأوقات حرة: أن تريد الصلاة، أو تريد الرقص.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويقال: "للراقص نصيب كما للعابد". وكان موكب الشرف يتألَّف من ثلاثة عشر حصانًا، ولكل مجموعة من السادة أعلام وألوان خاصة.

كَتَبَ الكثير عن زيارة المشهد في المؤلفات الأوربية. إذا كانت هذه الاحتفالات في الماضي تُبْرِزُ بوضوحٍ التقسيمَ الاجتماعيَّ التقليديَّ، الذي ميَّزَ حضرموت القديمة، أمَّا الزيارة في الوقت الراهن فتَتِمُّ بتواضُعٍ جَمٍّ، دون وضعِ حدودٍ بين الجماعات التقليدية. كمَّا أنَّ المشهد مأهُولٌ تقريبًا في المدَّة الفاصلة بين الزيارات.

٤- بو علي سالم بن جبران

رقم (١٧):

١- يقول بن جبران: ذا القفل[١] سدك وعاد الدار

٢- والبعد قربنا ميوحه

٣- والقبوله ماطعمها إلاقاد

٤- ماشي مصلح من جبوحه

رقم (١٨)

١- اليوم يوم العيد

٢- عيد عند من

٣- يوم المخالص باتقع

٤- فوق التفال

١ - القفل: إحدى حارات القزة (الجزء الثاني، الفصل ٢ الفقرة١).

٥- ولعاد باتكلم ولا باقول شيء

٦- لما تشوف الشهر في القبله هلال

التعليق:

المؤلِّف – شاعر من قبيلة البطاطي، مشهور في القزة (الرافد الغربي لوادي دوعن)، عاش "قبل أكثر من مائة عام خلتْ". والكلام عن الخصومة القبلية (يستخدم هنا بهذا المعنى " قَـبْـوَلَة"، ويمكنُ أنْ يعنيَ في سياق الأحاديث الأخرى الاعتزاز القبلي [انظر الجزء الثالث، الفصل١:، الفقرة٣])، يتكرَّرُ غالباً في حضرموت الغربية، وهذا إطناب. والمرارة – مرادف للموت. والنصُّ رقم (١٨) كما يوضح المتحدثون أنَّه نُظِمَ حينما استدعى الشاعر إلى حفل زفاف، ولم تكنْ لديه النقودُ لشراء هديَّةٍ للعريس، والبيت الخامس – صيغة دائمة.

٥- غانم الحكيمي

رقم (١٩):

هذه قصيدة غانم الحكيمي، وغانم الحكيمي ماله جدٌّ، ولا له صلة لا بنهد ولا بآل كثير ولا بيافع، ولا له شيء بالقبيلة ولا بآل مرة الجعدي ولا بسيبان، ما سوى قبيلي لحالة عامد ميح، وسألوه أنت مِنْ فِيْن في الزامل فقال:

١- أنا الحكيمي بن سبأ بن سام

٢- وننسب لنوح بن شالح

٣- مانكسب الَّا من علوق الشام

٤- سارح وضاوي ومحله ميح

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رقم (٢٠):

أ- يقول غانم الحكيمي:

١- يا منيظرة مني خذي لشن ماسمح

٢- ماشِي من الشجري تقاديم العزيز

٣- ماسوى المنقص في زياريش بايتي

٤- والحاس والدرديل والبرد الهزيز

ب- رد سالم سعيد بلفخر

١- ياغانم إن قدمت شيء باتلحقه

٢- ماشي سوى منك تنافيح المزيز

٣- شيباننا قد خبروا شيبانكم

٤- ما بيننا إلا صاغة لإنجليز

التعليق

إن أشعار غانم الحكيمي الذي كان "قبيلةً لِـوَحْدِهِ" في ميح (هكذا تُسمَّى القرية الواقعة في الرافد الغربي لوادي دوعن، وتحملُ الاسمَ نفسَه أيضًا)، وهي مشهورة جدًّا في حضرموت الغربية. ويوجد شِعرُ النَّسَبِ إلى سبأ، وسام، ونوح، في مؤلف لاندبرغر [٢٣٦ ص٤٦١ الهامش رقم ٢]. والأوصاف المهمَّة لأنواع السلاح (رقم ١٩ السطر ٣، ورقم (٢٠) ب السطر ٤) وقد تم إيراد نموذجين فقط من الآثار الكثيرة التي كتبها غانم.

٦- القانص

رقم (٢١):

وفي وقت بناء الحصن الذي في رأس جبل قعوضة قالوا مادام نبني إلا ما تجيب قصيدة يا قانص وقال:

١- جرّوا حصا جبلي لحصن اهل السلب

٢- لاجل المعلم بايحكم ساسه

٣- الميد لا ثارت نشور الفتن

٤- تسمع كما نقيح الطوس من رأسه

التعليق:

عاش الشاعر، الملقَّب، بالقانص، أي قانص الصيد علي بن محمد بن عجاج من النهديِّين، في مطلع قرننا العشرين في خور القانص (وادي الكسر)، ويتردَّد شِعْرُه حتى اليوم. وقد قرض الشعرَ على شرف السادة آل العطاس، وقصائد في القنص.

٧- المنقص

رقم (٢٢):

من أقوال المنقص شاعر بن عجران صاحب خريخر بالهجرين وخريخر يقال له الجحي الزوير[١] وقال:

١ - الجحي الزوير- ليس خريخر، وإنما جزء من قرية نحولة بين الهجرين وخريخر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١- عامد بالجحي الزوير مانا بحد

٢- ملقى مراتيج السماء في عرضها

٣- لسفل ولعلى وهو مولى الموسطة[١]

٤- وصلي السنّة وصلي فرضها

رقم (٢٣):

وبعد أصبحوا العوابث عليهم على خريخر ودخلوا الوجر[٢]، وهجم العواجر عند المغرب ما خلاهم بن عجران يخرجون انكسروا ومنهم ميه وخمسين العوابث وبعد دخلوا المصلحين بينهم وخرجوا العوابث وقال المنقص:

١- باجور[٣] صبح بالحديد الضيق

٢- ما يحسب أن الوجر معبر الصراط[٤]

٣- أنا مع اللي ينحزون الصيعري

٤- ويرعضون السيل في أيام القناط

١ - الموسطة: حارة بجانب الجحي الزوير.

٢ - الحدود القبلية لبني محفوظ.

٣ - قائد المهاجمين.

٤ - الصِّراط المستقيم: الطَّريق المستقيم، دين الإسلام (المترجم)

رقم (٢٤):

واحد من العمودي كان بطّال ويبطل عليهم وقال بانجرّب وبا نرسل قصيدة للمنقص وان شي خبر وفال حقه وأرسل واحد تحت دار المنقص مع أقوال:

١- يا نوب زنجي عامد الحيد لبرق
٢- ترعى عطوف الناس بالغصبي
٣- لا نالوا المعلم ولا هو لي فرق
٤- عامر عرك من فوقهم محبي

المنقص فهم القصيدة وقال:

١- الطير لخضر بايجيب بالميده
٢- والدّار والعاث تجيبه بالدوام
٣- لا ميل ما تمشي جبوحه حالية
٤- الباطل ماله تاليه هو والحرام

التعليق:

إنَّ لقب الشاعر المنقص (تصغير النقاص) مرتبط بـــ "فأله السلبي"، والقدرة عل التنبؤ بالنَّحْس (النص رقم ٢٤). وبن عجران – فرع قبيلة بني محفوظ، وليس هناك أية معلومات أخرى عن الشاعر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٨- الوزير والمحضار والقبائل

رقم (٢٥):

عندما قام حسين بن الحامد المحضار وزير الدولة القعيطية بالصلح ما بين قبائل روضان (من نهد)، الذين كانوا في حرب، وقد استقبلوه بالزامل، وقال المحضار:

- أ-

١- اليوم يوم السعد والبخت القوي

٢- اليوم يوم الخضر والياس حوم بالجناح

٣- إذا صلح رأي الحكم هو الحكم

٤- كل ما تعوج بايردونه سماح

- ب-

وقال شاعر من بن ثابت – علي بن صالح بن مُقيزح:

١- حيا وسهلا بالرفيع المنزلة

٢- اللي قد تعلى ظهربنت حصانها

٣- دعوى الحكم ما بايقع شيء سدها

٤- لا سارت البُزّل على قتبانها

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

-ج-

وقال:

١- حيا وسهلا ولد علوي

٢- ما صعيب إلا اللي تقوله

٣- باب قالوا تقفل

٤- والخير فتحنا قفوله

-د-

وقال:

١- واجب على الصاحب يراعي صاحبه

٢- وإلا المخوة قد قلدنا بابها

٣- يوم الحمى[1] طلعت على كف القديم

٤- أنا تكفا شرها وأسبابها

رقم (٢٦):

وقع زامل في القزة. آل محفوظ من الهجرين (بالضبط، من خريخر) يطالبون القزة من آل البطاطي دافعوا. وقال واحد من آل البطاطي:

١ - بداية النزاع الذي ينبغي أن يضع الحكماء حلول مشتركة له.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- أ -

١- أغفر لجدي اللي لقى لي منزله

٢- لقى لي حيث العوُل يطرح له عيال

٣- لقى في كل منيعة عالية

٤- باروتها من فوقها ملقي ظلال

- ب -

وقال السيد حسين المحضار وزير القعيطي:

١- يا كافر أسلم جاك سيدنا علي

٢- هذاك با يقرأ لكم قصص تميم

٣- احناالسفينة من طـلع فيها نجي

٤- ومن يخالف يبقى للنار الجحيم

رقم (٢٧):

وقع زامل بين قبائل روضان. ويدخل شيخ كبير في السن، عوض باشميل شاعر من وادي رخية وقال:

١- الأرض رشنت نارها من شقها

٢- والهطل تحت الجزل والكزاز قيم

٣- عسى كريم الوجه يبرد حرها

٤- تؤخذ ثمان أيام في رحمة وديم

التعليق:

حول النشاط السلمي للوزير المحضار، الذي بلغ ذروته في عشرينيات قرننا [١٧٥ ص٣١]، وعن الصراع حول القزة [انظر الجزء الثاني، الفصل٢، الفقرة٣]، والتذكير بمصير قبيلة تميم [رقم ٢٦ ب/ ٢]، والتهديد لانتفاضة القبائل التي كانت الإدارة السلاطينية تواجهها بالقوة. وفي الزامل رقم (٢٧) لشاعر من وادي رَخْيِه (إلى الغرب من حضرموت الغربية) يجري الحديث عن إبادة النخيل بغاز "الكيروسين.

٩- سيد باموسى

رقم (٢٨):

سيد باموسى قال:

١- لا جيت با ماري صاحبي

٢- ماشي معي بيرق وقبه

٣- إحنا على دين الشريعة

٤- والكافر إلَّا بأوربه

١٠- الشبير بايعشوت ونظراؤه

رقم ٢٩:

الشبير بايعشوت طلع خوه إلى جاوة وحصل عنده ضيافة وقال إن محلب بصيص خير من ذا كله وقال (الشبير):

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١- مادرك من أراضيك إلى باتعهد

٢- عينك الله عالغبّة وعا الجول لسود

٣- جول كفري حصاه مجهد

٤- باتصل لأرض بايجونك

٥- حد عمامه على رأسه وحد رأسه أكرد

٦- يا عذابك إلاأمسى وزيد عاده أبرد

٧- يغبطونك على شاتك وعاشد

٨- والمره نافشه وإلا شعرها معقد

٩- أمنّا البارة كل من سرح منها رد

١٠- فيها السفرجل وفيها العيش بارد مبرد

١١- والسرج راشنه في كل قلبي توقد

رقم (٣٠):

رسل أحمد بن علي بن جنيد قصيدة لشبير من صولة

١- الجنيد طلبتك يا قوي

٢- يا مالك الملك سالك يا متين

٣- تغفر ذنوبي وتمحا زلتي

٤- وتصلح أعمالنا دنيا ودين

٥- وألفي صلاتي على ذكر النبي

٦- المصطفى لي شفيع للمحسنين

٧- وبعد قم يالمعنى شدّلي

٨- في ظهر صاهل من المربط سنين

٩- محجل أربع في الصندل ربي

١٠- تسمع صميمه يزقل بالصمين

١١- سرح من الصولة الصبح الجلي

١٢- من قبل ما الفجر في المشرق يبين

١٣- واعبر مرفص وحذرك تلتهي

١٤- خذ لك من الشاذلي فنجان صين

١٥- أقصد لشربون ما مثله بني

١٦- كسب أجاويد يظهر كل حين

١٧- توك بخطي لسالم معتني

١٨- أبو مبارك كنان الهادفين

١٩- تحلقه في البيت جالس محتبي

٢٠- يميّل الهم لا فوقك عكين

٢١- نباك تخرج لأرضك معتني

٢٢- من حيث بها أهلك ساكنين

٢٣- أهل السنن والمعافر والحلي

٢٤- وأهل المراييل حلوات الشنين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢٥- إلا ازحمت خيرها ما يحتصي

٢٦- ما هي زكيكة ولا شرج العنين

٢٧- التمر ما جود فيها والجني

٢٨- أحلى من الرز واللحم السمين

٢٩- والشرح فيها لمن قلبه سلي

٣٠- يعجبك حل المغاني والزفين

٣١- يحضره كم من مهفهف عيطلي

٣٢- منسع الجعد حي ذاك الجبين

رقم (٣١):

الجواب من شبير

١- اليعاشتّان نسبي ونهدان أخوتي

٢- لا نا ولا هم من أصلي منكرين

٣- ياهاجسي عهدي إلا بك بدي

٤- خلي التعيطاش من عطن العطين

٥- جوب على شيخ أحمد بن علي

٦- اللي متوج بتاج العارفين

٧- ذكرت عرشان مالي لا زكي

٨- يملي جميع المياسم والسرين

٩- في ضمر باضمره الحيد القفي

١٠- ما حنا على عكرها متحسفين

١١- نفلة من أعلى ونفلة من قني

١٢- والبرد يخرج عليهم بنين

١٣- طول النظر ما تواقف مكتسي

١٤- محنة وعاد أهلها متكبرين

١٥- شرقي شنع ما تعارض نومسي

١٦- زعزع جفيرة ارفعوا يا طارقين

التعليق:

الشاعر سالم أبو مبارك الشبير بايعشوت من رملة اليعاشت. ويذكره سرجنت، الذي أورد مقاطع من شعره [٢٥٢ ص٧٩-٨٠]. وإحدى قصائده نشرها جعفر السقاف [١٨٣ص٧٩-٨٠]. وفي بيئة الشبير نظمت أفضل نماذج شعر المهاجرين الحضارمة التي يجمعها حبُّ الوطن، والسخرية من أسباب فقره، والإعجاب أمام الطبيعة الخلابة لجاوة. سولا وتشريبون- مَرْكَزَا الهجرة الحضرمية. ويذكر "جِـــنِّـيَّ الشِّعْـرِ" الهاجس [رقم٣١/ ٣]، والقرى الحضرمية، وجبل شنع- موطن قبائل المهنا من نهد.

ويشبه النداء "ارفعوا يا طارفين" البدو المتوحِّشين بالفيضان.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١١ - المناظرات الشرعية في الشعر

رقم (٣٢):

كان واحد ظالم في وراثة وذهب إلى حكم في قعوضة

-أ-

قال المدعي:

١- **با قول عند الله وعندك يا حكم**

٢- **حكم الدعاوي وأعطنا فتوى**

٣- **وسط هالك جاتنا من ميت**

٤- **لا له دعيه كيف باينسى**

- ب -

قال المجوب:

١- **با قول عند الله وعندك يا حكم**

٢- **حكم الدعاوي وأعطنا فتوى**

٣- **هذا فقير أطرق بطن متقدم**

٤- **لا له دعيه كيف له ينسى**

- ج -

قال الحكم:

١- **عالمدعي شاهد تقي ومصلي**

٢- **يقرأ حروف الفاتحة يتلى**

٣- **وأن قد عدم عالمجوب يحلف**

٤- **لا له دعيه عندنا ليرى**

رقم (٣٣):

-أ-

قال واحد للشيخ:

١- ياشيخ تفتي على المذاهب الأربعة

٢- أو الشاعر إلا ببطن وادي حضرموت

٣- هات لي خبر في بنت عذراء موفيه

٤- حبلى وعالميلاد شفها باتموت

-ب-

جواب الشيخ

١- أفتى على المذاهب الأربعة

٢- لا تجعل أني با أصطرط في بطن حوت

٣- الطير لي يسرح على باب الوكل

٤- ينظر من البيضة وهي تغدي ربوت

التعليق:

النص رقم (٣٢) نموذج للفلكلور الغَنِيّ، المرتبط بحكم قعوضة [٢٥٢ ص٢٢-٣٣] (انظر رقم ٣٤). والنص رقم (٣٣) ينتمي إلى فنِّ الألغاز، وينظمها "الشاعر الحقيقي" الذي يجيد الفأل. الشيخ أحمد بن علي باوزير، عاش كما يؤكِّد المتحدِّثون قبل أكثر من مائة عام.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١٢- بو بشر والحكم علي

رقم (٣٤):

الحكم علي بن ثابت كان شاعر ويقصد (ينظم القصائد)، وتقاصد هو وأبو بشر.

(أ) وقال الحكم:

١- بوبشر قولوا له تعقل

٢- يسني على بير عقيله[١]

٣- أقنع ولقى له عُقالي[٢]

٤- وقال شو أنا بن عقيل

(ب) وقال بو بشر:

١- رهطان[٣] عادة ما تدول

٢- للي فيه الأسواس الدويلة

٣- إحنا من أول لي دوالي

٤- من قبل يظهر بن دويل[٤]

---

١ - لتقتنع الجماعة الأسرية بعملها الخاص ولا تعتدي على السلطة الأعلى.

٢ - العقال: حبل من الصوف في أعلى عمامة الرأس في حضرموت- جزء من هيئة جيش البادية الذي كان يخدم فيه بو بشر.

٣ - يدخل ضمنهم بن ثابت.

٤ - لقب الشاعر.

(ج) قال الحكم:

١- ياكم مثيلك قد تزول

٢- ومننا جاء الزوالي

٣- عادك تبيت في زويلة

٤- كل يوم تمسي في زويل

(د) قال بو بشر:

١- لنته علينا باتطاول

٢- باعطيك لدقام الطوالي

٣- أكواتنا فوق الطوالي

٤- من قبل يخلق بن طويل

(هـ) وبعد قلب الحكم وقال:

١- بو بشر قالوا لي شرد

٢- شاف الخلايق شاردة

٣- ما حسب أن عاد الحكم

٤- بايتبع الناس الشريد

(و) قال بوبشر:

١- مكواك قالوا لي برد

٢- وناحسبتك ما تجيك البارده

٣- ولعاد جتنا أخبار في وسط البريد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(ز) قال الحكم:

١- شف حدنا يا خير حد

٢- كل من يقارب حدنا

٣- عليّ أعطي الحاده

٤- باطرح مخالبها على ضلع الحديد

(ح) قال بو بشر:

١- كلا على المورد ورد

٢- شف ذي قبائل يقطعون الوارده

٣- أم الصمرمر جاك

٤- ما بين الحناجر والوريد

(ط) وبعد قلب الحكم وقال:

١- بو بشر ياريتك مقدم[1]

٢- عندك مصائب مية قامه

٣- العز عاده ما تقوم

٤- في السوق مايجلب بقيم

١ - زعيم قبلي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(ي) قال بو بشر:

١- في المدرسة ناشفنا تعلم

٢- الميد ما يجيب العلامة

٣- وبعضهم لي ما تعلم

٤- الله بالأمه عليم

(ك) وبعد قلب الحكم وقال:

١- يس بسم الله[١]

٢- بانقرأ حروف ألم ترى[٢]

٣- كل ما جرى في الأرض

٤- يا بو بشر عينك باترى

التعليق:

بو بشر مبارك سالم بن عقيل (١٩١٣ - ١٩٨٩) نهدي من غنيمة بن عقيل في وادي الكسر، شاعر شعبي. حدثت المناظرة الشعرية في ستينيّات القرن العشرين؛ حيث دافع بو بشر عن فكرة وحدة الدولة، فيما دعا الحكم بن ثابت إلى انفصال النهديِّين. وعلى الأرجح أن هذا أحد النماذج الأخيرة للفلكلور الشعري، المرتبط بأحكام النهديِّين قبل الاستقلال.

١ - مستهل سورة يس في القرآن الكريم.

٢ - مستهل سورة الفيل التي تصور غضب الله .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١٣ - نماذج من الزامل

رقم (٣٥):

١- حضرموت إلا ليافع
٢- في الخطوط المسطَّرة
٣- كم من ولد بيده فرنجي
٤- روم غالي شمبره

رقم (٣٦):

- أ-

نداء:

١- نا المرشدي نا الموت عزرائيل
٢- نا الظلم في يوم القيامة
٣- نا القبولة باروتها والميل
٤- ورصاص ما منه سلامة

- ب-

نداء:

١- نا لحلكي جهال ما أقدر كيل
٢- وألقيت في راسك فدامه
٣- نا غصن ولد الفحل وأنت الخيل
٤- والزيت في مطيك علامة

رقم (٣٧):

١- ولا نهاب القبيلي

٢- ولا نحسب حسابه

٣- نخاف إلا اللي في السماء

٤- إلا تمطور السحابة

التعليق:

النص رقم ٣٥: زامل يعكس ادِّعاءات اليافعيين في حضرموت كلِّها، وقد أورد أكثر من مرة. الرقم ٣٥/ ٢ تركيب التقاليد الشفوية والكتابية، الرقم ٣٥/ ٤ سلاح ثمين يُصنَع من الذهب.

النص رقم ٣٦ قاله الشاعر باصرة (سيبان) قبل نصف قرن مضى، حسب كلام الراوي علي سليمان بقشان السيباني، رعوي يبلغ السبعين عامًا. ويتجلَّى بوضوح الارتباط بين فنون الفخر والهجاء.

تُـغَـطَّى عناقيد التمور الناضجة بزيتٍ نباتي من الحشرات الضارة.

النص رقم ٣٧: زامل الضعفاء من الجفيري (وادي دوعن) مبنى حسب الكليشة القبلية، لكنه موجه ضد القبائل.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(١٤) الأغاني

رقم (٣٨)

١- حنوا له غلب ما يتحنا

٢- ياطير يالخضر فين ممساك الليلة

٣- أنا ممساي عند أهلي

٤- وأنت ممساك في السيلة

رقم (٣٩)

١- يوم الخواطر صافية

٢- جزّع ملا فنجان صين

رقم (٤٠):

١- يا وعل حامل ميه

٢- في الدقم بايقنصوك

٣- والصقر بايشل أبوك

رقم (٤١):

١- حيمد الخشر ربيته

٢- وأنا رجعت مرثى

٣- لا سقط قصركم

٤- على حيمد الخشر يبنى

رقم (٤٢):

١- صباح الخير يا زاوية

٢- يا أم المنارة

٣- على الهجرين لا غابت

٤- من كل إشارة

رقم (٤٣):

١- يا مروح دناك الليل

٢- والشمس غابت

٣- عاد نحنا إلا طربنا

٤- والملابيج طابت

التعليق:

تنتمي جميع هذه الأناشيد إلى المغاني، أي تُـؤَدَّى بمصاحبة المزمار أو الناي ذي الخمس فتحات (المدروف)، خلافًا عن الأغنية التي تؤدَّى بمصاحبة العود أو الآلات الوترية الأخرى (ليست الأغنية خاصية لحضرموت الغربية، رُغْمَ أنَّها تُـغَـنَّى أحيانًا في حريضة في المرحلة الأخيرة).

الأغاني رقم (٣٨ – ٤١) عرَّفها الرواة بأغاني الحناء أو أغاني الزواج. وبانتهائها تـتبع الحوكة (الترجيع الحسن للهتاف) حيّا، حيّا... الخ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

النص رقم ٤٠ مثالٌ لفنِّ التنقُّل: من أغاني القنص إلى أغاني الزواج (وهذا مرتبطٌ على الأرجح، بتقليد أسلوب فرحة الزواج بنجاح القنص).

النص رقم ٤١: حيمد الخشر (١٩١٠ – ١٩٨٠م) طبَّاخ من المهجرين. أوضح حفيدُه يسلم علي الخشر (٢٣ عامًا) أنَّ الأغنية نُظِمَتْ قبل ٤٥ عامًا عندما تفوَّق حيمد الخشر على معلِّمه في فنِّ إعدادِ موائدِ الأفراح.

النص رقم ٤٢: نشيد استدعاء المطر، تذكَّره الخيَّال السابق في المهجرين. والزاوية في هذه الحالة ليستْ صومعةً، وإنَّما مسجد.

النص رقم ٤٣: أنشودة النورة: يُـنْـشِـدُهَا العُـمَّـالُ باتِّـسَـاقٍ عندما يضربون المراواتِ بقِطَعِ حَجَرِ الكِلْس. ويؤدِّيها الفنان المعاصر أبوبكر سالم بلفقيه. وقد استُخْدِمَت الكليشة التقليدية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إنَّ التقاليد الشفوية والكتابية لحضرموت الغربية، مثل المنطقة جميعها، ذات ارتباط متبادل. وهي تكمِّل بعضَها ببعض، ولا وجود للقُطبيَّة بينهما، التي وُجِدَتْ على سبيل المثال في الثقافة الأوربية في العصر الحديث. ومنذُ القِدَمِ ترسَّختْ في حضرموت في الكتابة الصِّيَغُ الشفويَّةُ والكليشات، وليس مُصَادَفَةً أنْ يَسْتَوْعِبَ السُّكَّانُ المحليُّون الوسائلَ التِّقَنِيَّة للتسجيل – جهاز الفيديو، وجهاز التسجيل – بهدف تسجيل فلكلورهم. ويؤدِّي الشاعر الدَّوْرَ الأساسَ في كِلَاْ صيغتي الروايات: ينتمي إلى التقاليد المكتوبة الأسلوب الأدبي (الحكمي)، وإلى الأسلوب الشفوي الأدب العامي (الحميني). ولا يوجد الأسلوبان بصورة صرفة البتة، وحتى النماذج "الحرة" للشعر الحميني ذاتها دُوِّنَتْ غالبًا.

في حضرموت تَسُودُ اعتقاداتٌ تَعُودُ إلى ما قبل الإسلام، عن قِوًى خارقة للطبيعة تُلْهِمُ الشعراءَ، وتجعلُهم يَرَوْنَ أسرارَ الماضي والمستقبل.

(الشاعر – متنبِّئ). ويمكن أن تكون موهبة الاستبصار – الفال – "جيدة"، (بمعنى التكهن بالأحداث السعيدة: السيول، المحصول الوفير، الصفقة الموفقة...إلخ، ويمكن أن تكون "سيئة" التكهُّن بالجفاف، الموت، الحرب، المجاعة). وحسب مستوى الموهبة ينقسم الشعراء إلى كبار، وشعراء ببساطة، و"شويعر"، وفي أدنى الجميع يقع راوي الشعر الذي لا يملك الفال.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وصفة الشاعر رفيعة لكنها تحتاج إلى التوطيد المستمرّ، وينبغي أن يثبت ذاته أنَّ شيطانَ أو جِـنِّـيَّ أو جنِّـيَّـةَ الشعراء (الهاجس، الحليلة) لم يغادِرْهُ، وذلك من خلال الارتجال ومباريات الشعراء. وللتخفيف من المخاطر التي قد تنجمُ من أصوات شياطين الإلهام، فإنَّ الشعراء غالبًا يُـضْفُونَ الصبغة الإسلامية على بدايات إنتاجهم الشعري ونهاياتها.

يؤدِّي الشاعر في حضرموت وظائف اجتماعية مهمة – في الأجواء الاحتفالية، وفي أثناء صياغة النزاعات وتسويتها، وفي نقل القيم الأخلاقية وحفظها. وفي الشعر يُـوجَدُ تقريبًا العنصر الاجتماعي دائمًا، وقد تجاهله ر. سرجنت، حسب اعترافه الشخصي [٢٥٢ ص١٠]. وخلافًا عن كثير من الأدوار الاجتماعيّة (على سبيل المثال، الراقصات، المغنون، الموسيقيُّون، الذين ينتمون كقاعدة إلى قاع المجتمع) فإنَّ وظيفة الشاعر ليس لها ارتباط بأيٍّ من الطبقات الاجتماعيّة. كما أنَّ التمييزَ الجنسيَّ بين الرجل والمرأة قد استوجب الشعرَ النسائيَّ في الحياة، الذي يخدم جمهوره الخاص.

وللفلكلور الشفوي في حضرموت الغربية، بطابعه الريفي، مصاحبة موسيقية ضئيلة إلى حدٍّ ما. وتقع مراكز تأثير الدَّان الغنائي الحضرمي (حيث اللحن يولد بداهة الارتجال) خارج منطقة حضرموت الغربية - في سيئون وغيرها من المدن الأخرى في الوادي الرئيس. والأشعار – خاصية لابد منها في مواكب الرقص (الزف)، التي تعكس بصرامة ووضوح التركيب الطبقي لحضرموت القديمة.

إنَّ نماذج الفلكلور الشعري بما في ذلك النصوص التي ألَّـفَـها الشعراء الحقيقيُّون أو الأسطوريون، تنتمي جميعها إلى الأسلوب العاميِّ باستثناء قصائد علي بن حسين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

العطاس، التي تتموضع على التُّخُومِ بين الحميني والحكمي، ومع ذلك فإنَّ التقاليد المحلية تَـنْـسِـبُـهَا إلى الأسلوب الأدبي (الكتابي). وتُطْرَحُ في الأشعار المناظراتُ، الألغازُ، النداءاتُ القبليَّة، أغاني الزواج، أناشيدُ استدعاءِ المطر والعمل.

وفي الفلكلور الشعريِّ لحضرموت الغربية آثارٌ ملحوظةٌ للتأثير الأندونيسي (والهندي والشرق أفريقي بدرجة أقل) في مفردات اللُّغَة ومجموعة المواضيع. ولكنَّها مع ذلك مرتبطة بالدرجة الأولى بالإرث الروحي اليمني والعربي العام. والشعر الحضرمي موضوعي، وتتجسَّد فيه مدراك الحضارمة. وهذا ما يجعله مصدرًا إثنوغرافيا ثقافيًا نفسيًا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخاتمـــة

وهكذا تمَّتْ محاولة وصف الثقافة السلالية لسكَّان حضرموت الغربية في الأقل خصائصها تلك التي تُعَدُّ من جهة نظر المؤلِّف الأكثر جوهرية.

وعند معالجة مسألةٍ مماثِلَةٍ يصطدم الباحث بالتبايُـنِ بين طابع الموضوع الموصوف وطريقة التدوين. ويذكّر التعرُّف على الثقافة السلالية، بتماسُكِهَا وترتيبِها بالطَّواف في المحيط؛ حيث لا بداية ولا نهاية، وحيثُ تُوجَدُ المسالك الكثيرة التي لا تُحصَى، والخطوط المباشرة تتلوَّى والحركة في اتِّجاهٍ واحدٍ تَـقُـودُ إلى نقطةِ البدء.

ليس من الضروري تكرار النتائج المهمة للبحث، المصاغة في الاستخلاصات الرئيسة. وفي مجرى العمل تأكَّدَ برهانُ اختيارِ حضرموت الغربية كمنطقة تاريخية إثنوغرافية. وهذه هي المحيط الرِّيفي حيث تعرَّض الأساس الثقافي في الجنوب العربي للتأثير الإسلامي الموحَّد. بيد أن الانقطاع الحادَّ للتقاليد السلالية الثقافية، كما يبدو لمْ يَـحْدُثْ. وفي العصر الإسلامي بَـقِـيَـتْ (في شكلٍ متحوِّل بعض الشيء) الأسس السابقة لدرجات المقامات الاجتماعيّة، والمنظومة المكوِّنة للمؤسسات الاجتماعيّة والأعمال التقليدية، ونظام الإعاشة والقوانين المنظمة. كما أنَّ آلية التنظيم الذاتي، المتعلِّـقة بالري بواسطة السيول، قد حُدِّدَتْ بشكلٍ أوسعَ في الـمَـثَـلِ الشعبيِّ "دولة حضرموت الرحمة"؛ حيث الرحمة مرادفٌ لفيضان السيول.

إنَّ انتقاءَ نماذج الثوب النسائي لحضرموت الغربية قد سمح بدرجة كافية في تحديد منطقة الدراسة بشكل واضح، وغدا جليًّا أنَّ المحلية ليستْ ظاهرةً عامة، لكنَّها ليستْ

مضمونًا وحيدًا للثقافة السلالية مطلقًا. كما أنَّ دراسة الحرف، الطعام، الطقوس، الفلكلور الشعري والغنائي والرقص قد أكَّدَتْ أنَّ حضرموت الغربية مرتبطةٌ دون انفصام بالأجزاء الأخرى للبلد - بمُدُنِ وقُرَى وبلدات الوادي الرئيس والساحل وشرق حضرموت. وتعكس المنطقة الأخيرة (وكذا الأرياف)، كما في ملابس المرأة، بعض خصائص الغرب لكنَّها أقربُ إلى المجموعة الثقافية المهرية السقطرية.

تتَّجه الدراسات اللاحقة في اتجاهين "شامل"، و"مركَّز"، وتوسيع مساحة البحث (بما في ذلك الهضاب) يعطي امكانية وصف الثقافة السلالية لحضرموت كلها. ويبيِّن الإعداد المتعمِّق للموضوعات المذكورة المادة الإثنوغرافية الثمينة، ويؤكِّد أو يُدْحِض الفرضيَّات العلمية والاستنتاجات الأولية. إنَّ وُجُودَ الاتجاهين له أهمية فاعلة على وجه الخصوص في إطار مشروع الأطلس التاريخي الإثنوغرافي لحضرموت.

وترتبط حيوية الأطلس التاريخي الإثنوغرافي لحضرموت بالانجراف الجامح للثقافة العربية الجنوبية التقليدية، التي تحتاج إلى التسجيل السريع. إنَّ التعبيرَ الزمانيَّ والمكانيَّ للمادة الإثنوغرافية المصنَّفة والتصوُّرات المحلية لأشكال، ومجموعات الظواهر الإثنوغرافية تُـتِـيْحُ معرفةَ وإبرازَ الصِّلَاتِ العميقةَ للعوامل الاجتماعيّة- الاقتصادية، الإثنو ثقافية، اللغوية والطبيعية. ويمكن إبراز المساحات الثقافية المتبقِّية، وبوسائل رسم الخرائط التاريخية الإثنوغرافية فقط، أي تحديد مستوًى محدَّدٍ للحفاظ عليها في الإثنوغرافيا المعاصرة لتقاليد الحضارات القديمة للجنوب العربي.

ووفقًا للقواعد المحدَّدة في علم الخرائط الإثنوغرافية فإن الأطلس التاريخي الإثنوغرافي لحضرموت ينبغي أنْ يمثِّلَ بحدِّ ذاته منظومة متكاملة للخرائط المقابلة، التي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ترافقها النصوص التفسيرية المفصَّلة، والدراسات والأبحاث المعلوماتية، والجداول والمواد المصوَّرة.

إنَّ الدراسة الإثنوغرافية المنظمة لحضرموت تشمل البحثَ العلميَّ في شبكة نقاط الارتكاز. ويفترض أيضًا بمعونة المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف تكوينُ شبكةِ مُراسِلين في الأماكن، والاستفتاء في برنامجٍ واحدٍ (جزء من البرنامج الإحصاء والوصف الأولى لقرى ومدن اليمن الجنوبي).

وضمن المراسلين يدخل المعلِّمون، التلاميذُ الكِبَار، الموظَّفون الإداريُّون المولعون بالكتب، الشعراءُ وغيرُهم من الـمُلِمِّين بالتقاليد الشفوية. وكذا رسم خطة للاختيار اللاحق والتحليل النقدي للموضوعات الثقافية المعينة الموجودة، بما في ذلك أعمال المؤلِّفين المحليِّين. ويجبُ أنْ تُحِيطَ الدراسةُ العلميَّةُ وأعمالُ المراسلين بكلِّ حضرموت الداخل من الغرب إلى الشرق، وكذلك الساحل أيضًا. ويصاحبُ هذا العملَ القيامُ بالأبحاث العلمية لموضوعاتٍ منفردةٍ عن حضرموت الوسطى، والشرقية والساحل.

وسويَّةً مع المتخصِّصين في البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة التي تعني بدراسة سقطرى والمهرة، والزملاء اليمنيين والأوروبيين والأمريكيين والجهود المشتركة تبتدع إثنوغرافيا العربية الجنوبية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ملحقات الكتاب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يتكون عام المزارعمن أربعة مواسم. وتشكل النجوم نقطة الاهتداء للتقويم النجمي، الذي وُصف أكثر من مرة في المؤلفات العلمية [٢٥٥؛٢٧٨ ص٥٥٤-٥٧٦]. وعددها ٢٨ نجمًا، ومُدّة كل نجم ١٣ يومًا، ما عدا الأخير، الذي يستمر ١٤ يومًا. وعلى هذا النحو تكون حصيلة العام الشمس كاملا ٣٦٥ يومًا.

النجم الأول (الهنعة) يبدأ في الأول من يناير. والنجم الأخير (الهقعة) وينتهي في ٣١ديسمبر.

يبدأ الربيع بالضبط، وفقا للمراجع والمعطيات الاستبيانية، فاليوم السادس لنجم الهقعة (٢٣ ديسمبر)، ويتواصل ٨٩يومًا.

موسم الصيف يبدأ في اليوم الثالث لنجم (الصرفة) أي في (٢٢مارس)، ويستمر ٩٤ يومًا.

ويبدأ الخريف في اليوم السادس لنجم (الشول)، أي في (٢٤ يونيو) ويستمر ٩٣ يومًا.

موسم الشتاء يبدأ ثامن أيام نجم (فرغ) وتحديدًا في (٢٥ سبتمبر) ويتواصل ٨٩ يومًا.

ترتبط تسمية كل نجم من النجوم بشيء ما من التدابير العلمية الموسمية. ونجد في كل مسجد في حضرموت تقريبًا جدول حائط للتقويم النجمي مع تحويله إلى حساب الأيام بالتقويم الميلادي.

جميع أوقات العام، باستثناء الشتاء، لها مدّة أو (أوقات) تُسمَّى حميمة عادةً عندما يسقط المطر. وهكذا تبدأ حميمة الربيع في ٢٢ فبراير وتستمر إلى نهاية مارس. ووفقًا للتقويم فإنَّ هذا الوقت يتحدَّد بالنجوم: الجبهة، زبرة والصرفة. وفي وقت الصيف

تتميز حميمتان: الأولى من ٢٢ إبريل وحتى نهاية إبريل، حينما يكون نجمًا العواء والسماك في السماء، وهو ما يعد في حقبة الأمر امتدادًا للوقت الربيعي. والثانية من ٦ يونيو وحتى مطلع يوليو ارتباطًا بنجمَي القلب والشول.

في زمن الخريف تسقط أمطار محتملة في نهاية يوليو وتتواصل حتى ٢٢ أغسطس، متطابقة مع نجمي المرزم وسهيل [٢٥٥ ص٤٣٥]. أما الأوقات الأكثر تحديدًا لهطول الأمطار المحتملة فيوردها الصبَّان، وترتبط بدايتها بنجمي السماك وسهيل، أي بما يتوافق مع ١٥ إبريل و ١٠ أغسطس [١٧٩ ص١٩٠-٢٢].

الدورة السنوية

							i				
٩	١	٤	١	٨١	٢	٨	١	٦	١	١١	١
١٠	٢	٥	٢	٢	٣	٩	٢	٧	٢	٢	٢
١١	٣	٦	٣	٣	٤	١٠	٣	٨	٣	٣	٣
١٢	٤	٧	٤	٤	٥	١١	٤	٩	٤	٤	٤
١٣	٥	٨	٥	٥	٦	١٢	٥	١٠	٥	٥	٥
١١٣	٦	٩	٦	٦	٧	١٣	٦	١١	٦	٦	٦
٢	٧	١٠	٧	٧	٨	١١	٧	١٢	٧	٧	٧
٣	٨	١١	٨	٨	٩	٢	٨	١٣	٨	٨	٨
٤	٩	١٢	٩	٩	١٠	٣	٩	١٤	٩	٩	٩
٥	١٠	١٣	١٠	١٠	١١	٤	١٠	٢	١٠	١٠	١٠
٦	١١	١١١	١١	١١	١٢	٥	١١	٣	١١	١١	١١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

						i					
٧	١٢	٢	١٢	١٢	١٣	٦	١٢	٤	١٢	١٢	١٢
٨	١٣	٣	١٣	١٣	١٤	٧	١٣	٥	١٣	١٣	١٣
٩	١٤	٤	١٤	١٩١	١٥	٨	١٤	٦	١٤	٢١	١٤
١٠	١٥	٥	١٥	٢	١٦	٩	١٥	٧	١٥	٢	١٥
١١	١٦	٦	١٦	٣	١٧	١٠	١٦	٨	١٦	٣	١٦
١٢	١٧	٧	١٧	٤	١٨	١١	١٧	٩	١٧	٤	١٧
١٣	١٨	٨	١٨	٥	١٩	١٢	١٨	١٠	١٨	٥	١٨
١٤١	١٩	٩	١٩	٦	٢٠	١٣	١٩	١١	١٩	٦	١٩
٢	٢٠	١٠	٢٠	٧	٢١	٧١	٢٠	١٢	٢٠	٧	٢٠
٣	٢١	١١	٢١	٨	٢٢	٢	٢١	١٣	٢١	٨	٢١
٤	٢٢	١٢	٢٢	٩	٢٣	٣	٢٢	٥١	٢٢	٩	٢٢
٥	٢٣	١٣	٢٣	١٠	٢٤	٤	٢٣	٢	٢٣	١٠	٢٣
٦	٢٤	١٢١	٢٤	١١	٢٥	٥	٢٤	٣	٢٤	١١	٢٤
٧	٢٥	٢	٢٥	١٢	٢٦	٦	٢٥	٤	٢٥	١٢	٢٥
٨	٢٦	٣	٢٦	١٣	٢٧	٧	٢٦	٥	٢٦	١٣	٢٦
٩	٢٧	٤	٢٧	١٠١	٢٨	٨	٢٧	٦	٢٧	٢١	٢٧
١٠	٢٨	٥	٢٨	٢	٢٩	٩	٢٨	٧	٢٨	٢	٢٨
١١	٢٩	٦	٢٩	٣	٣٠	١٠	٢٩			٣	٢٩
١٢	٣٠	٧	٣٠			١١	٣٠			٤	٣٠
١٣	١	٨	٣١			١٢	٣١			٥	٣١
						١٣	١				

١٠	١	٦	١	٢٢١	١	١٠	١	٥	١	١٥	١
١١	٢	٧	٢	٢	٢	١١	٢	٦	٢	٢	٢
١٢	٣	٨	٣	٣	٣	١٢	٣	٧	٣	٣	٣
١٣	٤	٩	٤	٤	٤	١٣	٤	٨	٤	٤	٤
٢٧١	٥	١٠	٥	٥	٥	٢٠١	٥	٩	٥	٥	٥
٢	٦	١١	٦	٦	٦	٢	٦	١٠	٦	٦	٦
٣	٧	١٢	٧	٧	٧	٣	٧	١١	٧	٧	٧
٤	٨	١٣	٨	٨	٨	٤	٨	١٢	٨	٨	٨
٥	٩	٢٣١	٩	٩	٩	٥	٩	١٣	٩	٩	٩
٦	١٠	٢	١٠	١٠	١٠	٦	١٠	١٨١	١٠	١٠	١٠
٧	١١	٣	١١	١١	١١	٧	١١	٢	١١	١١	١١
٨	١٢	٤	١٢	١٢	١٢	٨	١٢	٣	١٢	١٢	١٢
٩	١٣	٥	١٣	١٣	١٣	٩	١٣	٤	١٣	١٣	١٣
١٠	١٤	٦	١٤	٢٣١	١٤	١٠	١٤	٥	١٤	١٦١	١٤
١١	١٥	٧	١٥	٢	١٥	١١	١٥	٦	١٥	٢	١٥
١٢	١٦	٨	١٦	٣	١٦	١٢	١٦	٧	١٦	٣	١٦
١٣	١٧	٩	١٧	٤	١٧	١٣	١٧	٨	١٧	٤	١٧
٢٨١	١٨	١٠	١٨	٥	١٨	٢١١	١٨	٩	١٨	٥	١٨

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢	١٩	١١	١٩	٦	١٩	٢	١٩	١٠	١٩	٦	١٩
٣	٢٠	١٢	٢٠	٧	٢٠	٣	٢٠	١١	٢٠	٧	٢٠
٤	٢١	١٣	٢١	٨	٢١	٤	٢١	١٢	٢١	٨	٢١
٥	٢٢	[٢٦]١	٢٢	٩	٢٢	٥	٢٢	١٣	٢٢	٩	٢٢
٦	٢٣	٢	٢٣	١٠	٢٣	٦	٢٣	[١٩]١	٢٣	١٠	٢٣
٧	٢٤	٣	٢٤	١١	٢٤	٧	٢٤	٢	٢٤	١١	٢٤
٨	٢٥	٤	٢٥	١٢	٢٥	٨	٢٥	٣	٢٥	١٢	٢٥
٩	٢٦	٥	٢٦	١٣	٢٦	٩	٢٦	٤	٢٦	١٣	٢٦
١٠	٢٧	٦	٢٧	[٢٤]١	٢٧	١٠	٢٧	٥	٢٧	[١٧]١	٢٧
١١	٢٨	٧	٢٨	٢	٢٨	١١	٢٨	٦	٢٨	٢	٢٨
١٢	٢٩	٨	٢٩	٣	٢٩	١٢	٢٩	٧	٢٩	٣	٢٩
١٣	٣٠	٩	٣٠	٤	٣٠	١٣	٣٠	٨	٣٠	٤	٣٠
١٤	٣١			٥	٣١		٣١	٩	٣١		٣١

(١)الهنعة (٢) ذراع (٣) نصرة (٤)الطرف (٥) الجبهة (٦) زبرة (٧) الصرفة (٨)العواء (٩)السماك (١٠)غفر (١١)الزُبان (١٢) الإكليل (١٣)القلب (١٤)الشول (١٥)النعايم (١٦) البلدة (١٧) المرزم (١٨)سهيل (١٩)با عريق (٢٠) سعد "الخبا" (٢١)فرغ (٢٢)الدلو (٢٣)الحوت (٢٤)نطح (٢٥) البطين (٢٦)الثريا (٢٧)بركان (٢٨)الهقعة.

* المصدر [٢٥٥].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الدورة اليومية

تتألف الساعات العربية لليوم من مجموعتين "نهارية" (٧-١٨ ساعة) و "ليلية" (١٩-٦ ساعات)

			١- الصبح أو الفجر	
١	١٩	٧	الصبح	
٢	٢٠	٨		
٣	٢١	٩		
٤	٢٢	١٠	الضحى	
٥	٢٣	١١		
٦	٠	١٢	٢-الظهر	
٧	١	١٣		
٨	٢	١٤		
٩	٣	٣-العصر		
١ - الصبح		١٥		
١٠	٤	١٦		
١١	٥	١٧		
١٢	٦	٤-المغرب (أفول الشمس)		
		١٨		

			٤-المغرب (النهاية)	
١	١٩	١	الصبح	
٢	٢٠	٢	٥- الليل	
٣	٢١	٣		
٤	٢٢	٤	الضحى	
٥	٢٣	٥		
٦	٠	٦	٢-الظهر	
٧	١	٧		
٨	٢	٨		
٩	٣	٣-العصر		
١ - الصبح		٩		
١٠	٤	١٠		
١١	٥	١١		
١٢	٦	٤-المغرب (أفول الشمس)		
		١٢		

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الصلوات اليومية

١- صلاة الفجر.

٢- صلاة الظهر.

٣- صلاة المغرب.

٤- صلاة العشاء.

٥- صلاة التراويح (في شهر رمضان).

المقاييس التقليدية

وحدات الكتلة:

١- قفلة - قفول = ٢-٢.٣ غرام.

٢- تولة – توالي = ١١.٧ غرام.

٣- أوقية – أواقي = ٢٩.٢٥ غرام.

٤- رطل– أرطال = ١٦ أوقية.

٥- فراسلة – فراسل = ٢٠ رطلًا.

٦- مَنّ- أَمنِية =٢٨ رطلًا (في وادي عمد).

٧- بهار – بهرة = ٣٠٠ رطلًا (حمولة جمل من ١٢٠-١٣٠ كجم) .

وحدات السّعة:

١- مُصرى – مصاري = ١٤ أوقية (الصاع=٢مصاري).

٢- شطر – شطار= ٠.٥ مصرى.

قرص – أقراص.

٣- مكيال- مكاييل، في غرب حضرموت =٨ مصاري.

وفي القطن وشبام وسيئون = ١٠ مصاري.

٤- قهول- قهاول = ١٢ مصاري.

٥- كيس- أكياس =٩ مكاييل.

وحدات الطول الخاصة:

١- بُنَّة- بناين = (حوالي ٢سم) أيبعرض الإبهام.

٢- صاع- صاعات = (حواتلي ٤-٥ سم)أي بعرض أصبعين.

٣- فتر- فترات/ شبر صغير= (حوالي ١٨ سم)، أي المسافة القصوى بين الابهام والسبابة.

٤- شبر –أشبار = (حوالي ٢٤سم)، أي المسافة القصوى بين الإبهام والخنصر.

٥- ذراع- أذرعة = حوالي ٣٦ سم (ذراع قيدون حوالي٤٥ سم).

٦- باع- باعات = (حوالي ١٠٨سم) من طرف الأنف إلى نهاية أصابع اليد اليمنى ممدودة جانبًا.

٧- قامة- قامات= (حوالي١٨٥سم) أي المسافة القصوى بين طرفي امتداد اليدين.

٨- وار- وارات = ٧ أذرع قيدونية، الأربع حوالي (٣٠٤سم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

وحدات طول خاصة:

١- مُفر- موفير: مقياس الارتفاع، ويساويخمسة قوالب من الطوب، وإذا اعتبرناها وحدة واحدة : (٥×٧)+ (٥×٤) = حوالي ٥٥سم.

٢- الطابق الأول في المنزل (قصر أرضي)= ٩ موفير، حوالي ٤.٩٥مترًا .

وحدات المساحة:

١- سهم- أسهام =حوالي ٧.٣ متر مربع.

٢- مطيرة- مطر = ١٨.٧-٣٩.٧ متر مربع.

٣- فدان- فدادين .

أمثال شعبية

١- من قَلَّتْ رجاله تمشيخ.

٢- الشيخ شيخ والسيد أيش من طشة؟

٣- لا وين تبغى يا شارد بحران.

٤- دولة حضرموت الرحمة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ملحق الصور

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



خارطة رقم (2) منطقة البحث، وادي دوعن ووا دي العين:



أولاً: وادي دوعن: (1) المشهد (2) ريدون (3) ميخ (4) المشيقره (5) قهيرين(6) القفر(7) ديلر ال حميد(8) نجوده (9) الحوطة(10) شرج بن حارش(11) خريفر(12) الجدفر(13) القرم(14) القبر(15) سيلج(16) غار السودان (17) لبره (18) لعبر (19) معشعه (20) نبخ (21) خليفه (22) حبر (23) حصن لبوشي (24) الحلفية (25) قرة بن بطوم (26) قبلين (27) صنيف (28) حصن الجمقره (29) لفل (30) الحصن (31) دوكة (32) خديش (33) باك الما (34) عبدالهلاعم (35) العرعسة (36) حصن ال بوحسن (37) جبيل (38) الربضة (39) قرن منيه (40) القبلي (41) بطيه (42) حصن عبد الصمد (43) لشنسراني (44) الفقش (45) قسرة بكوله (46) الجبيل (47) لعل بنحير (48) القرة (49) خسوفر (50) لجرات (51) عرض باسويد (52) الزاهر (53) البرشه (54)لعويبه (55) الغوبره (56) عدون (57) رحاب (58) القرين (59) عبر (60) لحسنمة باصره (61) الشق الشرقي (62) قرشيد (63) باشعيب (64) شقريبة (65) قرن باعليم (66) الحسوسة (67) قريه باسيش (68) لفل باحاجره (69) الجريه (70) الشويطة (71) شرق (72) الربط (73) حصن باصم (74) الحمي (75) عرض باعليم/ بقفر (76) الدوفه (77) الجديدة (78) سيوح، جريف (79) خيلة الغابية (80) خيلة الشرقية (81) المنعصن (82) قرن (83) حصن باصم (84) نوابه (85) حوفه (86) حيد الجزيل (87) خليف باعبود (88) حوف مدره.

ثانياً: وادي العين: (1) عيناب (2) مروح (3) لقانت (4) السفيل (5) نبيقول (6) جعيدوره (7) الجوبرات (8) حصن بصباح (9) حصن الفرانيس (10) جريبات (11) بقة بن حمدين (12) منهب (13) مشره (14) البخاته (15) الحبرة (16) قهلم (17) حريه (18) القاهرة (19) بلمقعن (20) المرقي (21) نيس (22) لخبر (23) سماح (24) صنيق باعبود (25)لقب (26) شرج الشريف (27) حصن ال بكير (28) الغيضة السفلى (29) الغيضة العليا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225



رسم (1) مدينة الهجرين ،الطبوغرافيا والري: 1- قنطرة جانبية (دامر) 2- رصيف بالزلط
3-6- تقسيم المياه ، قنوات التصريف : من قناة دمون : أ- باحداد، ب- مجفى ج- عيبه.
من قناة هيدون : د - التجل. هـ - السفل ، و- حميش

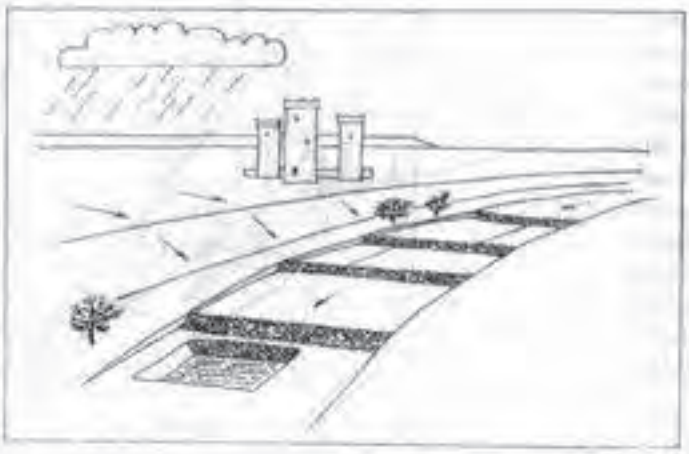
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



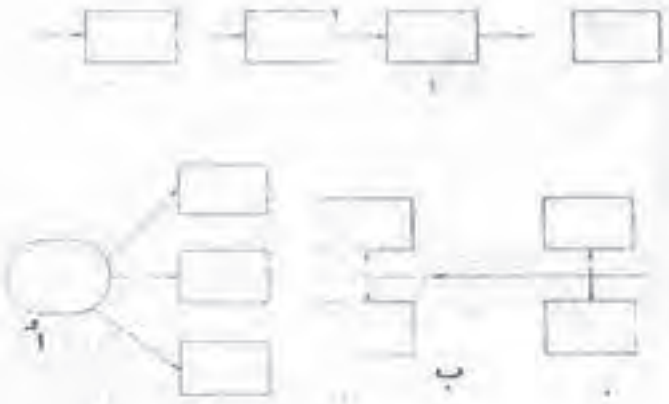
الرسم (2) قواعد الري بالسيول في الأودية: توجه السيول بقناطر أنساق جانبية (1) إلى القناة الرئيسية ، (2) التي توصل تشعباتها الماء إلى الأرض، حيث يخرج الفائض من خلايا ميازيب جمع المياه (3).

الرسم (3) و(4): عقد التكنيك العالية أثناء الري بالسيول في الأودية:
أ- قناطر أنساق جانبية (دامر) ب- قناطر (سطحية أو جوفية) لحجز المياه (منلكن)
ج- قناة موازنة مفتوحة (بد) د- قناة موازنة مغلقة بمناطق خاصة مع الشقاطة (خرة)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100081702225



الرسم (5): الري بالأمطار في الهضاب: يستخدم الميل الطولي للأرض الانحدارات الطبيعية للأماكن، فينحدر الماء من أرض إلى أرض في قنوات (عتم – عتوم) ولذلك تسمى طريقة الري هذه عتومية.



الرسم (6): طريقة توزيع الماء في الأرض: 1- مباشرة 2- متتابعة 3- أ، ب – متوازية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

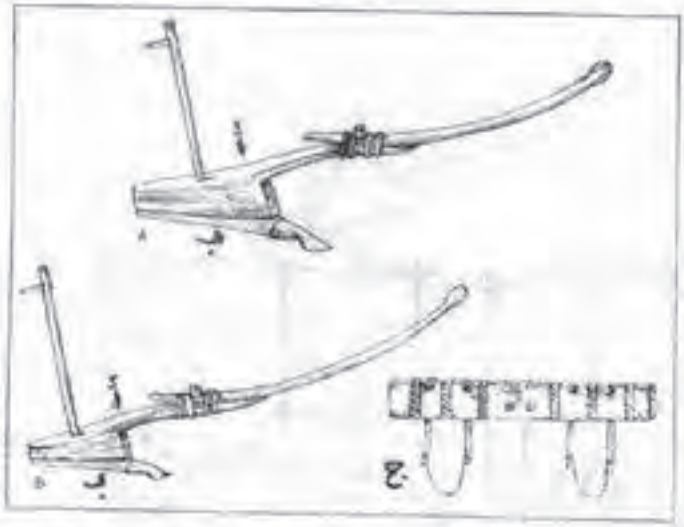


الرسم (7): الرز من الأسفل (سناوة): وسيلة الجر في الجبل وقبل عدة سنوات خلت استخدمت الثيران، وفي الوقت الحاضر جرى مكننة الآبار (أي استخدام مكائن الضخ بأنواعها).

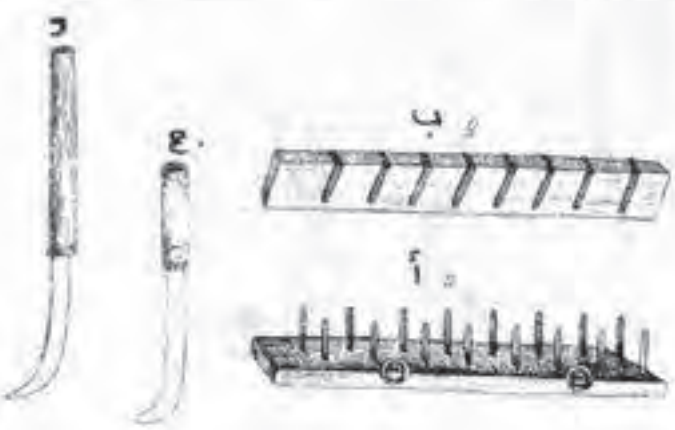
الرسم (8): تشريح نخلة التمور" (أنظر الجزء2، الفصل1 الفقرة1: زراعة النخيل) حسب رسم ب.أ. يوغوريلسكي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

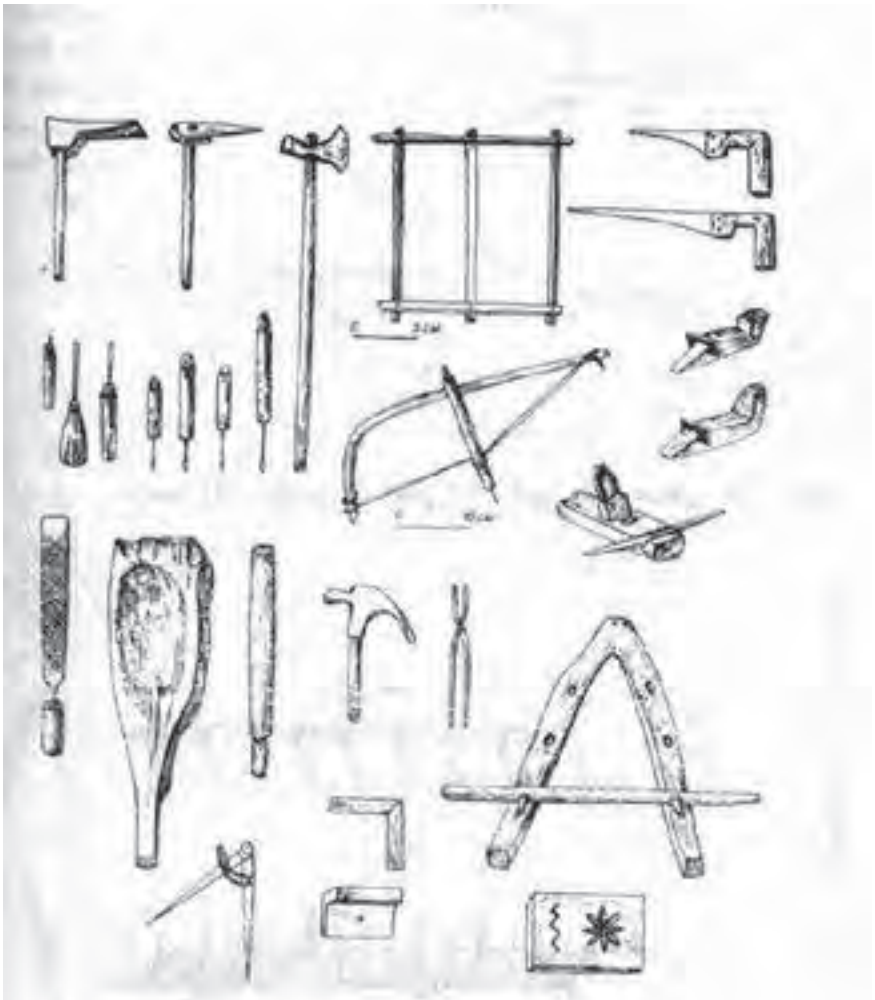
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الرسم (9): المحراث (حلى) أ- كبير ب- صغير ج- المنير



الرسم (10): أدوات زراعية: أ- مسلفة كبيرة ب- لوح لتسوية الأرض ج- المنجل (الشريم) د- مشذب.



الرسم (11): أدوات النجارة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الرسم (12): طريقة تثبيت جذع شجرة مهذب في حوامل للقطع بمنشار ذي مقصبين.



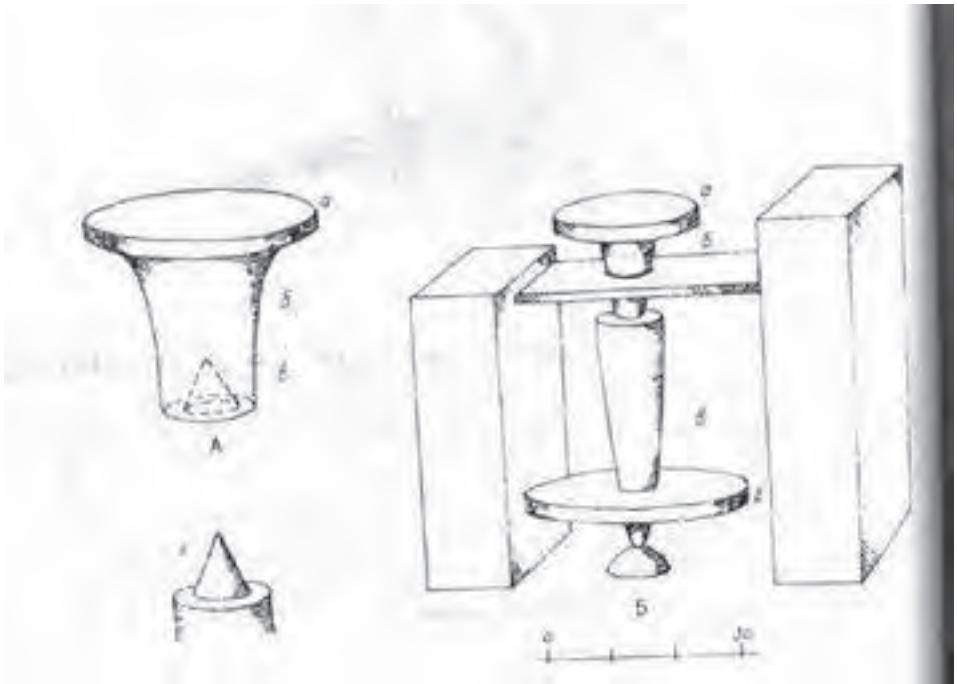
الرسم (13): أدوات الحداد: 1- كير محمول 2- السندان 3- ملقط 4- قاطعة للصفائح

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (14): من أدوات صناع الحلي: 1- بوتقة (الارتفاع 4.8 سم، قطر الأساس 3.9 سم) 2- قالب محمول (الارتفاع 11 سم، طول الأساس 24 سم) 3- كتلة معدنية مصبوبة (طول الجزء العلوي 12.7 سم، العرض 9.2 سم) 4- قالب طبع (الطول 15.9 سم، العرض الأقصى 2.4 سم) 5- موقد لحام يعمل بالكيروسين (قطر القاعدة 9.4 سم، الارتفاع العام 26.7 سم) 6- مكبس فخاري (قطر الأساس 18.4 سم، الارتفاع 8.9 سم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

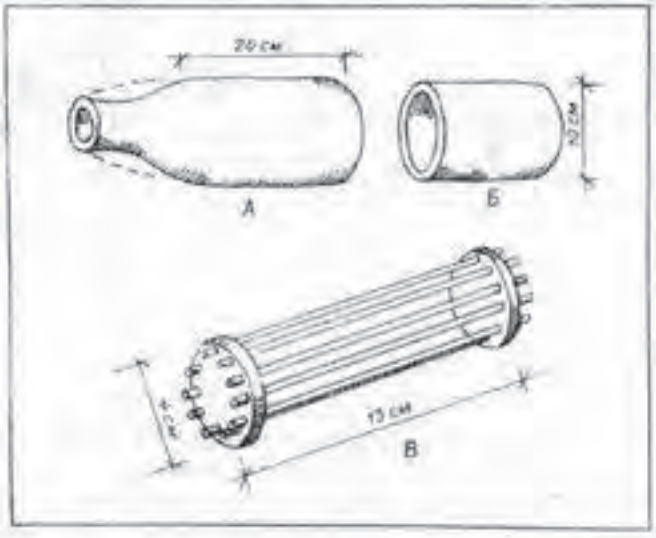


رسم (15): أدوات إنتاج المصنوعات الفخارية: أ- في صيف ب- في عمد (انظر التفاصيل، الجزء 2، الفصل 1، الفقرة 3، الصناعة الفخارية).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

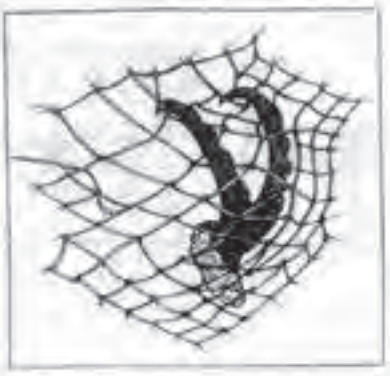


الرسم (16): منوال من مدينة البويرقات في وادي العين



الرسم (17): الخلية والقفص لملكة النحل (التفاصيل الجزء 2، الفصل 1، الفقرة 4: تربية النحل).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

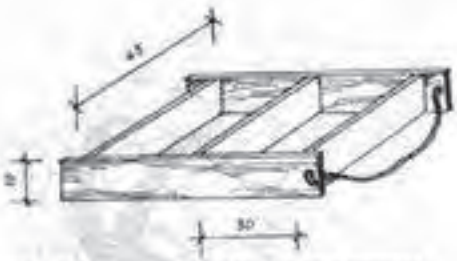


رسم (18): قرن الوعل في الشبكة: عنصر من احتفالات القنص في مدودة (حضرموت الوسطى) أما في حضرموت الغربية فلا تستخدم الشبكة

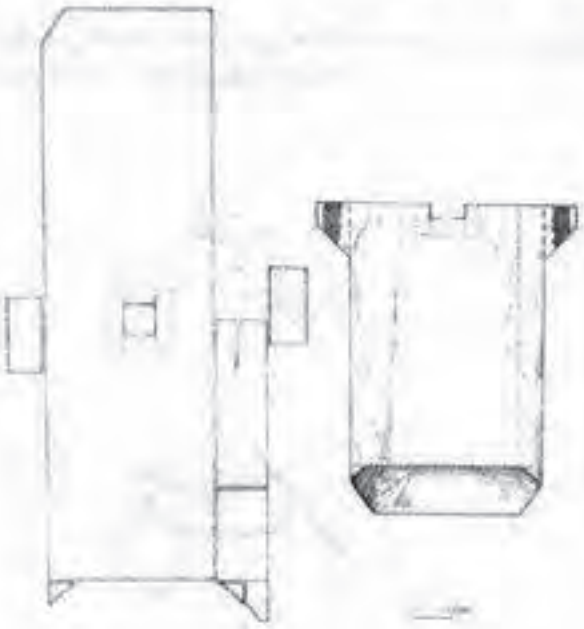


رسم (19): أ- رحى يدوية ب- مطحنة حبوب حجرية (في المطبخ الاعتيادي)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الرسم (20) : قالب خشبي للطوب الخام



الرسم (21): الثوب النسائي اليومي، نموذج الهجرين: التفصيل والمظهر الخارجي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الرسم (22): قناع الوجه: إلى اليمين: نموذج الهجرين، وإلى اليسار قناع من قرية العادية في وادي دوعن، أي إلى الجنوب من منطقة الهجرين



الرسم (23): قبعة محاكة من سعف النخيل، وقناع الوجه مع منديل الرأس.

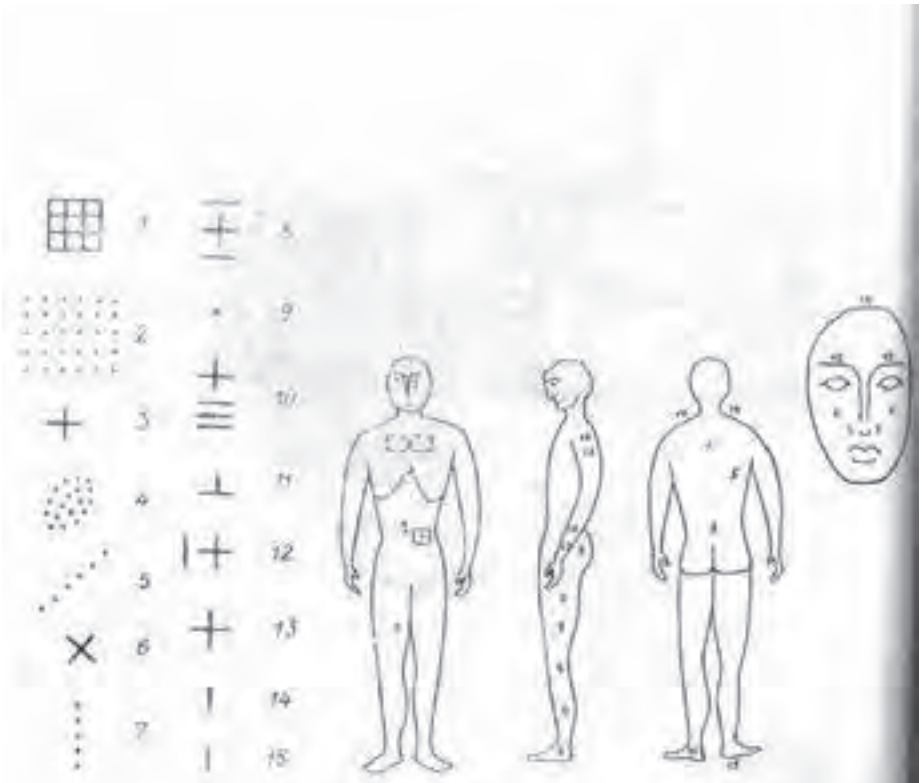


الرسم (24): نقش وجه العروس الحضرمية (وفقاً لمواد المتحف الاثنوغرافي في سيئون).



الرسم (25): نماذج لنقش أيادي النساء بالحناء (1 – 4) من المهجرين في وادي دوعن.

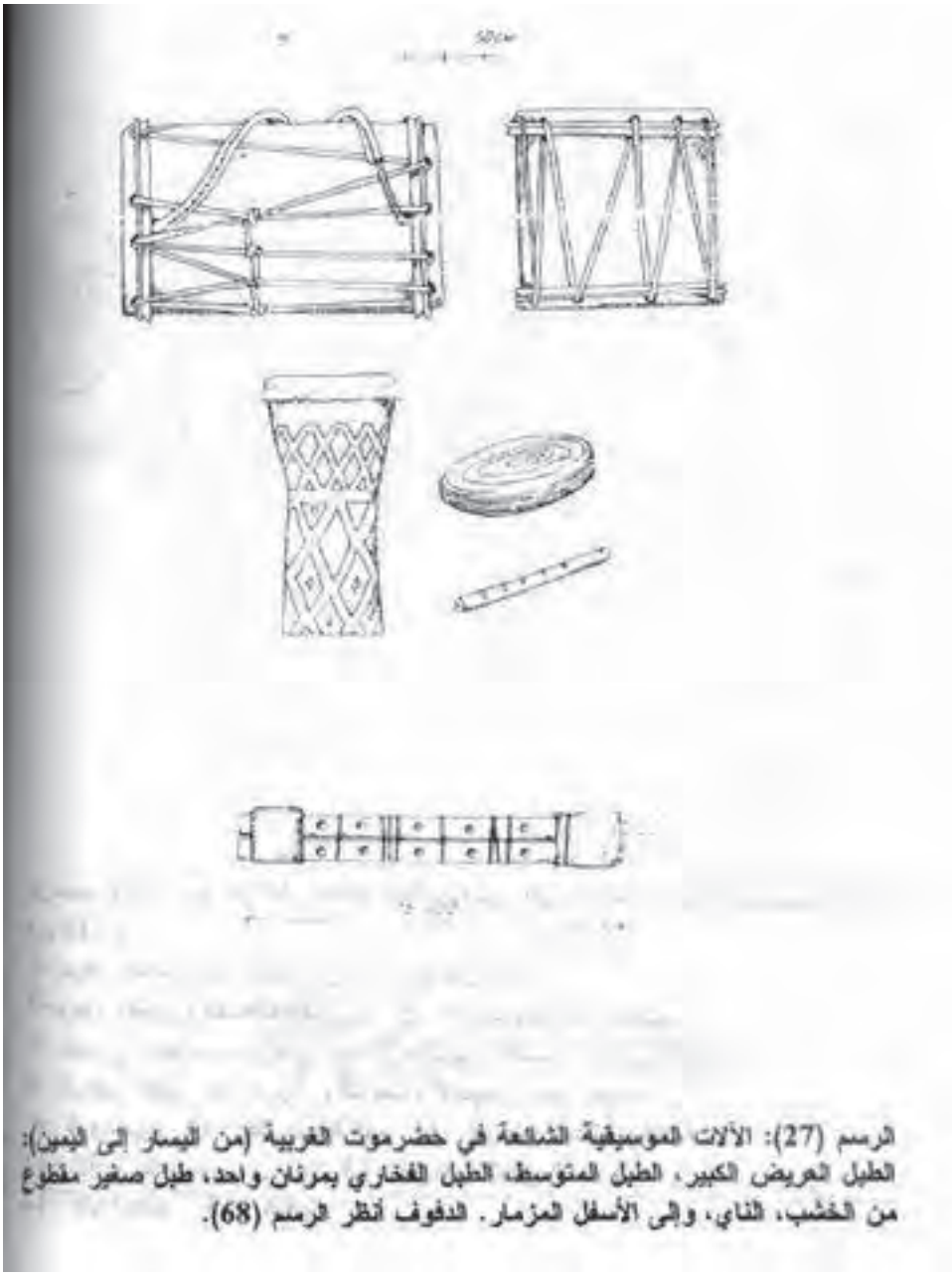
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (26): رسم تخطيطي لنقاط العلاج بالكي: (في الأساس مضافة ومصححة (271 ص 114):

1- مرض الطحال 2- مرض الرئة 3- مرض المعدة
4-مرض القلبان والضعف العام 5- الجذاب وأمراض القلب
6- الجدري والجرب وأمراض الجلد 7- الربو "الأستمه"والرض الفقري
8- أمراض الظهر عند الرجال والنزيف والإجهاض عند النساء
9- الروماتيزم 10- خلل ضغط الدم 11- أمراض المثانة والكلية
12- الإفراز الصديدي من العين 13- أمراض الحلق الشديدة
14- ألام العضد 15- النقيز

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (27): الآلات الموسيقية الشائعة في حضرموت الغربية (من اليسار إلى اليمين): الطبل العريض الكبير، الطبل المتوسط، الطبل الفخاري بمرنان واحد، طبل صغير مقطوع من الخشب، الناي، وإلى الأسفل المزمار. الدفوف أنظر الرسم (68).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (28): الباحث الحضرمي عبد القادر محمد الصبان

الصورة (29): حسين عبد القادر بن الشيخ أبوبكر – صديق ومعاون أعضاء البعثة السوفيتية اليمنية.

الصورة (30): الشاعر الشعبي وبشر: مبارك سالم بن عفيل (1911 – 1989)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (31): بئر قرب مسقاه للماشية – بقرة قصيرة القامة.



الصورة (32): بئر مع إداة رفع على هيئة ثلاث أرجل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الصورة (33): خزان لمياه الشرب (سقاية) بالقرب من قرية القزه



الصورة (34): المحراث الخشبي والنير



الصورة (35): نجار وبجانبه نافذة خشبية بدرفتين وإلى اليسار سلة أدوات النجارة.



الصورة (36): برذعة مع "الأجنحة" الخشبية التقليدية (للمقارنة الصورة 70).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (37) و(38): الجمال والناس

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

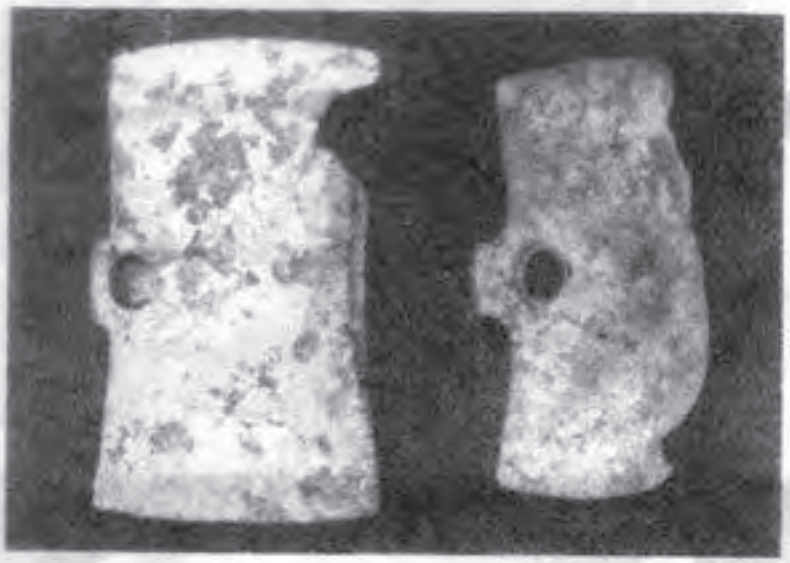


الصورة (39): أجران خشبية

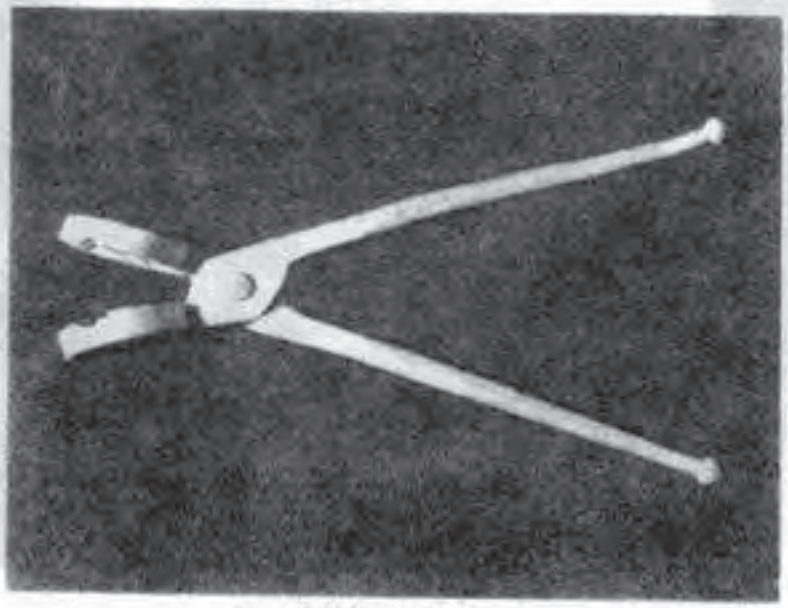


الصورة (40): قدح خشبي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



صورة (41): نصال المجارف



الصورة (42) مسبك للرصاص

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (43) بنادق المسكيت ذات الفتيلة



الصورة (44) مغسلة فخارية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الصورة (45): آنية للماء البارد (خزبه) وقدح للقهوة



الصورة (46): قدور حجرية (برمة - برم)



الصورة (47): منتوجات محاكه من سعف النخيل

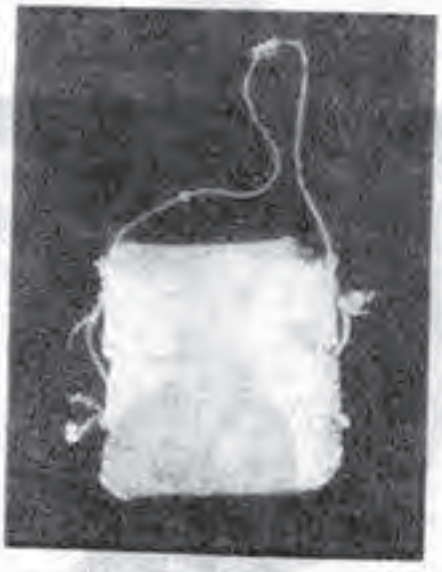
الصورة (48): حقه مضفورة لحفظ الوثائق

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الصورة (49): وعاء مُحاك كبير تعلق عادة مثل هذه الأوعية على حبل الى السقف



الصورة (50): حقيبة مضفورة للعنق المذكر (فحطة) تستخدم عند تلقيح النخيل.

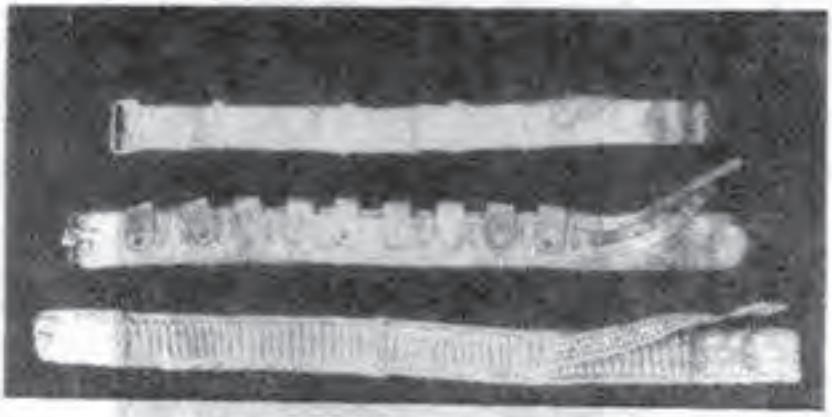


الصورة (51) دلو من الجلد

الصورة (52): نعال أبو جحيش

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

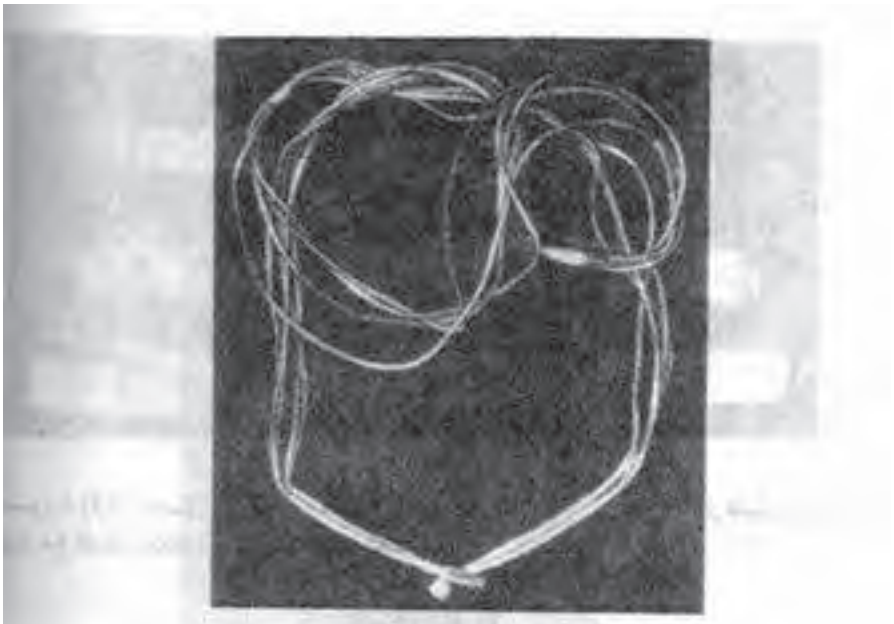
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (53): أحزمة رجالية (من الأسفل إلى الأعلى): حزامان للخراطيش، وحزام حديث مع أقسام لحفظ النقود والأشياء الصغيرة.



الصورة (54): قنبلة : وعاء جلدي للبارود والرصاص

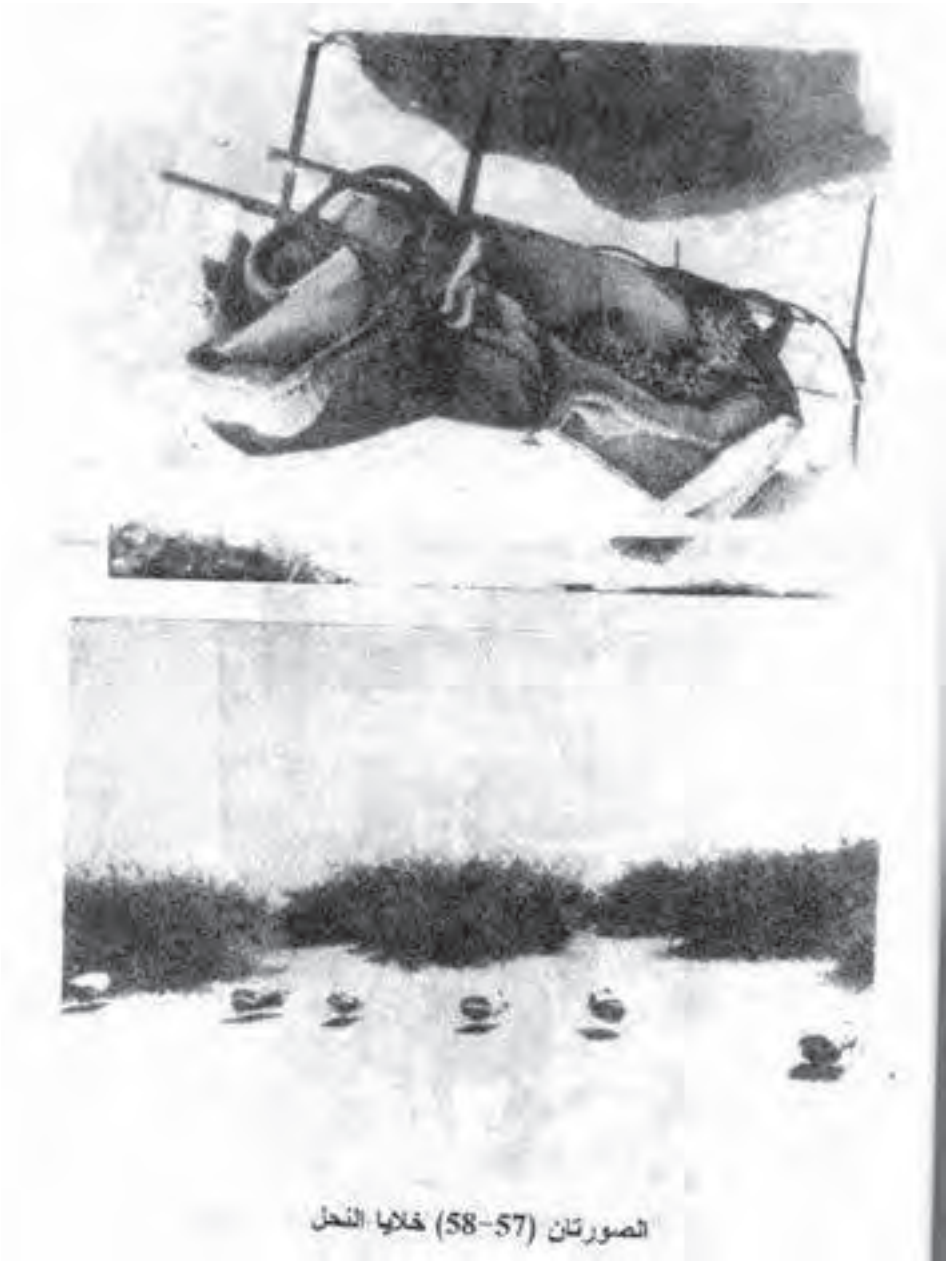


الصورة (55): نطاق نسائي قديم من الجلد



الصورة (56): معصرة زيت السمسم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورتان (57-58) خلايا النحل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (59): في وادي دوعن : المغارة – مسكن ومكان لحفظ الأدوات المنزلية.



الصورة (60): وادي ذهر عند بوابة المنزل (البرج)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

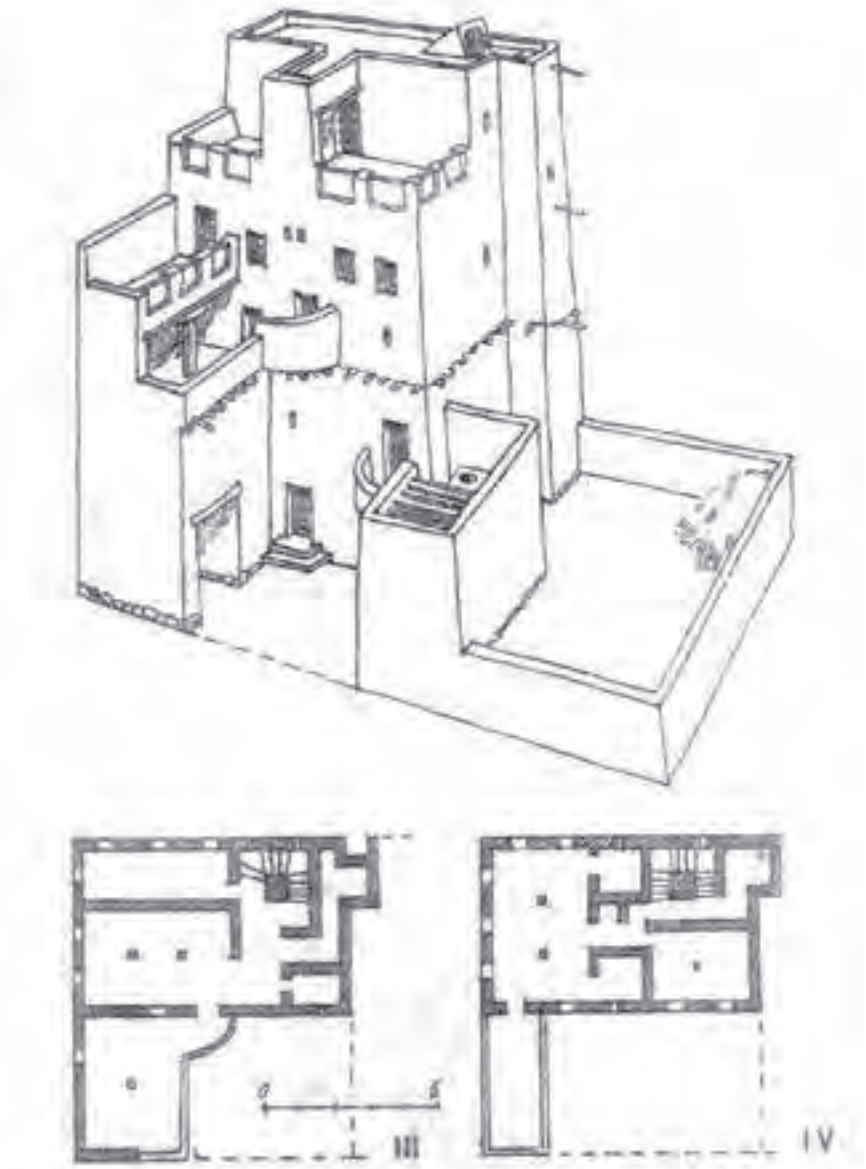
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (61): منزل بالأبراج في القرة



الصورة (62): مدينة الهجرين: بوابة الدخول – بزخارفها



الصورة (63): المهجرين: مسكن – عزبة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (64): منزل حديث (المالك – حسين عبدالله بن الشيخ بوبكر من قرية خريخر، انظر الجزء 2، الفصل2 ، الفقرة 1).



الصورة (65): كانون تقليدي: قرية العجلانية وادي الكسر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (66): حجرة للأدوات المنزلية، الى اليمين – زير مقلوب

الصورة (67): منظر داخلي لمسكن في وادي دوعن: دولاب منقوش ومستلزمات فراش النوم.

276

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (68): مدينة حريضة: منظر داخلي لمنزل المنتسب من آل العطاس، إلى اليمين - دفوف المراسيم (طار – طيران): دائري وذو ثمانية أطراف.



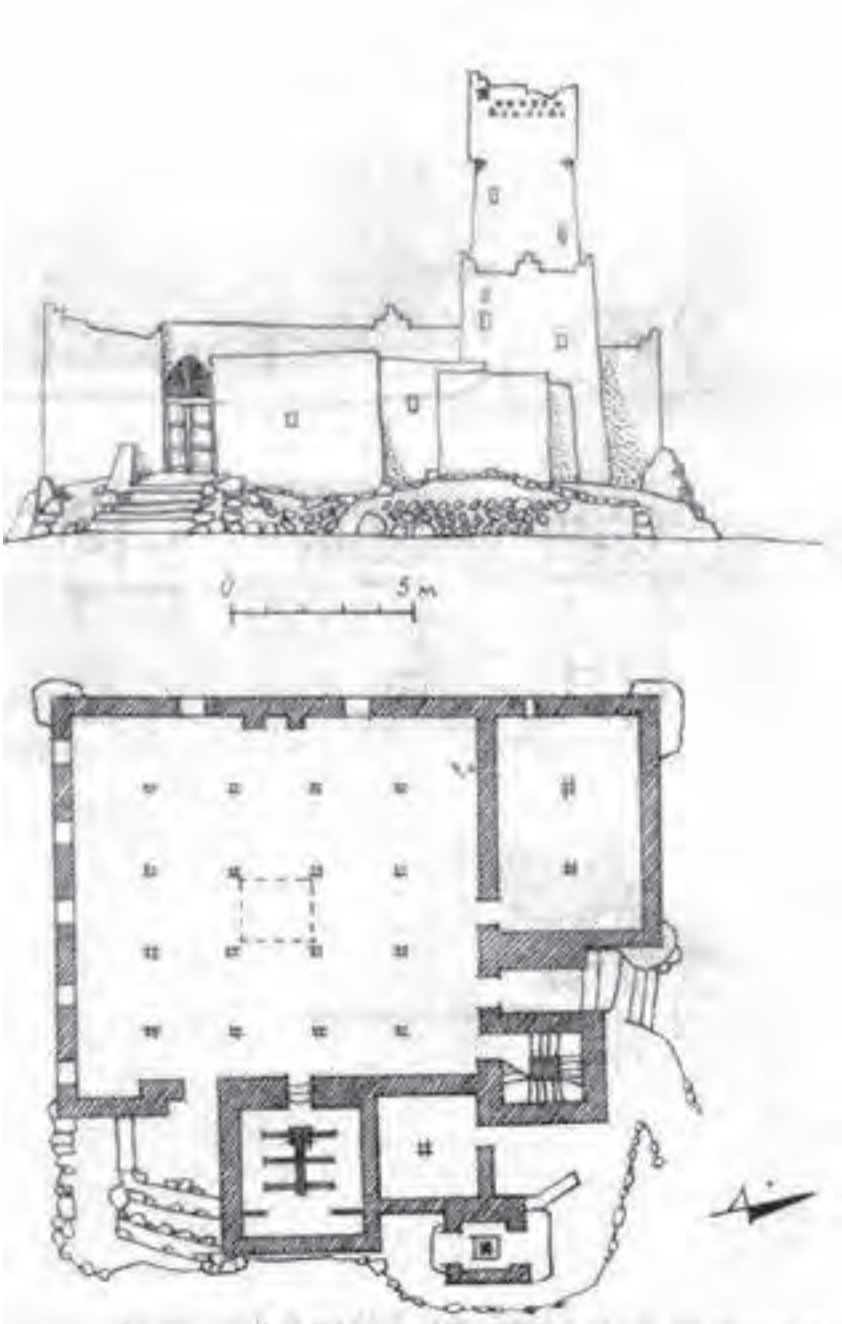
الصورة (69): تحضير الطوب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



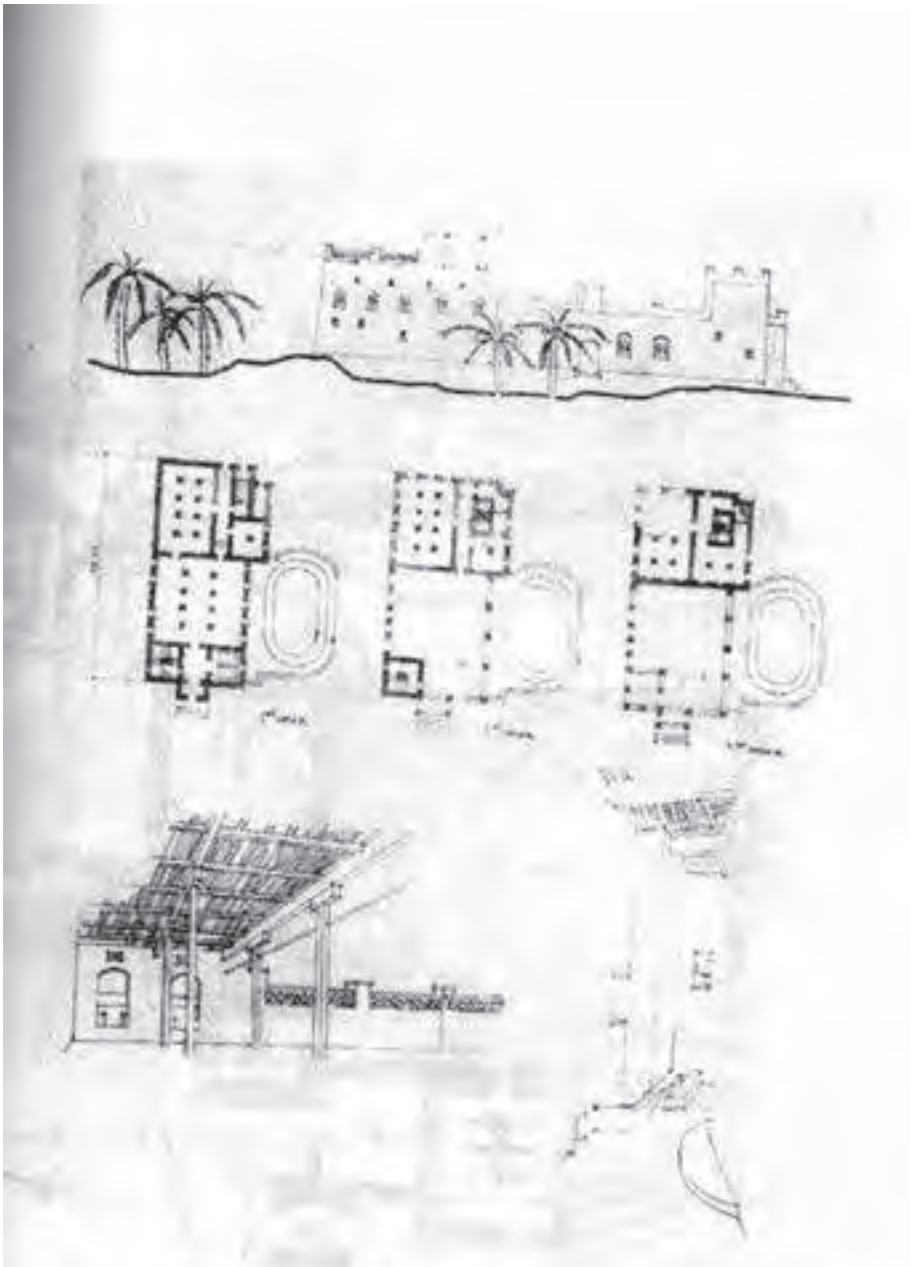
الصورة (70): نقل الطوب الخام. بردغة حمار مع "أجنحة" حديثة من أنابيب معدنية (للمقارنة الصورة 36).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (71): مسجد علي حسن بارباع في قرية سدبة (وادي الكسر).

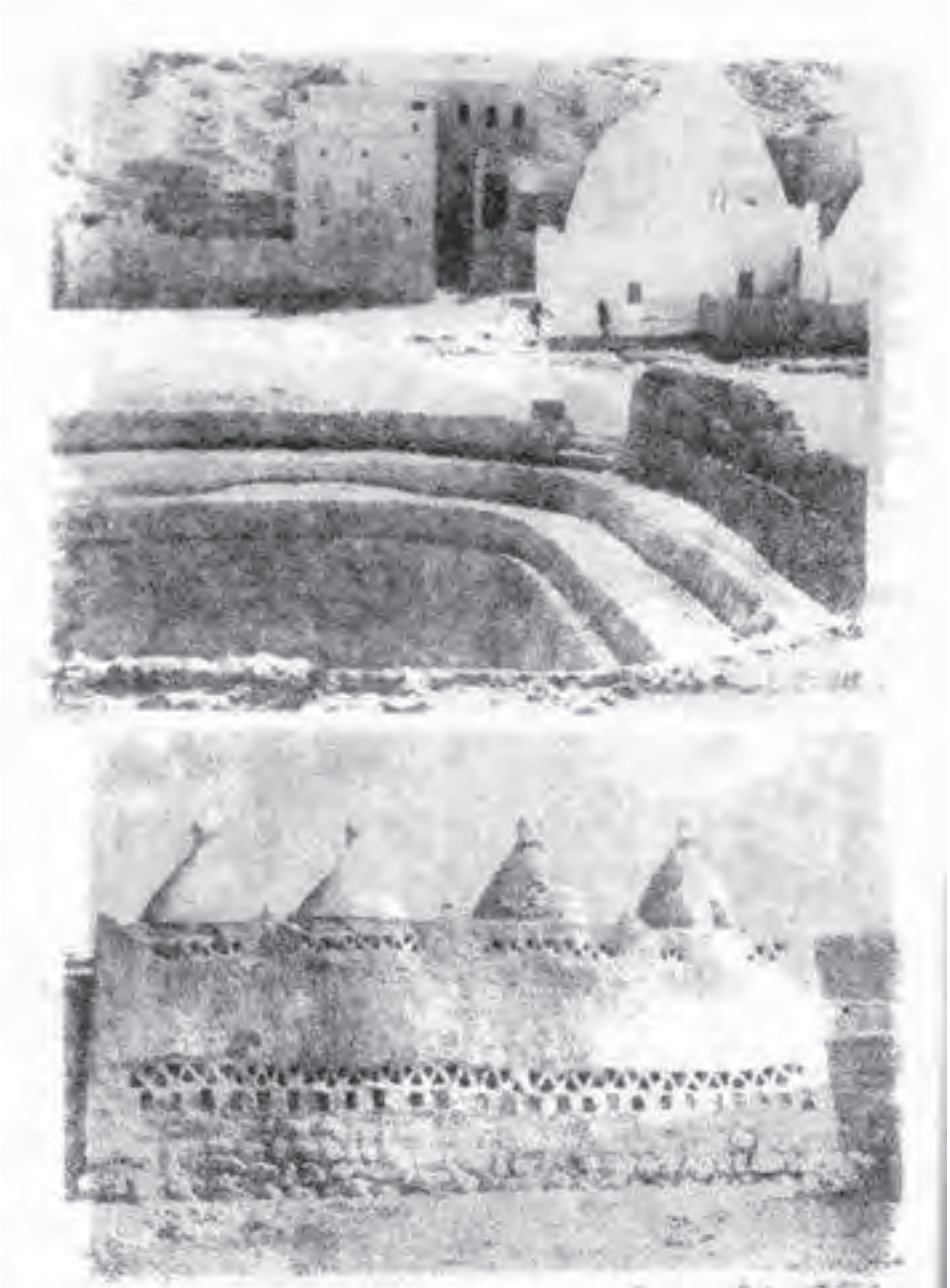
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (72): مدينة عمد: منزل غريب الشكل: مقصد القبلة في مسجد الفرج.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



لصورتان (73-74): مشهد على في وادي دوعن: خزان مياه الري (جانبية)، وخزان مياه الشرب (سقاية).



الصورة (75): مشهد علي: قبة آل العطاس (أنظر الجزء 2، الفصل 2، الفقرة 1، المشهد).



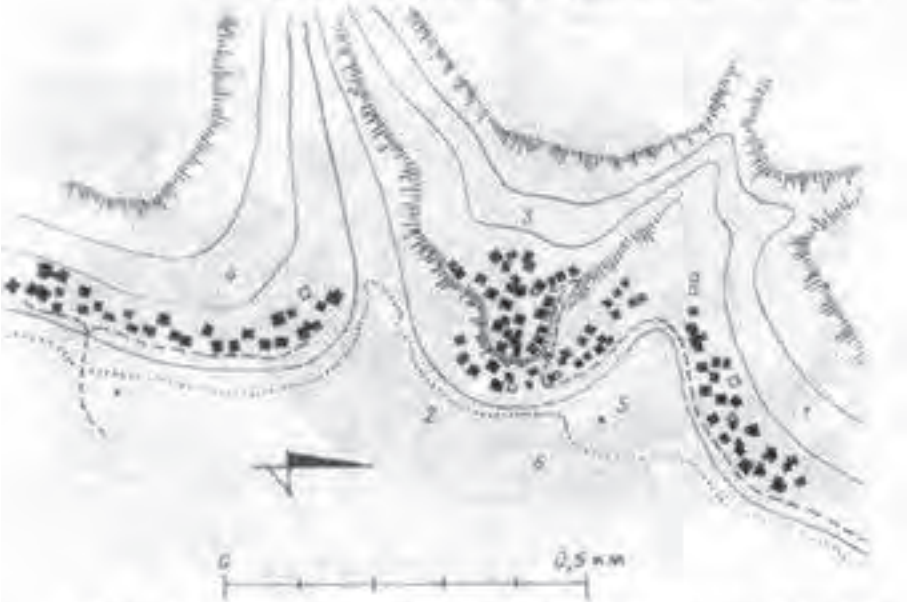
الصورة (76): قرية الجحي في وادي دوعن، ضريح امرأة من أسرة السادة آل المقبيلي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الصورة (77): مقبرة بين الهجرين وخريخر في وادي دوعن



الرسم (78): القرة: مخطط المدينة (انظر الجزء2 ، الفصل 2، الفقرة 1: القرة)



الصورة (79): القرة: منظر عام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (80): الهجرين: مخطط المدينة (انظر الجزء2، الفصل2، الفقرة1: الهجرين)



الصورة (81): الهجرين: منظر عام للمدينة مع شبكة الري إلى الجنوب منها

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



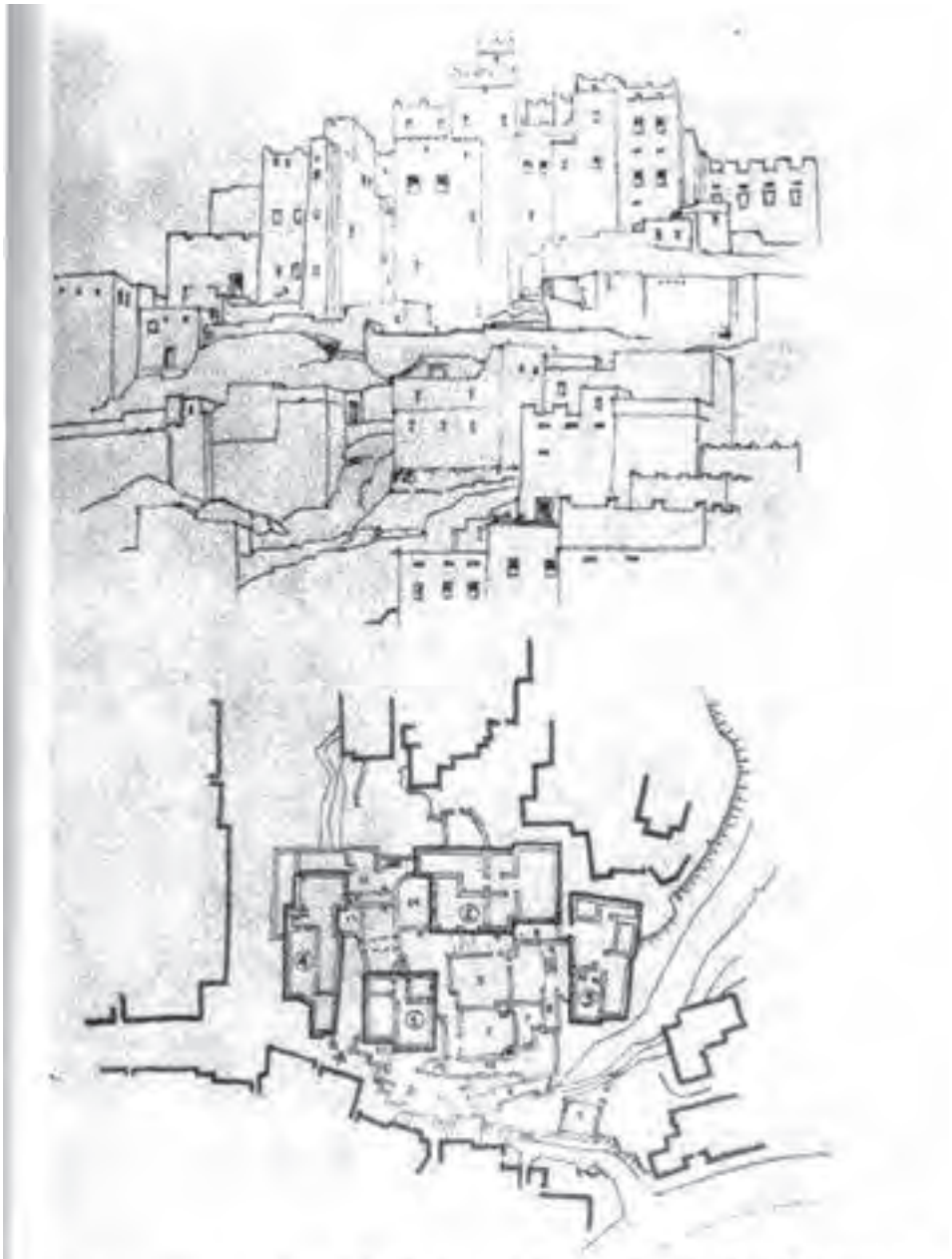
الرسم (82): مدينة عمد: مخطط (أنظر التفاصيل الجزء 2، الفصل 2، الفقرة 1: عمد)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الرسم (83): مدينة عمد: منظر عام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الرسم (84): قلعة (المصنعة) قبيلة بن شملان في مدينة عمد: رسم ومخطط (انظر التفاصيل الجزء2 الفصل2 الفقرة1: عمد).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



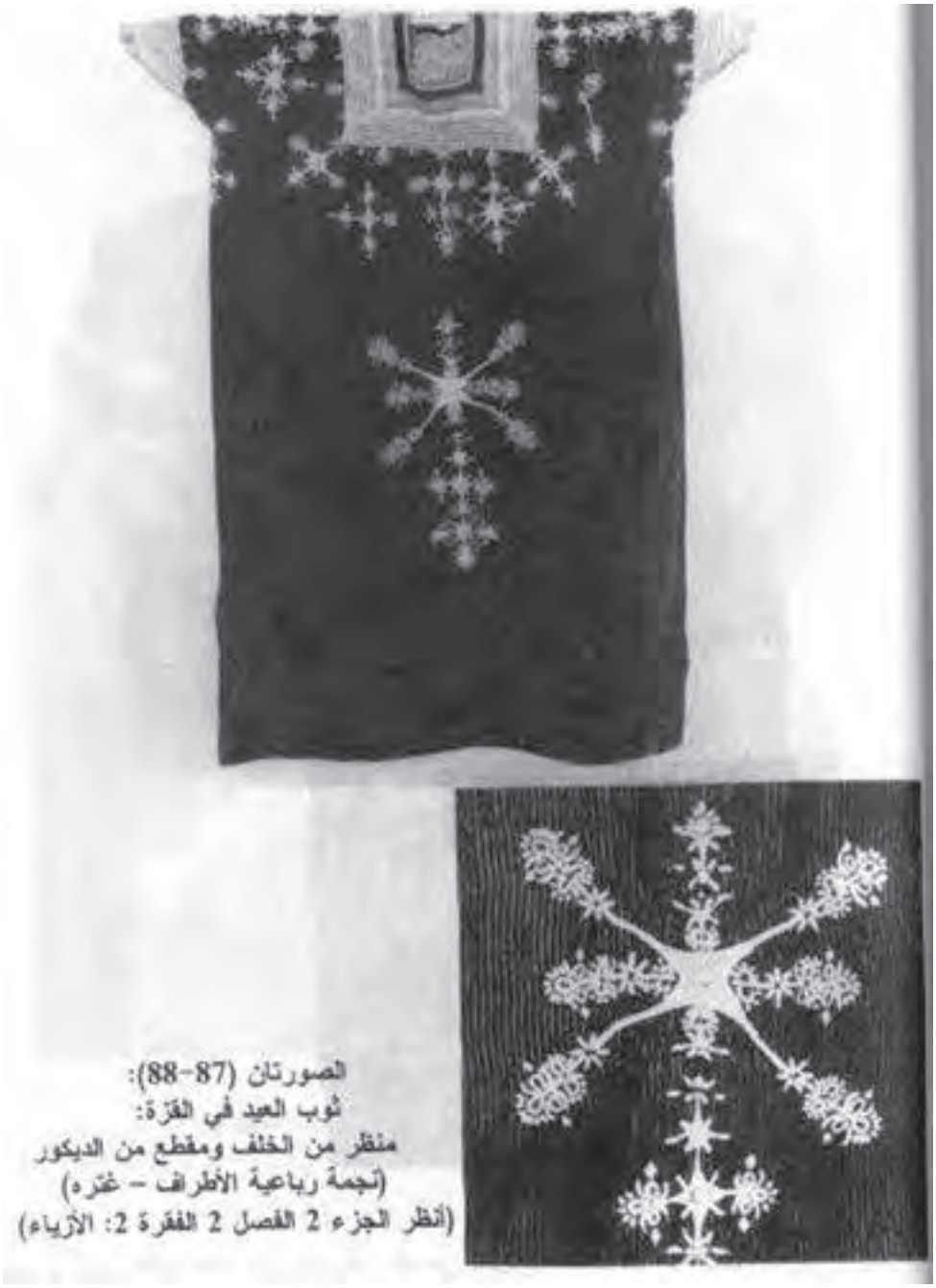
الصورة (85): الملابس التقليدية للرجال من طبقة القبائل. وتظهر الجنبية من وراء الحزام، ولدى أحدهما شريط يُلبس عبر الكتف لغرض الجلوس.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



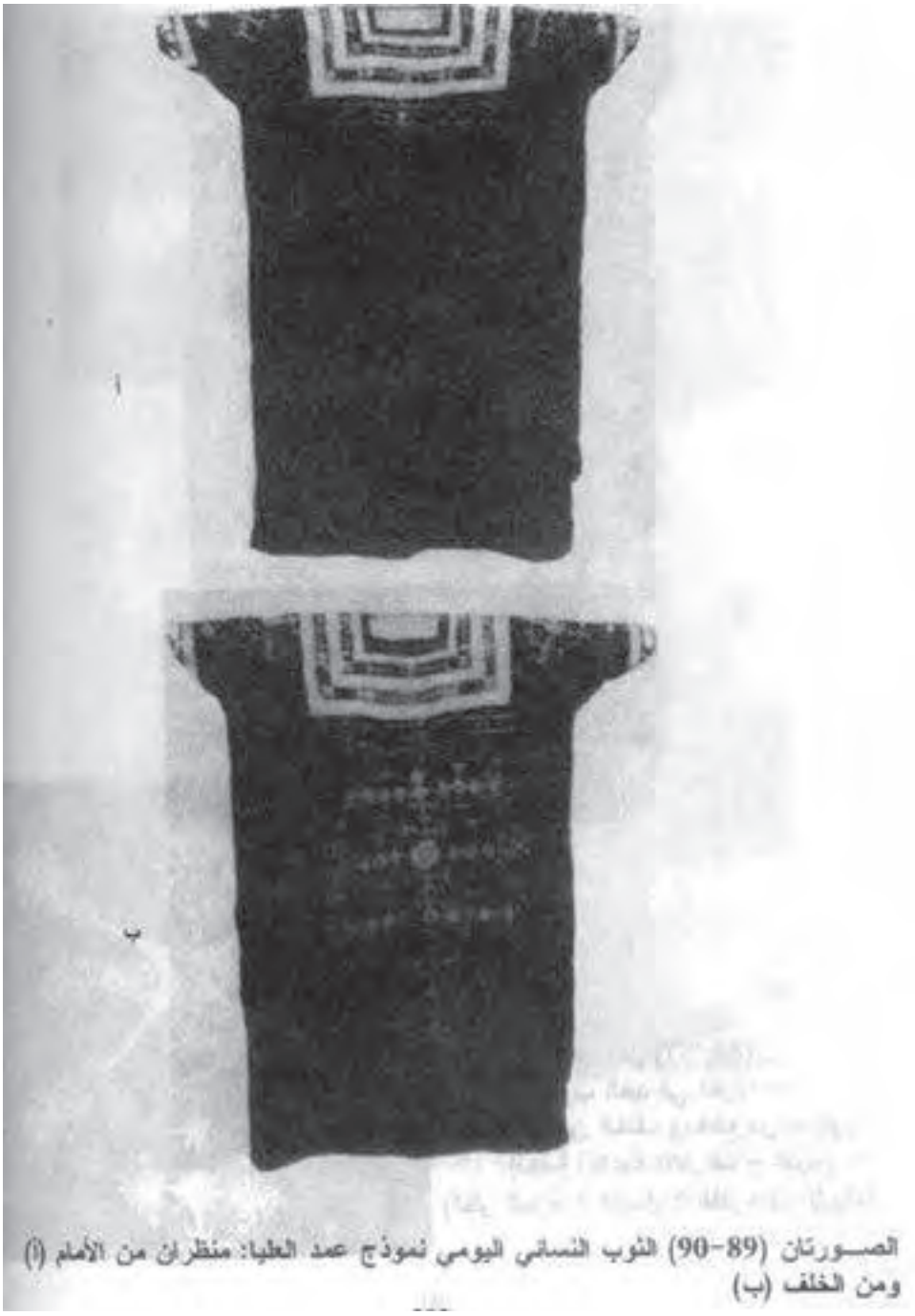
الصـــورة (86): امـــرأة بقناع الوجه وفتاة بقبعة. الحزام فضي وحاشية القبعة وأعلاها باللون الاسود كخاصية لوادي العين.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورتان (87-88):
ثوب العيد في القزة:
منظر من الخلف ومقطع من الديكور
(نجمة رباعية الأطراف – غتره)
(أنظر الجزء 2 الفصل 2 الفقرة 2: الأزياء)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصـــورتان (89-90) الثوب النسائي اليومي نموذج عند العليا: منظران من الأمام (أ) ومن الخلف (ب)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022



الصورة (91): بدوية مع طفل من الحالكة قبيلة السيبان

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225



الصورتان (92): بدويات من الحالكة في محطة بالقرب من ريبون في وادي دوعن الأسفل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



الصورة (93): مواد الحياة الاعتيادية: من اليسار إلى اليمين:
قضيبان للعلاج بالكي، منزعة كلابية لقلع الأسنان، ريشة بدبوس للتجميل، بكلة للحزام.

المصادر والمراجع

١- أقوال علي بن زايد. دراسة البرودني. صنعاء،١٩٨٥م.

٢- ألكسندروف. أي. أ.جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (دليل). موسكو ١٩٧٦م.

٣- علي بن زايد. أشعار. إعداد أ. أغارشيف و أ. سانتشيس. موسكو، ١٩٦٨م.

٤- الجزيرة العربية: مواد حول تاريخ الاكتشاف. مترجم عن ألالمانية موسكو، ١٩٨١م.

٥- أرنولد من فيلانوفا – قانون الصحة الساليرني. مترجم عن اللاتينية. موسكو ١٩٧٠م.

٦- العطاس علي بن أحمد. نفح المسك المفتوت من أخبار وادي حضرموت (مخطوط، أرشيف أسرة العطاس. حريضة. ج.ي).

٧- العطاس علي بن أحمد. ترجمة: أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس، بدون مكان/ ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٨- العطاس علي بن حسن. كتاب السفر الساني من قلائد الإحسان وفرائد اللسان (مخطوط، أسرة العطاس. حريضة. ج.ي).

٩- العطاس علي بن حسن. كتاب المقصد في شواهد المشهد (مخطوطة، "مكتبة" الأحقاف "تريم"، ج.ي).

١٠- العطاس أحمد بن حسن. شجرة في أنساب العرب القاطنون بالجهة الحضرمية (مخطوطة، "مكتبة" الأحقاف "تريم"، ج.ي).

١٠/أ- باوزير مزاحم باسالم. البدر المنير في رفع الحجاب من نسب آل أبي وزير ... القاهرة، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

١١- بايمين سعيد عوض. عادات الولادة والختان في مديرية المكلا. – حضرموت. المكلا، ١٩٨٤م، ص ٥٧-٦٦.

١٢- بامطرف محمد عبدالقادر. المعلم الحق: الشاعر الشعبي الأول. عدن، ١٩٩٨٣م. (ط٢).

١٣- بامطرف: الغائب الحاضر. عدن، ١٩٨٨م.

١٤- باصبرين علي بن أحمد. الجُمل من المخيمات الدينية (مخطوطة، "مكتبة" الأحقاف "تريم"، ج.ي).

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

١٥- باحنّان محمد بن علي. جواهر تاريخ الأحقاف. جزآن، القاهرة، ١٩٦١م.

١٦- بلحاج عبدالله بن عبدالرحمن. المقتصر الصغير فيما لابد لكل مسلم من معرفة في العبادات على مذهب الإمام الشافعي. جدة،١٩٨٥م.

١٧- باير. غ.م. ريبون في حضرموت. زنانيتي – سيلا. ١٩٨٥م، العدد٩ ص ٣٠ -٣٢، العدد١٠ ص ٤١-٤٣.

١٨- بوديانسكي. ف.ل. العربية الشرقية. موسكو ١٩٨٦م.

١٩- وثائق المؤتمر الأول للأداب والتراث الشعبي بالمحافظة الرابعة. عدن، ١٩٧٤م.

٢٠- الوثائق الخطية. قسم الوثائق، ١٠٧٦ – ١٣٥٩/ ١٦٦٥ – ١٩٤١، سيئون، ١٩٨٥م.

٢١- غيرا سيموف. أ.غ. في تقاطع طرق الشرق الأوسط. موسكو، ١٩٨٣م.

٢٢- غيرا سيموف. أ.غ. الوثائق اليمنية. موسكو ١٩٨٧م.

٢٣- دال. ف. ي. المعجم اللغوي للغة الروسية الحية. المجلد الثالث. موسكو، ١٩٥٦م.

٢٤- الجهاز المركزي للإحصاء. فرع محافظة حضرموت. الإحصائية السنوية للأعوام ١٩٨٣ – ١٩٨٥م. المكلا، ١٩٨٧م.

٢٥- الزهراوي أبو القاسم. مبحث في الجراحة والأدوات. ترجم النص عن العربية أ.م. بونياتوف. تقديم ب.د. بيتروف. موسكو، ١٩٨٣م.

٢٦- أبن ناصر يسلم ناصر. أشعار من الوادي لمستور حمادي. سيئون، ١٩٨٣م.

٢٧- أبن هاشم طاهر بن حسين. كتاب التحف النبيل ببعض معاني حديث جبريل. سنغافورة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٨- الأبريقي الحبّاني حسين بن محمد. المحققة في متغيرات البندقية – تحقيق ودراسة عبدالله أحمد محيرز. عدن، ١٩٨٨م.

٢٩- القرآن الكريم. ترجمة وتعليق. أي. يو. كراتشكوفيسكي ط٢، موسكو، ١٩٨٦م.

٣٠- الملاحي عبدالرحمن. عادة الولادة (مخطوط، أرشيف المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، ج.ي).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٣١- نوسال م. أ، نوسال ي.م الأعشاب الطبية وطرق استخدامها شعبياً – كييف، ١٩٥٩م.

٣٢- رودينوف. م. أ. في أودية حضرموت – حول العالم. ١٩٨٣م. العدد١٢ ص١٨ - ٢٢.

٣٣- رودينوف م. أ. المتنبي: الشاعر في المجتمع الإسلامي القرن العاشر الميلادي – الإسلام. الدين والمجتمع والدولة. موسكو ١٩٨٤م ص ١٤٩ -١٥٥.

٣٤- رودينوف م. أ. البدوي الليبي – حول العالم، ١٩٨٥. العدد ١٠ ص٦ – ١٠.

٣٥- رودينوف م. أ. الكلمة الشعرية: مواد من حضرموت الغربية – قضايا الثقافة العربية. في ذكرى الأكاديمي أي. يو. كراتشكوفسكي، موسكو، ١٩٨٧م ص٨٢ -٩٦.

٣٦- رودينوف م. أ. الأفق يُرى من المضيق. العلم والدين ١٩٨٩، العدد٥ ص ٦١-٦٤.

٣٧- الصبان عبدالقادر محمد. ملحن ألحان الدان: سعيد مبارك مرزوق. سيئون، ١٩٧٩م.

٣٨- الصبان عبدالقادر محمد. متحف العادات والتقاليد الشعبية بمديرية سيئون: دليل. ١٩٨٣م.

٣٩- الصبان عبدالقادر محمد. تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت. سيئون، ١٩٨٣م.

٤٠ - الصبان عبدالقادر محمد. الشاعر الشعبي مع المزارعين. سيئون، ١٩٨٤م.

٤١ - سترابون. الجغرافيا. ترجمة وتعليق غ. أ. ستراتانوفسكي. موسكو ١٩٦٤م.

٤٢ - التقرير التكميلي: العام الثالث: ١٩٨٧ – ١٩٨٨م. المكلا، ٢٠ مارس ١٩٨٩م.

٤٣ - الحبشي عبدالله محمد. فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت. عدن، ١٩٧٥م.

٤٤ - الهمداني أبو محمد الحسن. كتاب الإكليل. تحقيق أنستاس الكرملي. المجلد٨. بغداد، ١٩٣١م.

٤٥ - الهمداني أبو محمد الحسن. كتاب صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الناجي. القاهرة، ١٩٥٣م.

٤٦ - الشاعر والباحث عبدالقادر الصبان. سيئون، ١٩٨٨م.

٤٧ - شهاب محمد، بن نوح عبدالله. الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد ... جدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٨ - شرول. ك. د. صباح – شعاع الصباح. موسكو، ١٩٨٦م.

49- The Agrarian reform law, the housing law, the family law, the fundamental law. L., 1978.

50- Al – Amri Husayn b. Abdullah. The yemen in the 18-th and 19+th centuries: a Political and intellectual. L., 1985 (Durham) Middle East Monographs, N1).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

51- Bent J.T., Expedition th the Hadramut – GJ. 1894, Vol. 4,C.315 – 333.
52- Bent J.T., Bent M.VA. southern Arabia. L., 1900
53- Bochow K.H., Stein L. Hadramaut: Geschichte und Gegenwart einer sudarabischen Landschaft. Lpz., 1986.
54- Dostal W. Arabin, Hadarmaut. – EC.E 428, 429, 1180 – 1201,1315,1346. Gottingen, 1969 -1972.
55- Haines S.B. Memoir of the South and esat coasts of Arabia. Pt. 2. –JRGS. 1845, vol. 15,c. 104 -160.
56- Al – Hamdani's Geographie der arabischen Halbinsel. Hresg. D. H. Muller. Bd1, Leiden, 1884;Bd2. 1891.
57- Hamilton R.A. A Greeting ceremony in the Aden Protectorate. – Man. 1942, vol. 42, c. 88- 90.
58- Hamilton R.A. Six weeks in Shabwa – GJ. 1942, vol. 100, c. 107 -125.
59- Hamilton R.A. The Social organization of the tribes of the Aden protectorate. – JRCAS. 1942, vol. 39, c. 239 – 248.
60- Hein W. Sudarabische Itinerare. – Mitteilungen der K.K Geographischen Gesellschaft in wien. 1914, Bd 17, c. 32 – 58.
61- Helfritz H. Chicago der Wuste. B., 1932.
62- Helfritz H.Land ohne Schatten: die letzen Wunder der Wuste. Lpz., 1934.
63- Helfritz H. Geheimnis um Schobua. Unter sidarbischen Beduinen im Lande der Sabaer. B., 1935.
64- Helfritz H. Vergessenes Sudarabien Wadis. Hochhauser und Beduinen. Lpz., 1936.
65- IHelfritz H. Gluckliches Arabien. Zurich, 1956.
66- Hirsch L. A Journey in Hadramaut. – GJ. 1894, vol.3,c.196 – 205.
67- Hirsch L. Reisen in sud – Arabien. Mahra – land und Hadramaut Leiden, 1897.
68- Al – Hubaishi A., Muller – Hohenstein K. An Introduction to the vegetation of Yemen. Eschbron, 1984.

69- Ibn al-Mugawir. Descriptionarabiae meridion alis… qui liber inscribitur Ta'rih al-Mustabsir. Pt 1-2. Ed. O.Lofgren. Leiden, 1954.
70- Ingrams D. Excursion into the Hajr Province of Hadhramaut. – GJ. 1941, vol.98, c. 121-134.
71- Ingrams D. A Time in Arabia. L., 1970.
72- Ingrams W.H. House building in the Hadhramaut. - GJ. 1935, vol. 85, c. 370-372.
73- Ingrams W.H. Hadhramaut: ajourney to the Sei'ar country and through the Wadi Mo-seila. – GJ. 1936, vol. 88, c. 524-551.
74- Ingrams W.H Unexplored regions of the Hadhramaut. – JRCAS. 1936, vol.23,c. 376-412.
75- Ingrams W.H. Aden Protectorate: a report on the social, economic and political condition of the Hadhramaut. L., 1937.
76- Ingrams W.H. Bee-keeping in the Wadi Du'an. – Man. 1937, vol. 37,c.32.
77- Ingrams W.H. A Dance of the ibexhunters in the Hadhramaut: is it a pagan sur-vival? – Man. 1937,vol.37,c.12-13.
78- Ingrams W.H. The Hadhramaut present and future. – GJ. 1938, vol. 19,c. 187-193.
79- Ingrams W.H. Life in ancient Hadhramaut. – Antiquity. 1945, vol. 19, c. 187 – 193.
80- Ingrams W.H. Arabia and the Isles. 3d ed. L., 1966.
81- Al- Ja'qubi. Historae. Pt. 1-2 Ed, M. Houtsma. Leaden, 1883.
82- Korniss P., Szurovy G. Osi karavanutak foldjen. Budapest, 1983.
83- Lee Warner W.H. Notes on the Hadhramaut. – GJ. 1931, vol. 77, c. 217-222.
84- Maktari A.M. Notes on some ordinances, decrees and laws of the Kathiri Sultanate: 1942-1964. – Arabian and Islamic Studies Ed. R.L. Bidwell, G.R.Smith. L.-N.Y., 1983, c.234-245.
85- Malzan H. von. Reise nach Sudarabien. Braunschweig, 1873.
86- Meulen D. van der. Aden to the Hadhramaut. A Journey in south Arabia. L., 1947.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

87- Meulen D. van der. Hadhramaut das Wunderland. Zurich, 1948.
88- Meulen D. van der, Wissmann H. von. Hadhramaut. Some of its mysteries unveiled. Leyden, 1932.
89- Miles S.B. Journal of an excursion in Oman in south – east Arabia. – GJ. 1896, vol. 7,c. 522-537.
90- Miles S.B. Across the green mountains of Oman. – GJ. 1901, vol.18, c.465-498.
91- Miles S.B. On the border of the great desert: a journey in Oman – GJ. 1910, vol. 36, c. 159-178,405-425.
92- Pearson J.D. Published works of Robert Bertram Serjeant. – Arabian and Islamic Studies. L. – N.Y., 1983, c.268-282.
93- Philby H. Aden and Hadhramaut. – Great Britain and the East. L., 1937, vol. 48, c. 624-734.
94- Philby H. The land of Sheba. – GJ 1938, vol. 92, c. 1-12, c. 107- 132.
95- Rutheven W.P Land and People of the Hadhramaut: Aden Protectorate. – Geographical Review. 1940, vol. 30, c. 627-648.
96- Stark F The Southern gates of Arabia: a journey in the Hadhramaut. L., 1936.
96- a. Stark F The Southern gates of Arabia. 2-d ed. L.,1957
97- Stark F. Two months in Hadhramaut. – GJ. 1936, vol. 87, c. 113-126.
98- Stark F. Seen in the Hadhramaut. L., 1938.
99- Stark F. An Exploration in the Hadhramaut and Journey to the coast – GJ. 1939, vol. 93, c. 1-17.
100- Stark F. A Winter in Arabia L., 1940.
101- Thesiger W. Walves of the desert: the Sa'ar tribeattha watering place. – Geograpical Magazine. 1949, vol. 21, c. 396-400.
102- Thesiger W. Arabian sands. L., 1959.
103- Wellstedt J.R. Narrative of aJourney from the tower of Ba-l-Haff on the southem Coast of Arabia to the ruins Nakab AL Hajar InApril 1836 – JRGS, 1837, vol. c. 20-34.
104- Wellstedt J.R. Traveis in Arabia. Vol. 1-2. L., 1838.

105- Wissmann H. von. South Arabia. Part of Aden Protrctorate from Shuqra to al-Shihr and Baihan to Hadhramaut. Publised by the Royal Geographical Society. 1957-1958.

106- Wrede A. von/. Adolph von wrede's Reise in Hadhramaut, Beled Beny Yssa und Beled el Hadschar. Hrsg. … H. von Maltzan. Braunschweig, 1870.

١٠٧- أ- عكاشة محمد عبدالكريم. السلطنة القعيطية والتوغل الاستعماري في حضرموت: ١٨٣٩-١٩١٨م. عمّان، ١٩٨٥م.

١٠٨- علي حسين علي، الملاحي عبدالرحمن عبدالكريم. تاريخ الصراع الحمومي – القعيطي ودوافعه: ١٨٦٧ - ١٩٦٧م، المكلا، ١٩٨٩م.

١٠٩- أمير خانوف خ. أ، أكابيون. أ. أبحاث في ج. ي. د. ش. الاكتشافات الأثرية ١٩٨٦م. موسكو، ١٩٨٨م ص ٥٢٦-٥٢٧.

١١٠- أندريانوف ب.ف، تشيبو كساروف. ن. ن. المناطق التاريخية الأثنوغرافية: (مشاكل التقسيم الإقليمي التاريخي الاثنوغرافي). الموسوعة الروسية ١٩٧٠ العدد ٣ص ١٥-٢٥.

١١١- أرتينوف س. أ. المستحدث في ثقافة الاتنوس وموجباته الاجتماعية – الاقتصادية. الأبحاث الاثنوغرافية لرقي الثقافة. موسكو، ١٩٨٥م ص ٣١-٤٩.

١١٢- اريتونوف س. أ. تشيبكساروف. ن. ن. نقل الأخبار كآلية لوجود المجموعات السلالية الاجتماعية والبيولوجية للإنسانية. – الأعراق والشعوب. الإصدار الثاني، موسكو، ١٩٧٢ص ٨-٣٠.

١١٣- باوزير أحمد عوض. الوطنية في الشعر العامي. المكلا، ١٩٨٠م.

١١٤- باوزير سعيد عوض. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. القاهرة، ١٩٦١م.

١١٥- باوزير سعيد عوض. صفحات من التاريخ الحضرمي. عدن، ط٢، ١٩٨٣م.

١١٦- بامطرف محمد عبدالقادر. الشهداء السبعة، بغداد، ١٩٧٤م.

١١٧- بامطرف محمد عبدالقادر. الاقطاعيون كانوا هنا. المكلا، ١٩٨٣م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١١٨- بامطرف محمد عبدالقادر. في سبيل الحكم. عدن، ١٩٨٣م.

١١٩- بامطرف محمد عبدالقادر. الميزان. المكلا – عدن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢٠- بامطرف محمد عبدالقادر. ملاحظات على ماذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت. عدن، ١٩٨٤م.ط٢.

١٢١- بامخرمة محمد. تربية النحل في مركز يبعث بمديرية حجر – حضرموت. المكلا، ١٩٨٤ ص ٤٠-٤٣.

١٢٢- بايبورين أ. ك دراسة منظومة الثقافة. موجز محتوى التقارير الدورية العلمية السنوية لمعهد الاثنوغرافيا لدى أكاديمية العلوم السوفيتية: ١٩٧٤ – ١٩٧٦، لينينجراد، ١٩٧٧م ص ٣٥-٣٦.

١٢٣- البكري صلاح. تاريخ حضرموت السياسي. مجلدان. القاهرة، ١٣٧٦ – ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٦ – ١٩٥٧ ط٢.

١٢٤- باوزير غ.م. عن مكانة الجنوب العربي في التجارة البحرية في النصف الثاني للقرن الأول قبل الميلاد – ميروي. الإصدار الأول. موسكو، ١٩٨١م ص٢٠٩-٢٢٧.

١٢٥- بن عقيب عبدالعزيز. وادي العين: مدنة وقراه وتركيبه الاجتماعي القبلي ومواقعه الأثرية – حضرموت. المكلا، ١٩٨٤م. ص٢٠-٣٩.

١٢٦- بن عقيل عبدالعزيز. حوطة في طور التأسيس – آفاق ١٩٨٧م. العدد ١٠ ص ٢٨-٤٠.

١٢٧- بن عقيل عبدالعزيز. الحوط في حضرموت: قواعد للأبحاث الميدانية – حضرموت القديمة والمعاصرة. المجلد٢. سيئون ١٩٨٧م ص ١٧٨-١٩٢.

١٢٦/أ- بن عقيل عبدالعزيز. التركيبة الأثنو – اجتماعية ومؤسسات الحماية الاجتماعية في حضرموت (القرن ١٩ – النصف الأول القرن ٢٠م) ملخص أطروحة الدكتوراه، ١٩٩٢م.

١٢٨- بن ثعلب محمد. توزيع السكان والتنمية في محافظة حضرموت. جامعة دمشق. دمشق ١٩٨٧م.

١٢٩- برومليي. يو. ف. القضايا المعاصرة للأثنوغرافيا (أبحاث نظرية وتاريخية). موسكو، ١٩٨١م.

١٣٠- بكير علي سالم. بحث في مصادر التاريخ الحضرمي. المكلا، ١٩٧٩م.

١٣١- فافيلوف. ن.ي. خمس قارات. لينيجراد، ١٩٨٦م.

١٣٢- فالكوفا. ل.ف. السياسة الاستعمارية الإنجليزية في عدن والمحميات (١٩٤٥-١٩٦٧م) موسكو، ١٩٦٨م.

١٣٣- فاسيلفيا. أ، بوخوفا. أو. أ. العلاج غير المتخصص للأمراض المزمنة. لينيجراد، ١٩٧٢م.

١٣٤- غيرنكو. ت. م. ثقافات شرف أفريقيا في عملية التغييرات التكوينية (القرنان ١٩-٢٠م). الموسوعة السوفيتية ١٩٨٤م العدد ص ٣٨-٥٠.

١٣٥- غريازنيفتش. ب. أ. التقسيم الأثنى – الإقليمي لليمن في القرون ٧-١٠م. الآثار المكتوبة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو ١٩٨١م ص ٢٦-٣٢.

١٣٦- غريازنيفتش ب. أ. حصيلة عمل البعثة السوفيتية – اليمنية في عامي ١٩٨٣-١٩٨٤م – فستنيك. أكاديمية العلوم السوفيتية ١٩٨٥م. العدد ٥ص ١٣٦-١٤٨.

١٣٧- غريازنيفتش ب. أ. حضرموت القديمة في ضوء الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية – اليمنية. بشير التاريخ القديم ١٩٨٩ العدد ص ١٢٩-١٣٥.

١٣٨- دافيدوف أ. د. الجماعة القروية والتسمية نسبة إلى الأب في بلدان الشرقين الأدنى والأوسط. موسكو، ١٩٧٩م.

١٣٩- داؤود محمد سعيد. حركة بن عبدات في الغرفة، حضرموت، ١٩٢٤ – ١٩٤٥م – الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت: ١٩٠٠-١٩٦٣م. المكلا، ١٩٨٩م ص ١-٦٦.

١٤٠- بريميف د.ي. لماذا تخلف الشرق عن الغرب – آسيا وأفريقيا اليوم ١٩٨٩م العدد ٧ ص١٦-٢٠.

١٤١- جوكوفسكي ب.م. النباتات الزراعية وقرابتها. لينيجراد، ١٩٧١م.

١٤٢- الشرق والمعاصرة. مجلدان. موسكو، ١٩٨٠م.

١٤٣- أبن هاشم محمد. تاريخ الدولة الكثيرية. القاهرة، ١٩٤٨م.

١٤٤- أيفانوف ن. أ. الاحتلال العثماني للدول العربية ١٥١٦-١٥٧٤م. موسكو، ١٩٨٤م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

١٤٥- كوجين ي.ف. حول مسألة الهندسة المعمارية للسكن التقليدي في حضرموت (ج.ي.د.ش) – قضايا تركيب الفنون والهندسة المعمارية. لينيجراد/ ١٩٨٥م، الإصدار ٢١ص ٦٧-٧٦.

١٤٤/أ- كوجين يو.ف. الفن المعماري التقليدي في حضرموت (الجمهورية اليمنية). ملخص أطروحة دكتوراه.

١٤٦- كراسنوف. ي. أ. أدوات الحراثة القديمة، موسكو، ١٩٧٥م.

١٤٧- كراتشكو فسكايا. ف.أ. في الذكرى المئوية لدراسة حضرموت: ١٨٤٣-١٩٤٣م – أنباء الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوفيتي. موسكو – لينيجراد، ١٩٤٣م المجلد ٧٥، الإصدار٤ ص٣١-٤٥.

١٤٨- كراتشكو فسكايا ف. أ. المسكن والقضية السكنية في حضرموت. إلى الأكاديمي ... كراتشكوفسكي من مجموعة موسكو لمعهد الاستشراق ... موسكو ١٩٤٤م ص ١-١٣.

١٤٩- كراتشكو فسكايا. ف. أ. الثوب النسائي في حضرموت (الجنوب العربي) – الدورة العلمية/ جامعة لينيجراد الحكومية/ ١٩٤٦م. موضوعات التقارير الخاصة بقسم الاستشراق. لينيجراد، ١٩٤٦م. ص٢٥-٢٦.

١٥٠- كراتشكو فسكايا. ف. أ. المسكن في حضرموت.

١٥١- كراتشكو فسكايا. ف. أ. الأهمية التاريخية للآثار المعمارية في الجنوب العربي – الاستشراف السوفيتي. ١٩٤٧ العدد٤ ص ١٠٥-١٢٨.

١٥٢- كراتشكو فسكايا. ف. أ. الأزياء النسائية في حضرموت – أبحاث في تاريخ بلدان الشرق. لينيجراد، ١٩٤٦م ص ١٢٩-١٥٧.

١٥٣- ثقافة الاعاشة والاثنوس (وفقاً لمواد الثقافة الريفية الأرمينية). رئيس التحرير. س. أ. أريتونوف. ي. س. ماركايان. إيريفان، ١٩٨٣م.

١٥٤- ماركاريان. أي. س. تناسب الأشكال المحلية والتكوينية للثقافة – الأبحاث الاثنوغرافية في تطور الثقافة. موسكو، ١٩٨٥م ص ٧-٣٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١٥٥- مكرتوميان. يو. أي. المكونات الأساسية لثقافة الاثنوس – المسائل العلمية لدراسة الثقافات السلالية. ايريفان، ١٩٧٩م.

١٥٦- مورغا ن.ل. غ. المجتمع القديم. لينيجراد، ١٩٣٤م.

١٥٧- نتائج أعمال البعثة لعام ١٩٨٤م: دليل المعرض. سيئون، ١٩٨٤م.

١٥٨- نتائج أعمال البعثة لعام ١٩٨٥م. سيئون، ١٩٨٥م.

١٥٩- ناؤمكين. ف. ف الجبهة القومية في النضال من أجل استقلال اليمن الجنوبي والديمقراطية الوطنية (١٩٦٣-١٩٦٩). موسكو، ١٩٨٠م.

١٦٠- ناؤمكين ف. ف. المؤسسات التقليدية في يافع العليا (ج.ي.د.ش) في الزمن الحديث والمعاصر – السلطة الحكومية والمنظومة الاجتماعية – السياسة في البلدان العربية. موسكو، ١٩٨٤م ص ١٤١-١٥٦.

١٦١- ناؤمكين ف. ف. السقطريون – دراسة تاريخية – أنثوغرافية. موسكو، ١٩٨٨م.

١٦٢- نيغريا. ل. ف. النظام الاجتماعي لشمال ووسط الجزيرة العربية في القرون الخامس – السابع الميلادي. موسكو، ١٩٨١م.

١٦٣- تاريخ اليمن الحديث (١٩١٧-١٩٨٢م). موسكو، ١٩٨٤م.

١٦٤- بيرشتس. أ. ي. الاثنوس في الجماعات الحضرية – البدوية المبكرة – الاثنوس في المجتمع ما قبل الطبقي والطبقي المبكر. موسكو، ١٩٨٢م ص ١٦٣-١٨٠.

١٦٥- بيوتروفسكي. م. ب. اليمن في العصر الإسلامي المبكر. موسكو، ١٩٨٥م.

١٦٦- بوغوريلسكي. ب. ي. في صف آداب السلوك عند عرب حضرموت (عدة مقالات) آداب السلوك، ص ١٠١-١١٣.

١٦٥-أ- يوغوريلسكي. ب. ي. الأعمال التقليدية لدى السكان الحضر في حضرموت. ملخص أطروحة دكتوراه.

١٦٧- رودينوف. م. أ. الكلمة الشعرية في الثقافة التقليدية لحضرموت.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- الكونفرس الاتحادي العام في قضايا الثقافة العربية في ذكرى .. كراتشكوفسكي. موضوعات المداخلات والاخبار. موسكو، ١٩٨٣م ص ٤٧-٤٨.

١٦٨- رودينوف. م. أ. البحث الاثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه. أفاق ١٩٨٥م العدد ٨ ص ٣١-٤٣.

١٦٩- رودينوف. م. أ. الدراسة الاثنوغرافي في حضرموت: التاريخ والمستقبل – الحكمة، ١٩٨٥م. العدد ١٢٢ ص ٧٦-٩٦.

١٧٠- رودينوف. م. أ. المجتمع المعاصر لحضرموت: عاداته وسلوكه. – نتائج عمل البعثة لعام ١٩٨٥م. سيئون، ١٩٨٥م ص ١٠١-١١٤.

١٧١- رودينوف. م. أ. أثنوغرافيا حضرموت. حضرموت القديمة والمعاصرة. المجلد٢. سيئون، ١٩٨٧م، ص ١٤٢-١٥٥.

١٧٢- رودينوف. م. أ. الأبحاث الاثنوغرافية في حضرموت (ج.ي.د.ش): النتائج والآفاق – قضايا الاثنوغرافيا العامة والمتاحف – موجز مضمون المداخلات إلى الدورة العلمية "الاثنوغرافيا السوفيتية خلال ٧٠ عاماً" لينيجراد، ١٩٨٧ ص ٣٣-٣٤.

١٧٣- رودينوف. م. أ. المروة، العصبية، الدين. في تفسير آداب السلوك في الشرق الأوسط – ايتيكت. ص ٦٠-٦٨.

١٧٤- رودينوف. م. أ. الصفات المميزة لآداب السلوك لدى اللبنانيين. إيتكيت. ص ٨١-١٠٠.

١٧٥- رودينوف. م. أ. الخرزة الزرقاء في الكف النحاسية. لينيجراد، ١٩٨٨م.

١٧٤-أ- رودينوف. م. أ. الثقافة التقليدية لحضرموت الغربية (وفقاً للمصادر المكتوبة والميدانية). ملخص أطروحة دكتوراه.

١٧٦- الصبان عبدالقادر محمد. دراسات في الشعر الشعبي/ سيئون/ ١٩٧٨.

١٧٧- الصبان عبدالقادر محمد. لمحة عن حياة البادية. عدن/ ١٩٧٨م.

١٧٨- الصبان عبدالقادر محمد. الزعيم العمالي حمود باضاوي. سيئون، ١٩٨٢م.

١٧٩- الصبان عبدالقادر محمد. نشوء الحركة العمالية وتطورها بوادي حضرموت/ سيئون/ ١٩٨٢م.

١٨٠- الصبان عبدالقادر محمد. الفلاحون وعاداتهم المهنية، سيئون، ١٩٨٣م

١٨١- الصبان عبدالقادر محمد. العادات والتقاليد في الاحقاف: مديرية سيئون./ المكلا، ١٩٨٤م.

١٨٢- السقاف عبدالله محمد. تاريخ الشعراء الحضرميين. خمسة مجلدات. القاهرة ١٣٥٣هـ/ ٣٤-١٩٣٥م.

١٨٣- السقاف. جعفر محمد. أضواء على تاريخ وادي حضرموت الزراعي، بدون تاريخ. بدون مكان.

١٨٤- السقاف. جعفر محمد. لمحة عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت. عدن، بدون تاريخ.

١٨٥- سرجنت. ر. نثر وشعر من حضرموت. ترجمة سعيد محمد دهي. المكلا، ١٩٨٠م.

١٨٦- سيدوف. أ. ف. التنقيات الأثرية في حضرموت، بشير التاريخ القديم ١٩٨٩ العدد ٢ص ١٣٥ -١٤٢.

١٨٥-أ- سيربوف. س. ن. الطبقات الاجتماعية التقليدية في حضرموت – الإسلام والتركيب الاجتماعي لبلدان الشرقين الأدنى والأوسط. موسكو، ١٩٩٠م ص ١٤٤-١٦٠.

١٨٧- سيوكيانين ل. ر. الشريعة الإسلامية. قضايا النظرية والتطبيق. موسكو ١٩٨٦.

١٨٨- طاهر. علوي عبدالله. نظرة في الأزياء الشعبية اليمنية – الحكمة. ١٩٨٧م. العدد١٣٤ص٣٤-٤٥.

١٨٧/ أ- العقيدة التقليدية لدى شعوب آسيا الصغرى. مجموعة مقالات موسكو ١٩٩٢م.

١٨٩- أودالوفا. غ. م. اليمن في عهد الاحتلال العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥م) موسكو، ١٩٨٨م.

١٩٠- حداد عبدالله صالح. من الألعاب الشعبية: رقصة العيد. المكلا، ١٩٨٠م.

١٩١- الحداد علوي بن طاهر. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها. سنغفورة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

١٩٢- الحداد علوي بن طاهر. جنى الشماريخ في الإجابة على أسئلة التاريخ. عدن، ١٣٦٩هـ/ ٤٩-١٩٥٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١٩٣- حضرموت القديمة والمعاصرة: الأبحاث الميدانية لعام ١٩٨٧م. مجلدان. سيئون، ١٩٨٧م.

١٩٤- الحامد صالح بن علي. تاريخ حضرموت. جدة، ١٩٦٨م.

١٩٥- تشتسوف. يو. ك. جوفمان بي بي، بوغداف ف.ي. الأبحاث الأثرية في حضرموت، موضوعات مداخلات الدورة العلمية لعموم الاتحاد السوفيتي في ضوء نتائج الأبحاث الاثنوغرافية والأثرية ١٩٨٦-١٩٨٧م – سوخومي، ١٩٨٨م ص ٢٤٧-٢٤٨.

١٩٦- تشلنوف. م. أ. عن الجزء الداخلي لعلم الأثنوغرافيا – المسائل المهمة للاثنوغرافيا. موسكو ١٩٧٣م ص ١٥-٢٦.

١٩٧- شافروف ن. ن. تربية النحل في آسيا الصغرى. تبليسي، ١٩٠٧م.

١٩٨- الشاطري محمد بن أحمد. أدوار التاريخ الحضرمي. جزءان، المكلا، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٩٩- شنيرلمان. ف. أ. قضايا الاثنوس ما قبل الطبقة والطبقية المبكرة في الاثنو غرافيا الأجنبية – الاثنوس في المجتمع الطبقي المبكر. موسكو، ١٩٨٢م ص ٢٠٧-٢٥٢.

٢٠٠- يوخنيفيا. ن. ف. ماذا تعني " الاثنوغرافيا المعاصرة"؟ - المظاهر الاثنوغرافية لدراسة الحاضر. لينيجراد، ١٩٨٠م ص ٧-١٥.

201- Bafaqih M.,Chelhod J. Notes Preliminaires Sur I, architecture de Shibam: Une Ville de Hadhramaut (Sud – Yemen). – Studia Islamica P., 1980, fasc. 51, c. 179-197.

202- Bauer W.P. Materialuntersuchungen zu Handwerktechniken in Tarim (Hadramaut) mit einer allgeminen Darstellung der Lotkunst. – Jahrbuch des Bernischen Historischen Museums in Bern. Bern, 1965 – 1966, N° - 45 – 46, c. 489 – 503.

203- Beeston A. F. The Ritual Hunt: a Study in old South Arabian religious Practice. – Le Museon. 1949, vol. 61, c. 183 – 196.

204- Berg L. W. van den. Le Hadramout et les colonies arabes dens I' Archipel Indien. Batavia, 1886.

205- Bochow K.H. Sudarabische Architktur. – Architektur der DDR. B., 1980, c. 559-568.

206- Bochow K.H. Architekturen trotz Hitze und Staub: Impression aus der VDR Je – men – fotographie. 1984, N° 6, c. 212 – 217.

207- Bravmann M.M. the Spiritual background of early Islam. Studies in ancient arab concepts. Leiden, 1972.

208- Bujra A.S. Politiczl conflict and stratification in Hadramaut – Middle Easten Studies. 1967, vol. 3, c. 355-375.

209- Bujra A. S. Urban elites and colonialism: the nationalist elites of Aden and South Arabia. – Middle Eastern Studies. 1970, vol. 6, c. 189 – 211.

210- Bujra A. S. The Politics of stratification: a Study of Politica change in a South Arabian town. Oxf., 1971.

211- Chelhod J. Les structures dualistes de Ia societe bedouine. L' Homme 1969, vol. 9, N° 2, c. 89 – 112.

212- Chelhod J. a. o. L' Arabie du Sud. Histoire et Civilisation. T. 1: Le people Yemenite et ses raciness. P., 1984; T. 2: La societe Yemenite de I' Hegire aux ideologies modernes. 1984; T. 3: Culture et institution in du yemen. 1985.

213- Doe B. Sudarabien: Antike Reiche in Indischen Ozean. – Neue Entdeckungen der Archaologie. Ed. M. Wheeler. Bergisch Gladbach, 1970.

214- Doe B., Serjeant R. A Fortified tower – house in Wadi jirdan (Wahidi Sultanatr). – BSOAS. 1975, vol. 38, c. 1-23.276-295.

215- Dostal W. Uber Jagdbrauchtum in Vorderasien. – Paideuma. 1962, Bd 8, c. 85-97.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

216- Dostal W. Beduinen in Sudarabien: Eine rthnologische Studia zur Entwicklung der Kamelhirtenkultur in Arabein. Horn – Wien, 1967 (Wiener Beitrage zur Kulturges – Chichte und Linguistik … Bd 16.

217- Dostal W. Zur Megalithfage in Sudarabien. – Festschrift fur W. Caskel zum 70. Geburstag. Leiden, 1968, c. 53-63.

218- Dostal W. Handwerker und Handwerkstechniken in Tarim (Susarabien, Hadramaut). Gottingen, 1972 (Publication zu wissenschaftlichen Filmen. Volkerkunde … Ergan – zungsband 3).

219- Dostal W. Zur Kooberation zwischen Ethnologen. Kameramann und einheimischen Mitarbeitern bei der ethnograpraphischen Filmdokumentation. Gottineg, 1972 (Institut fur den Wissenschaftlichen Film).

220- Dostal W. The Development of Bedouin life in Arabia: seen from archaeological material. – Studies in the History of Arabia Riyadh University Press. 1979, vol. 1, pt 1, c. 125-144.

221- Dostal W. Towards an ethnographic atlas of Arabia. – Proceedings of the Seminar for Arabian Studies. L., 1979.

222- Dostal W. Notizen uber traditionelle Achitktur im Suden der arabischen Halbin – Sel. Fikrun wa fann. Muchen, 1981, N° 35, c. 56-84.

223- Dostal W. Ethnogaphic atlas of Asir. Preliminary report. Wien, 1983 (Osterreichische Akademie der Wissenschaften. Philosophisch – Historische Klasse. Bd 406).

224- Dostal W. Some remarks on the ritual significance of the bull in preislamic South Arabia – Arabia and Islamic Studies. L. – N.Y., 1983, c. 196-213.

225- Dostal W. Squire and peasant in Tarim. On Social Evolution. Bd. I. Horn – Wien, 1984, c. 228-232.

226- Dostal W. Egalitat und Klassengesellschaft in Sudarabien: Anthroplogische Unter – suchungen zur socialen Evolution. Horn – Wien. 1985 (Weiner Beitrage zur Kulturage – schichte… Bd 20).

227- Ebla to Damascus Art and Archaeology of ancient Syria. Ed. H. Weiss Smithsonian Institution Traveling Exhibition Service. Wash., 1985.

228- Essays on the problem of tribe. Ed. J. Helm. – proceedings of the 1967 annual spring meeting of the American Ethnological Secirty. Seattle – London, 1968.

229- Gingrich A. Towards an ethnographic atlas of ASir. Reseach. Of the International Committee on Urgent Anthropological and Ethnological Research. Vienna, 1981, N° 23, c. 9-33.

230- Gingrich A. Traditional bee-keeping. – W. Dostal. Ethnographic atlas A sir. C. 62-74.

231- Gingrich A., Heiss J. A Note on traditional agricultural tools in Sa'dah province (with special reference to the ard). – Proceedings of the seminar for Arabian Studies. 1986, N°16. C. 51-63.

232- Grohmann A. Sudarabien als Wirtschaftsgebiet. Prag – Brunn, 1933.

233- Gwynne M. The possible origin of the dwarf cattle of Socotra. – Geographical Maga – zine. 1967, vol. 133, pt 1, c. 39-42.

234- Hartly J.C. The political organization of Arab tribe of the Hadramaut Univer-sity of London, 1961 (Ms. Of unpublished ph.D. Thesis).

235- Jemen: 3000 Jahre Kunst und Kultur des glucklichen Arabien. Frankfurt /1987/.

236- Kiernan R.H. The unveiling of Arabia: the story of Arabian travels and discovery. L., 1937.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

237- Londberg C. Etudes sur les dialects de I'Arabie Meridionale. T. I. Hadramaut Leide, 1901.

238- Landberg G. Glossaire Datinois. T. I. Leide, 1920; t.3. 1942.

239- Leidlmair A. Hadramaut: Bevolkerung und Wirtschaft im Wandel der Gegenwart – Bonner Geographische Abhandlungen. 1961, Bd 30, c. 1-47.

240- Leidlmair A-Klimamorphologische problem in Hadramaut. – H. von Wissmann-fest-schrift. Tubingen, 1962, c. 162-180.

241- Little T. South Arabia – Arena of conflict. L., 1968.

242- Maktari A.M. Water right and irrigation practices in Lahj. Cambridge 1971 (Univar – sity of Cambridge Oriental Publication, 21).

243- Malinowski B. Freedom and civilization. N. Y., 1944.

244- Muller W. In memoriam H. von Wissmann. – Reydan. 1979, vol. 2, c. 6-12.

245- Patai R. Golden river to golden road. Philadelphia, 1962.

246- Patai R. The Structure of endogamous unilineal descent groups. SWJA. 1965, vol. 21, N°4, c. 325-350.

247- Patai R. The culture areas of the Middle East. – The nomadic alternative: modes and models of interaction in the African-Asian deserts and steppes. Ed. W. Weisslder. The Hague – paris, 1978.

248- Serjeant R.B. Building and builders un Hadramaut. – Le Guseon. 1949, vol 62, c. 275-284.

249- Serjeant R.B. The Cemeteries of Tarim (Hadramaut), with notes on sepulture. – Le Museon. 1949, vol. 62, c. 151-159.

250- Serjeant R.B. Materials for South Arabian history. Notes on new Mss. From Hadra mawt. – BSOAS. 1949-1950, vol. 13, c. 281-307, 581-601.

251- Serjeant R.B. A Journey by two Jesuits from Dhufar to Sana in 1590. GJ. 1950, vol. 25, c. 194-207.

252- Serjeant R.B. The Quarters of Tarim and their tansurah. – Le Museon. 1950, vol. 63, c. 276 – 284.

253- Serjeant R.B. Prose and poetry from Hadramaut. South Arabian Poetry: I. 1., 1951.

254- Serjeant R.B. Two tribal law cases. – JRAS.1951, c. 33-47, 156-169.

255- Serjeant R.B. Hud and other pre-islamic prophets of Hadramaut. – Le Museon. 1954, vol, c. 121-179.

256- Serjeant R.B. Star – calenders and an almanac from south – west Arabia. – Anthropos. 1954, vol. 49, c. 433-459.

257- Serjeant R.B. Folk – remedies from Hadramaut. – BSOAS. 1956. Vol. 18, c. 5-8.

258- Serjeant R.B. The saiyids of Hadramaut. University of London. L., 1957.

259- Serjeant R.B. Ametal padlock and Keys from South Arabia. – Man. 1959, vol. 59, c. 49.

260- Serjeant R.B. Historians and Historiography of Hadramaut. – BSOAS. 1962, vol. 25, c. 239-261.

261- Serjeant R.B. Recent marriage legislation from al- Mukalla. – BSOAS. 1962, vol. 25, c. 472-498.

262- Serjeant R.B. sex, birth, circumcision: some notes from south – west Arabia. H. von wissmann – festschrift. Tubingen, 1962, c. 193-208.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

263- Serjeant R.B. The Portuguese off the South Arabian Coast. Oxf., 1963.

264- Serjeant R.B. Some irrigation system in Hadramaut. – BSOAS. 1964, vol. 27, c. 33-76.

265- Serjeant R.B. Kinship terms in Wadi Hadramaut. – Der Orient in der forschung. Festchift fur O. Spies. Wiesbaden, 1967, c. 626 – 633.

266- Serjeant R.B. South Arabian Hunt. L., 1976.

267- Serjeant R.B. Haram and hawta, the sacred enclave in Arabia. – Studies in Arabian History and Civilization. L., 1981, pt 3, c. 41 – 58.

268- Serjeant R.B. A "maqamh" on palm protection (shirahah). – Journal of Near Eastern Studies. Chicago, 1981, vol. 40, No 4, p. 307-322.

269- Serjeant R.B. The ports of Aden and Shihr (mediaeval period). – Studies in Arabian History and Civilization. L., 1981, c. 207 – 244.

270- Serjeant R.B. Hadramaut to Zanzibar. – paideuma. Wiesbaden, 1982, no, 28c. 109-127.

271- Smith W.R. Animal worship and animal tribes among the Arabs of the Old Testmant. – The Journal of Philology. 1880, vol. 9, c. 75-100.

272- Smith W. R. Kinship and marriage in early Arabia. L., 1903.

273- Snouck Hurgonje C. Enkele Zagswijzen en een Raaadsel der Hadhramaut. – Festbundel aan prof. M. J. de Goeje., Donaufeld, 1891, c., 3-15.

274- Snouck Hurgronje C. L' Interdit seculier en Hadramot. – Revue africaine. 1905, No 256, c. 92-99.

275- Snouck Hurgronje C. Zur Dichtkunst der Ba Atwah in Hadramaut. – Orientaslishche Studen Th. Noldeke. Gieszen, 1906, Bd 1, c. 97-107.

276- Snouck Hurgronje C. Sad es – Suweni, ein seltsamer Wali in Hadramaut – Zeitschrift fur Assyriologie und verwandte Gebiete. Strassburg, 1911, Bd 26, c. 221-239.

277- Spencer R.. F. The Arabian matriarchate: an old controversy. – SWJA. 1952, vol. 8, No 4, c. 478-502.

278- Stein L. Reiseskizzen aus der VR Jemen. – Mitteilungen aus dem Museum fur Volkerkunde Leipzig. 1983, c. 6-15.

279- Varisco D. The adaptive dynamics of water allocation in a al-Ahjur. Yemen. Ann Arbor, 1982.

280- Wilken G.A. Het Matriarchat bij de oude Arabierern. Leyden, 1884.

281- Wilkinson J.C. Water and tribal settlement in South-East Arabia. Oxf., 1977.

282- Ziddeh F. Property law in the Arab world. L., 1979.

283- Zwemer S. M. The unexplored regions of Hadramaut. – Arabia, the cradle of Islam. Edinburg – London, 1900, c. 72 – 77

الصحف:

١- ١٤ أكتوبر – عدن.

٢- الشرارة – المكلا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المحتويات

تمهيد المؤلف ٥
مقدمة الطبعة الثانية ٧
مقدمة المترجم (الطبعة الأولى) ٩
تمهيد ١٢

..... ٤٥
١- الفئات التقليدية (الطبقات):..... ٤٥
٢- التركيب الإثنو- قبلي ٦٠

..... ٨٧
١) الماضي الحضاري: الأساطير والواقع ٨٧
٢) التنافس القعيطي – الكثيري (القرن ١٩ – ١٩١٨م) ١٠٢
(٣) في الطريق نحو الدولة الواحدة (١٩١٨- ١٩٦٧م) ١١٦

:

..... ١٣٩
١) الزراعة ١٣٩
٢) تربية الحيوانات ١٦٠
٣) الصناعات الحِرَفِيّة ١٦٥
٤) المهن ١٩٠

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

..... ٢٠٧

١) نظام السكن – الإسكان ٢٠٧

٢) الأزياء ٢٢٥

٣) الطعام ٢٤٠

٤) الطب الشعبي ٢٤٦

..... ٢٥٥

١) القواعد المنظِّمة للنسب والزواج ٢٥٥

٢) القوانين المنظمة للملكية والإدارة ٢٧٢

٣) القوانين الإنسانية ٢٨٢

... ٢٨٧

١) التقاليد الشفوية والمكتوبة ٢٨٧

٢) الوظيفة الاجتماعيّة للشاعر ٢٨٩

٣) نماذج من الفلكلور الشعري ٢٩٢

الخاتمة ٣٣٥

ملحقات الكتاب ٣٣٩

ملحق التقويم النجمي ٣٤١

ملحق الصور ٣٥١

المصادر والمراجع ٤١٠

المحتويات ٤٣١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تنبع أهمية هذا الكتاب -حسب تقديري- من كونه الأول من نوعه الذي يتعرض لدراسة منطقة نائية أغفلتها الدراسات والأبحاث، إلا فيما ندر، وهذه المنطقة هي حضرموت الغربية، التي تشتمل على أودية دَوْعَن وعمد والعين والكسر، بتجمُّعاتها السكّانية، وبثقافتها المادية والروحية، وعاداتها وتقاليدها، التي لم تنل حظّها من الدراسة، مقارنة بكثرة ما كُتب عن وادي حضرموت الرئيس بمُدُنه الشهيرة: شبام، سيئون، تريم، ولذلك فإنّ هذا الكتاب يُعدُّ بحقّ رائدًا في هذا المجال، ليس فقط في موضوعه ومضامينه، بل وبمنهجيته وأسلوبه العلمي، فقد بذل مؤلفه المستشرق الروسي ميخائيل رودينوف جهدًا علميًا كبيرًا، اعتمد أساسًا على الأبحاث الميدانية والمشاهدات الحيّة التي كانت ثمرة ثماني سنوات، أمضاها في البحث الميداني في تلك المناطق ضمن نشاط البعثة الروسية اليمنية المشتركة، منذ عام 1983م وحتى عام 1991م، فضلًا عن استناده على قائمة طويلة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، التي أحاطت بموضوع الكتاب، فزادته ثراءً وقيمةً علمية وأكاديمية.

من مقدمة المترجم

د. علي صالح الخلاقي

دار الوفاق

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

واتس آب: 2001008170225+